عائلة الملك خوفو

تاريخ وأسرار الأسرة الرابعة
(الدولة القديمة)

زاهي حواس



الدار المصرية اللبنانية

عائلة الملك خوفو

تاريخ وأسرار الأسرة الرابعة
(الدولة القديمة)

زاهي حواس

الدار المصرية اللبنانية

حواس ، زاهي .
عائلة الملك خوفو : تاريخ وأسرار الأسرة الرابعة الدولة القديمة / زاهي حواس
.ـ ط1.ـ القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 2009
272 ص ؛ 28 سم
تدمك : 3 ـ 490 ـ 427 ـ 977
1ـ مصر القديمة ـ تاريخ ـ الدولة القديمة (3400 ـ 2260 ق.م)
2ـ مصر القديمة ـ تاريخ
أ ـ العنوان 932,03

الدار المصرية اللبنانية
16 عبد الخالق ثروت القاهرة .
تليفون: 23910250 202 +
فاكس: 23909618 202 + – ص.ب 2022
E-mail:info@almasriah.com
www.almasriah.com
رقم الإيداع : 9787 / 2009

الطبعة الأولى : جمادى الأولى 1430هـ – مايو 2009م
إخراج : حسين الشحات
تصميم : خـالـد النـاقــه

إهداء إلى صديق العمر
الكاتب المبدع أحمد رجب

زاهي حواس

شكر وعرفان

أود أن أشكر كل من ساهم في إنجاز هذا العمل، فأبدأ بشكر من ساعدوني في حفائري لمقابر بناة الأهرام بالجيزة، ذلك العمل الذي فتح نافذة جديدة على تاريخ الدولة القديمة، حيث أشكر أ. منصور بريك الذي كان بمثابة ذراعي اليمنى بتلك الحفائر ومعي د. محمود عفيفي وغيرهما ممن ساعدوني في هذا الموقع.

كما أود أن أشكر من ساعدوني بمكتبي ومنهم مساعدي د. طارق العوضي وأ. محمد مجاهد وأ.شريف شعبان، لدورهم الكبير في متابعة تصميم الكتاب ومراحل إخراجه.

كما أتوجه بالشكر للفنان الشاب حسين الشحات والأستاذ خالد الناقة على ما بذلاه من جهد في تصميم وإخراج هذا المؤلف في صورة فنية بديعة.

وأود توجيه شكر خاص للسيد محمد رشاد رئيس مجلس إدارة الدار المصرية اللبنانية على مجهوده الشاق في متابعة كل مراحل العمل للكتاب الذي يعتبر كتابًا فريدًا من نوعه باللغة العربية؛ حيث إن تاريخ الأسرة الرابعة لم يعرض في كتاب للجمهور من قبل.

المقدمة

نحن في عام 2609 قبل ميلاد السيد المسيح.. حيث نعود عبر رمال الزمن لنتمكن من رؤية ذلك الملك الجديد خوفو مصحوباً بكبير مهندسيه المدعو حم إيونو، وهما واقفان على هضبة الجيزة الخاوية.. حيث وقفا على بعد بسيط من الحاشية الملكية التي تصحبهما أينما كانا وقد نظرا إلى الأفق المحيط بهما.. نظرا ناحية الغرب عبر الأفق حيث تموت الشمس كل ليلة، ويظهر اللمعان الذهبي للصحراء المليئة بحيوانات الصيد.. ونظرا ناحية الجنوب حيث الهرم المدرج للملك زوسر، الذي حكم طيلة ثلاثة أرباع القرن في عصر البناء بالحجارة.. وإلى الجنوب أكثر توجد ثلاثة أهرامات بناها والد الملك خوفو.. الملك العظيم سنفرو....

وعند طرف الهضبة ناحية الشرق.. يوجد شريط رفيع من الصحراء يحد سهل الفيضان الأخضر.. يليها صفحة النيل الزرقاء.. وعلى بعد مسافة ما يوجد الأفق الشرقي حيث تولد الشمس كل صباح.. هذا هو الموقع المثالي.. حيث حدده خوفو لإقامة هرمه الذي سيبنى خلال عقدين من الزمان.. وكان صخر الأساس من الحجر الجيري الجيد الصلب المغطى بطبقة رقيقة من الرمال التي تهب من الغرب. وعلى بعد مئات الأمتار ناحية الجنوب يوجد محجر مناسب يمكن الحصول منه على أحجار لبناء هرمه.. في حين أن نهر النيل على مقربة من حافة الهضبة مما يسهل جلب المواد عبر مراكب، من خلال قنوات وموانئ يتم بناءها. هذا الهرم سيكون أكبر هرم على الإطلاق والذي سيبقى للأبد.. ذلك الجبل الحجري الذي بني ليؤكد الحفاظ على ذكراه وحمايته لنظام الكون المصري..

كما أن سهل الفيضان يعد أيضاً مكاناً مناسباً لبناء قصره ومدينة إدارته.. أما العمال والمشرفون فقد سكنوا ناحية الجنوب الشرقي قرب المقبرة الوحيدة الضخمة بالهضبة المبنية من الطوب اللبن والخاصة بأحد أسلاف خوفو. وهناك أيضاً مكان قد خصص لبناء هرم لابنه وربما هرم لحفيده.. ذلك المكان الذي سيقضي فيه خوفو أبديته..

إن ما سبق بالطبع هو سيناريو تخيلي لما يمكن أن يكون قد حدث بالفعل، فلا نعرف بالضبط كيف ومتى جاء خوفو إلى الجيزة واختار مقره الأبدي؟ ولا نعرف من كان بصحبته أو أنه نفسه قد تجول في هذا الموقع؟ حيث إنه من المحتمل أن يكون جالساً داخل محفة محمولة أينما ذهب. ولا نعرف تحديداً كم كان عمره عندما أصبح ملكاً، وإن كان يمكن أن نضع احتمالات ناجحة لذلك. ولا نعرف أيضاً كيف كان شكله؛ حيث إن صورته الوحيدة لدينا هي تمثال عاجي صغير. إلا أننا نعرف الكثير حول العالم الذي قد عاش فيه (رغم أنه يجب علينا عرض كل ما نعثر عليه عبر ستار الزمن)، كما أننا نقوم باكتشاف الكثير من خلال عمليات حفائر مثيرة تتم بالجيزة، وقد عرفنا أسماء وألقاب العديد من أفراد عائلته وهؤلاء الذين عاشوا في بلاطه. كما نعرف نظامه الإداري الذي أسسه وكيفية عمل حكومته، وعرفنا كيف بُنِيَ هرم خوفو ولماذا، كما نقوم بالكشف عن هؤلاء الذين قاموا بنقل تلك الكتل الحجرية الضخمة إلى هذا المكان.



وقد أذهلت أهرام الجيزة البشرية طيلة آلاف السنين منذ أن بُنِيَتْ، كما أن هرم خوفو نفسه يعد أشهر أثر في العالم، حيث زاره ودرسه وقام بقياسه وصوره عديد من العلماء على مدار قرون. وهناك عدد مهول من النظريات حول طريقة بنائه ووظيفته، حيث ظل طيلة آلاف الأعوام رمزاً للاستقرار والبقاء والسحر. أما أبو الهول الذي نقره الملك خفرع بصخرة بارزة بالصحراء السفلية شرقي الهضبة، فيحمل كمًّا هائلاً من التخمينات حوله، كما أنه محاط باهتمام علمي بالغ.

وقد تعرضت المجموعات الهرمية بالجيزة وعقائدها للإهمال في بعض الأحيان بعد 500 عام من بنائها، حيث تعرضت المقابر الملكية نفسها للسرقة على يد لصوص محترفين، وإن كنا لا نعرف متى حدث ذلك تحديداً، كما تعرضت معابد الأهرامات للاعتداء، حيث اقتلعت النقوش من على الجدران، وحطم عديدًا من التماثيل بغرض استغلالها في أغراض متأخرة.

■ تمثال الملك خوفو– عاج– المتحف المصري.

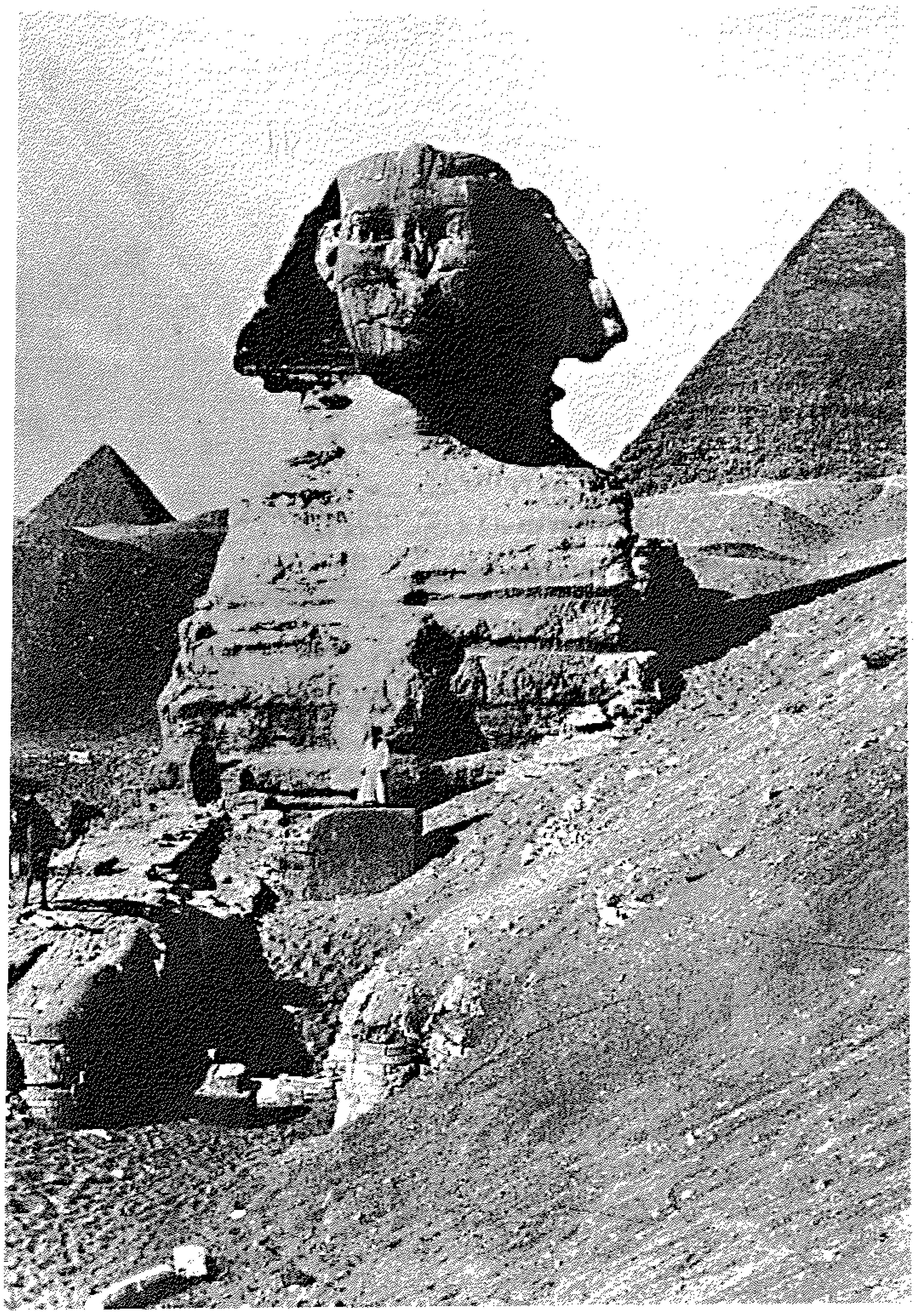


وقد اكتشفنا مؤخراً تمثالاً غير كامل للملك رمسيس الثاني (1304–1237 ق.م) منحوتًا من كتلة واحدة من الجرانيت التي كانت ضمن كساء المجموعة الهرمية للملك منكاورع. لذا، فقد استخدمت الأهرام كمحاجر على يد الخلفاء الذين استمروا في سرقة أحجارها طيلة آلاف السنين.

وكانت الأهرام خاصة أبو الهول* محور عديد من العقائد خلال أواخر العصور الفرعونية. فقد أقام الملك أمنحتب الثاني (1459–1419 ق.م) معبداً بمنطقة أبو الهول على أرضية مرتفعة ناحية الشمال، أما ابنه الملك تحتمس الرابع الذي كان يروج ادعاءات للوصول إلى العرش، فأقام لوحة (مقطوعة من حجر أحد المعابد الأصلية بالجيزة) بين قدمي أبو الهول الأمامية، ذكر فيها قصته عندما كان أميراً شابًّا إبان رحلة صيد بالصحراء، وراح في سبات تحت ظلال هذا

■ الصورة:(أهرامات الجيزة أوائل القرن العشرين عندما كانت مياه فيضان النيل تصل لحدود الهضبة.)

*سوف يلاحظ القارئ أن اسم (أبو الهول) وغيره من الأسماء مثل (أبو التاريخ)، و(أبو رواش) جاءت هكذا في جميع أحوالها الإعرابية، دون تغيير في شكلها.. حيث إنها علم محكى، ينطق ويكتب هكذا دون تغيير في كلمة أبو.

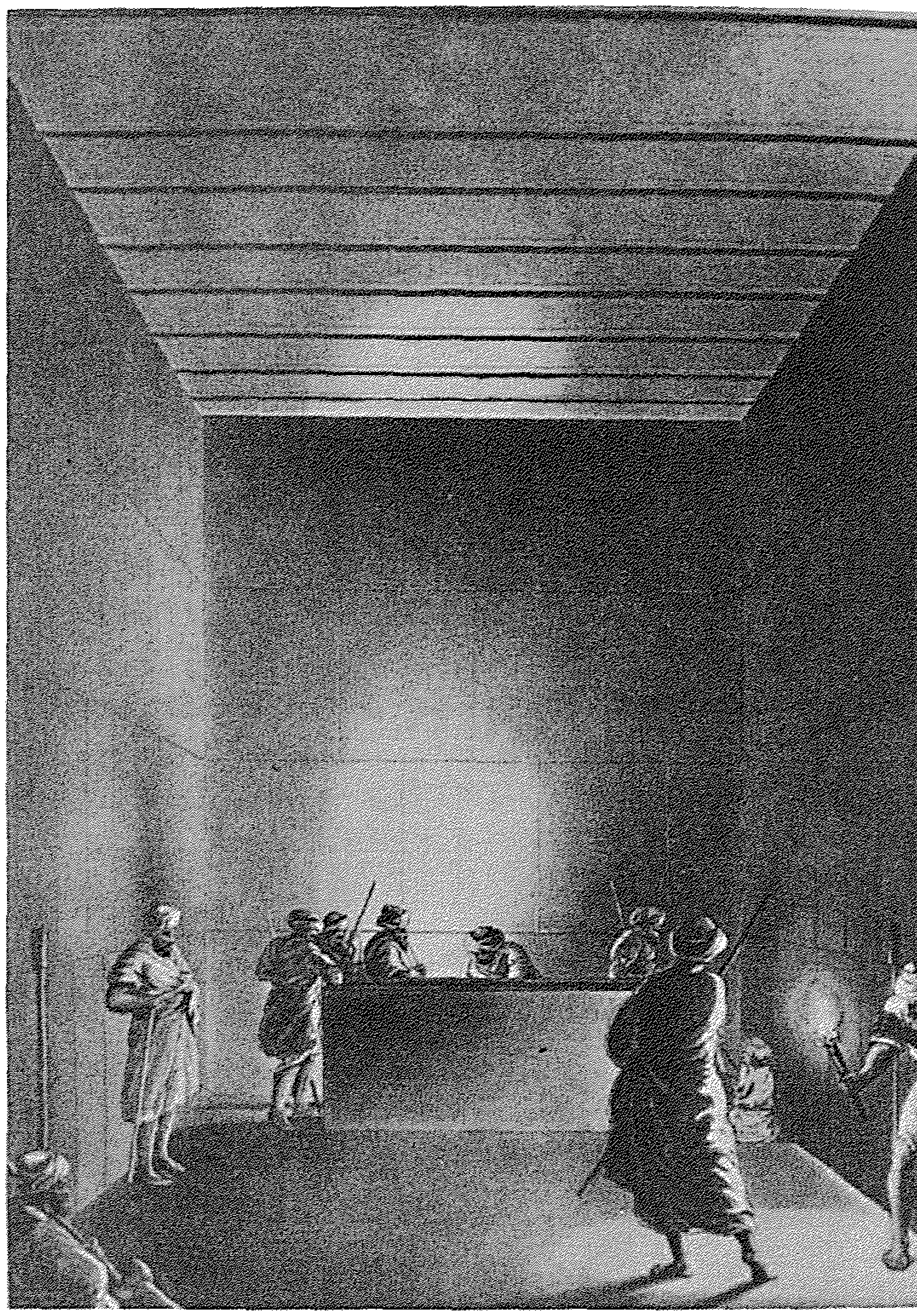


التمثال الرهيب رمز الملكية القوية عبر التاريخ المصري. جاءه أبو الهول في منامه راجياً الأمير بأن يزيح الرمال التي تغطيه حتى عنقه وفي المقابل وعده بعرش مصر، وقد حافظ كل من الأمير وأبو الهول على وعديهما، حيث قام تحتمس الرابع بإزالة الرمال من على جسد أبو الهول وفي المقابل أصبح ملكاً. وخلال الأسرة 26 (664–525 ق.م) تم إحياء العقائد الملكية عندما ظهر كهنة لطقوس الأهرام، كما ظهرت عقيدة حيوية لأبو الهول نفسه.

أما الرحالة هيرودوت الذي يسمى "أبو التاريخ"، فقد زار الجيزة خلال القرن الخامس ق.م وعاد إلى وطنه حاملاً كافة أنواع القصص الخرافية، فقد صوَّر الملكَ خوفو بأنه حاكم طاغية عديم الرحمة، استخدم رعاياه كالعبيد حتى أنه قد أرغم ابنته على العمل في مجال البغاء! وفي العصر الروماني (30 ق.م حتى القرن الرابع الميلادي)، أصبحت منطقة الجيزة منطقة جذب سياحى، حيث زارها المؤرخ اليهودي يوسيفوس، وكتب في القرن الأول الميلادي أول خرافة تتعلق بأن العبيد اليهود قد أجبروا على بناء الأهرام!

ومع نهاية القرن الرابع الميلادي، لم يوجد هناك أي شخص قادر على قراءة الهيروغليفية؛ حيث انتشرت وتزايدت الأساطير والخرافات حول تلك الآثار الرهيبة. وقد ظهرت فكرة تصميم الهرم الأكبر ليحافظ على المعادن من الصدأ والتي امتدت لتشمل أساليب سحرية لأول مرة على يد المؤرخ العربي المقريزي بالقرن الخامس عشر الميلادي، وانتشرت بعد ذلك إشاعات قوة الأهرام Pyramids Power، والتي تعني أن الهرم يحفظ اللحم ويعيد لشفرات الحلاقة حدتها. (وقد قمت بتجربتي الشخصية حول هذا الأمر، وذلك بوضع قطعة من اللحم النيئ على رف كتب بمكتبي بالجيزة وأخرى داخل حجرة الدفن بهرم خوفو، وللأسف كانت النتيجة هي فساد

■ تمثال أبو الهول العظيم أوائل القرن العشرين.



كلتا القطعتين في نفس الفترة، وهو ما كلفني مدة أسبوعين للتخلص من رائحة اللحم العفن من المكتب. ولن أعيد تلك التجربة مرة أخرى)، لكنها تثبت أن كل هذا ما هو إلا خرافات، ولو كان للأهرام قوة لما قاموا بالتحنيط منذ الأسرة الأولى.

وقد قام الخليفة المأمون بفتح الهرم الأكبر لأول مرة وذلك في عام 820 م، حيث اضطر هو ورجاله لفتح مدخل آخر أسفل المدخل الأصلي للهرم على الجانب الشمالي والذي أغلق وأُخْفِي نهائيًا على يد بناة الهرم. ولا نعلم على وجه التحديد ما الذي عثر عليه رجال الخليفة داخل الهرم؛ حيث إن أهم ما وجدوه كان عبارة عن بعض العظام المحطمة داخل التابوت الجرانيتي لخوفو، فيبدو أن بعض اللصوص القدامى قد قاموا بسرقة الكنوز المدفونة مع الملك. وعلى الرغم من كون تلك العظام اكتشافًا عظيمًا بالنسبة لعلماء الآثار الآن، إلا أنها لم تكن ذات أية قيمة بالمرة من قبل رجال الخليفة مما أدى إلى إهمالها.

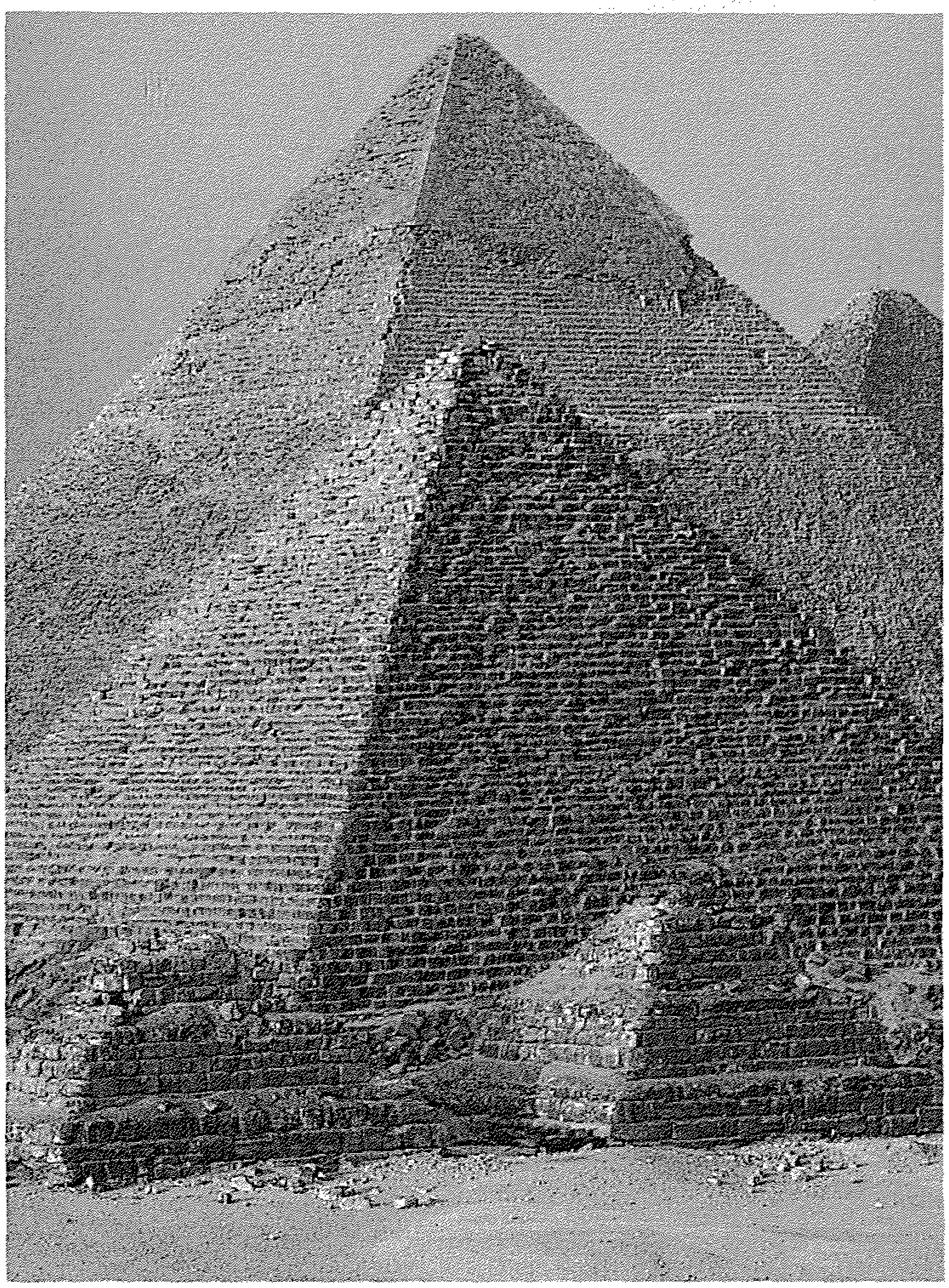
ويختلف شكل الأهرام الثلاثة التي كانت مكسوة بأحجار تمنحها الشكل المصقول عما يمكن أن نراه الآن، حيث كانت تلك الأحجار محفوظة خلال القرن 12م، ولكن مدينة القاهرة الحديثة كانت في حاجة شديدة لمواد بناء، مما أدى إلى اقتلاع تلك الأحجار من على الأهرام والمعابد واستمر هذا النهب المنظم منذ تلك الفترة حتى أواخر القرن 19م. وقد عثر على عديد من الأحجار التي تحمل اسم خوفو بين أحجار القاهرة القديمة.

وقد بدأ الزوار الأوروبيون بوضع مصر ضمن رحلاتهم إبان القرن الثاني عشر الميلادي، وعبر خمسة قرون جاءت وفود متعددة إلى مصر لرؤية الأهرام وأبو الهول. وعاد الكثير منهم إلى بلاده، وكتبوا مذكرات مصحوبة في

■ منظر تخيلي لجنود الخليفة المأمون داخل حجرة دفن الملك خوفو.

بعض الأحيان بصور مغلوطة حول الآثار.

وكان أول عالم معاصر قام بزيارة الجيزة هو العالم جون جريفز John Greaves، الذي كان أستاذ الفلك بجامعة أكسفورد في منتصف القرن 17م، حيث قام بعمل مجموعة من القياسات الدقيقة ووصف تفصيلي، وتوصل بناءً على دراساته للمصادر الكلاسيكية إلى أن الأهرام قد بُنِيَتْ بغرض البقاء الأبدي لأرواح الملوك خوفو وخفرع ومنكاورع. أما بنوا دي ميليه Benoît de Maillet قنصل فرنسا العام في مصر ما بين عامي 1692–1708م، فكان مولعاً بالأهرام وقام بعمل رسومات رائعة لممرات وحجرات الهرم الأكبر.

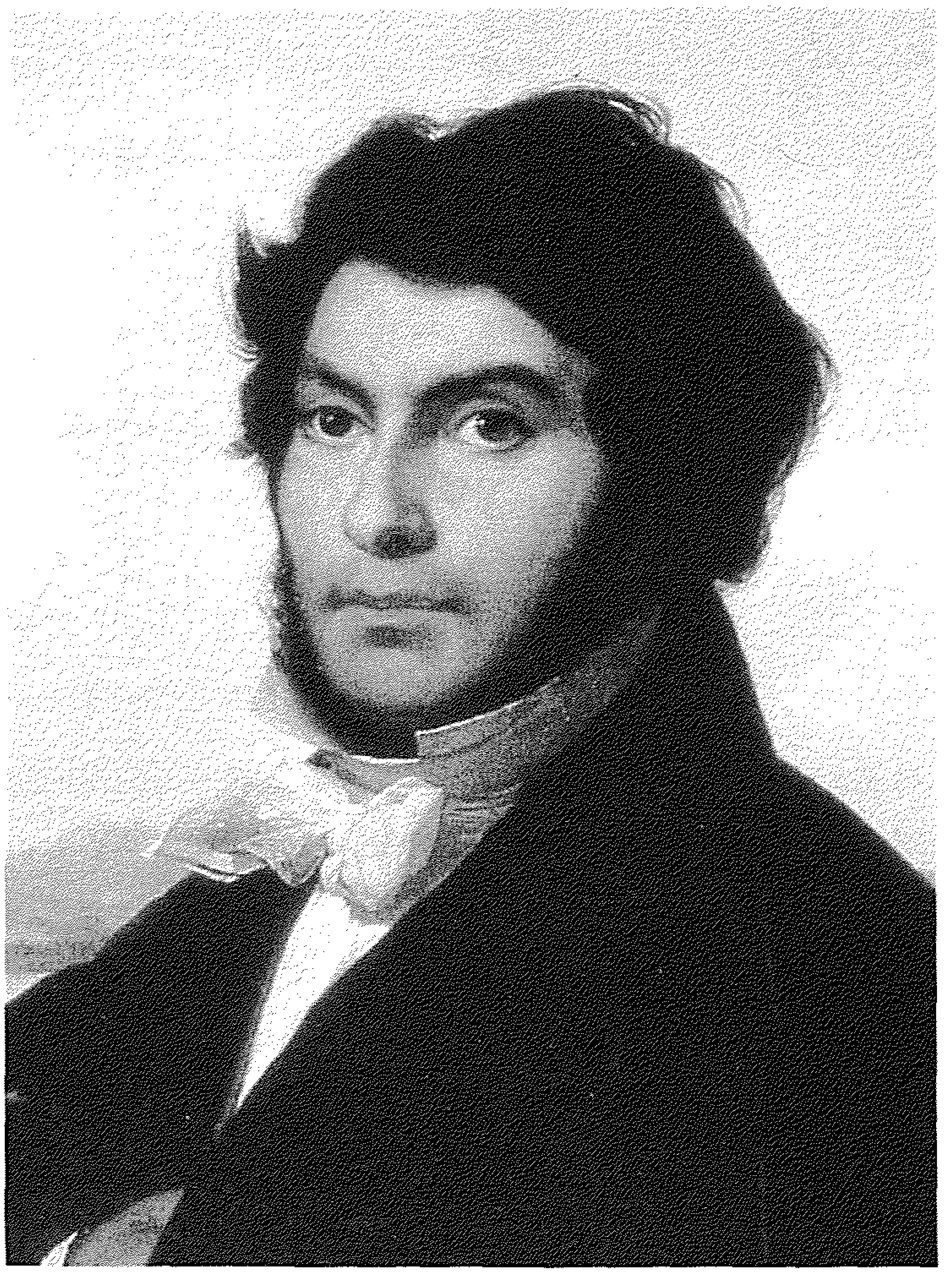


وشهد القرن التالي توافداً كبيراً للرحالة الذين قاموا بتسجيل الآثار التي زاروها. و لم يكن أغلب وصفهم دقيقًا كما كانت رسوماتهم غير متقنة، إلا أن ما تركوه من تسجيلات يعد ذا قيمة عالية، كما أنها تمدنا بمعلومات عن بعض التفاصيل التي اختفت حالياً.

وقد بدأ علم المصريات في تثبيت خطى جديدة مع قدوم الحملة الفرنسية على مصر عام 1798م، بقيادة نابليون بونابرت الذي أحضر معه فريقًا من العلماء مكونًا من 150 عالمًا وباحثًا، حيث أمضى ذلك الفريق قرابة 3 سنوات في تسجيل كل شيء بما فيها الآثار القديمة الموجودة، وأصدروا كتاباً رائعاً مقسمًا إلى عدد كبير من المجلدات يعرف باسم وصف مصر Description de L'Egypte.

وقد أدت الحملة الفرنسية إلى الاهتمام الشديد بمصر القديمة، وهو ما كان له أثره الإيجابي في الزيادة الملحوظة

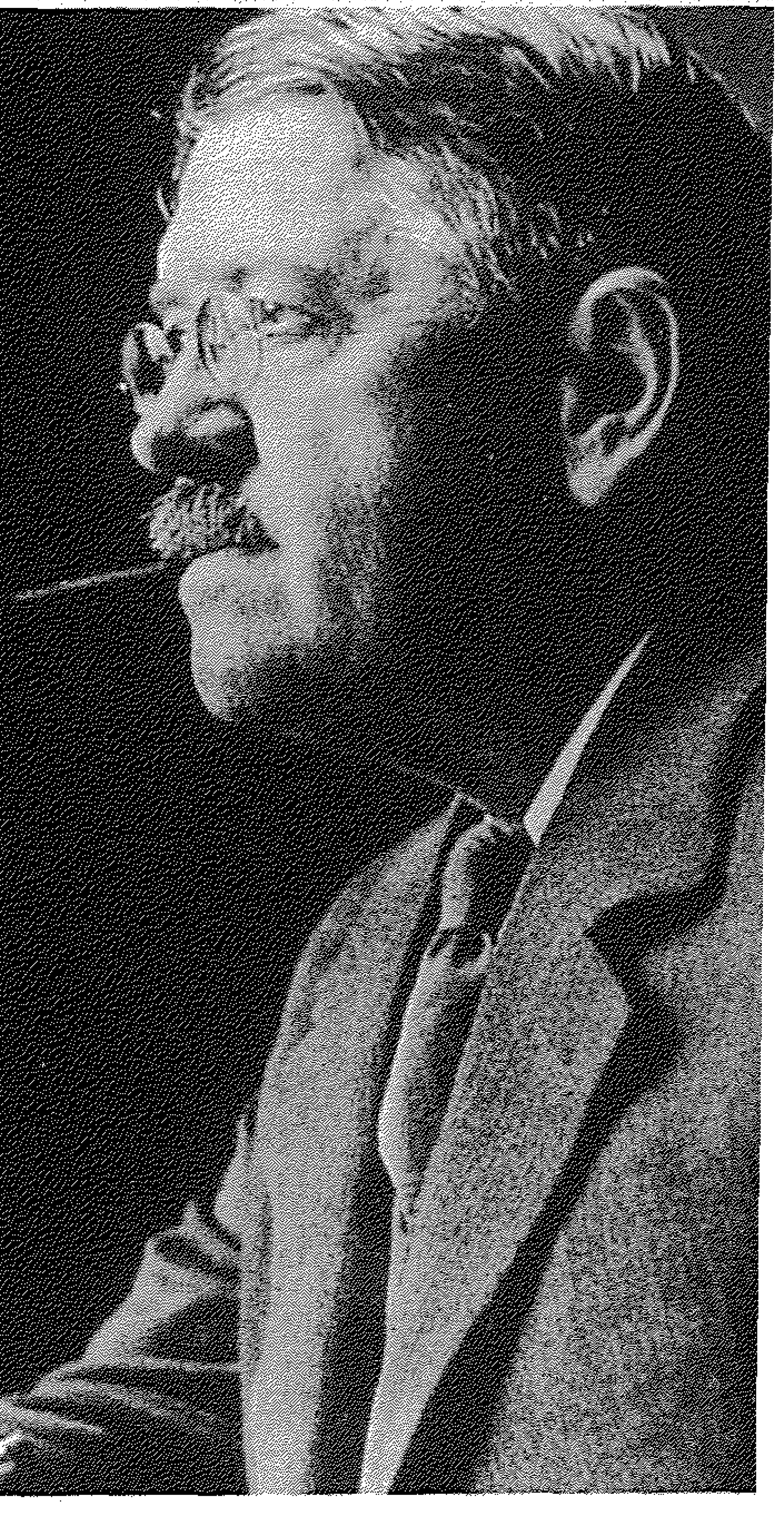
■ أهرامات الجيزة.



لعدد العلماء الذين كرسوا أنفسهم لدراسة الثقافة القديمة، ومن بين هؤلاء العلماء الفرنسي جان فرانسوا شامبليون Jean-François Champollion، الذي أعاد الكتابات الهيروغليفية إلى الحياة في عام 1822م. أما الجانب السلبي فتمثل في ظهور جامعي التحف سواء بشكل خاص أو بتمويل من متاحف، والذين أصابهم نهم الحصول على التحف وسرقة الآثار القديمة. وقد تدفقت موجة مستمرة من التدمير عملت على سرقة كل من التماثيل والمومياوات والنقوش من المقابر وأي شيء يمكن شحنه على ظهر سفينة، كي ينقل إلى أوروبا، وكان "المكتشفون" الذين ينقلون تلك القطع إلى بلادهم، والذين دمروا أدلة مهمة من خلال نقلها من بيئتها الأصلية، هم أنفسهم العلماء المسئولون عن دراستها والعمل على حمايتها.

ومنذ ميلاده، فقد اقترن علم المصريات بقرين سوء نطلق عليه تهذباً علم الأهرام. فقد بدأت الخرافات والعلوم المزيفة في الظهور مصحوبة بنظريات جذابة والتي بنيت في بعض الأحيان على المصادفة، التي تعمل على تفسير الأهرام. وقد ظهرت أولى تلك النظريات على يد جون تايلور John Taylor في عام 1859م، والذي ادعى أن الهرم الأكبر هو "تسجيل لقياس الأرض"، كما اعتقد أن المصريين القدماء قد توصلوا إلى قيمة النسبة الثابتة المعروفة باسم pi. وتبعه آخر يدعى تشارلز بيازي سميث Charles Piazzi Smyth الذي اعتقد أن الهرم الأكبر هو نموذج قياس لمحيط الأرض، والذي بني باستخدام مقياس يدعى "البوصة الهرمية"، كما اعتقد أيضاً أن الحجرات الداخلية للهرم تتضمن رسائل تحمل تنبوءات مستقبلية تركتها القبيلة المفقودة لإسرائيل.

■ جان فرانسوا شامبليون مكتشف أسرار اللغة المصرية القديمة.



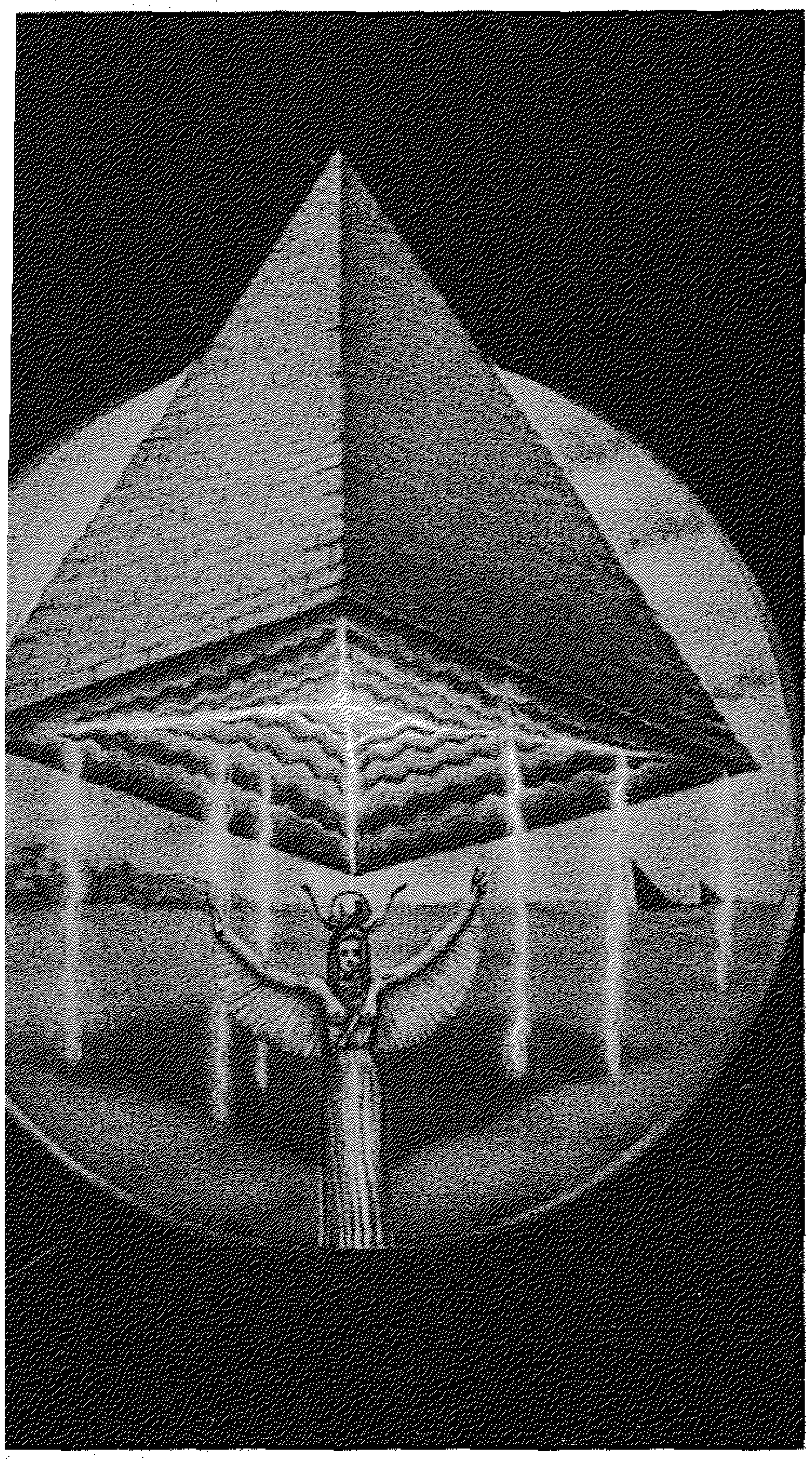
وكان أحد أتباع سميث شابًا يدعى وليام فلندرز بتري W.F.Petrie الذي حضر إلى الجيزة في عام 1880م، حيث قام بإعادة قياس الهرم الأكبر. وقد أثبتت أعماله الدقيقة عكس نظريات سميث دون أدنى شك، تاركاً مجال علم الأهرام معتنقاً علم المصريات. وقد قام بحفائر علمية ضخمة محاولاً إصدار منهج علمي جديد الذي شكّل أسس علم الآثار. ومازالت دراساته المتميزة حول أهرام الجيزة مستخدمة حتى الآن.

وقد تبع بتري بالجيزة عدد من الحفائر العلمية أشهرها الأمريكية بقيادة جورج رايزنر George Reisner والألمانية والنمساوية بقيادة كل من اوفو هوشلر Uvo Höschler، وجورج شتايندورف George Steindorff، وهرمان يونكر Herman Junker، بالإضافة إلى المصرية بقيادة سليم حسن، حيث قام هؤلاء الرجال بعمليات اكتشاف للأهرام الثلاثة ومعابدها وعديد من مقابر الموظفين والكهنة المحيطة بها.

وأنا في غاية الفخر بأن أكون وريثاً لهؤلاء الأثريين العظماء؛ حيث عملت بالجيزة منذ عام 1987م وقمت بالعديد من الاكتشافات المذهلة. وكانت أغلب تلك الاكتشافات ناتجة من برنامج إدارة المواقع. ومن أهم الإنجازات التي أفتخر بها هو مشروع ترميم أبو الهول، والذي امتد طيلة عقد من الزمان لترميم وحماية أبو الهول العظيم، حيث انتهينا منه في عام 1997م.

وقد عمل معي صديقي الأثري الأمريكي مارك لينر Mark Lener، وعبر موسم العشر سنوات الماضية بدأت في الكشف عن بقايا مقابر بناة الأهرام؛ مسلطين ضوءًا جديدًا على تاريخ الدولة القديمة. وأقوم الآن بالحفر بجبانات العمال ومشرفيهم والفنانين وصغار الموظفين الذين اشتركوا في الأعمال الملكية. وأود أن أشير إلى أن هؤلاء لم يكونوا عبيداً، فقد كانوا من عامة شعب مصر الذين اشتركوا طواعية لخدمة ملوكهم المؤلهين، في حين قام لينر بالكشف عن منطقة العمل وتناول الطعام الخاصة بهؤلاء العمال، بالإضافة إلى جزء من التجمع العمالي.

■ جورج رايزنر.



وكانت الأهرام وأبو الهول عادة ما يخرجون عن السياق الطبيعي لها، حيث يصورهم البعض بشكل يحيطه الغموض. وفي حقيقة الأمر، فإنها هي الثلاثة أهرام الوحيدة الباقية ضمن مجموعة 30 هرماً يحدون حدود الصحراء، غربي نهر النيل بالقرب من القاهرة. وكانت تلك الأهرام ذروة سلسلة من التطور الذي بدأ قبلها بمئات السنين منذ بناء مقابر ملوك مصر الأوائل وأشرافها، والتي سرعان ما تطورت خلال القرن السابق لعهد الملك خوفو.

وعندما نقوم بوضع أدلتنا مع بعضها البعض، من نصوص ومقابر ونقوش وبقايا عظام، فإنه يمكن لنا أن نرسم صورة لعالم بناة الأهرام، وإنه سيكون هناك فجوات كبيرة وأخطاء شاملة وذلك كلما وجدنا أدلة جديدة تخرج لنا من رمال مصر، إلا أن صورتنا التي كوناها متكاملة ونابضة بالحياة. وعليّ أن أنبه الآن إلى أن عالمنا هنا يخلو من أية كائنات فضائية أو أشخاص أسطورية جاءوا من قارة أطلانتس المجهولة. فنحن لا نستخدم هنا سوى الأدلة الحقيقية لنرسم بها صورتنا، وليس العبث الذي بنيت عليه النظريات الواهية التي ترى أن الهرم قد بني بقوى سحرية أو خارجية، فإن الأهرام بنيت على يد المصريين، الذين عاشوا بالألفية الثالثة قبل الميلاد من رجال ونساء، والذين نعثر على عظامهم تحت الرمال الآن. فقد يختلف بعض العلماء حول بعض التفاصيل، إلا أن الحقائق الأساسية لا تقبل الجدال.

ويبدأ تاريخ أهرام الجيزة بنحو ثلاثة أرباع قرن قبل تولي الملك خوفو عرش مصر. ففيما بين عامي 2687–2668 ق.م ظهر ملك يدعى "نتري خت" (الذي نعرفه باسم زوسر من الدولة الوسطى) وقام ببناء أول أثر ضخم من الحجر وهو الهرم المدرج بسقارة، وقد قام خلفاؤه باتباع سنته في البناء؛ حيث قاموا بتجارب مشابهة في البناء، إلا أن أيًّا منهم لم يعش بالقدر الكافي الذي يجعله يكمل هرمه، أو أن يحدث طفرة بنائية، حتى جاء ملك يدعى سنفرو.

وكان الملك سنفرو هو أول ملوك أسرة جديدة وهي الأسرة الرابعة. وحكم مصر لمدة 24 أو 44 عاماً على الأقل، تاركاً وراءه ثلاثة أهرام عظيمة تتضمن أول هرم حقيقي ذي جوانب مستقيمة وليست مدرجة، بالإضافة إلى هرم رابع في سيلا، يعتقد أنه كان يمثل التل الأزلي الذي خرج منه الإله الأعظم

■ منظر تخيلي لقوة الأهرامات.



لكي يخلق هذا العالم. وقد خلفه على العرش ولده خوفو الذي يعد قلب قصتنا، حيث حكم الملك خوفو البلاد في وقت كانت فيه البلاد عظيمة موحدة تحت إدارة مركزية قوية، والتي ساعدت أسلافه على بناء مشروعاتهم المعمارية المهيبة. وكان هرمه بالجيزة هو ثمرة أعمال أبيه بعد بنائه لثلاثة أهرام عظيمة، حيث تعلم المهندسون والمعماريون الكثير خلالها واستطاع الاستفادة من خبراتهم.

وقد حكم خوفو مصر لمدة 32 سنة وليس 23 سنة كما كنا نعتقد من قبل، خلفه على عرشه أحد أبنائه الملك جدف رع، الذي ترك هضبة الجيزة وأقام لنفسه هرماً صغيراً بمنطقة مجاورة تدعى أبو رواش. وقد مات هذا الملك بعد حكم دام 8 سنوات فقط تاركاً مقره الأبدي غير مكتمل. وبعده جاء الدور على الملك خفرع أحد أبناء خوفو ليتولى مسئولية البلاد، حيث عاد مرة أخرى إلى الجيزة وبنى هرمه بجوار هرم أبيه، أصغر في الحجم وإن أقيم على

■ اسم الملك خوفو داخل خرطوش.



ربوة مرتفعة تجعله يظهر وكأنه أعلى. وقد قام رجاله بنحت تمثال أبو الهول الذي يحرس الهضبة على شكل أسد رابض برأس الملك.

وقد حكم خفرع لمدة 30 عاماً، ازدادت خلالها قوة الدولة وأصبحت أكثر فاعلية. وبعده جاء ملك آخر لم يحكم سوى أربع سنوات والذي يعرف في اليونانية باسم بوخوريس (أو باكا)، وقد أسقط اسمه من معظم قوائم الملوك، وهو الأمر الذي يعد من ألغاز الدولة القديمة. وهناك احتمال تولي ابن آخر للملك خوفو يدعى جدف حور العرش وإن كان لمدة قصيرة. ويأتي بعد ذلك ملك آخرمهم وهو الملك منكاورع، ابن خفرع الذي بقي بالجيزة، وقام ببناء هرم صغير مستخدماً مواد بناء غاية في التكلفة، محاولاً تقليد ما قام به أبوه وجده وذلك على ما تبقى من مساحة بالهضبة للبناء، إلا أنه قد توفي بعد 24 عامًا من توليه العرش، وقبل أن ينهي العمل بمجموعته الهرمية، مما جعل ابنه

■ رأسي جدف رع وخفرع خلفاء الملك خوفو على حكم مصر القديمة.


■ الهرم الثاني، هرم الملك خفرع ولايزال الكساء الجيري يظهر في أعلى قمة الهرم.

وخليفته الملك شبسسكاف يقوم بإكمالها بالطوب اللبن، وانتقل بعدها إلى سقارة على بعد 9 كم (5.5 ميل) ناحية الجنوب. وحكم شبسسكاف مصر لمدة 4 أعوام فقط قام خلالها ببناء مصطبة ضخمة بدلاً من بناء هرم.


وآخر من حكم بالأسرة الرابعة ملكة تدعى خنتكاوس (2519–2513 ق.م) التي عادت إلى الجيزة وقامت ببناء مقبرة ضخمة، والتي تعد آخر ما بني من آثار عظيمة بتلك المنطقة. وبعدها هجرت الجيزة وتم اختيار مواقع أخرى لبناء الأهرام ناحية الجنوب، وإن كانت العقائد الملكية بالجيزة قد استمرت لمئات السنين بعدها.

وكانت الجيزة بمثابة قلب مصر طيلة ثلاثة أجيال، ففيها كان مقر الحكومة الملكية، وفيها قضى البلاط الملكي فترة كبيرة. وكان يتم إحضار المواد الخام والأطعمة والعمالة الرخيصة من جميع أنحاء البلاد إلى شواطئها كي تسارع في بناء المعابد الأبدية لهؤلاء الملوك المؤلهين. وتبدأ قصتنا ببلاط الملك سنفرو بميدوم، عندما ولد الملك خوفو وتعلم كيف يكون ملكاً.. وهي الأسرة التي بلغ عدد الأحجار التي استخدمت في بناء أهراماتها يوازي عدد أحجار أهرامات مصر كلها، فهي أسرة بناء عظيمة، وقد أطلق على هذه الأهرامات اسم جبال الفراعنة..



الباب الأول

فجر الأسرة الرابعة



الفصل الأول

عصر سنفرو

كان الملك سنفرو في حالة من الرضى.. حيث كان أخوه المدعو رع حتب، ذلك الرجل الوسيم المفعم بالحيوية ذو الشعر الأسود والشارب المنمق، قد عاد من رحلته عبر الحدود الجنوبية بالنوبة محملاً بالغنائم.. فقد قاتل النوبيين في معركة بسيطة واستسلموا دون إراقة دماء.. فكان بأس الملك المصري بمثابة أسطورة بالبلاد الأجنبية.. كما كان وصول قواته المدربة جيداً كاسرة صخر الجندل الأول بسرعة وقوة، قد بث الرعب في قلوب الأعداء.. فقد سلم قرابة سبعة آلاف رجل وامرأة من الأصحاء أنفسهم، بالإضافة إلى قرابة ألفي رأس من الماشية الثمينة لتلك الحملة الملكية.. وقد تم تشغيل تلك العائلات في العمل لصالح الأقاليم الملكية المتناثرة أعلى وأسفل نهر النيل.. يخدمون بالمراعي الملكية والمساعدة في بناء المباني الملكية.. وكان سنفرو في غاية السعادة بأخيه الشاب الذي أمر النحاتين الملكيين بنحت تمثال فريد من الحجر الجيري له هو وزوجته الجميلة "نفرت".. فلم يكن يحلم أن يعثر الأثريون على هذين التمثالين بعد أربعة آلاف عام... أو أن أول عامل سقط بصره على هذين الوجهين الملونين المنحوتين كالحقيقة للأمير رع حتب ونفرت وعينيهما اللامعة المطعمة بالكريستال قد أصابه الرعب حتى أن قلبه توقف عن النبض..

عرف الملك سنفرو في التاريخ المصري القديم بأنه رجل حكيم وحاكم خيِّر، كما كان واحدًا من أقوى ملوك مصر القديمة والذي أسس الأسرة الرابعة العظيمة. وقد دخل في عصر من الإنجازات المذهلة وحقبة من القوة والغموض. وكان سنفرو حاكمًا نشيطًا والذي قام بإرسال بعثات حربية وتجارية للأراضي المجاورة، كما أقام مجموعة من المباني الرائعة داخل الحدود المصرية، تاركاً وراءه أربعة أهرامات. وفي العصور المتأخرة تذكره المصريون بكونه نموذجًا للملك الممتاز، وذلك عند ذكر اسمه "بتاح سنفرو"؛ أي بتاح الذي يصنع الأشياء الجميلة. وقد وصل إلى درجة عليا من الشرف حتى بعد وفاته بخمسة آلاف عام، فقد بقيت عقيدته نشطة عبر آلاف السنين.



كانت أم سنفرو الملكة مرسي عنخ زوجة الملك الراحل حوني آخر ملوك الأسرة الثالثة. ومع تولى الملك سنفرو عرش مصر بدأت معه أسرة جديدة، ونحن نعتقد أن الملكة مرسي عنخ لم تكن الملكة الرئيسية لدى الملك حوني، ولكنها كانت ملكة ثانوية. أما الملكة الرئيسية فلم نعرف حتى الآن اسمها، وقد أنجبت للملك بنتًا تسمى "حتب حرس"، وهذا ما جعل سنفرو يصعد إلى العرش وإذا كان للزوجة الأساسية أي أولاد ذكور، فأغلب الظن أنهم قد ماتوا قبل وفاة أبيهم. ومن أجل ضمان عدم وجود أية مشاكل على العرش قام بالزواج من أخته حتب حرس.

ومن المعروف في مصر القديمة أن الملكات (سواء كن زوجات الملك الأساسية أو أمه أو ابنته الكبرى) مثلن جانبًا أساسيًا في العائلة المالكة، كما كان لبعضهن السلطة والقوة في حكم البلاد. ونحن نعرف أربعًا من الملكات خلال فترات مختلفة من تاريخ مصر القديمة حكمن مصر، حتى وإن كان ذلك مغايراً للمعتقدات الملكية المصرية.

ونحن لا نستطيع فهم قواعد انتقال السلطة من ملك لآخر إبان الدولة القديمة، على الرغم من أن الوضع الطبيعي هو أن يكون الملك التالي هو الابن الأكبر للملك الحاكم من زوجته الرئيسية (وإن كان لا يوجد دليل على هذا عدا ما قام به ملوك الدولتين الوسطى والحديثة) ولا أعتقد أن الابن الأكبر دائماً ما يرث العرش، فقد عرفنا أن العديد من

■ تمثال الملك سنفرو- حجر جيري- المتحف المصري.

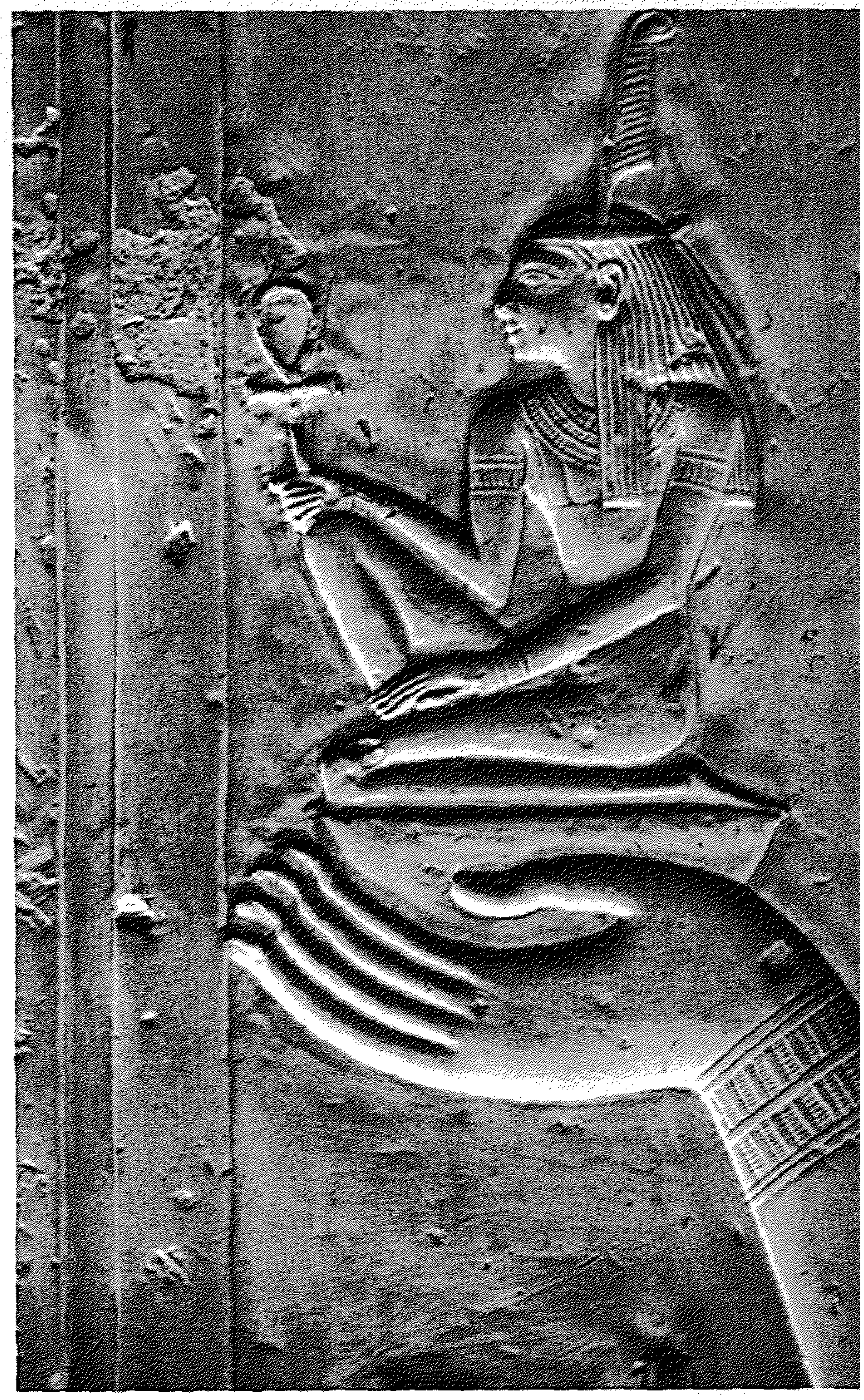


أبناء الملوك قد حملوا ألقاباً مهمة بالدولة ولكنهم لم يصبحوا ملوكا؛ لذا ولسبب أو لآخر، كان الابن الأكبر من زوجة ثانوية عادة ما يأتي إلى العرش عن طريق زواجه من ابنة ملكية، خاصة إن كانت ابنة من الزوجة الرئيسية.

وفي بعض الأحيان كان الملك يتزوج مِن أخته الشقيقة، وإن كنا لا نعرف السبب في ذلك. ويبدو أنه كان من أجل الحفاظ على قوة العائلة أو لعل فكرة زواج الأخوات كانت شائعة في العقيدة المصرية القديمة ؛ حيث قام الرب جب (إله الأرض) بالزواج من أخته الربة نوت ربة السماء، وقد أنجبا زوجين من الأبناء ؛ حيث تزوج أوزير من إيزيس، كما تزوج ست من أخته نفتيس.

وكان كل من الملكة الرئيسية والملكة الأم قد شاركتا في قدسية الملك، كما كان لهما أدوار مهمة في الحياة الدينية للبلاد. ففي الوقت الذي اتحد فيه الملك مع الهيئات الإلهية الذكورية، مثل حورس الصقر (رب السماء)، والثور (رمز الخصوبة والقوة الملكية)، كانت الملكة تعرف بالربة نخبت المصورة على شكل طائر العقاب حامية مصر

■ اسم الملك سنفرو من تمثاله – المتحف المصري.



العليا، والمعبودة حتحور المصورة على شكل بقرة ابنة المعبود رع وحامية المعبود حورس؛ لذا فقد قام الملك حوني بالحفاظ على النظام الإلهي عن طريق الترتيب لزواج ابنه سنفرو بصفته الملك حورس القادم من أخته غير الشقيقة حتب حرس المجسدة للربة حتحور. وأعتقد أنه على المستوى العملي، أن ما تم كان بغرض الحفاظ على قوة العائلة.

وقد اعتلى سنفرو عرش مصر بعد موت أبيه حوني، وذلك في عام 2649 ق.م، وعندما قام بارتداء التاج المزدوج رمز الوحدة بين مصر العليا والسفلى، كانت مصر قوية وموحدة بالفعل وذات حدود مؤمّنة وموارد ثرية، فقد شكلت الصحراء حاجزًا مريعًا بالشرق والغرب، كما كان البحر المتوسط يحمي الحدود الشمالية، أما في الجنوب فكانت الجنادل تقع حائلاً بمجرى النيل، جاعلة الإبحار عبره أمراً عسيراً، وهو ما حمى الأراضي المصرية من أخطار الغزو.

وكان دور الملك هو محور المجتمع المصري ككل؛ حيث كان العالم من وجة نظر المصريين مبنيًا على أساس فكرة فلسفية تعرف باسم "الماعت"، التي كانت تصور على شكل ريشة أو معبودة تحمل ريشة على رأسها، وهو ما يمكن ترجمتها "الحقيقة" أو "العدالة". وكان المعنى الأوسع لكلمة الماعت هو نظام الكون، حيث كل شيء يجب أن يسير على نحو مثالي. وكان العالم المثالي لدى المصريين مكانًا للثبات، في حين كانت الفوضى والظلام والمياه اللانهائية التي تسبق وتحيط بالكون قد بقيت بعيدة على يد تجديد الخلق الأبدي. وكان هذا المفهوم قد طبق على الأرض عن طريق شروق وغروب الشمس يوميًا، كما كان له أثره على نطاقات أضيق. وكانت خصوبةُ الأرض ثابتةً من خلال فيضان النيل السنوي؛ فقد كان يتم تجهيز الأراضي، حيث يتم حصد المحاصيل ورعاية الحيوانات ومن ثم ذبحها، في حين أن المخلوقات المتوحشة التي تعيش عند أطراف البلاد، كالحيوانات الصحراوية، والأسماك والطيور البرية، والبشر الأجانب، كانت تخضع تحت رقابة رسمية من قبل البيت الحاكم.

■ منظر لتمثال الإلهة ماعت– معبد الملك سيتي الأول– أبيدوس.



وكان على الملك المسئولية الأساسية للحفاظ على الماعت، حيث كان هذا دوره ووظيفته بصفته ممثل حورس على الأرض، وذلك للتأكيد على أن نظام العالم مستمر. وعرف أن الصقر حورس، الذي مثل على شكل صقر، كان له أهميته منذ بداية الأسرات المصرية الحاكمة، حيث هناك أسطورة مهمة – والتي أعيد تكوينها من خلال مصادر متأخرة – تخبرنا أنه خلال بداية الزمن كان حورس ابن المعبود رع وحاكم السماء، وكانت له عينان هما الشمس والقمر، وقد ظهر معبود شرير يدعى "ست" قد اقتلع عين القمر؛ لذا فكان القمر يختفي كل شهر كما لو كان قد أصيب، ثم يسطع مرة أخرى كما لو كان قد شفي. وطبقاً لأسطورة أخرى، فقد كان ست أخا أوزير، والأخير كان أول ملك على مصر. وكان ست شديد الغيرة من أخيه، حيث أقدم على قتله، وقطَّعَ جسدَه إرباً وفرقه بجميع أنحاء البلاد، واغتصب العرش. فقامت إيزيس زوجة أوزير بتجميع جسده مرة أخرى وأعادته إلى الحياة وأنجبت منه ابنها حورس. وقد قامت بتربية حورس في سرية تامة، حتى عندما اشتد عوده أخذته إلى مجمع المعبودات ليطالب بعرش

■ منظر للألهة ماعت– مقبرة الملكة نفرتاري– الأقصر.

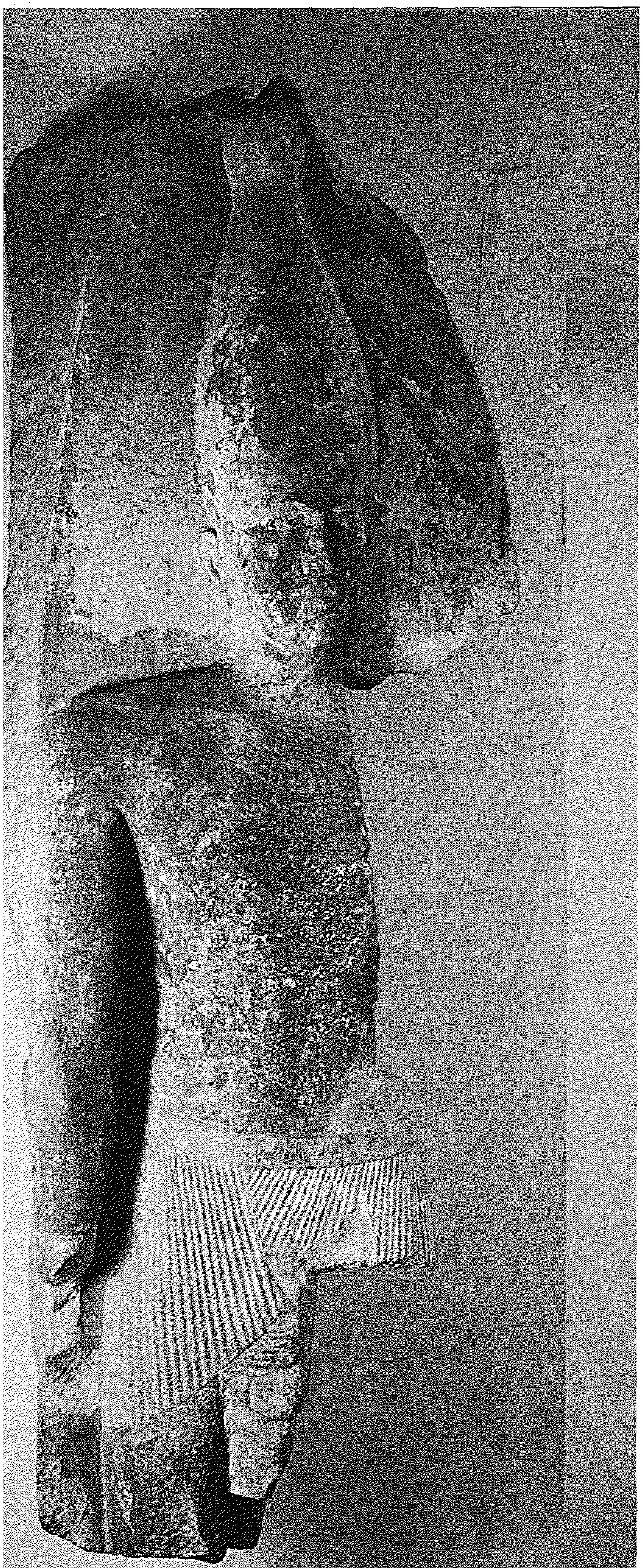


أبيه. وبعد الكثير من الأخذ والرد وإراقة الكثير من الدماء، نجح في إعادة العرش وأصبح ملكاً على مصر، بدايةً على الجانب الشمالي (مصر السفلى)، ثم على بقية أراضي البلاد.

وكان الملك يقع في منتصف العالم الأرضي والعالم السماوي، كما كان يتشابك بين المعبودات لمصلحة شعبه. وكانت طقوس المعبد أداة مهمة للحفاظ على الماعت. وكان الملك من الناحية النظرية كبير كهنة جميع المعابد، وهو أمر ليس بالهين؛ وذلك داخل أمة لا تعرف أي تقسيم إداري أو طائفي، فكانت جميع نشاطاته الرسمية من قيادة الجيش وبناء المشروعات ورعاية البلاط والقيام بالمراسم والنشاطات المختلفة، تعد جزءًا من جهوده في الحفاظ على نظام الكون. وكان الاسم الذي اتخذه سنفرو بعد توليه العرش هو "نب ماعت" أو سيد الماعت، وهو ما يعكس اهتمامه البالغ في الحفاظ على نظام الكون.

وعلى الرغم من جغرافيتها المعزولة، إلا أنه كان لمصر منذ أوائل الدولة القديمة عديد من العلاقات مع جيرانها. فعبر الشمال الشرقي؛ حيث الساحل الذي يضم حالياً سوريا وفلسطين، كانت هناك عديد من المدن القوية

■ تمثال من البرونز للإلهة إيزيس ترضع حورس- حفائر المؤلف- متحف إيمحتب بسقارة.

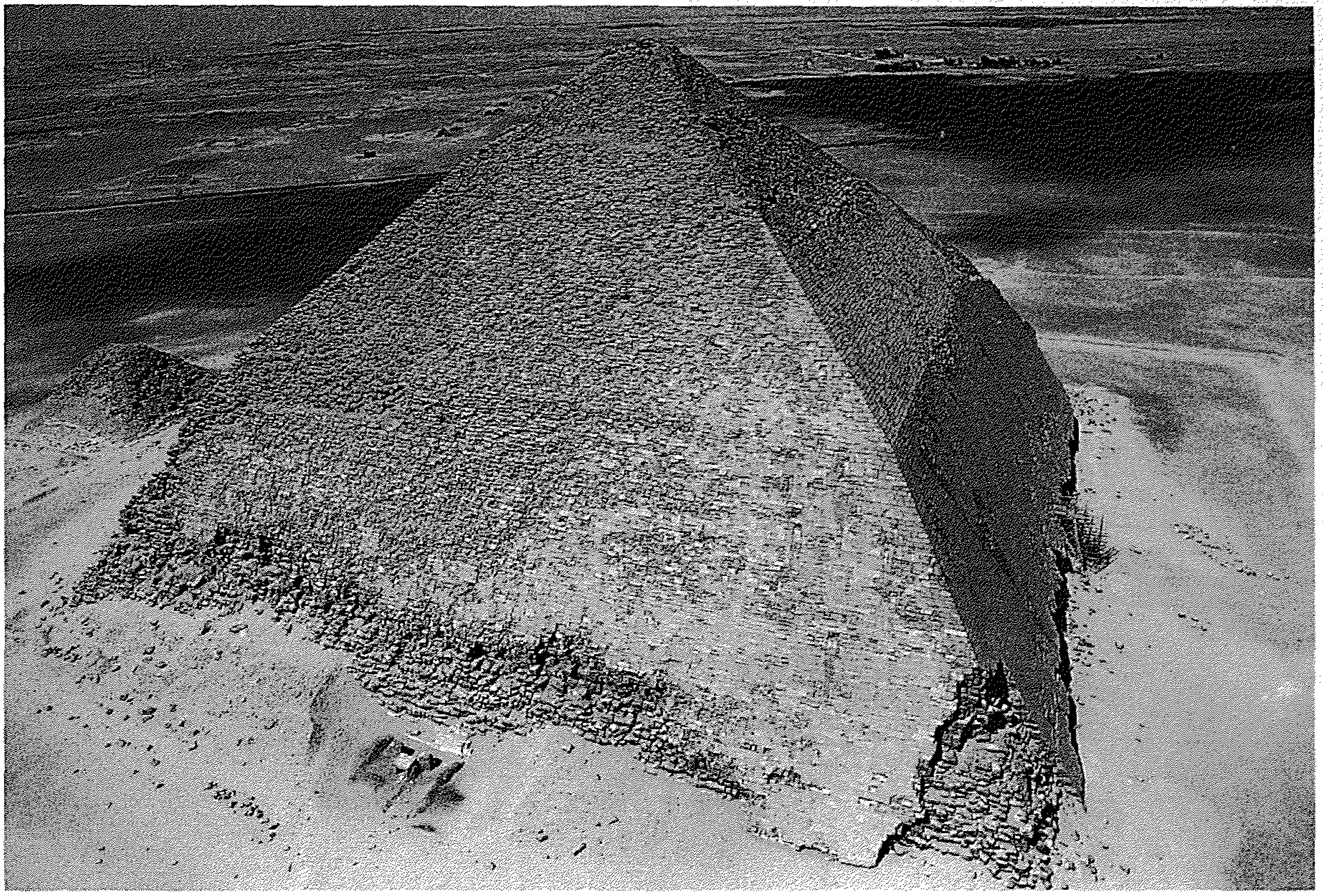


المحصنة. وكانت قوافل التجارة ترتحل عبر سيناء محملة بالعديد من البضائع من "عفار"، كما أحضر المصريون الفيروز والنحاس من مناجم سيناء. أما بالغرب فكانت أرض "التحنو" أو الليبيين، وهم الأقوام الذين كان المصريون يعاملونهم كقبائل غازية تحتاج إلى التقييد.

أما الأراضي الواقعة ناحية الجنوب، فكانت تمثل اهتمامًا خاصًا لملوك الدولة القديمة، حيث كان المصريون يحضرون منها عديدًا من البضائع الرائعة مثل الأبنوس والبخور والحيوانات الغريبة ومنتجاتها كالعاج وبيض النعام وجلد الفهد وغيرها الكثير، كما عُني المصريون بحماية طرق المواد الخام مثل الذهب من النوبة، والديوريت من مناجم الجنوب الغربي. وتحت قيادة سنفرو القوية، امتدت علاقات مصر التجارية بجيرانها وأرسلت عديدًا من الحملات العسكرية للقطاعات المجاورة.

وتأتي معلوماتنا حول بدايات حكم سنفرو من خلال لوح يطلق عليه "حجر باليرمو"، ذلك الأثر الذي يرجع لعهد الأسرة الخامسة؛ أي بعد قرابة مائتي عام، وهو يعد أقرب مصدر يمكن أن يكون معاصراً لأحداث الأسرة الرابعة. وقد قسم سطح هذا الحجر على أقسام، كل منها يحدد ملكا معينًا (بداية من أول التاريخ المصري وترجع إلى عصور ما قبل التاريخ السحيقة). وكل قسم مقسم إلى سنوات، وكل سنة تحتوي على أهم الأحداث التي جرت بها، وأسفل كل حدث تسجيل لجميع مستويات فيضان النيل المهمة. ولسوء الحظ، لم يبق من هذا الحجر المهم

■ تمثال الملك سنفرو- حجر جيري- المتحف المصري.



سوى قطع بسيطة؛ لذا فإننا قد فقدنا أغلب الملوك ومعظم السنوات. ومع ذلك، فإن القسم الخاص بحكم سنفرو محفوظ، وهو ما يعطينا لمحات عن بعض تفاصيل عصره.

ففي العام الـ13 قام الملك بحملة عسكرية إلى النوبة، وحيث كونها ذات تعداد سكاني قليل، أحضر من هناك قرابة 7000 أسير، و2200 رأس من الماشية، أما في العام الـ18 فقد قام الملك بحملة إلى الحدود الغربية عند ليبيا، ومن هناك استطاع إحضار قرابة 1100 أسير، و1300 رأس من الماشية. ومن أجل حماية الحدود المصرية من أعدائها، قام سنفرو ببناء سلسلة من الحصون بالجنوب والشمال، وتوجد بقايا لمدينة من الدولة القديمة بمنطقة "بوهن" بشمال النوبة، والتي على الأرجح ترجع إلى عهد الملك سنفرو، وإن لم يعثر على أية دلائل أثرية على وجود تحصينات شمالية.

أما منطقة سيناء، فقد سميت في عهد سنفرو بـ"أرض الفيروز". وتوجد هناك نقوش بمنطقة تسمى وادي المغارة بجنوب شرق سيناء، تشير إلى قيام حملات عسكرية ناحية الشمال الشرقي، وهناك نقوش بالجبال تمثل الملك وهو يمسك بمقمعة القتال ليضرب بها كبار قبائل البدو؛ كي يؤكد سيطرته على المنطقة. وقد ارتبط اسم سنفرو بسيناء حتى بعد وفاته،

■ الهرم المنحني للملك سنفرو– دهشور.

كما سُمِّي أحد المناجم بوادي المغارة باسمه. وقد عُبِدَ هناك إبان عهد الأسرة 12؛ أي بعد وفاته بـ600 عام.

و لم تكن جميع أعمال سنفرو المهمة تتعلق بالعسكرية فحسب، فقد كانت صناعة السفن أمرًا في غاية الأهمية؛ حيث كان لذلك الأسطول أهمية لمصر بسبب وجود النيل الذي يسير في أرضها، كما كان وسيلة لنقل البضائع بين مصر ومدن ساحل البحر المتوسط. ويخبرنا حجر باليرمو عن إرسال حملة لمدينة بيبلوس ذلك الميناء الحيوي على ساحل لبنان؛ لإحضار أنواع جيدة من خشب الأرز والصنوبر (حيث كانت مصر فقيرة في الأخشاب؛ كما أن أنواع الأشجار التي تنمو على أرضها كالسنط والنخيل لم تكن مناسبة لعديد من أغراض البناء) كما أن السفن التي ذهبت لإحضار الخشب من بيبلوس كانت نفسها مصنوعة من الخشب المستورد. وقد استطاع الملك صناعة مركب غاية في الضخامة من هذا الخشب المستورد من لبنان، قرابة 100 متر (328 قدمًا) في الطول، قام باستخدامها في رحلاته الملكية على النيل، كما قام في العام نفسه ببناء 60 مركبًا ملكيًا سميت بمراكب "الستة عشر"؛ لأنها تحتوي على 16 مجدافًا، وفي العام التالي أمر سنفرو ببناء 3 مراكب أخرى ضخمة. وقد استخدم هذا الخشب الجيد المستورد أيضاً في صناعة أبواب القصر الملكي. وقد عثر على بقايا من تلك الأخشاب داخل هرم سنفرو المنحني بدهشور.

وبالإضافة إلى تلك الحملات العسكرية والتجارية، يذكر حجر باليرمو عن ولادة اثنين من الأطفال الملكيين أو خلق صورتهما، بالإضافة إلى تأسيس 35 إقليمًا و22 ضيعة، وكانت موارد تلك الأقاليم والضياع تهدى مباشرة إلى البيت المالك؛ من أجل دعم الملك وحاشيته وتمويل المجموعات الجنائزية. وفي العام 15 من حكمه، أنشأ مبنيين في غاية الأهمية، أحدهما سمي " سمو سنفرو ذو التاج الأحمر (وهو تاج الوجه البحري)"، والآخر سمي بـ"سمو سنفرو ذو التاج الأبيض (وهو تاج الوجه القبلي)"، وهذان المبنيان لهما طبيعة مقدسة. وبالإضافة إلى ذلك، كان الملك يقوم بزيارة المقاصير القومية المهمة، وصناعة تماثيل الملك العظيمة التي كانت من المواد النفيسة كالنحاس والذهب.

الفصل الثاني

سنفرو في ميدوم

جلس سنفرو مع أخيه نفر ماعت بالقصر الجديد بميدوم.. حيث كانا يخططان لبناء هرم جديد.. الأكبر على الإطلاق حتى يصل إلى عنان السماء.. فيمكن بناؤه على شكل هرم مدرج مثل ما قام به الملوك أسلافه على غرار هرم جدهم زوسر.. وكانت قاعة العرش التي التقى بها الرجلان مزينة بالألوان ومناظر الملك التي تصوره وهو يقمع أعداءه.. كانت الثروات التي تصب في الخزانة الملكية من التجارة والحملات العسكرية قد مكنت الملك من بناء هرم مهول، أكبر وأجود من أي هرم بناه أسلافه.. وكان الملك المفعم بالحيوية والأفكار، قد جلس يتناقش مع أخيه الذي حمل لقب الوزير وكبير المهندسين حول تفاصيل العمليات الهندسية، ورسوم الخرائط على لفافات البردي التي كان يضعها على حجره..

سجل حجر باليرمو معلومات مهمة عن تلك الفترة، هذا ونحن نعرف الآن أنه ينسب للملك سنفرو بناء أربعة أهرامات، فقد ذكر عملية تقطيع ونقل كتل الأحجار الصلبة من أجل بناء تلك الأهرام، بالإضافة إلى الموارد والعمال المطلوبين لإنجاز تلك الأعمال وهو ما يدل على قوة سنفرو، كما يمكن لنا أن نلاحظ مدى ثراء الدولة من خلال الأثاث الجنائزي الخاص بالملكة حتب حرس، الذي عثر عليه بقاع بئر دفن بالقرب من هرم ابنها خوفو، وقد احتوى البئر على مجموعة في غاية الروعة من الكنوز، جاء بعضها من الخشب الملون ومجوهرات منها 20 قلادة فضية مطعمة باللازورد والفيروز.

ولا نعرف أين كان بلاط الملك حوني، ولكن سنفرو كان قد أقام عاصمته الأولى بميدوم بأقصى الجنوب من منطقة منف عند مكان يطل على الفيوم. كان ملوك الأسرة الأولى قد أسسوا مدينة تسمى "إنب حج"؛ أي الجدار الأبيض عند أطراف هضبة سقارة أو شمال مقابر الأسرة الأولى، في حين أن حكام الدولة القديمة قد أقاموا بمنطقة منف، وأحضروا بلاطهم الملكي بجوار أهراماتهم حتى تكون جميع المشروعات الإنشائية تحت مراقبتهم. وكانت تلك المنطقة من الناحية الاستراتيجية في غاية الأهمية، حيث إنها تقع قرب نقطة التقاء وادي النيل بالدلتا (مصر العليا) و(مصر السفلى)، كما أنها تسيطر على طرق التجارة ناحية الشمال الشرقي.



وكان النظام الإداري للملك سنفرو يتكون من مجموعة من أعضاء عائلته الذين خدموه بصفتهم مستشارين وقائمين على تنفيذ أوامره، وكان أعلى منصب في هذا النظام هو المشرف على جميع أعمال الملك، وكان يحمل منصب وزير أيضاً، وقد ظهر منصب الوزير مرة واحدة فقط قبل سنفرو بأواخر الأسرة الثانية، حيث حصل عليه شخص يدعى "منكا". وينسب لسنفرو أنه بداية من عهده استمر هذا المنصب دون انقطاع خلال الدولة القديمة. وكان الوزير وحده هو الشخص الثاني بعد الملك وهو المسئول الأول عن تنفيذ أوامر جلالة الملك.

وكان أول وزير في عهد سنفرو هو "نفر ماعت"، وكانت مقبرته التي كانت مناصفة مع زوجته "آتت" تقع بميدوم، ونعرف أنه كان "الابن الأكبر للملك" إلا أننا لا نعرف تحديداً أي ملك كان أبوه. فيبدو أنه كان ابن الملك حوني من زوجة ثانوية مما يجعله أخًا غير شقيق لسنفرو. كما يحتمل أن يكون هو الابن الأكبر للملك سنفرو نفسه من زوجة ثانوية. وكان هذا الوزير مسئولاً عن جميع الإنجازات المهمة في عهد سنفرو؛ حيث حصل على ألقاب، مثل: المشرف على جميع أعمال الملك، وكبير المعماريين وهو ما يشير إلى عبقريته في التشييد والإدارة.

■ منظر عام لمقبرة الملك عحا– أبيدوس.



ومن أجل فهم الإبداع المعماري الذي تم خلال عهد الملك سنفرو، يجب علينا أن نعود بالزمن لتقفي بدايات المقابر الهرمية. فقد دفن أوائل ملوك مصر (الأسرتين صفر والأولى 3150–2850 ق.م) بمقابر متطورة بصحراء أبيدوس بمصر الوسطى (وهو المكان المقدس للرب أوزير لاحقاً). وكانت تلك المقابر واقعة بمنطقة تعرف بـ "أم الجعاب"، وهي عبارة عن مقابر ذات أسوار محيطة، والتي كان يتم بها الطقوس الجنائزية بالقرب من سهل الفيضان. وفي الأسرة الأولى كانت كل من المقابر وأسوارها الجنائزية محاطة بصفوف من المدافن الثانوية، التي تضم أجساد أفراد ممن خدموا في البيت المالك، والذين كانوا يتم التضحية بهم عند موت الملك حتى يخدموه في العالم الآخر.

وهناك عدد من المقابر المتطورة بمنطقة سقارة بالقرب من العاصمة القديمة "إنب حج" التي بنيت على شكل مصاطب. وعندما تم العثور عليها في بادئ الأمر، اعتقد المكتشفون أنها كانت لملوك الأسرة الأولى، ولكن يعتقد عديد من العلماء حالياً أنها مقابر كبار رجال الدولة. وعلى الرغم من قربها من العاصمة وحجمها الهائل وتطورها المعماري، إلا أنه من المحتمل أن تكون تلك المقابر عبارة عن مدافن تذكارية لهؤلاء الملوك أنفسهم، أو أنها مقابر لكبار الموظفين. أما العديد من ملوك الأسرة الثانية فقد دفنوا بسقارة (بمنطقة أسفل معبد الملك ونيس آخر ملوك

■ مقابر كبار الموظفين خلال عهد الأسرة الأولى– سقارة.

الأسرة الخامسة)، وإن كان آخر ملكين من تلك الأسرة قد دفنا بمقابر بأبيدوس (دون أية أضاحي بشرية مثل التي كانت موجودة ببداية الأسرة). ومن المعروف أن هذه العادة تمت خلال الأسرة الأولى فقط، وقد كشف عنها بتري وأكدها الألماني دراير، وأنها لم تكن تضحية بشرية بالمعنى الموجود بالحضارات الأخرى، ولكن الموظفين والخدم كانوا يقتلون أنفسهم طواعية للدفن بجوار الملك الإله. وقد وجد المصريون بأنه لا داعي لهذه التجربة؛ لأنه يمكن أن يبنوا مقبرة بجوار الملك ليدفنوا فيها بعد موتهم.

وقد احتوت بعض مقابر الأسرات المبكرة على تل مبنى فوق البئر المؤدي إلى حجرة الدفن. وفي إحدى المقابر، كان هذا التل مكونًا من عدد من الدرجات البسيطة. وكان لتلك التلال أهمية واضحة، حيث مثل التل الأزلي الذي يتصور المصري القديم أن الرب الخالق وقف عليه ليخلق الكون.

وكانت دورة الحياة الزراعية، حيث الجفاف بالصيف يعقبه تجديد وإعادة خصوبة للأرض لها تأثيرها على نظريات الخلق المصرية القديمة، والتي كانت تشير إلى ظهور التل الأزلي من مياه الفوضى الموجودة من الأزل، وهو ما اقتبس من ظهور بعض الجزر النيلية كل عام بعد انحسار الفيضان. وقد ظهرت روايتان لتلك النظرية من مدن عقائدية مختلفة، حيث أتت الرواية الأولى من مدينة أون (هليوبوليس)، والتي تشير إلى ظهور الرب الخالق أتوم فوق التل الأزلي وخلق كل من الربين شو (الهواء)، وتفنوت (الرطوبة) اللذين قاما بخلق الربين جب (الأرض)، ونوت (السماء) وأنجب كلٌّ من جب ونوت أربعة أطفال هم أوزير وإيزيس وست ونفتيس. أما الرواية الثانية فتأتي من مدينة منف التي تروي أن الرب بتاح رب مدينة منف قد ظهر أيضاً فوق التل الأزلي، وخلق الكون عن طريق الكلمة. ويبدو أنه من المحتمل



■ تمثال الملك زوسر- حجر جيري ملون- المتحف المصري.

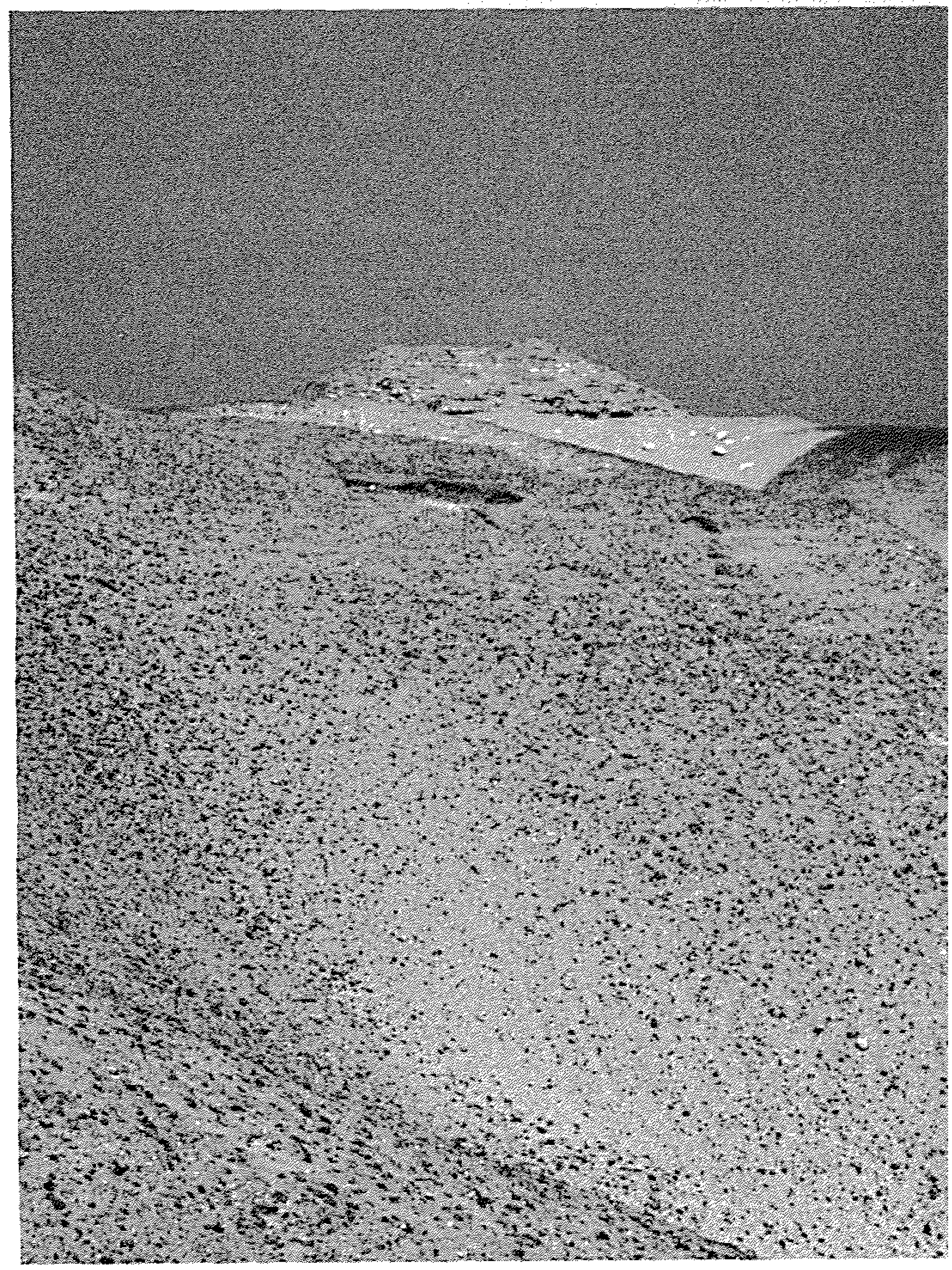


أن تكون عملية الخلق قد تمت من خلال جانب أنثوي، فمثل دور كل من أتوم وبتاح، كانت الربة نيت ربة مدينة سايس قد خرجت للوجود دون شريك وخلقت جميع الأرباب والبشر داخل قلبها.

وكان الملك زوسر أول ملوك الأسرة الثالثة قد اتخذ فكرة هذا التل وحولها إلى هرم مدرج ضخم يصعد إلى السماء (وكلمة هرم بالإنجليزية Pyramid مشتقة من أصل يوناني بمعنى الكعك الصغير، في حين أن المصري القديم قد استخدم كلمة mr لوصف هذا المبنى المهول). وعلى الرغم من أن حجر باليرمو قد ذكر بناء معبد بنهاية الأسرة الثانية من الحجر، إلا أننا نملك دليلاً على أن هذا المعبد لم يبن إطلاقاً، حيث إن مجموعة زوسر الهرمية هي أول أثر حجري على الإطلاق.

وقد خضع الهرم المدرج لعديد من التغييرات في تصميمه. ففي بداية الأمر بدأ الهرم في شكل مصطبة واحدة، ثم قام المعماريون بإكمالها حتى وصلت إلى ست درجات متتالية. وهذا التغيير المعماري يعكس تغييرًا في المعنى، فبالإضافة إلى دوره كتل أزلي والذي يصعد عليه الملك المتوفي بصفته الرب الخالق، فإن الهرم المدرج يمثل سلماً إلى

■ منظر جوي لهرم سقارة المدرج أوائل القرن العشرين.

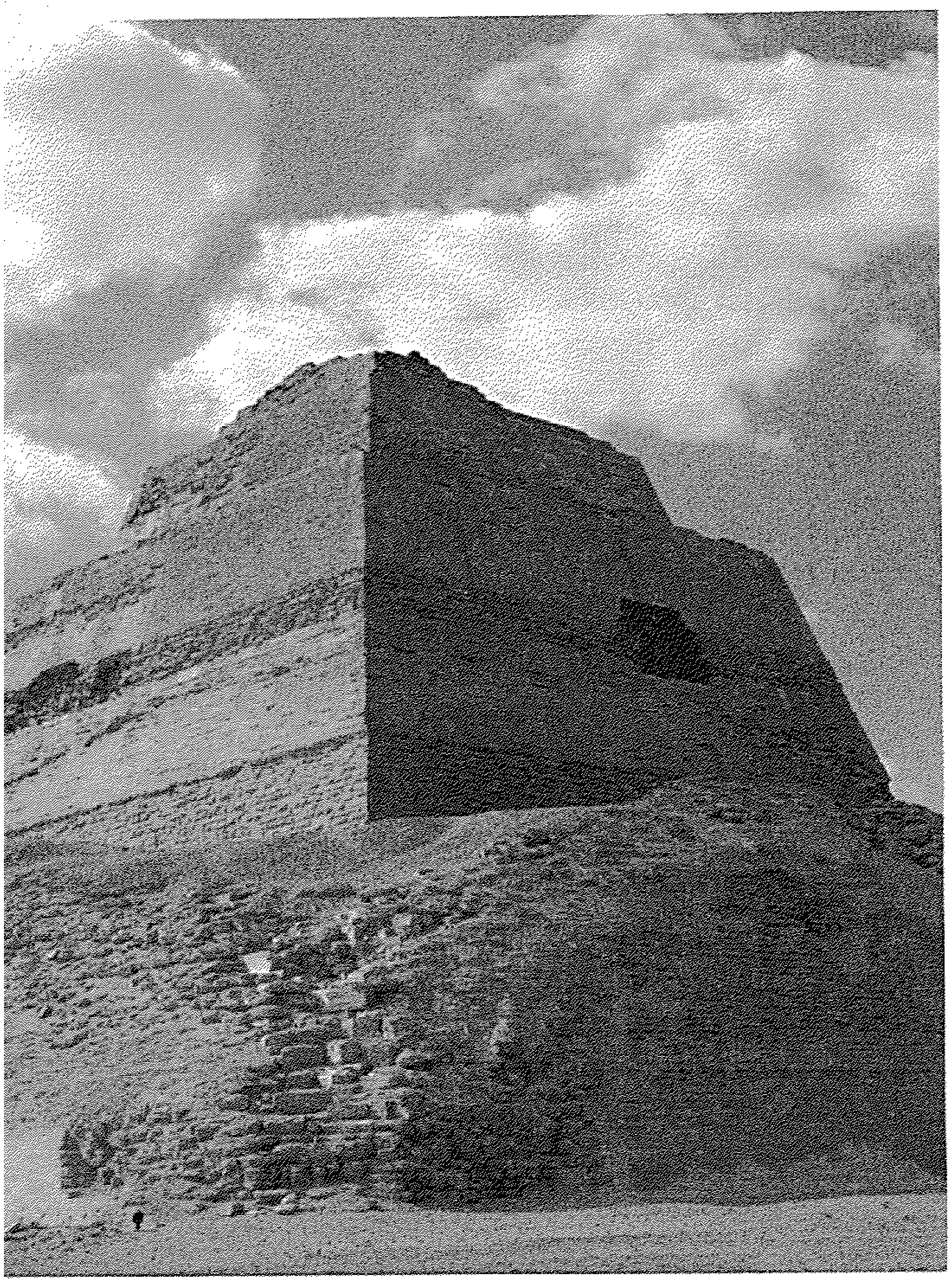


السماء، الذي تقوم روح الملك بارتقائه حتى تصل إلى السماء وتنضم للصحبة المقدسة، حيث النجوم الخالدة. أما الأنفاق والسراديب أسفل الهرم فتصل إلى قرابة سعة كيلو مترات في الطول، وذلك في حال وضعها على الكومبيوتر كما أننا مازلنا نكشف عن سراديب جديدة أثناء عمليات ترميم الهرم التي تتم الآن.

ويحيط بالهرم المدرج مجموعة من المعابد والمقاصير، حيث إن معظمها صمم بدون وظيفة كي تحاكي المقاصير الفعلية التي توجد بعالم الأحياء. وكانت معظم تلك المباني تركز على الاحتفال بعيد السد، تلك المناسبة الهامة التي يحتفل بها الملك في أول الأمر بعد مرور ثلاثين عاماً من حكمه، ثم بعد ذلك أقيم هذا الاحتفال بعد فترة وجيزة من الحكم. وكان الملك يظهر خلال هذا الاحتفال وهو يركض مرتدياً نقبة قصيرة وقلادة على صدره ويمسك بالمذبة (والتي كانت إحدى الشارات الملكية). ويمكن ترجمة هذا الاحتفال بمثابة يوبيل قصير، والذي يتم من خلاله تجديد قوة الملك. كما يتضمن هذا الاحتفال فكرة انتهاء الملك من القيام بالمهام التي كلفته بها الأرباب وهو ما يظهر الانتهاء من بناء مجموعته الجنائزية. وتحيط بالمجموعة جدران ضخمة مزينة بكوات على شكل واجهات القصر، والتي رأيناها بالجدران المحيطة لمقابر الأسرات المكبرة بأبيدوس ومصاطب سقارة.

ومن المعروف أن عددًا من خلفاء زوسر قد شرعوا في بناء أهرام مدرجة، ولكن يبدو أنهم لم يعيشوا حتى يكملوا تلك الأهرام، والقليل منهم قد نجح في تطوير المقبرة الملكية خلال تلك الفترة. أما عن مقبرة الملك حوني آخر ملوك الأسرة الثالثة فلم يتم التعرف عليها حتى الآن. وهناك قرابة سبعة أهرام صغيرة تقع بمصر العليا بطول البر الغربي للنيل بداية من سيلا بالشمال وحتى ألفنتين بالجنوب، وتختلف تلك الأهرام في تفاصيلها وإن كانت متماثلة في الحجم والتكوين الأساسي لها. وكانت جميع تلك الأهرام مدرجة الشكل، ولا تحتوي على أية حجرات داخلية

■ هرم سيلا بالفيوم.



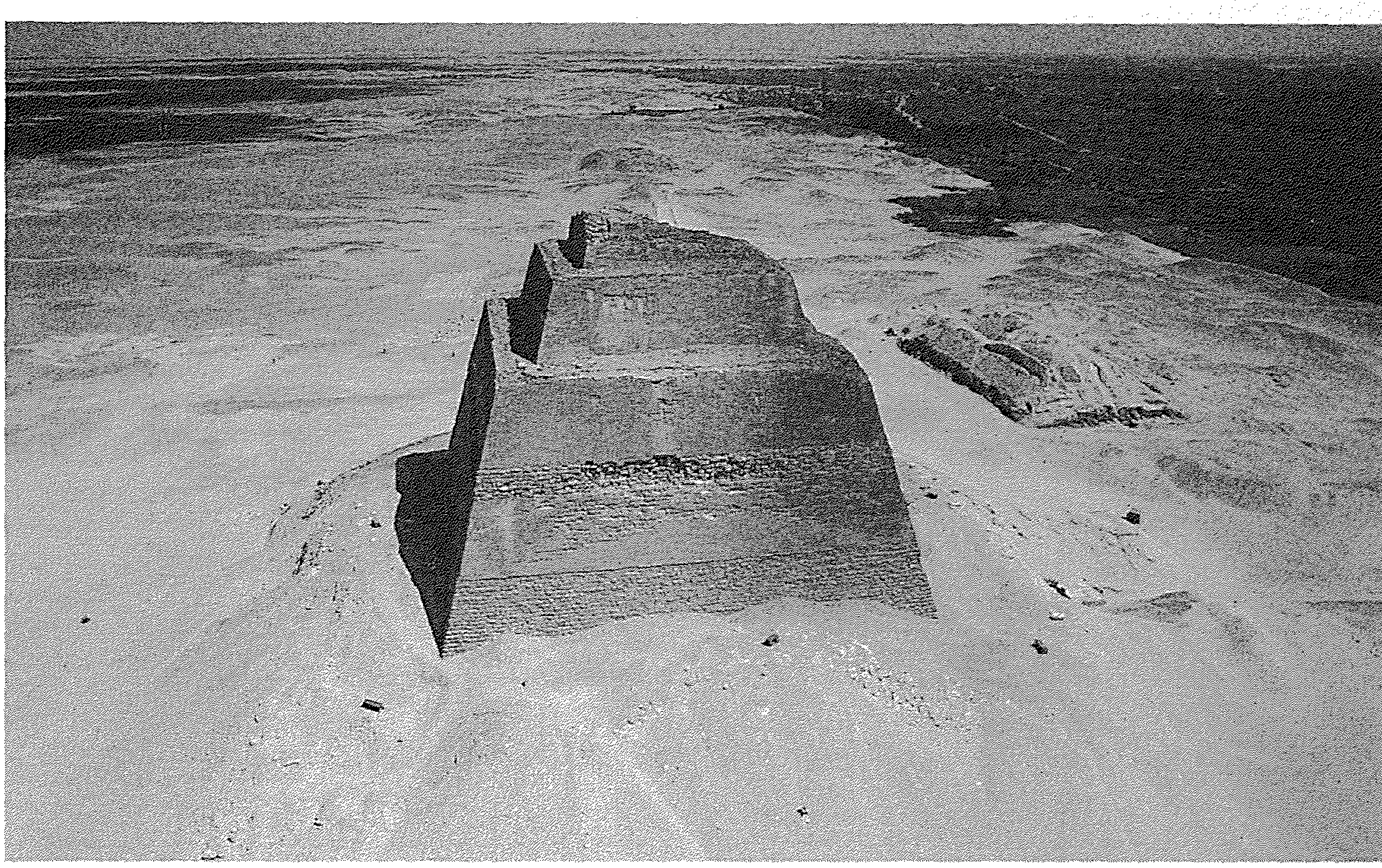
أو مبانٍ ملحقة كالمعابد العقائدية. وقد عثر على شكل مخروطي من الجرانيت بالقرب من هرم ألفنتين، حيث كان يحمل اسم الملك حوني، ويعتقد أن بقية الأهرام الستة (مع استبعاد هرم سيلا بأقصى الشمال) قد بناها الملك حوني أيضاً.

ويعتقد بعض العلماء أن تلك الأهرام المدرجة هي رموز للأقاليم المصرية أو لعواصم المقاطعات التي يحكمها ممثلو الملك، في حين يرى آخرون أنها كانت مقابر للملكات اللاتي ولدن بالمقاطعات أو أنها مقابر مقدسة لها علاقة بأسطورة حورس وست. وفي اعتقادي الشخصي أن تلك الأهرام هي تمثيل للتل الأزلي والتي ترتبط بالمقر الملكي. وعلى أية حال، فيحتمل أن تكون تلك الأهرام خاصة بالملك حوني، وإن صحت تلك المعلومة، فإنها ستكون كل ما عثرنا عليه لهذا الملك من أهرام.

أما هرم سيلا، فقد بناه الملك سنفرو كأول أهرامه الأربعة، وهو الآن يصل إلى قرابة 7 أمتار وهو مبني من كتل صغيرة من الحجر الجيري ومونة الرمال والطين، وعلى مسافة منه يمكن للناظر أن يعتقد أنه على شكل مصطبة كبيرة، ولكن من قرب يتضح أنه هرم مدرج. وكان طول أحد أضلاعه يصل إلى قرابة 25م، وقد عثر على كتل هذا الهرم مجموعة من الجرافيتي – وهي الكتابات والعلامات الموجودة على الصخور– و لم يعثر بهرم سيلا على حجرة دفن، كما لا يوجد أي دليل على وجود معبد جنائزي عدا بقايا بعض الأحجار البسيطة من الطوب اللبن تحدد الطريق الصاعد ناحية الشرق. وقد عثر العالم الألماني لودفيج بورخارت Ludwig Borchardt بأواخر القرن 19 على بقايا من البازلت عند حافة الفيضان، مما يرجح وجود تماثيل أو معبد الوادي بتلك المنطقة.

وكان من المعتقد أن هذا الهرم يرجع لعصر الأسرة الثالثة، رغم عدم وجود أية أدلة حول تلك النظرية. وقد

■ هرم الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة– ميدوم.



كشفت الحفائر الحديثة عن لوحة كاملة وأخرى عبارة عن بقايا متاخمة للمنطقة، احتوت الأولى على اسم الملك سنفرو داخل السرخ (واجهة القصر) يعلوه الصقر حورس. وتلك اللوحة تثبت أن هذا الهرم يخص سنفرو، بعد أن كان يعتقد أنه يخص والده الملك حوني. ويحتمل أن هذا الهرم الصغير ربما كان مكانًا عقائديًّا حيث يمثل التل الأزلي المرتبط بالقصر الملكي.

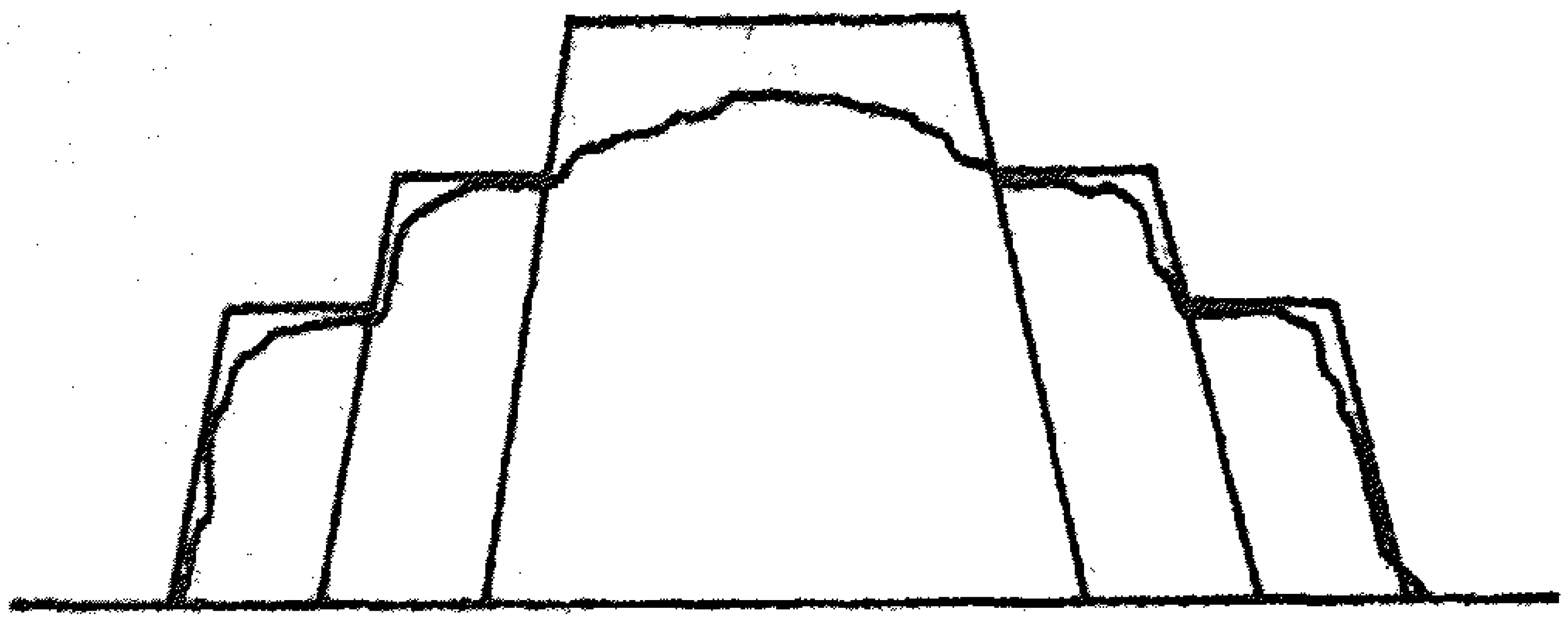
ويبدو أن الملك سنفرو قد خطط لإقامة مجموعته الهرمية الأولى بميدوم بالصحراء الغربية، قرابة 100كم (62 ميلاً) جنوبي القاهرة. ويظهر هذا الهرم الآن وكأنه برج فوق تل، حيث كانت أعمال تقطيع الحجارة التالية لعهده قد عملت على إزالة حجارة الكساء وأدت إلى انهيار جزئي له. وقد تمت دراسة هذا الهرم على يد العديد من العلماء والمغامرين، وكانت أول دراسة علمية تمت لهذا الهرم على يد العالم الإنجليزي جون برنج في عام 1837م.

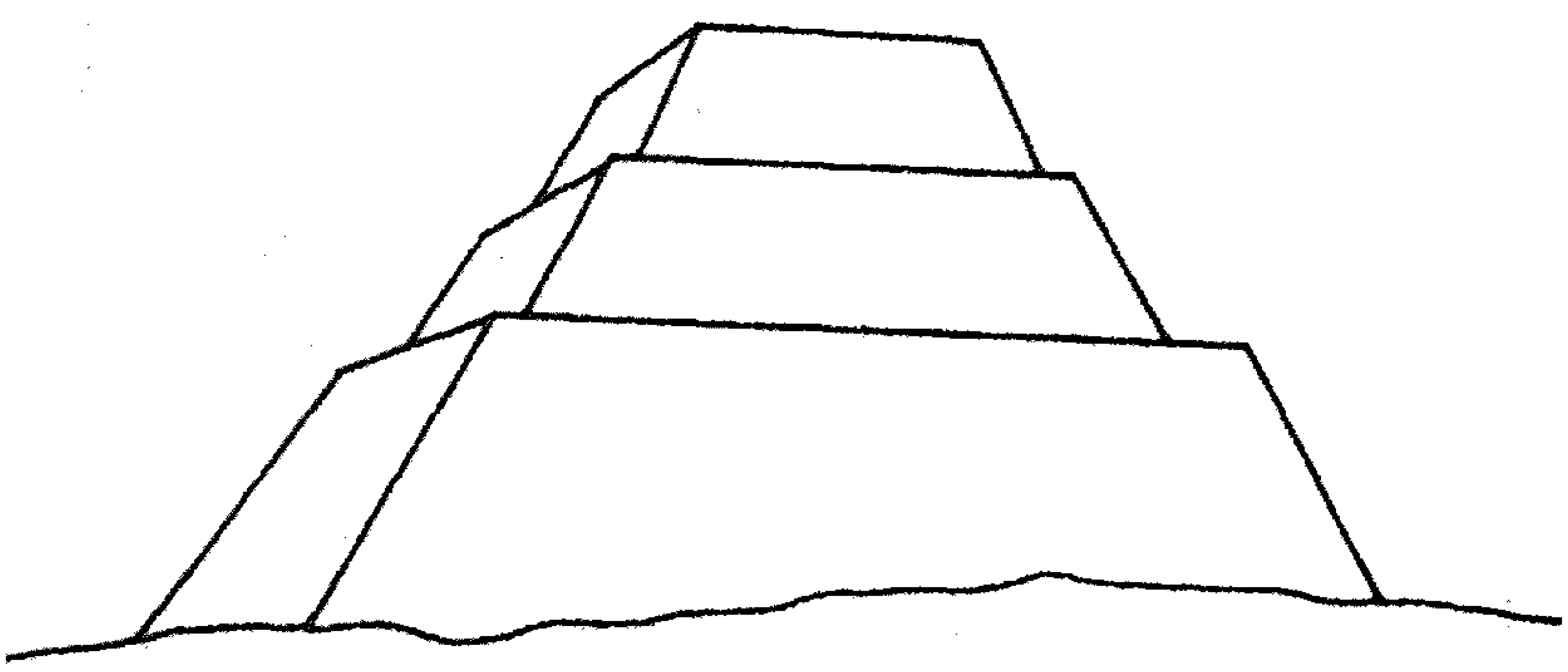
وكان من المعتقد قديماً أن هذا الهرم خاص بالملك حوني، ولكن مع إقامة عديد من الدراسات والاستكشافات لم يتضح العثور على أي مقبرة أو هرم لهذا الملك، فقد كانت كل الأدلة ترجح كفة الملك سنفرو بصفته الملك الوحيد الذي أقام هذا الهرم، حيث عثر على جرافيتي ينسب هذا الهرم لسنفرو، بالإضافة إلى الاسم القديم لميدوم وهو "جد سنفرو" يدعم هذا الاحتمال.

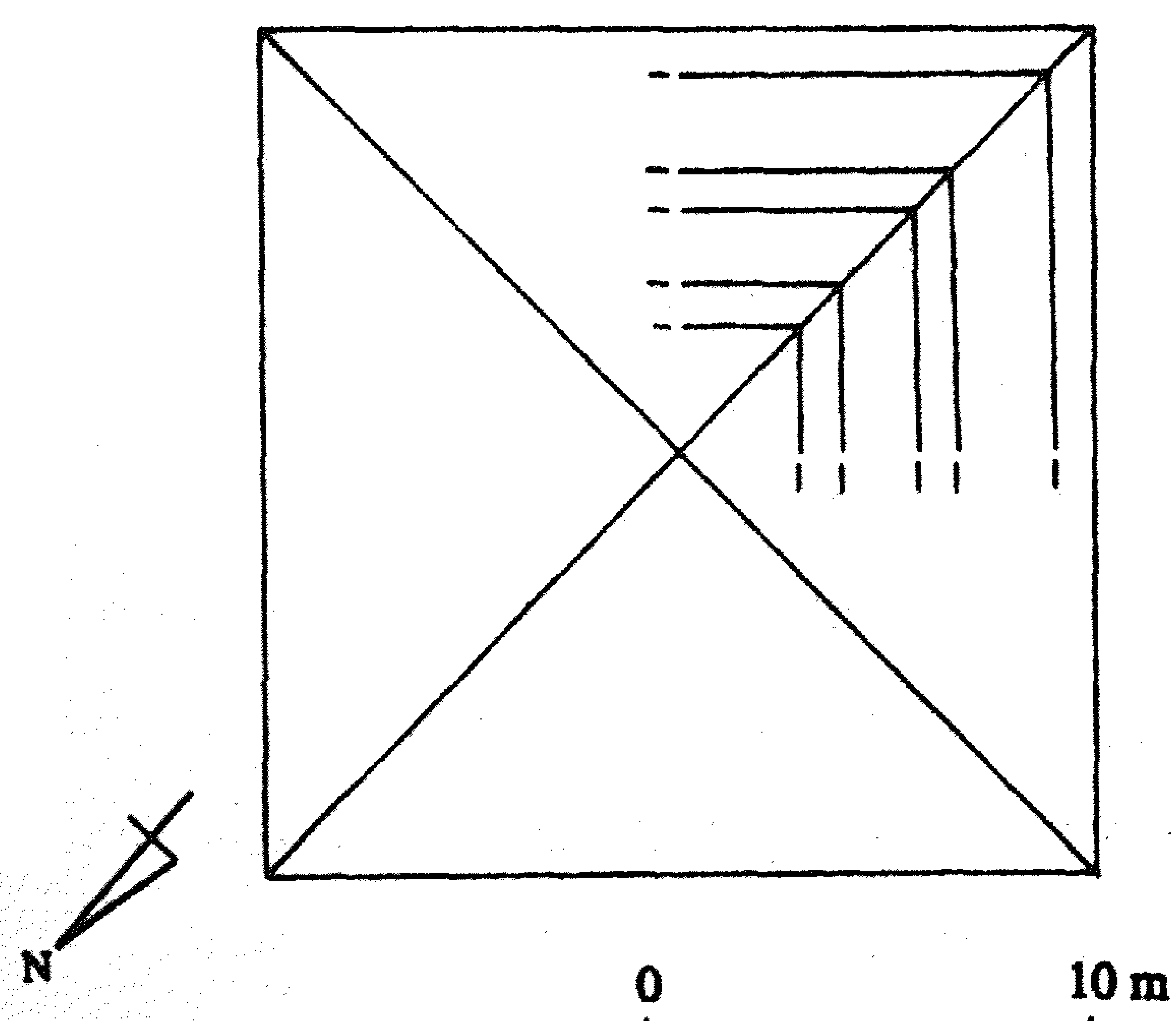
■ منظر جوي لهرم الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة– ميدوم.

وقد أقام الملك هذا الهرم على غرار أهرام أسلافه، حيث بني على شكل مصاطب متتالية، فهو يتكون من 7 مصاطب، وعندما وصل العمال إلى المصطبة الرابعة أو الخامسة قاموا بزيادة طبقة أخرى. ويصل طول أحد جوانب قاعدته إلى قرابة 144م (472 قدمًا) في حين يصل الارتفاع الأصلي إلى قرابة 92م (302 قدم).

ويقع مدخل الهرم بالجانب الشمالي منه ويرتفع نحو 30م (98 قدمًا) عن سطح الأرض، ويليه ممر طوله 58م (187 قدمًا) ينحدر لأسفل حتى يصل إلى القاعدة الصخرية للهرم، ثم يسير أفقيًّا لعدة أمتار، ثم يصعد مرة أخرى باتجاه رأسي ليصل إلى حجرة الدفن التي تقع بقلب الهرم. وكان سقف تلك الحجرة مقبيًّا وهو أسلوب جديد في البناء. و لم يعثر على أية بقايا للدفن داخل تلك الحجرة إلا أنه قد عثر على قطع من تابوت خشبي بقاع الممر الرأسي (بئر الدفن) يرجع إلى نفس الفترة.

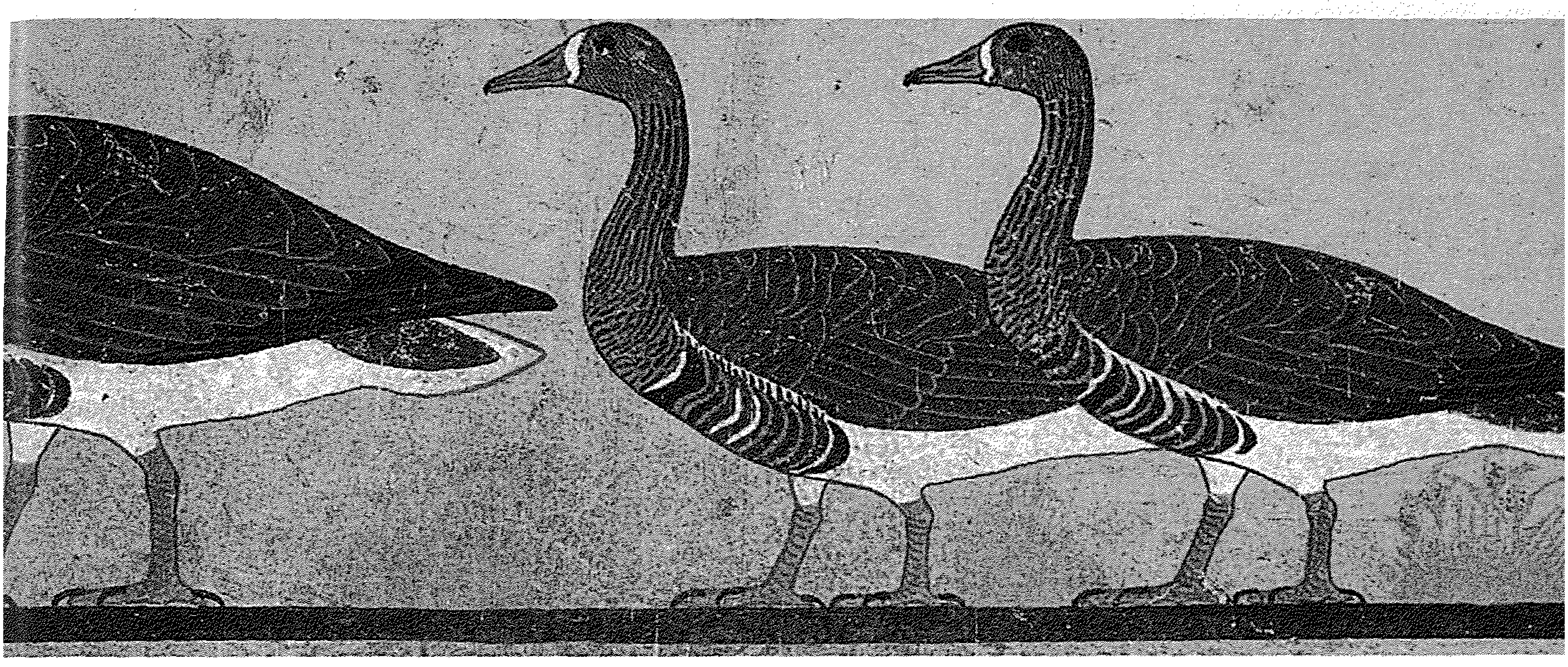






أما عن بقية عناصر المجموعة الجنائزية لهذا الهرم، فتبدأ بمعبد الوادي المتاخم للوادي أو عند الميناء وإن لم يبق منه شيء حالياً. وينطلق من هذا المعبد الطريق الصاعد ليصل إلى مقصورة صغيرة متاخمة للجانب

■ رسم تخطيطي لهرم ميدوم.

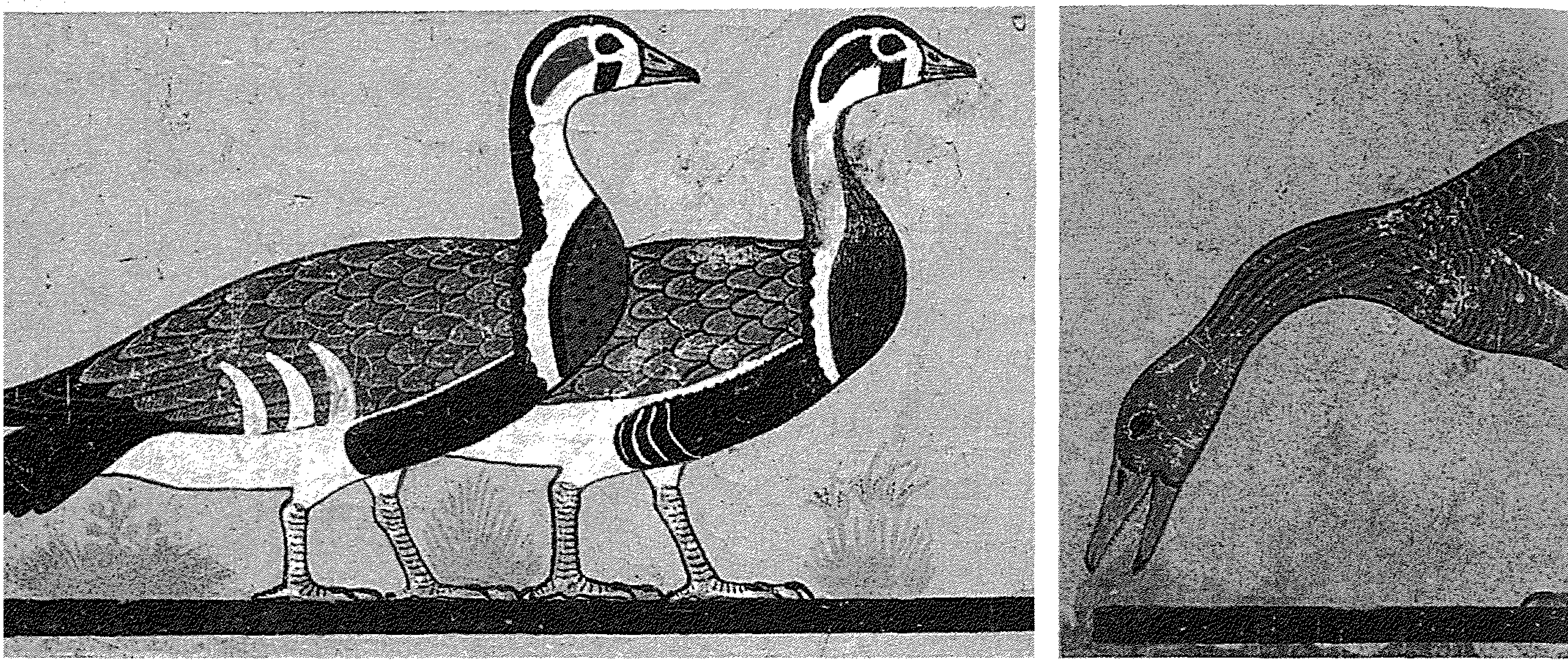


الشرقي للهرم، وقد عثر على لوحتين لهما قمم مستديرة داخل تلك المقصورة وإن لم يحتويا على اسم الملك. ويحيط بالهرم وتلك المقصورة الجنائزية سور من الطوب اللبن.

وداخل هذا السور وإلى الجنوب من الهرم الأساسي يوجد هرم ثانوي ومقبرة أخرى على شكل مصطبة، أما عن الهرم الصغير فكان خاصًا بعقيدة سنفرو. وتلك الفكرة أصبحت أساسية في بقية المجموعات التالية، وقد ظهرت نظريات مختلفة حول دور هذا الهرم، حيث يرى بعض العلماء أن أصل هذا الهرم يرجع إلى مجموعة زوسر، التي احتوت على مصطبة إلى الجنوب من الهرم الأساسي. وأسفل تلك المقبرة المعروفة بالمقبرة الجنوبية توجد مجموعة من الممرات تشبه الممرات الموجودة أسفل الهرم المدرج ومزينة بكوات تمثل الملك وهو يقوم بطقسة الحب سد. أما حجرة الدفن بداخل تلك المقبرة الجنوبية فهي على شكل مربع وبحجم صغير على أن تحتوي على تابوت.

ويعتقد مجموعة من العلماء أن تلك المقبرة والأهرام الثانوية كانت مخصصة لحفظ الأواني الكانوبية، التي كانت تحتوي على أحشاء الملك، في حين رأى آخرون أنها تمثل مقبرة لملك مصر العليا أو كمكان لدفن التاج الملكي والشارات الملكية أو كمقبرة للكا أو القرين والتي تتقبل القرابين المقدمة للملك. وهناك علماء رأوا أن تلك الأهرام الثانوية تخص الاحتفال بعيد السد. والمعتقد أن هذا الهرم كان مخصصًا لتغيير ملابس الملك أثناء احتفالات عيد السد وهو الاحتفال الذي كان يقيمه الملك أمام الهرم لكي يظهر بأنه قد أنجز كل ما طلبه منه الملك الأعظم قبل أن يصبح إلهًا.

■ منظر من مقبرة نفرماعت الذي يعرف بمنظر إوز ميدوم- حجر جيري ملون- المتحف المصري.



أما المصطبة الواقعة بجنوب الهرم، فهي تضم حجرة دفن صغيرة الحجم، يصل إليها ممر عريض تكتنفه كتل ضخمة من الحجر الجيري. أما الحجرة نفسها فمسقوفة بعروق من الحجر الجيري تصل إلى قرابة 4 أمتار(14 قدمًا). وبالركن الشمالي الغربي من تلك الحجرة عثر على تابوت يضم هيكلاً عظميًّا له ركبتان ملتويتان يتجه برأسه نحو الشمال ووجهه نحو الشرق، كما عثر على مجموعة من قطع الفخار ترجع لأوائل الأسرة الرابعة. ويحتمل أن يكون هذا الهيكل العظمي خاصًا بإحدى الملكات وهي أم الملك سنفرو الملكة مرسي عنخ والتي انتشرت عقيدتها بميدوم في عصور لاحقة. وقد عثر على جرافيتي من الدولة الحديثة (أي بعد 1000 سنة) عبارة عن صلوات ودعوات للكا الخاصة بكل من الملك سنفرو وأمه الملكة مرسي عنخ وهو ما يؤكد أن الملكة المدفونة بتلك المقبرة هي مرسي عنخ.

وفي الركن الشمالي الشرقي من الجدار المحيط توجد مصطبة كبيرة رقم 17. ويوجد داخل تلك المصطبة تابوت من الجرانيت الأحمر – والذي يعد الأقدم من نوعه– يضم رفات جردت تماماً من الجلد، حيث يبدو أنه قد تم لف العظام بشكل منفصل، ثم تم وضعها بمكانها الأصلي، ثم تم لف الجسد ككل. ولا توجد أية نقوش يمكن أن تدلنا على هوية صاحب المقبرة. ومع ذلك، ومن خلال حجم وموقع المقبرة ومن خلال حقيقة أنها هي أول مقبرة لأفراد تبنى من الحجر، يمكن التكهن بأنها تخص أميرًا مهمًّا، حيث يعتقد أنها لأحد أبناء الملك حوني، أو أنه ابن لسنفرو والذي مات في بدايات حكم والده. وهناك من يرى أن هذا الجسد الملفوف هو للملك حوني نفسه.

■ إوز ميدوم.

وقد استمر العمل بميدوم طيلة 14 عامًا، حيث دفن بها عدد من الأمراء والنبلاء وهو ما يؤكد كونها مركز قوة لفترة زاهية. ومن بين هؤلاء النبلاء كانت مقبرة الوزير الشهير نفر ماعت وزوجته إتت. وكانت مقبرتهما قد زينت عديد من المناظر البديعة التي تمثلهما وهما يتقبلان القرابين، بالإضافة إلى قيام الخدم بأعمال الحياة اليومية، وتقوم تلك المناظر من الناحية الرمزية بضمان حصول المتوفي على الغذاء الذي يحتاجه في العالم الآخر، كما كان لها مغزى ديني وهو التأكيد على تطبيق النظام بالكون المصري.

وتعد مناظر مقبرة نفر ماعت وآتت شائقة للغاية؛ لأنها تكشف عن قدر من التجارب الفنية وهو ما كان سمة عصر سنفرو، حيث نرى بعض المناظر ملونة على الجص في حين أن البعض الآخر بالإضافة إلى بعض النقوش الهيروغليفية قد نقشت بطريقة غائرة، ثم ملئت بالألوان. وتلك التقنية الفنية الجديدة لم تثبت نجاحها، وهو ما أدى إلى تركها على الفور. أما حجرة الدفن، فكانت تحتوي على هيكل عظمي. ويبدو أن تلك الحجرة قد تعرضت للاعتداء أثناء إغلاقها أو بعدها بقليل. وهذا يمكن أن يعد دليلاً على أن البلاط الملكي قد نقل بالفعل وهو ما أدى إلى ضياع الأمن بتلك المنطقة.

وعموماً فأنا أعتقد في السيناريو الذي يفيد بأن الملك سنفرو حكم 44 عامًا طبقًا للجرافيتي الذي عثر عليه بجوار الهرم الشمالي والخاص بتعداد الماشية. وقد بدأ في بناء هرم ميدوم كهرم مدرج ثم تركه ليبني الهرم المنحني، ونظراً للخطأ الذي تم في البناء بدأ الملك في تشييد أول هرم كامل وهو الهرم الأحمر أو الشمالي، وبعد أن انتهى من بناء هذا الهرم عاد إلى ميدوم ليحول الهرم المدرج إلى هرم كامل، وبذلك يعتبر هرم ميدوم في رأيي بداية ونهاية حكم الملك سنفرو.

هذا وأستطيع أن أؤكد أن الملك سنفرو قد دفن داخل الهرم المنحني لأسباب كثيرة منها اكتمال عناصر المجموعة الهرمية، وكذلك كساء الهرم بالإضافة إلى سر الهواء البارد الذي يشعر به الزائر عندما يدخل الهرم.

الفصل الثالث

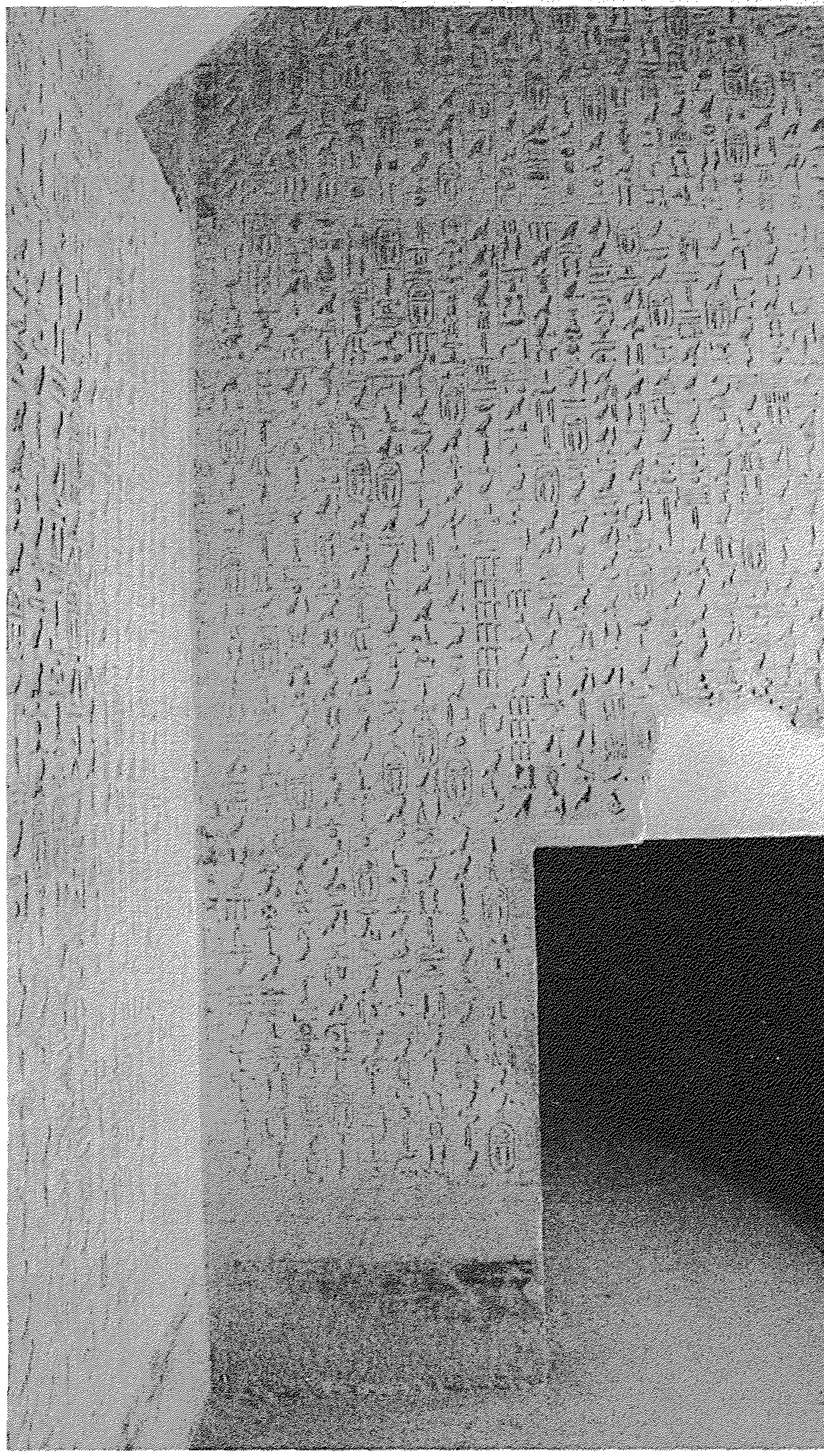
سنفرو وعقيدة الشمس

كانت وفاة ابنه المحبب سبباً في جعل سنفرو في غاية الحزن.. فقد رحل ولي العهد ولن يؤدي دور حورس على الأرض ولن يحكم الأرضين ولن يرتل دعوات ولن يقدم القرابين لمقبرة والده.. وقام سنفرو ببناء مقبرة ضخمة له بالقرب من هرمه بميدوم وقام بدفنه في جنازة مهيبة.. إلا أنه لم يتحمل أن يمكث بجواره..

وقام الملك باستدعاء وزيره نفر ماعت وأعلن هجرته لميدوم وانتقاله لمدينة جديدة.. وقد انخرط الرجلان في مناقشات دينية وهم يقرءون النصوص القديمة، محاولين فهم إرادة الأرباب لطرق تطبيق الماعت.. فلم يعد هناك المزيد أمام الملك كي يبني سلمه الأبدي الذي سيصعد به للحاق بالأرباب في السماء.. فيمكن له أن يندمج مع رب الشمس رع ويدفن تحت أشعة الشمس...

في العام 15 من حكمه، قرر سنفرو بناء نوع جديد من الأهرام بعد أن هجر مجموعته بميدوم، وترك عاصمته ليستقر بمدينة جديدة ناحية الشمال بدهشور. ومن الصعب التكهن بسبب قيام الملك باتخاذ هذا القرار، فهل كانت دهشور مدينة استراتيجية مما يمنحه سيطرة أفضل على الدلتا أو أنها نقطة انطلاق جيدة لحملات الجيش؟ لم تكن دهشور ببعيدة عن العاصمة القديمة ميدوم، فكلتاهما بمنطقة منف؛ لذا فإنه من الصعب التخيل أن تلك النقلة البسيطة يمكن أن تحدث تغييرًا كبيرًا في الاستراتيجية. وكانت دهشور قريبة من عاصمة الأسرات المبكرة والمراكز المقدسة الشمالية الخاصة بأسلاف سنفرو بسقارة، وهو ما يعد سببًا مقنعًا. وهل كان التغيير نتيجة مشاكل عائلية؟ وهل فعلاً أن ولي العهد قد مات؟ فمن المحتمل أن ذلك الهيكل العظمي الذي عثر عليه بالمقبرة 17 بميدوم لابن سنفرو. ولكن يبدو أن كلاً من تلك الأسباب السالفة كانت سببًا في الانتقال إلى دهشور.

وفي تلك الفترة كانت دهشور أرضًا بكرًا وتعد المكان الأنسب ليقوم سنفرو ببناء هرمه عليه. وأعتقد أن قرار الانتقال كان متعلقًا في المقام الأول بالناحية العقائدية؛ حيث كانت الفرصة لإقامة هرم حقيقي ذي رمزية شمسية واضحة.



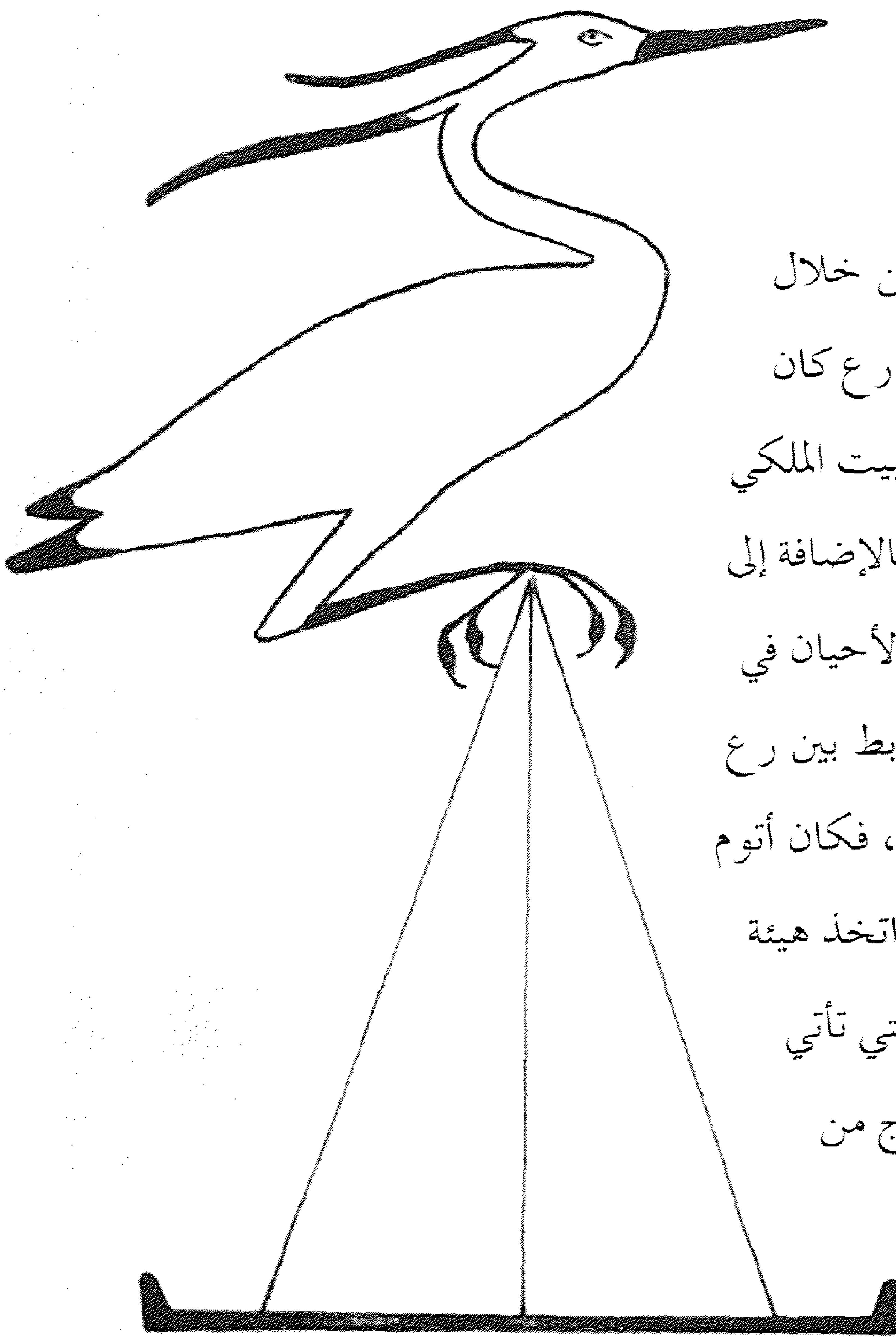
دعونا الآن نتحدث عن كيفية قيامنا بإعادة تكوين الأفكار القديمة لتلك المباني التي اكتشفناها. فيمكن للمعمار نفسه أن يوضح لنا الكثير من النواحي، في الوقت الذي يمكن لنا أن نضيف بعض المعلومات عن طريق العديد من المناظر والنصوص التي تركها القدماء. ويجب علينا أيضاً أن نستخدم المصادر المتأخرة للاستدلال على المباني القديمة ومحاولة لاستقراء ما هو أقدم. وبالنسبة للدولة القديمة، فقد توافر لنا قدر كبير من الحظ للحصول على مجموعة هامة من النصوص الدينية والتي تعرف باسم "متون الأهرام". وقد عثر على تلك المتون بالحجرات الداخلية لأهرام أواخر الأسرة الخامسة والأسرة السادسة، وقد خصصت للملوك والملكات، حيث تتكون من مجموعة من التعاويذ، والتي تهدف لمساعدة الملك خلال رحلته إلى العالم الآخر وتحديد علاقة الملك بالأرباب وتأكيد وضعه بصفته معبودًا ومساعدته في الانتقال لرب الشمس.

وتكشف اللغة العتيقة التي كتبت بها تلك النصوص بأنها قد كتبت قبل الأسرة الخامسة، ومن المحتمل أنها كانت تكتب على مواد أكثر قابلية للفناء. ومن ذلك، فإن كلاً من الدلائل الأثرية والمعمارية تأخذ الأولوية في الاستخدام عندما نقوم بتحليل الآثار المصرية القديمة.

وبالإضافة إلى دورها كرمز للتل الأزلي وكسلا لم أبدية إلى النجوم، فإن الأهرام الحقيقية ترمز أيضاً لأشعة الشمس الهابطة على الأرض، كما أنها تعكس رمزية الـ بن بن ذلك الحجر المدبب الذي يرمز للشمس. وهذا الشكل قد احتفظ به المعبد الرئيسي لمدينة أون القديمة (شمال شرق مدينة القاهرة حالياً والتي أطلق

■ متون الأهرام من داخل هرم الملك ونيس– سقارة.

عليها الإغريق اسم هليوبوليس؛ أي مدينة الشمس وحالياً اسم عين شمس أو المطرية)، كما كان مركزاً لعبادة الشمس في مصر القديمة إبان الدولة القديمة على الأقل.

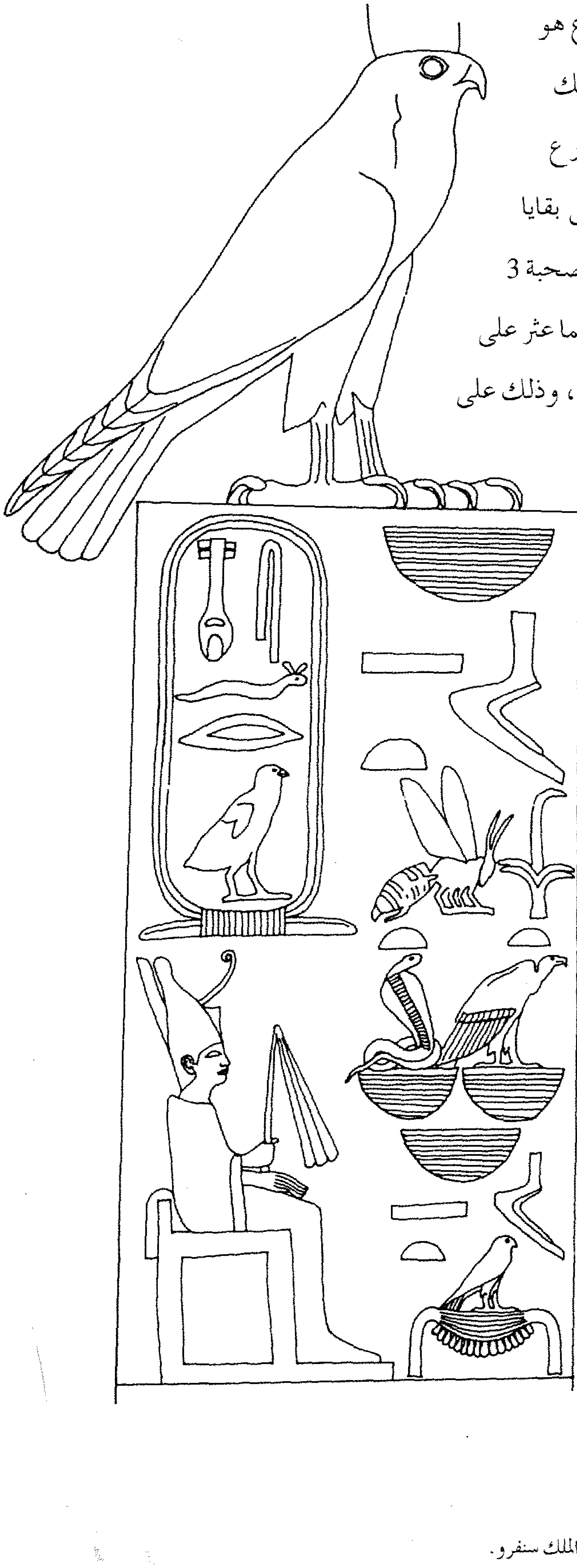


وطبقاً للعقائد الدينية التي حاولنا إعادة تشكيلها من خلال مصادر متعددة، من بينها متون الأهرام، فإن رب الشمس رع كان كبير المعبودات، في حين أدَّت ابنته حتحور دوراً هامًّا بالبيت الملكي بصفتها زوجة حورس الذي يمثله كل ملك. أما حورس بالإضافة إلى دوره كابن لأوزير، فكان يمثل ابن رع أيضاً (وفي بعض الأحيان في بعض العقائد يعد ابن حتحور). وقد قام كهنة أون بالربط بين رع وأتوم المعبود القديم لمدينتهم، حتى أصبح اسمه أتوم رع، فكان أتوم الرب الخالق الذي صعد فوق التل الأزلي ليخلق العالم واتخذ هيئة الطفل الوليد نفرتوم رع. وتمثل مناظر تلك الأسطورة والتي تأتي من أواخر التاريخ المصري القديم زهرة لوتس كبيرة تخرج من المياه الأزلية والتي تسبق عملية الخلق، وبداخل تلك الزهرة يجلس رب الشمس على هيئة طفل يضع يده بفمه كدليل على الشباب. وهناك نوع آخر من المناظر يمثل هذا الطفل الوليد يظهر فوق التل الأزلي على ظهر بقرة بمنتصف المياه الأزلية.

في رواية أخرى لتلك الأسطورة، يظهر الـ بن بن من المياه الأزلية، في حين يقف فوقه رب الشمس في هيئة طائر الفونكس. وتشير نصوص أواخر الدولة القديمة إلى أحجار الأهرام بأنها "بن بنت" وهي إشارة مباشرة للبن بن. وعلى هذا، فإنه مع كل غروب يموت رب الشمس رع وينزل أسفل الأفق الغربي ويقضي الليل محارباً وحوشَ وأخطارَ العالم السفلي؛ من أجل الانضمام لأوزير حتى يتمكن من الولادة في الشروق ويعيد عملية الخلق اليومية.

■ تصوير لطائر الفونكس أو البن بن يقف على التل الأزلي.

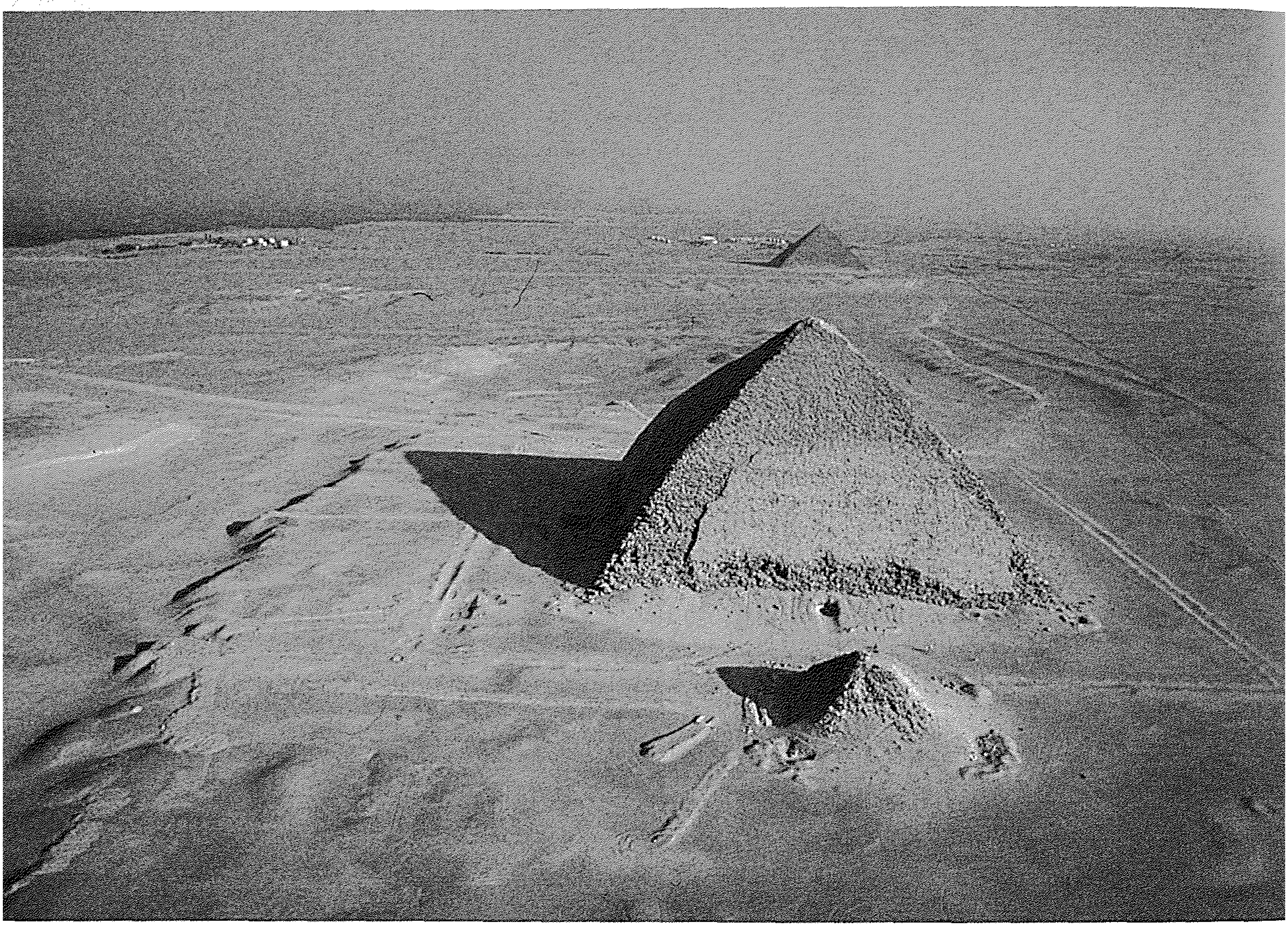
وكان أحد ملوك الأسرة الثانية يدعى "رع نب"؛ أي رع هو السيد، وهو ما يرجح أن رب الشمس كان يعبد خلال تلك الفترة (نحو 2850 ق.م) وقد عرفنا مدى أهمية عقيدة رع خلال عصر زوسر بالأسرة الثالثة على الأقل. وقد عثر على بقايا نقوش إحدى المقاصير بمدينة أون، والتي تصور هذا الملك بصحبة 3 نساء ملكيات (ربما أمه وزوجته الرئيسية وابنته الكبرى). كما عثر على أحد أسماء الملك زوسر وهو "رع نبو"؛ أي رع هو الذهب، وذلك على قاعدة تمثاله الشهير مرتديًا رداء عيد السد، والذي عثر عليه بالسرداب بالقرب من معبده الجنائزي. كما عبد رب الشمس بمعبد خاص به يسمى "بر نبو"؛ أي بيت الذهب بمدينة أون، حيث كان الذهب هو مادة الشمس البراقة التي لا تصدأ.



وفي عهد الملك حوني ظهر رمز شمسي هام لأول مرة، وهو الخرطوش ذلك الشكل البيضاوي الذي يضم اسم الملك. وقد عرفنا من النصوص المتأخرة أن ذلك الشكل يمثل "كل ما يحيط به قرص الشمس" وهو ما يربط الملك برب الشمس بوضوح. أما بالأسرة الرابعة فنرى أن العديد من موظفي سنفرو قد حملوا لقب "كبير الرائين بأون" (كبير كهنة هليوبوليس)، حيث عملوا ككبار الفلكيين والمسئولين عن مراقبة حركة الشمس والنجوم.

ومن المحتمل أن كهنة رع بأون قد تعاظمت قوتهم خلال الأسرة الثالثة وهو ما هدد قوة الملك.

■ نص لوحة من مقصورة القرابين الخاصة بالهرم المنحني تتضمن أسماء وألقاب الملك سنفرو.



وقام الملك سنفرو على عكس التقاليد الملكية – على اعتباره حور على الأرض، ثم يصبح رب الشمس عند موته– بإعلان نفسه رب الشمس سواء أثناء حياته أو بعد مماته. وكان الدليل على ذلك هو النمط الجديد الذي اتبعه لبناء هرمه، كما أنه قد اختار موقع حجرة دفنه بالجزء العلوي من الهرم وليس تحت الأرض.

ويبدو أن سنفرو قد خطط لإقامة هرم بدهشور بعناية ناحية الجنوب، وأطلق عليه "الهرم المشع" (وهي دلالة شمسية)، وكانت زاوية الميل الأصلية 60° درجة، ولكن عندما وصل إلى طول 40م (131 قدمًا) وجد أن زاوية الهرم يمكن أن تُخِلَّ بارتفاعه وتؤثر على قاعدته مما يعرضه للخطر؛ لذلك قام بتغيير زاوية الميل إلى 54° درجة للجانب السفلي من الهرم، ثم عدل الجانب العلوي 43° درجة وأكمل بناء الهرم حتى بلغ ارتفاعه نحو 105م ويصل طول كل جانب من جوانبه نحو 188م. ولكنه ظهر بشكل غريب، حيث ظهر في شكل منكسر الزاوية في منتصفه على غير ما أراده الملك حتى سمي بالهرم المنحني، مما أدى إلى تركه والشروع في بناء هرم جديد.

■ منظر جوي للهرم المنحني بدهشور والهرم الأحمر للملك سنفرو.



■ حاملة قرابين من معبد الوادي للهرم المنحني بدهشور.

ويبدو أنه قد تم إنجاز قدر كبير من العمل سواء بهذا الهرم أو بالمجموعة الهرمية وذلك قبل أن يتم تركها. ومثلما كانت مجموعة ميدوم، كان يتم الدخول إلى تلك المجموعة من ناحية الشرق عبر معبد الوادي. وقد كشف عنها العالم المصري الراحل أحمد فخري عام 1950م، فعندما وصل إلى الموقع كان كل ما هو موجود من تلك المجموعة مجرد منطقة كبيرة مغطاة بقطع من الحجر الجيري. وبأول يوم من أيام الحفائر وبعد مرور ساعة و20 دقيقة فقط من العمل، استطاع فخري وفريقه الكشف عن جدار من الحجر الجيري. والذي كان جزءًا من معبد الوادي المفقود، ثم تم الكشف عن بقايا نقوش وتماثيل الملك.

وكانت جدران هذا المعبد مغطاة بنقوش رائعة على الحجر الجيري، وملونة بألوان زاهية. ونعتقد أن معبد الوادي كان مكانًا تصل فيه المواد المجلوبة من الخارج إلى تلك البقعة المقدسة بالمجموعة الهرمية والمخصصة لاستخدام الملك، كما كان نقطة الانتقال من الدنيوي إلى المقدس. وتحمل بعض مناظر معبد الوادي تلك الفكرة من خلال تمثيل ممثلات أقاليم سنفرو، وهن يحملن التقدمات الخاصة بالعقيدة الملكية.

وتلك المناظر الخاصة بحملة القرابين تعطينا معلومات هامة حول التوسع الكبير للأراضي لصالح البيت الملكي، حيث تظهر بعض الشخصيات من مصر العليا وأخرى من مصر السفلى وهو ما يعكس امتداد الضياع الملكية بطول وادي النيل. وكانت أغلب المناطق تقع بمنطقة مصر الوسطى، حيث اتساع سهل الفضيان، وإن هناك العديد من الضياع الخصبة بالدلتا والتي فقدنا أسماءَها.

وهناك مناظر أخرى رائعة بهذا المعبد، حيث الكثير منها يمثل الملك وهو يقوم بطقوس عيد السد (حيث الجلوس على العرش مرتديًا التاج المزدوج ورداء عيد السد أو وهو يركض خلال طقسة هذا العيد)، في حين يظهر منظرٌ آخر يمثل الملك خلال زيارته لمعبد بوتو (وهي مقصورة عتيقة)، أو قيامه بتأسيس معبد ما أو تقديمه للقرابين أمام المعبودات. كما عثر على بقايا 3 تماثيل داخل المعبد (حيث من المعتقد أن عددهم كان 6)، وقد قام المعهد الألماني للدراسات الشرقية بالقاهرة أثناء رئاسة راينر شتادلمان بإعادة تركيب أحد تلك التماثيل، حيث يمثل الملك مرتديًا التاج الأبيض لمصر العليا ونقبة ذات ثنايا وهو معروض حاليًا بالمتحف المصري بالقاهرة.

وينطلق من هذا المعبد الطريق الصاعد، يسير حتى الركن الشمالي الشرقي للسور المحيط بالهرم. وفي مواجهة

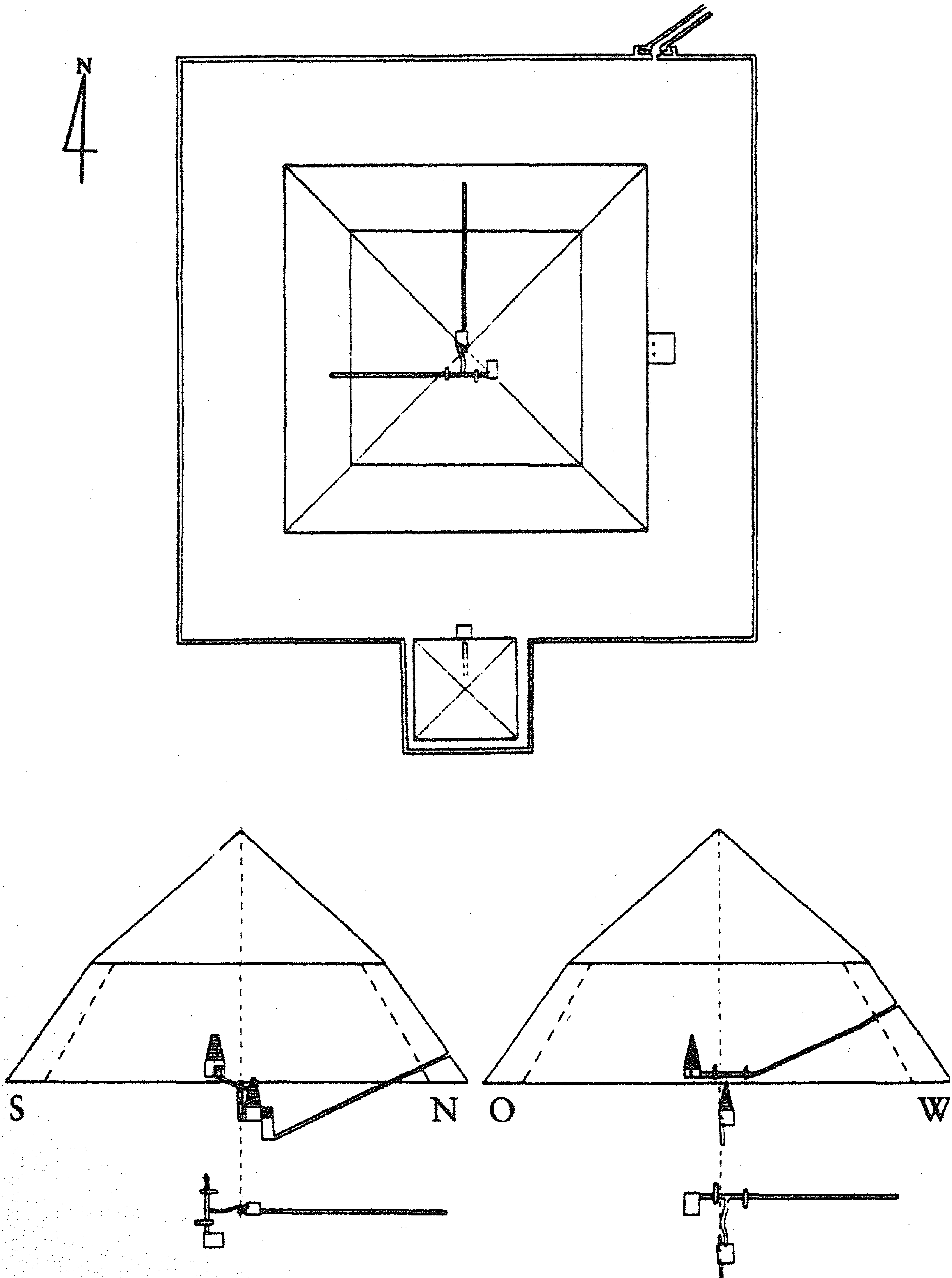
الجانب الشرقي للهرم، توجد مقصورة مفتوحة تحتوي على مائدة قرابين من الألباستر، وعلى جانبي تلك المقصورة لوحتان كبيرتان ذواتا قمم مستديرة منقوش عليهما منظر للملك برداء عيد السد والتاج المزدوج، بالإضافة إلى ألقابه داخل "السرخ" (واجهة القصر).

وإلى الجنوب من الهرم الأساسي، يوجد هرم آخر صغير يعتقد أنه مدفن الملكة حتب حرس الزوجة الرئيسية لسنفرو، ولكن الآن قد تم تحديده بأنه الهرم العقائدي للملك سنفرو، والذي كان له الدور نفسه الذي أدَّاه الهرم العقائدي بميدوم. ويحتوي الهرم من الداخل على مجموعة من الحجرات، والتي كانت نسخة مصغرة من حجرات الهرم الأساسي، وكانت حجرة الدفن صغيرة الحجم مما يصعب دخول تابوت بها. وفي مواجهة الجانب الشرقي لهذا الهرم الصغير، يوجد مكان للقرابين، والذي يضم لوحتين كبيرتين أخريين ذواتي قمم مستديرة تحملان اسم الملك وألقابه.

ويمكن دخول الحجرات الداخلية للهرم المنكسر سواء من الشمال أو الغرب. أما من خلال المدخل الشمالي، فينحدر ممر هابط حتى يصل إلى الأساس الصخري. وقد تم بناء حجرة جانبية مسقوفة بسقف مقبي من طراز الكوربيل. وفوق تلك الحجرة تقع حجرة الدفن، والتي يمكن الوصول إليها عن طريق مجموعة من الدرجات أو من خلال سلم، حيث كان سقفها أيضًا مقبيًا. أما مدخل الجانب الغربي فيبدأ بممر هابط يؤدي إلى حجرة أخرى ذات سقف مقبي.

وقد قام كل من جون برنج J.Perring وريتشارد فيز R.H.Vyse باكتشاف غريب أثناء اكتشافهما لهذا الهرم وذلك في 1830م، حيث إنه أثناء تنظيف العمال للممرات الداخلية كانوا يعانون من الحرارة الشديدة بالداخل، وفي يوم 15 أكتوبر من عام 1839م، قاموا بفتح ممر يؤدي إلى إحدى الحجرات الداخلية، وفجأة انطلق تيار هوائي بارد شديد القوة حتى كاد يطيِّر كشافاتهم. واستمرت تلك الرياح لمدة يومين وتوقفت فجأة كما انطلقت فجأة، تاركة العلماء في حالة من الاندهاش التام وعدم معرفة مصدرها. والسبب الوحيد المنطقي لتلك الظاهرة هو وجود نقطة اتصال بين تلك الحجرة وخارج الهرم، وإن لم يتم هذا عن طريق الممر الغربي، حيث إننا نعرف أنه لم يتم فتحه قبل عام 1951م على يد أحمد فخري.

أما فخري، فقد قام باكتشاف آخر غاية في الغرابة، ففي بعض الأحيان كانت تهب بعض الرياح من الصحراء مما يصدر عنها صوت عويل مرعب والذي يمكن أن يسمع داخل الهرم وخاصة بالنهاية العلوية للممر الغربي، وقد



■ مخطط للهرم المنحني من الداخل.

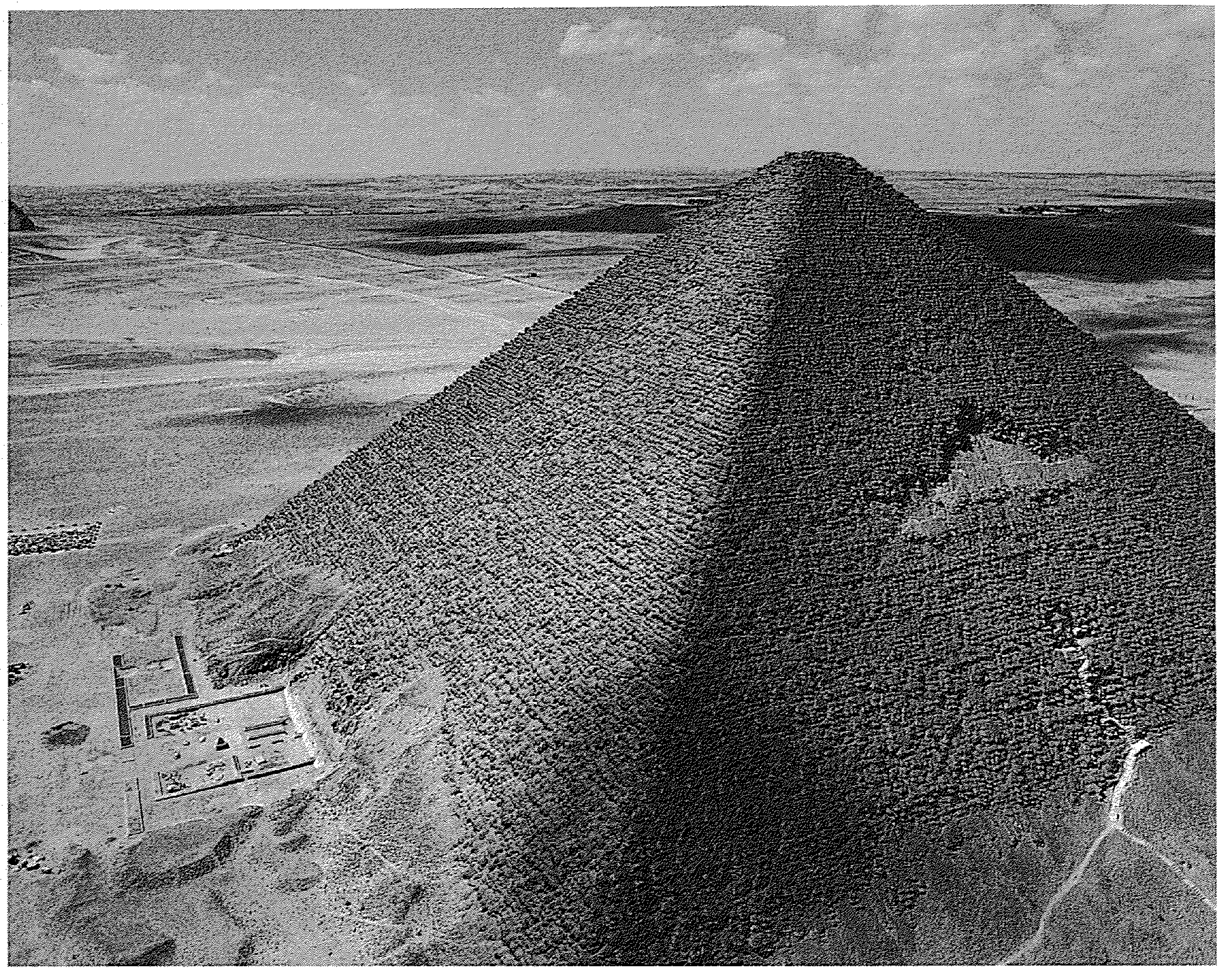
استمرت تلك الأصوات لمدة 10 ثوان، ثم توقفت، والتفسير المنطقي الوحيد لها والذي اقترحه أحمد فخري هو وجود بعض الأجزاء داخل الهرم لم يتم الكشف عنها بعد، والتي تتصل بخارج الهرم.

وقد قمت باصطحاب 12 طالبًا من طلبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة في محاولة لاكتشاف الحجرات الداخلية لهذا الهرم الفريد، فقمنا بالدخول من المدخل الشمالي عبر ممر بطول 80م (263 قدمًا) وارتفاع 1.10م (3.6 قدم) فقط. وكان علينا الانحناء كي نستطيع الوصول إلى الحجرة المقبية الأولى، ومنها تسلقنا مسافة 6.25م (20.5 قدمًا) بواسطة مجموعة من الدرجات الخشبية المتداعية لنصل إلى أرضية حجرة الدفن السفلية. وبها عثرنا على ممرات تبدأ من الجدار الجنوبي تؤدي إلى بئر ولكنها لا تستمر. ورأينا ممرًا آخر بطول 12م (39 قدمًا) يؤدي إلى أرضية ممر آخر يسير من الشرق للغرب. فاتجهنا ناحية الغرب وعثرنا على حجرة الدفن الثانية، ورأينا جذوع الأرز التي أحضرها سنفرو من بيبلوس والتي كانت في وضع جيد. وشعرنا بهواء بارد يأتي من الخارج مما يؤكد أن بالهرم ألغازًا تحتاج للحل.

وعلى الرغم من وجود مشاكل هندسية بالهرم المنكسر، إلا أنه قد تم اكتماله هو والمجموعة الهرمية كما تم كساؤها بالحجر الجيري الأبيض الجيد. ولهذا السبب فإن بداخلي قدرًا من الشكوك حول صحة تلك التفسيرات الشائعة، حيث أرى أنه كان مقدرًا منذ البداية نقل كل من الهرم المنكسر والهرم الأحمر إلى دهشور.

وأيًا كانت الأسباب وتتابع الأحداث، فقد قام الملك سنفرو في العام 29 من حكمه باختيار منطقة أخرى مناسبة على مسافة قصيرة شمالي هرمه المنكسر، وبدأ في بناء هرمه الرابع ذي ميل بزاوية 43° درجة. وقد خطط له ليكون أكبر هرم في عصره بمقاييس 220م (722 قدمًا) لطول كل جانب من جوانبه وارتفاع نحو 105م (345 قدمًا). وأطلق على هذا الهرم مثل هرمه السابق "الهرم المشع"، في حين أطلق عليه علماء المصريات اسم "الهرم الأحمر"؛ لأن الأحجار التي بنى بها لونها مائل للحمرة، وذلك بمادة المافت التي كان يحضرها المصريون من الصحراء الغربية. وفي تلك الفترة، كانت تقنية بناء الهرم أكثر تطورًا وهو ما جعل عملية بنائه أسهل.

وقد قام العالم الألماني راينر شتادلمان Rainer Stadelmann بدراسة هذا الهرم لعدة أعوام وقام بالعديد من الاكتشافات الرائعة. فقد عثر بالركام الواقع حول قاعدة الهرم على قطع من الكساء الأصلي للهرم والمصنوع من الحجر الجيري ويضم جرافيتي كتبها العمال الذين كانوا يقومون ببناء الهرم. وتلك القطع غاية في الأهمية، خاصة أنها تتعلق بتواريخ ملكية،



وهو ما يمكننا عن طريقها إعادة تكوين المدى الزمني لبناء الهرم، كما أنها تمنحنا معلومات عن حكم الملك.

وأعلى تأريخ عثر عليه شتادلمان لحكم الملك هو الإحصاء 24، والذي يوازي العام 45 أو 46 من حكمه، حيث كانت الحكومة المصرية تقوم بإعداد إحصاء للماشية كل عامين وكان الملوك في العصور المبكرة يؤرخون عصورهم حسب هذا الإحصاء. ومع ذلك، فقد عرفنا قيام الملك سنفرو بإحصائيات سنوية في عهده، وهو ما يجعل حساب عصره على أساس السنتين أمرًا يحتاج إلى المزيد من الدراسة. كما عثر شتادلمان على قطع من الهريم الذي كان يوضع على قمة الهرم. وهذا الهريم كان من الحجر الجيري غير المنقوش ويعتبر أقدم هريم عثر عليه حتى الآن. وكانت الهريمات بالعصور المتأخرة ذات صناعة أكثر تطورًا ومنحوتة من أحجار أجود، ومكسوة من مواد أغلى كالإلكتروم ويحتمل أن تكون منقوشة.

■ الهرم الأحمر بدهشور.

وهناك بقايا من معبد الوادي الخاص بهذا الهرم، إلا أنه لم يتم الكشف عنه بشكل دقيق، كما توجد آثار للطريق الصاعد غير المكتمل والذي يربط بين هذا المعبد والهرم الرئيسي. أما المعبد الجنائزي الواقع أمام الجانب الشرقي للهرم أكبر في الحجم من مقاصير ميدوم والهرم المنكسر، ولكن يبدو أنه قد تم إنهاؤه على عجل ربما بسبب موت الملك.

ويقع مدخل الهرم بمنتصف الجانب الشمالي، حيث يبدأ بممر هابط يصل حتى مستوى الأرض، يليه ممر أفقي يؤدي إلى حجرات جانبية مسقوفة بسقف مقبي على طراز الكوربيل، ثم يصعد ممر آخر عبر الجدار الجنوبي، حيث يؤدي إلى حجرة الدفن الواقعة بقلب الهرم. ووجود حجرة الدفن فوق سطح الأرض يحمل رمزية اعتبار سنفرو مرتبطاً برب الشمس رع الذي يشرق في أفقه، وهو ما ظهر بشكل أكثر وضوحًا بهرم ابنه خوفو الذي حمل هرمه اسم "آخت خوفو"؛ أي أفق خوفو.

وفي الوقت نفسه إبان تشييد الهرم الأحمر، أرسل سنفرو فريقًا إلى ميدوم لتحويل شكل هرمه هناك من هرم مدرج إلى هرم حقيقي عن طريق ملء تلك الدرجات بكساء مائل. حينها ومع اكتمال هرم ميدوم، فقد اكتمل عقد مشاريع سنفرو، حيث بدأ بهذا الهرم عصره وانتهى به. فقد أقام سنفرو عددًا من المباني أكثر من سابقيه، و لم يستطع أحد أن يكسر رقمه القياسي (رغم محاولات ابنه خوفو) حتى نهاية الدولة القديمة.

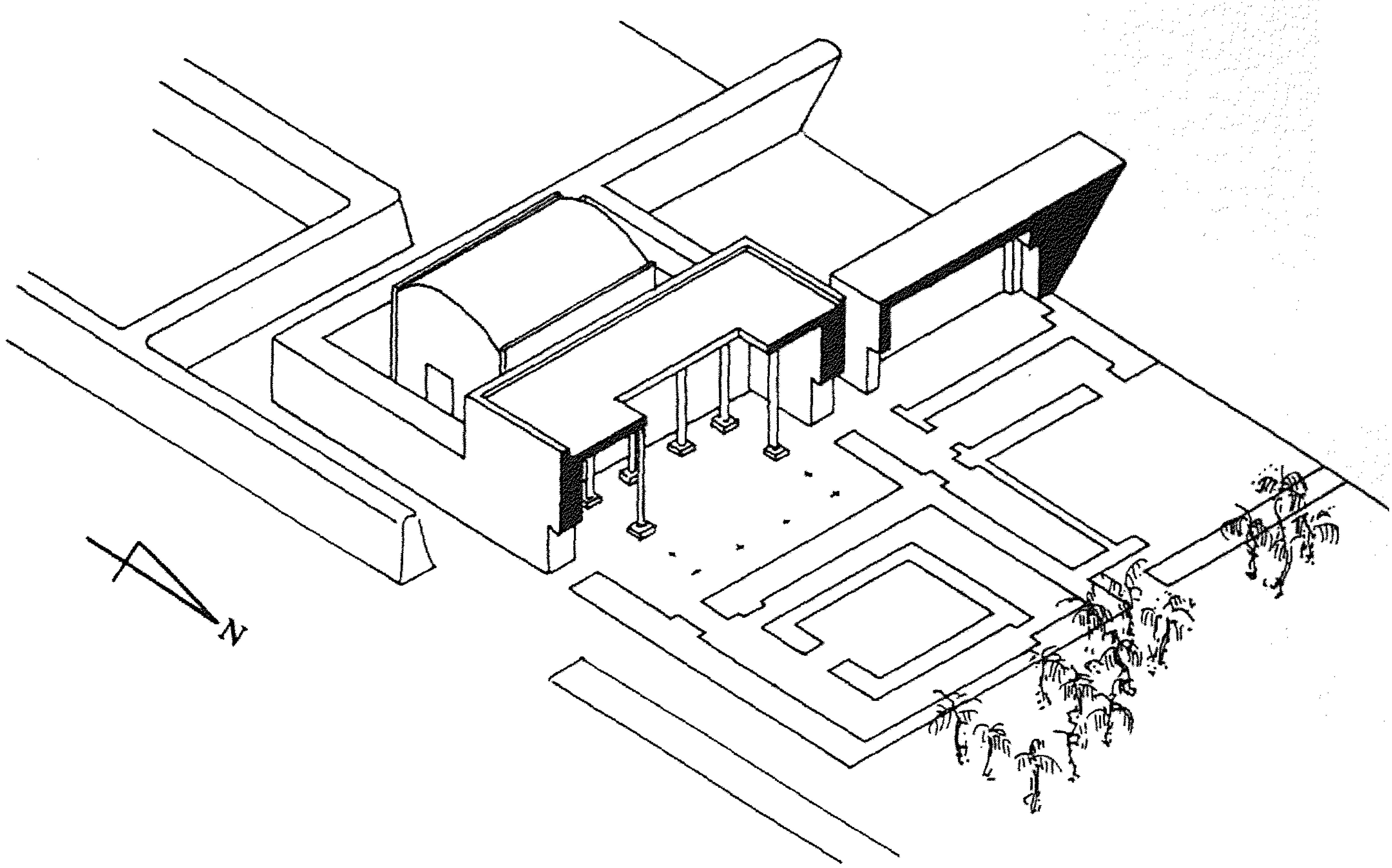
الفصل الرابع

بلاط سنفرو

ابتهج سنفرو من الألاعيب المرحة لابنه الصغير خوفو .. فلم يتعد عمره الخامسة، ومع ذلك فقد كانت له شخصيته الخاصة.. فكان صوته المرتفع الحاد يجعل مربياته يهربن في محاولة لتفادي حالة الغضب التي تزعج آذان الملك.. إلا أن الأب الهرم قد ضحك ببساطة شاكراً الأرباب على إرسالهم تلك الهدية الغالية.. ذلك الابن الذي سيخلفه على العرش العظيم.. فقد رأى أن زوجته الملكة حتب حرس قد بلغت من العمر الكثير كي تنجب طفلاً آخر بعد موت ابنهم الأول.. إلا أنها كانت رائعة وجميلة كما كانت من قبل.. وكان الولد أعجوبة في القوة والسرعة.. إلا أنه كانت له القدرة على الجلوس هادئًا لساعات ليستمع للموسيقى أو ليرسم. وقد أظهر ميلاً إلى الدراسة وهو ما يعد أمراً هاماً له كأمير ملكي.. بالفعل، ولده هذا سيكون ملكًا عظيماً يومًا ما..

عاش سنفرو وبلاطه بالقرب من مواقع أهرامه، ففي البداية أقام بميدوم، ثم بدهشور. وكانت البلاد تحكم من القصر الواقع بالمنطقة المركزية، تلك النقطة التي توحد مصر العليا والسفلى. ويمكن أن نتخيل سنفرو في لقاء مع وزيره نفر ماعت كي يتسلم معلومات حول ثروات البلاد، وحال رعيته، وأخبار عن حملاته الأجنبية وبعثاته التجارية، بالإضافة إلى تقارير حول العمل الجاري بمجموعاته الهرمية.

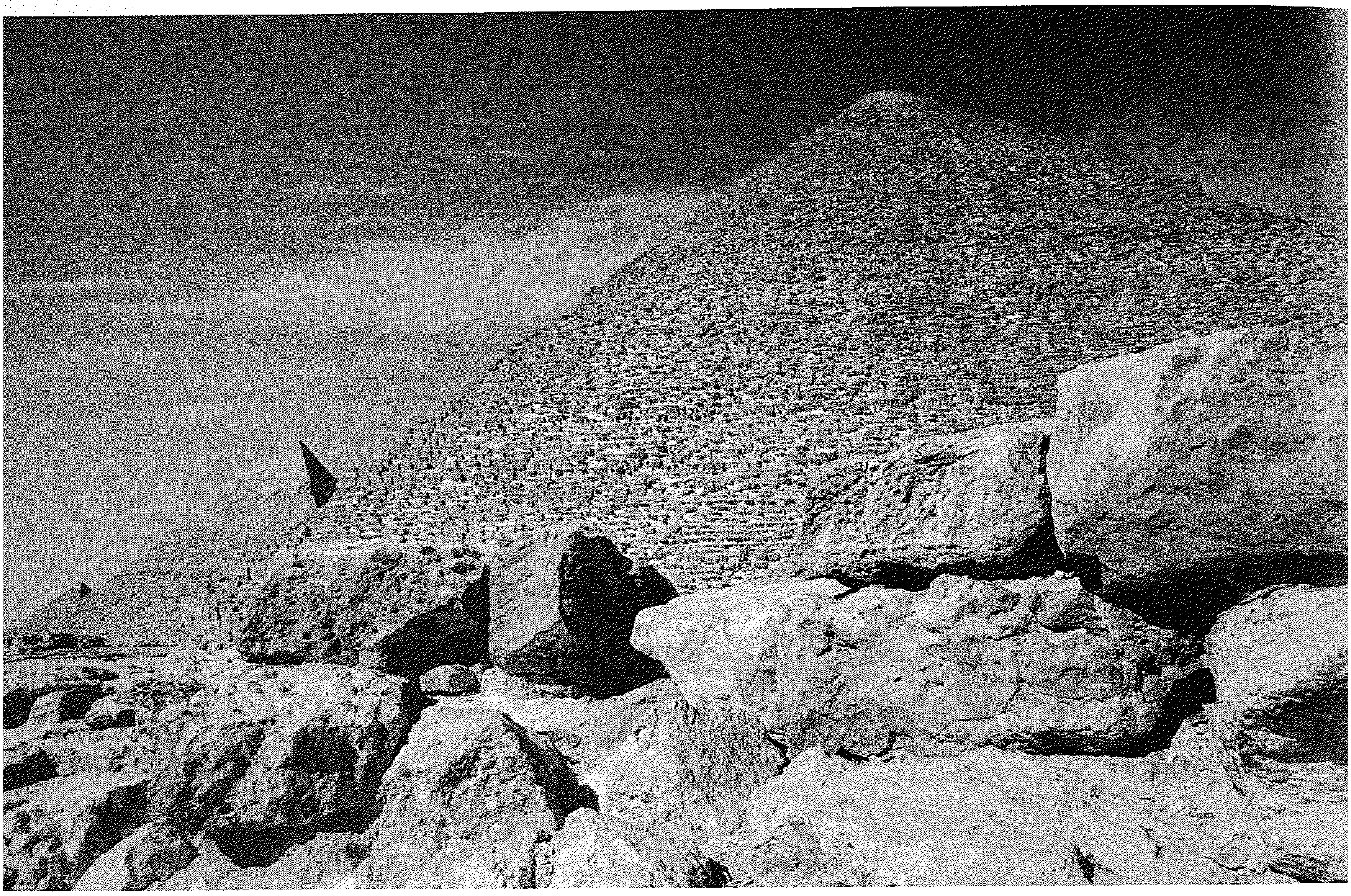
وحتى الآن، لم نعثر إلاَّ على أساسات قصور الدولة القديمة، إلا أن بقايا قصور الدولة الحديثة تخبرنا أن الجدران كانت مزينة بمناظر بديعة ملونة، والتي ربما تمثل الملك وهو يقمع أعداءه، وأخرى تمثل صناعًا يقومون بصناعة مراكب خشبية ضخمة، أو القوارب الملكية وهي تبحر إلى بعض المدن الأجنبية، مثل بيبلوس بالإضافة إلى تعبد الملك إلى آلهة مصر المختلفة كي يحموه ويعاونوه في حكم البلاد. وقد كانت الألوان في غاية النضارة والوضوح والتي كانت تمثل الأسلوب الفني السائد في مقابر النبلاء بعهد الملك أيضًا.



وتشير مناظر مقابر النبلاء إلى طبيعة الحياة في مصر القديمة خلال تلك الفترة حيث إنها توضح مجموعة من النشاطات: مثل قيام النجارين ببناء السفن وتَفَقُّدِ المزارعين لأراضيهم، وظهور صيادي السمك وهم يسحبون شباكهم، بالإضافة إلى مناظر حملة القرابين وهم يحملون الحيوانات أو الطيور، بالإضافة إلى الأطباق الكبيرة التي تضم كميات من الطعام أو أواني الجعة والنبيذ. وقد عثر على مثل تلك المناظر في تاريخ الفن المصري بمقابر نبلاء الملك سنفرو، وهي محاكاة للمناظر التي كانت موجودة بمعبد الملك الجنائزي، حيث تصور ممثلات الأقاليم أو المقاطعات وهن يحملن خيرات تلك الأقاليم كي تقدم خلال الشعائر.

ومن خلال مناظر تلك المقابر، استطعنا التعرف على عائلة الملك سنفرو وكبار موظفيه، فقد عرفنا بعضًا من أسمائهم وألقابهم، والتي من خلالها عرفنا طبيعة عملهم وماذا كانوا يصنعون. ومازلنا نتعامل مع عمليات الحفظ والاكتشاف بمحض الصدفة، في حين أن المعلومات نفسها لا تزال غامضة. فعلى سبيل المثال، حمل الوزير نفرماعت لقب "ابن الملك"، ومع ذلك فإن ترجمتنا للقب ابن لا تأتي بمفهومه الدقيق، حيث كان يستخدم خلال

■ تخيل لشكل المعبد الجنائزي للهرم الأحمر.



تلك الفترة أيضًا للتعبير عن الحفيد الملكي وهو ما يمكن أن يشككنا في نسب هذا الوزير للعائلة الملكية. وعلى أي حال فإننا لا نعرف أي شيء عن لقب والده؛ لذا فإننا نحدد كونه ابن الملك حوني أو سنفرو، طبقًا لتاريخ مقبرته وما يمكن تخمينه حول عمره وارتباطه بسنفرو. وقد تزوج نفر ماعت من امرأة تدعى "أتت" وأنجبا ولدًا أسْمَياهُ "حم إيونو" والذي سيصبح ذا شأن عظيم في عهد الملك اللاحق خوفو، وهو ما يدعونا للشك في أن نفر ماعت كان أخا الملك سنفرو أو ابن عمه.

ومن خلال قياس عصري كل من سنفرو وخوفو، فيبدو أن خوفو قد ولد في فترة متأخرة من حياة أبيه؛ لذا فمن المحتمل أن يكون نفر ماعت بمثابة أخ أكبر له. وهذا سيأخذنا لواحد من الأسئلة الصعبة، والذي لم يجب عنه علماء المصريات بشكل واضح، كيف تمت عملية الخلافة على العرش؟ إذا كان نفرماعت هو الأخ الأكبر لخوفو، فمن المحتمل أن يكون هو الأجدر بأن يكون هو الملك. ويعتقد أغلب علماء المصريات أن حكام الدولة القديمة قد اتخذوا أكثر من زوجة في الوقت نفسه (مثلما كان بالدولة الحديثة) في الوقت الذي تحصل فيه إحدى الزوجات

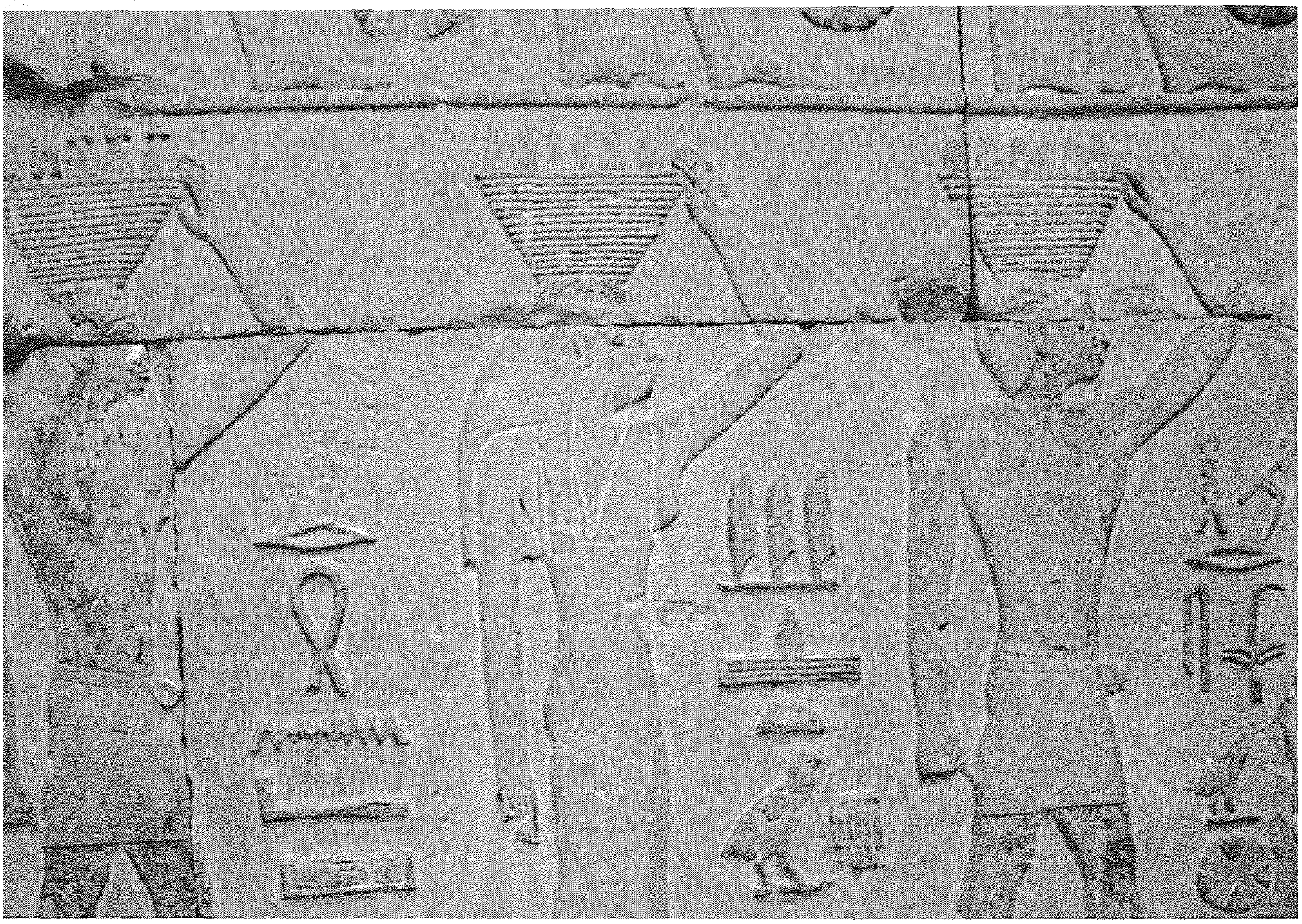
■ الهرم الأكبر– هرم الملك خوفو– هضبة الجيزة.



لقب الزوجة الرئيسية. وتقتضي التقاليد بأن الابن الأكبر لتلك الزوجة هو الذي يخلف العرش؛ لذا فيبدو أنه كان للملك ابن كبير من زوجة ثانوية والذي لم يتمكن من الوصول إلى العرش. وفي حقيقة الأمر، فإننا لا نستطيع الإجابة على العديد من الأسئلة مثل ذلك السؤال، حيث ما علينا هو مجرد وضع الافتراضات المبنية على السيناريو الأكثر منطقية.

ونعرف العديد من الشباب الذين تربوا في بلاط سنفرو، وخدموا ابنه بالإضافة إلى العديد من الأميرات اللاتي أصبحن ملكات في عهد الملك الجديد. ومن بين هؤلاء الرجال نعرف المدعو "رع حتب"، والذي حصل أيضًا على لقب "ابن الملك" وهو صاحب المقبرة الشهيرة بميدوم، ومن بين ألقابه أيضًا كبير الرائين بهليوبوليس (وهو لقب كبير كهنة عقيدة الشمس) والمشرف على الجيش (وهو لقب عسكري). وقد تزوج رع حتب من الأميرة "نفرت"، وقد دفنا معًا بمقبرة بميدوم، ولهما تمثالان في غاية الروعة من الحجر الجيري الملون، واكتشفا بإحدى حجرات المقبرة. ويبدو أن رع حتب كان من جيل نفر ماعت نفسه مما يدعو للشك أنه أيضًا كان ابنًا للملك حوني أو ابنًا للملك سنفرو نفسه. أما

■ تمثالا رع حوتب ونفرت– حجر جيري ملون– المتحف المصري.



الأميرة "نفرت" فقد حصلت على لقب " المعروفة لدى الملك " وهو لقب اتخذه النبلاء والنبيلات في مصر القديمة.

وقد دلتنا العديد من المقابر وبقايا التماثيل الموجودة بدهشور - والتي تحيط بكل من الهرم الشمالي والجنوبي- على معظم أفراد العائلة الملكية على الرغم من أن علاقاتهم بسنفرو غير واضحة تماماً، فقد عثر على العديد من الآثار والبقايا والتي تخص مجموعة من الرجال والذين حصلوا على لقب "ابن الملك"، أو حتى لقب "ابن الملك من صلبه"، وإن لم تساعدنا كثيراً. فلابد من البحث عن تاريخ المقابر، حتى يتسنى لنا التكهن بعلاقة كل شخص من هؤلاء الأفراد بالأسرة. وكان أهم أبناء سنفرو هو بالطبع خوفو والذي خلفه على عرش البلاد، ومع ذلك فإنه لم يرد ذكره في أي من آثار والده؛ لذا فإن معلوماتنا حول هذا الملك العظيم تأتي من آثار عصره أو العصور التالية.

عرف الملك سنفرو بالتواضع والتقوى الممزوجة بالقوة والحزم، كما اشتهر بالذكاء الحاد وحب الاستطلاع والعلم، فكان يحب الاستماع إلى الآخرين، كما كان سخيًّا على من حوله. ولحسن الحظ أن لدينا قصتين قديمتين

■ مجموعة من حاملي وحاملات القرابين- المتحف المصري.

تقدمان لمحات شخصية –وإن كان مشكوكًا في صحتهما– عن هذا الملك الفذ. وكلا القصتين يحتمل أنه قد تم تأليفهما إبان الدولة الوسطى؛ أي بعد نصف ألفية من وفاة سنفرو. وتعرف القصة الأولى باسم نبوءة نفرتي.

وتبدأ القصة بمجموعة من كبار رجال الدولة المعروفين باسم " قضاة المقر"، والذين قد أتوا إلى القصر لتحية الملك، وربما لتلقي أوامره لهذا اليوم. وبعد رحيلهم جميعًا، التفت سنفرو لحامل أختامه وطلب منه أن يعيدهم مرة أخرى، وعندما عادوا (زاحفين على بطونهم إليه كنوع من التبجيل)، طلب منهم أن يبحثوا عن شخص بارع في الكلمات يمكن له أن يسليه، وهنا أشار جميع الواقفين إلى شخص يعمل ككاهن للإلهة باستت يدعى "نفرتي"، فأمر سنفرو بإحضاره على الفور.

وعندما أتى الكاهن إلى القصر وقدم التحيات لملكه، قال له الملك: "تعال يا صديقي نفرتي..أخبرني بكلمات بديعة وعبارات منتقاة يمكن أن تسلي جلالتي.."، فسأله الكاهن إن كان يحب أن يسمع قصة ما عن الماضي أو نبوءة عن المستقبل، فاندهش الملك ورد سريعًا مطالبًا بقصة عن المستقبل، وحمل أدواته الكتابية، حيث لفافة البردي ولوحة الحبر والبوصة ليكتب ما سيقوله نفرتي بيديه.

و لم تكن القصة التي رواها نفرتي لها علاقة وثيقة بتلك القصة، حيث كانت بمثابة نبوءة حول المستقبل وربما قد كتبت للتأكيد على شرعية حكم الملك أمنمحات الأول، أول ملوك الأسرة 12. إلا أن القصة ككل شائقة للغاية، وتقدم لنا صورة عن ملك فطن مثقف وحاكم قوي، والذي تأتي إليه رعيته زاحفة على بطونها، ذلك الرجل القوي الذي يقف وسط جميع أعماله الإنشائية وحروبه شاعرًا بالملل!!

أما القصة الأخرى فهي عبارة عن مجموعة من الروايات (للأسف غير كاملة) والتي تعرض لملوك وأمراء من الأسرة الرابعة ببردية تعرف ببردية "وستكار". وتدور أحداث القصة داخل قصر الملك خوفو، والذي كان مولعاً بالقصص التي يرويها أبناؤه. وأولى تلك القصص والتي تظهر كاملة جاءت على يد الأمير باوإف رع الذي حكى عن حدث في عهد الملك سنفرو.. ففي يوم من الأيام كان الملك حزينًا وسأل كل من حوله عن وسيلة تزيل هذا الهم؟ إلا أنه لم يستطع أحد أن يساعده إلا رجل واحد يدعى "جاجا إم عنخ" يعمل كاهنًا ومرتلاً في المعبد، وعندما قدم هذا الرجل إلى الملك، قال له سنفرو: "يا أخي.. لقد

أحضرت جميع الناس إلى القصر كي أبحث عن طريقة تجعلني سعيدًا.. ولكن لم يساعدني أحد"!

فاقترح الكاهن بأن يقوم الملك برحلة في قارب داخل بحيرة ويستمتع بالجو النقي وخيوط الشمس المشرقة، ومن أجل زيادة متعة الملك طلب بأن يقوم بالتجديف مجموعة من فتيات القصر الجميلات كي يزدن من ترفيه الملك، فوافق الملك قائلاً: "حقًا.. سوف أقوم بتلك النزهة.. أحضروا القارب ذا العشرين مجدافًا المصنوعة من العاج المكسو بالذهب.. وأحضروا عشرين فتاة من العذارى ذوات أجساد وصدور وضفائر بديعة للتجديف.. أحضروا لي عشرين شبكة وأعطوا للفتيات عشرين شبكة بدلاً من ملابسهن..".

في الوقت الذي كان الملك سعيدًا، إلا أنه في وسط البحيرة سقطت حلية قائدة الفتيات، فتوقفن عن التجديف هي وزميلاتها، فسألهن الملك عن السبب؟ فأخبرته الفتاة، فقال لها إنه سوف يعطيها واحدة أخرى، إلا أنها رفضت وأصرت على حليتها، فأمر الملك الكاهن ليقوم ببعض الحركات السحرية لشق مياه البحيرة والبحث عن الحلية حتى تم العثور عليها في قاع البحيرة، حينها سعدت الفتاة بشدة وأمضى الملك بقية نهاره سعيدًا بعد أن كافأ هذا الكاهن على مساعدته.

والصورة التي حملتها تلك القصص هي صورة ملك متواضع، الذي ينادي أحد المرتلين بـ"أخي"، وعلى درجة من الحساسية والتي تجعله يلبي طلب امرأة والتي ليست حتى من البيت الملكي. ومن الواضح أنه كان يحب المرح والمتعة. وسواء أكان هذا انعكاسًا للحقيقة أم لا، فإن تلك القصص تكشف أنه ظل مذكورًا وهو ما يجعل بعضًا منها حقيقيًّا. ومن خلال جميع أعماله البطولية، يجب أن يكون هذا الرجل ذا طاقة عظيمة! فليس من الغريب أنه قد بنى أربعة أهرامات، وأنه أيضاً قد عُبِدَ في فترات أخرى من التاريخ، ويعتبر مؤسس هذه الأسرة العظيمة وهي موضوع هذا الكتاب.

الفصل الخامس

مات الملك

كان القصر صامتاً ممتلئًا بالحزن.. فقد خرج النفس الأخير من جسد الملك.. والآن حان وقت الإعداد للجنازة.. كما تم الحفاظ على الترتيب الصحيح للأشياء حتى تعود الروح مرة أخرى لجسده.. وقد التقى كل من خوفو ونفرماعت بحجرة الموت لتلاوة الصلوات الصحيحة على جسده.. وكانت الستون يوماً القادمة هي الحاسمة لرحلة الملك الناجحة لعالم المعبودات.. وقد أخذ الجثمان إلى "الوعبت" وهي الورشة الجنائزية، حيث بدء عمل الاستعدادات لإرسال المعبود للحاق بأخوته بالسماء..

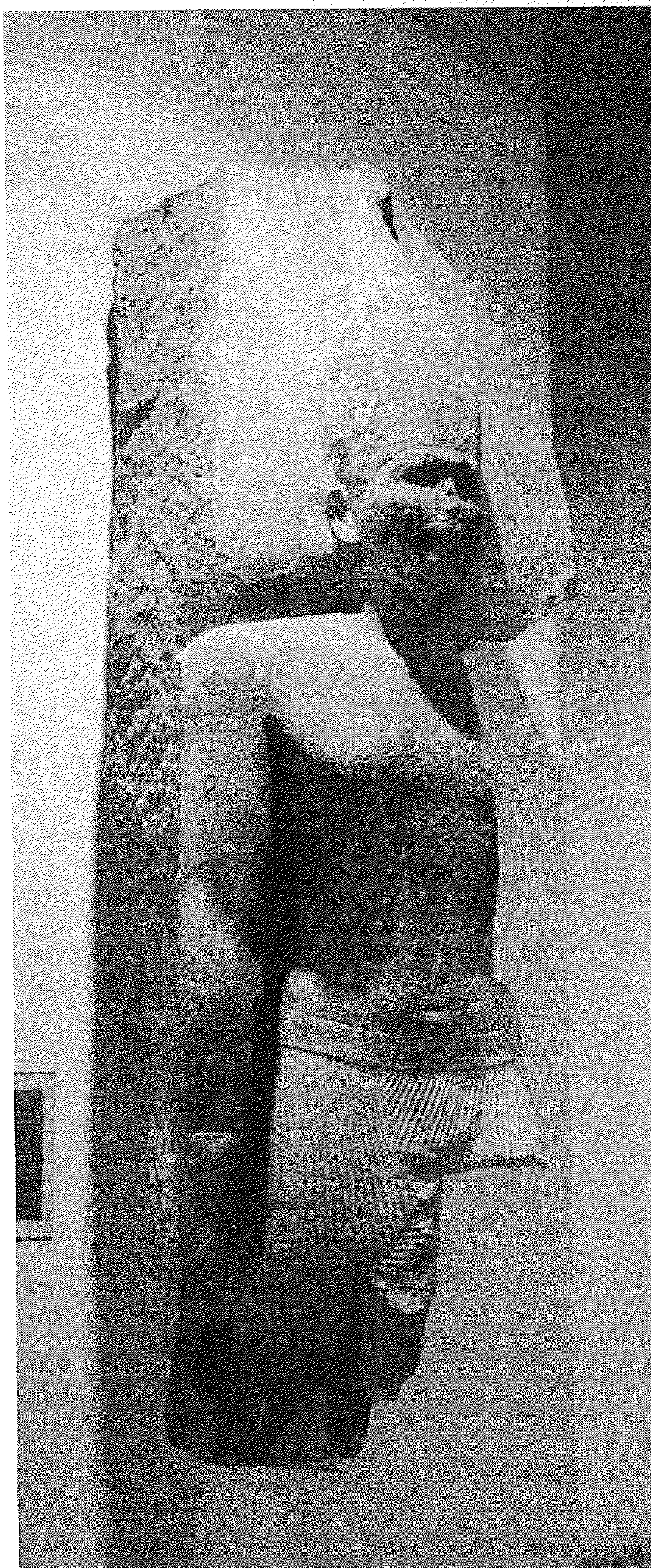
توفي الملك سنفرو فيما بين الأعوام 46 و54 من حكمه، وذلك قبل أن يكتمل بناء هرمه الأحمر. وبمجرد وفاته أخذ جسده إلى خيمة التطهير المعروفة باسم "وعبت"، وهناك تمت عملية التحنيط، حيث قام كهنة الملك بعمليات متطورة في ذلك الوقت، فقاموا بإزالة رئتيه وكبده ومعدته وأمعائه؛ من أجل الحفاظ على الجثمان، ثم تم لف الجثمان بلفائف متعددة من الكتان. وبعد إتمام تلك العملية، تم أخذ مومياء الملك من مكان التحنيط إلى مكان التطهير؛ حيث تم تطهير المومياء بالبخور، وبعدها بدأت رحلة الملك الأخيرة إلى المقبرة، تلك الرحلة المثيرة، حيث يتجمع بها المغنون والراقصون والكهنة الذين يتلون الصلوات على مائدة ضخمة من القرابين كما حضر الجنازة زوجة الملك الرئيسية الملكة حتب حرس وخليفته على العرش خوفو، وهم يراقبون النائحات وهن يبكين ويصرخن ويمزقن ملابسهن ويقطعن شعورهن من شدة الحزن على وفاة الملك.

وقد اعتقد العديد من الباحثين أن الملك سنفرو قد دفن في الهرم الأحمر؛ حيث عثر على بقايا عظام تملأ إحدى حجرات هذا الهرم الشمالي، وكان بعض من تلك العظام آدميًا، من بينها أجزاء من جمجمة مع أدلة على وجود بعض عمليات تحنيط مثل العثور على لفائف من الكتان الجيد المستوى والمنقوع في سائل الصمغ، وكانت جميع البقايا الآدمية تشير إلى أنها كانت تخص رجلاً قد مات في أواسط عمره، وهو ما يتضح من حالة أسنانه. ومن أهم الملاحظات الملموسة بالهيكل العظمي أن هناك إصبعين من أصابع القدم صناعية.

وبالإضافة إلى ذلك عثر على عظام حيوانات مثل ثور أو بقرة وجمل وحمار وكلب، كما عثر على قرن وحافر ربما يكون خاصًا بماشية ومتعلقًا به كتان خشن. وعظام تلك الحيوانات ربما كانت جزءًا من الدفن الأصلي.

وأعتقد أن تلك العظام لا تخص الملك سنفرو، فأرى أنه قد دفن في هرمه المنكسر، حيث هناك تم التركيز على عقيدته، ويرقد هناك داخل إحدى الحجرات السرية التي لم تكتشف بعد. ومن أجل الحفاظ على سر كهذا، فإنه لم يخرج عن مجموعة قليلة جدًا من الأشخاص المهمين مثل الملك خوفو ابن الملك المتوفي، والوزير نفر ماعت، وربما كل من الأميرين الشابين عنخ حاف وحم إيونو اللذين أصبحا وزيري خوفو فيما بعد. وربما قد تم إغلاق حجرة الدفن بكتل ضخمة من الجرانيت حتى لا تتحرك أبدًا، وكي تضلل لصوص المقابر عن مكان دفن الملك الحقيقي ويبحثون عنه في هرمه الأحمر بدهشور.

وقد قام الملك خوفو بالاشتراك في مراسيم الجنازة والدفن بنفسه، وذلك في محاكاة لدور حورس على الأرض مع أبيه المتوفي، وهو يؤدي دور رع وأوزير، في حين أدَّت الملكات دور المعبودات حتحور ابنة رع وزوجة حورس، وكل من إيزيس ونفتيس وأخوات أوزير وكبيرات النائحات عليه. وبمجرد إتمام طقسة فتح الفم للمتوفي – وهي الطقسة التي تمنح الحياة بطريقة سحرية لمومياء الملك – فإنه يتم عمل طقوس القرابين كما



■ تمثال الملك سنفرو– حجر جيري ملون– المتحف المصري.

أنها تستمر على يد الـ "حم نثر hmw-ntr" أو خدمة الإله، والتي تتركز وظيفتهم على رعاية احتياجات الإله (وهو هنا سنفرو) والاحتفال بطقوسه والتي تقام بمعبده الجنائزي.

وقد استمرت عقيدة سنفرو حتى الدولة الوسطى؛ أي سبعة قرون بعد وفاته، حيث تركزت عند هرمه المنكسر بدهشور. وفي معبد الوادي عثر على تماثيل لأفراد ومجموعة من اللوحات ومذابح. وقد تمت بعض التعديلات بالمقصورة الموجودة بالجانب الشرقي للهرم على يد مجموعة من الكهنة اللاحقين، كما عثر على مجموعة من مذابح البخور من الدولة الوسطى مهداة للملك سنفرو تركتها عائلة من الكهنة. أما عن المقصورة فمن المحتمل أن ترجع إلى العصر البطلمي، حيث قام مجموعة من الكهنة بإحياء عقيدة الملك القديم، والذي توفى قبلهم بـ2000 سنة. وقد قام العديد من ملوك الأسرة 12 ببناء أهراماتهم بالقرب من آثار الملك سنفرو، كما أنه يوجد العديد من مقابر الدولتين القديمة والوسطى بهذا الموقع. ومع شهرة الملك الكبيرة وتزايد أعداد المريدين له، فقد سمي العديد من أطفال الدولة الوسطى بأسماء ترتبط باسم سنفرو.

وقد اعتبر الملك سنفرو – ومعه كل من المعبودة حتحور والمعبود سوبد– راعيًا حاميًا لمناجم الفيروز بسيناء. وقد قام الملك أمنمحات الثالث سادس ملوك الأسرة 12 بذكر اسم الملك سنفرو في نقش تركه بوادي مغارة بسيناء، وقد ظلت سمعة سنفرو كملك طيب مستمرة حتى الدولة الحديثة، حيث تم إحياء ذكراه على يد أبناء رمسيس الثاني، على يد كتابات المؤرخ الإغريقي هيرودوت، والذي زار مصر في القرن الخامس قبل الميلاد.

وكانت الإبداعات والتطورات التي حدثت بعصره قد مهدت إلى ازدهار المجد والقوة في عصر خليفته الذهبي الملك خوفو.



الباب الثاني

عصر إله الشمس



الفصل الأول

بدايات حكم خوفو

انتهت الجنازة.. ورقد الملك العجوز بهرمه وتم تتويج الملك الجديد.. كل شيء كان وفق النظام.. وجاء الوقت لبدء الدائرة من جديد من أجل اختيار موقع الهرم الذي سيعد بؤرة عقيدة الملك الجديد.. وقد التقى رئيس كل أعمال الملكِ الوزيرُ الجديد حم إيونو –الذي خلف والده نفر ماعت– مع الملك بحجرته الخاصة بقصره بدهشور بعيداً عن المواكب ورسميات حجرة العرش، التي كان الملك القديم يبحث فيها أمور الدولة العامة.. وقد جرى الحوار بين أهم شخصيتين بالبلاد.. وقد قام المهندسون الملكيون بعمل مسح للمواقع المحتملة المختلفة، وأصدروا تقاريرهم وكان على كل من الملك ووزيره اتخاذ الاختيار النهائي فقط.. فعلق حم إيونو قائلاً: "هذا موقع صالح لجلالتك.. تلك الصخرة الواقعة خلف الرمال.. حيث يمكن قطع الأحجار بالقرب من الهرم نفسه وبناء (بن بن) عظيم ليعد شاهدًا أبدياً على قوتكم وعظمتكم.." وأكمل قائلاً: "إن سهل الفيضان ناحية الشرق عريض وخصب وكانت قناة "مينا" تحضر المياه من النهر بالقرب منا.. لذا فإنه يعد المكان المثالي لإقامة هرمكم ومدينتكم"..

وقد وافق الملك الشاب على رأي مستشاره وبدأت الحاشية الملكية في إعداد الارتحال إلى الجيزة لمعاينة الموقع الجديد..

في العام الأول من حكمه، قام خليفة الملك سنفرو بحمل لقب خنوم خوفوي، والذي يعني "خنوم يحميني" وكان لخنوم – صُوِّرَ على هيئة كبش– دوران: فقد كان هو حامي الحدود الجنوبية لمصر ومركز عبادته في أسوان، كما كان هو رب الخصوبة الذي يشكل البشر من الطين، وعبد أولاً بمصر الوسطى بالقرب من المنيا حاليًا. وهناك مدينة قريبة من تلك المنطقة كانت تدعى "منعت سنفرو"؛ أي مرضعة سنفرو وقد تغير اسمها بعد ذلك إلى منعت خوفو؛ أي مرضعة خوفو. وهذا يرجح أن للعائلة الملكية بالأسرة الرابعة اتصالاً ما بتلك المنطقة بمصر، وهو ما جعل الملك خوفو يتخذ هذا الاسم لتأكيد حماية هذا المعبود القوي له.



وما أن وصل خوفو إلى العرش، حتى أضاف لقبه الحوري وكان "مدجدو" ضمن ألقابه.. ويمكن ترجمة هذا اللقب بمعنى "الذي يضرب أو الذي يهاجم" وهو ما يرجح أن خوفو قد وصل إلى العرش مخططًا لاستكمال حملات والده العسكرية الخارجية. وقد ظهر هذا اللقب مع اللقب الـ"نبتي" والـ"نسوبيتي"، والأخير يترجم بـ: "ملك مصر العليا والسفلى". وقد عرف خنوم خوفوي أيضاً في أعوامه الأولى باسم "حور نب رخو" ويعني: "حورس رب المعرفة"، وهو ما يحمل بعد ذلك علاقة بكونه عالمًا ومفكرًا. ومثل أبيه، حمل خوفو لقب حورس الذهبي الذي كان على شكل صقرين يقفان على علامة الذهب.

وقد وفق كل من خوفو وحم إيونو في اختيار موقع الجيزة كموقع العاصمة الجديدة، حيث يقع بالصحراء الغربية وهو الموقع التقليدي للمقبرة الملكية، التي ترتبط بالشمس الغاربة. وكانت جيولوجية الهضبة مثالية لبناء الهرم، حيث تتضمن بروز تكوينات من الحجر الجيري (التي يطلق عليها من قبل الجيولوجيين تكوينات المقطم) والتي يمكن أن تقدم مواد جيدة للمباني الملكية. وهناك ثلاث طبقات تمر عبر الهضبة، اثنتان ضعيفتان بطريقة أو بأخرى واللتان تتضمنان فجوات وكسورًا، أما الطبقة

■ تمثال الملك خوفو- عاج- المتحف المصري.



الثالثة فتتضمن أحجارًا ذات نوعية ممتازة، وتلك الطبقات مفيدة في مجموعها، وهذا دليل آخر على أن المصريين القدماء قد وصلوا لعلم الجيولوجيا ودرسوا صخر الهضبة بعناية، ربما كما تخيلنا بالمقدمة، أن هناك مجموعة من العلماء قد زاروا مواقع مختلفة بالمنطقة قبيل اختيارهم للجيزة.

وهناك قناة رئيسية تجري من الجنوب للشمال عبر سهل الفيضان شرقي الهضبة. هناك أيضًا تقليد يفيد أن تلك القناة قد قام الملك عحا (منى) أول ملوك الأسرة الأولى بشقها، وهي المعروفة حاليًا باسم بحر يوسف. وبداية من الجنوب تسير القناة بمحاذاة النيل لمسافة 200 كم (124 ميلاً) تقريبًا قبل الالتفاف غربًا ناحية الفيوم، ثم الالتفاف مرة أخرى شمالاً عند بحر ليبيا لتصب بالبحر المتوسط قرب الإسكندرية.

■ أهرامات الجيزة.

وكان أول خطوات الإعداد للانتقال للجيزة هو بناء القصر، والأحياء الإدارية ومنازل البلاط. ويبدو أنه كان على الملك وعائلته ونبلائه أن يقيموا مقارهم الأولية. وفيما بين عامي 1988–1994م إبان إعداد وبناء نظام صرف صحي جديد (تحت إشراف هيئة الآثار المصرية) أسفل قرية "نزلة السمان" الذي يتقاطع مع حافة الهضبة، تم الكشف عن بعض الاكتشافات الهامة. وعند النهاية الغربية لسهل الفيضان وحتى النهاية الشمالية للهضبة، كانت توجد تكوينات لمبان ضخمة من الحجر الجيري والتي ربما تعد بقايا قصر خوفو. وعلى امتداد عدة كيلومترات شرقًا، وجنوبًا.. واستطعنا تقصي لمحات من تجمع سكاني من الطوب اللبن ترجع للدولة القديمة، والتي تعد بقايا عاصمة خوفو وخلفائه.



ومع بناء الأحياء السكنية، تم التخطيط لبناء الهرم والمجموعة الهرمية. وكان أحد ألقاب حم إيونو، مثلما حصل عليه والده، المشرف على جميع أعمال الملك؛ لذا فإننا نعرف أنه كان كبيرًا للمهندسين والمسئول عن جميع أوجه بناء الهرم. وقد تم اختيار النهاية الشمالية للهضبة كموقع بناء الهرم نفسه، في حين تركت الناحية الجنوبية لمقابر خلفاء خوفو.

ويمكن تخيل حم إيونو وفريق عمله وهم يرسمون التصميمات، إما على ورق البردي أو على ألواح كبيرة من الحجر الجيري، وذلك لإظهارها للملك؛ وكي تساعدهم في أعمالهم. ومن المحتمل أن يكون هناك نماذج مصغرة قد أعدت، حيث عثر على نموذج لحجرات الدفن

■ تمثال المهندس حم إيونو– حجر جيري ملون– متحف هيلدزهايم.



لملك غير معروف حكم بعد 500 عام داخل معبد هرم دهشور بالأسرة 12. ونعرف أن المصممين (ونحن على يقين أنهم رجال) المسئولين عن تصميم وبناء المجموعة الهرمية كانوا على مستوى عالٍ من التدريب في علم الهندسة، والفلك، والحساب، والفيزياء البسيطة، وذلك كي يتمكنوا من تطبيق أفكارهم.

وكانت أول خطوة لبناء الهرم هي تمهيد الموقع وتحديد المنطقة المطلوبة لإقامة الهرم، حيث نجح المهندسون القدماء في تحديد قاعدة الهرم ونقاطه الأربعة، بزاوية ميل نحو درجة واحدة طبقًا لقواعد فلكية عالية المستوى، وقد اقترح عدد من العلماء الأدوات التي ربما قد استخدمت في بناء الهرم. فعلى سبيل المثال، قام المهندسون القدماء ببناء جدار دائري من الطوب اللبن يرتفع حتى مستوى نظر المرء، وترك مكشوفًا دون سقف، ويقف في

■ منظر عام لهرم الملك خوفو أوائل القرن العشرين.

منتصفه شخص ما، وعلى قمة الجدار يقوم بتحديد المستوى مستخدمًا قناة من المياه، ملاحظًا صعود وأفول نجم معين بالسماء عندما يصعد بالأفق في الظلام وعند الشروق. وباستخدام آلة قياس (تسمى في مصر القديمة مرخيت merkhet) يتم وضع تلك العلامات على الأرض ويتم رسم خطوط تربط تلك النقاط بمنتصف الدائرة المحددة بالجدران. ومع تقسيم الزاوية الظاهرة من خلال خطين، استطاع المصريون القدماء معرفة الشمال الحقيقي.

وهناك طريقة أخرى محتملة اقترحتها عالمة مصريات إنجليزية تدعى كيت سبنس Kate Spence، والتي كانت مهتمة بمعرفة سبب بناء هرم خوفو تجاه الشمال الحقيقي في حين أن أهرام خلفائه لا تقع عليه تحديداً. ونعرف أن للمصريين القدماء اهتمامًا بالغًا بالنجوم القطبية التي يطلق عليها "الخالدة" والتي – طبقًا لنصوص الأهرام – سيلحق بها الملك بعد موته. وفي عام 2476 ق.م التف ألمع نجمين قطبيين وهما Kochab وMizar حول القطب الشمالي، وتم رسم خط بينهما، والذي كان متقاطعًا تجاه الشمال. ومن أجل الوصول إلى الشمال الحقيقي قام أحد المهندسين المصريين باستخدام آلة قياس في الوقت المناسب من الليل، وذلك عندما تقع النجوم الواحدة تلو الأخرى وينتظرها حتى تصطف بشكل مضبوط. ومع تحديد نقاط متعددة على الأرض يتم رسم خط لتحديد الشمال الحقيقي، ويمكن للفلكيين المعاصرين اتباع الأماكن القديمة لتلك النجوم والتي قد تغيرت طبقًا لميل محور الأرض. أما بقية أهرام الدولة القديمة فتنحرف نحو درجات مختلفة من الشمال الحقيقي، في تقاطع مع الانحراف التدريجي لهذين النجمين. وسيكون من الشائق عندما يتم الانتهاء من تنظيف قاعدة الهرم الثالث أن نتأكد من نظرية سبنس.

وهناك تقنية أخرى استخدمت لتحديد اتجاه الشمال وذلك اعتمادًا على الشمس أكثر من النجوم، حيث يتم استخدام قضيب طويل موضوع على الأرض، ويقف رأسيًا بأسلوب بارع من خلال أداة قياس، ويتم تحديد مدى الظل من خلال هذا القضيب نحو 3 ساعات قبل الظهر، كما يتم رسم دائرة باستخدام طول هذا الظل كإشعاع والقضيب كمركز. وبعد مرور 3 ساعات بعد الظهر سيصبح ظل الشمس مرة أخرى الطول المناسب كي يتقاطع مع الدائرة. ومع ظهور الزاوية من خلال تقاطع خطي الظلال، فإنه يمكن الحصول على الشمال الحقيقي.ومع ذلك، فإن تلك الطريقة أقل دقة من الطريقة النجمية، كما أنها لا تحدد الاختلافات الدقيقة التي ظهرت بالدولة القديمة.

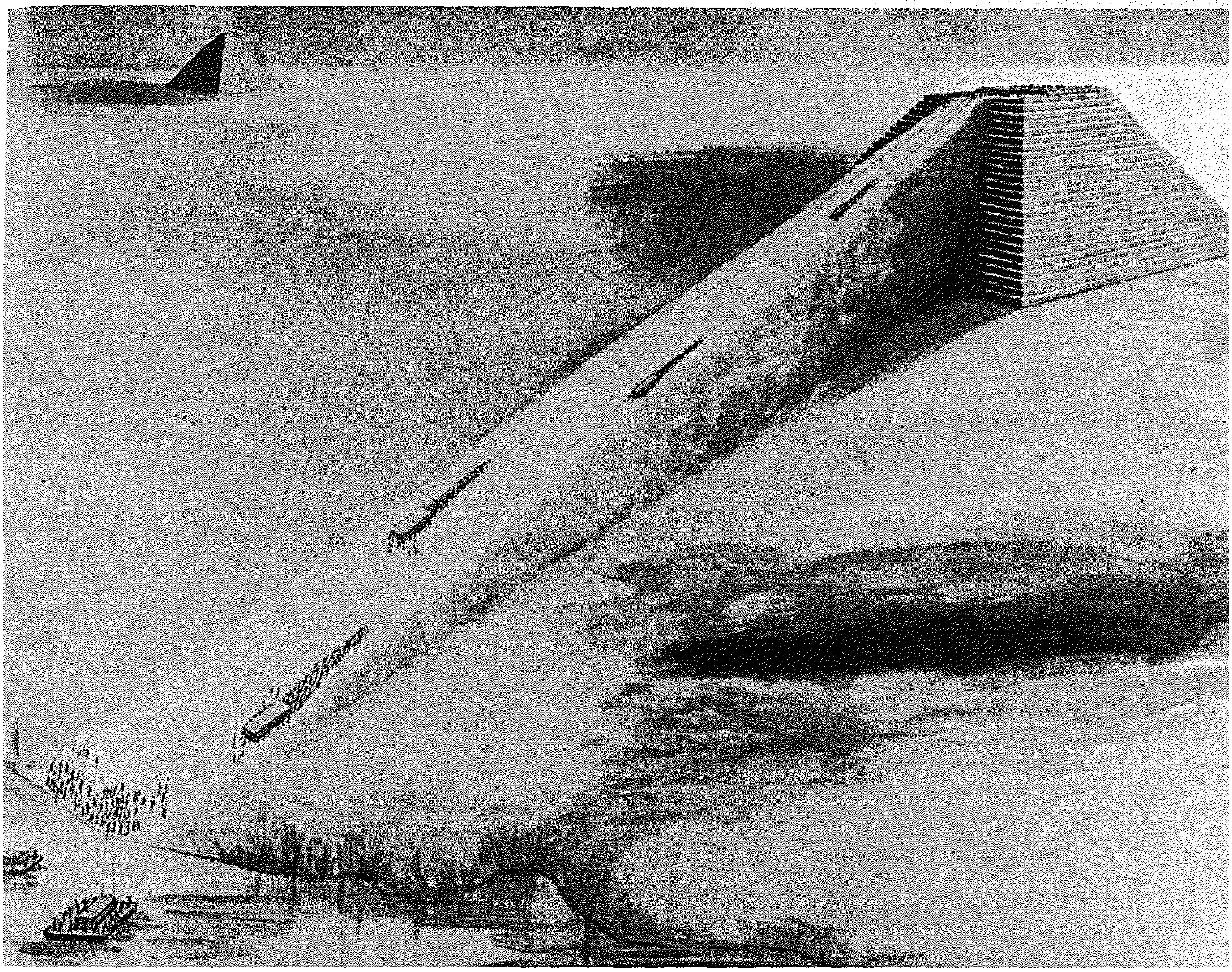
ومع بداية إرساء قواعد الهرم، أقيم احتفال عرف باسم "شد الوتر" وقد عم هذا الاحتفال أرجاء البلاد

متضمنًا فقرات من الموسيقى والرقص وإعداد وتوزيع كميات كبيرة من الطعام على العامة، وكان الملك حاضرًا هذا الاحتفال تساعده المعبودة سشات ربة الكتابة والقياس في مصر القديمة والتي كان أحد ألقابها "سيدة البناء". وهناك طقس آخر يتم القيام به في ذلك الاحتفال وهو التضحية بحيوان، حيث يتم نحره وتقطيعه إلى قطع وتوزيعها على الأربعة أركان الخاصة بالهرم، ثم تغطى بالرمال النقية، كما يتم تقديم بعض القرابين مثل بعض الأواني والطاولات الصغيرة والمسجل عليها اسم صاحب الهرم. ومن المحتمل أن تلك الطقوس تعود أصولها إلى فترة مبكرة جدًا.

ومن خلال عدد من البرديات التي نجت من عوامل الزمن، عرفنا أن المصريين القدماء كانت لديهم معرفة عملية عالية المستوى في مجال الرياضيات. و لم يكن لديهم القدرة – كما نعتقد– على استنباط نظريات مركبة، إلا أنهم قد تمكنوا من استخدام الحساب والهندسة للوصول إلى مقاييس مضبوطة. فقد تفهموا فكرة الرقم واحد وتمكنوا من حساب مساحة المثلث والمربع والدائرة؛ لذا، فإنه من الممكن لديهم – وذلك باستخدام مبادئ رياضية أساسية وهندسية بسيطة – أن يخططوا لبناء الهرم الأكبر بدرجة عالية المستوى من الدقة.

وبمجرد إعداد المحور الشمالي الجنوبي، فإنه قد تم تحديد قاعدة الهرم. وكانت الأدلة التي عثر عليها حول الهرم الأكبر نفسه وحول الهرم الجنوبي من أهرام الملكات تمدنا بفكرة واضحة حول التقنيات الهندسية المستخدمة في بنائه.. ففي بادئ الأمر يتم عمل خط شمالي جنوبي بطول جانب الهرم (غالبًا الجانب الغربي). ومن أحد الأركان يتم عمل مربع بزاوية 90° درجة. وهناك طرق عدة والتي استخدمها المهندسون في تحديد تلك الزوايا القائمة بشكل دقيق، إما باستخدام نموذج لمربع، والذي عثرنا على أمثلة منه من عصور متأخرة من التاريخ المصري، أو باستخدام مثلث فيثاغورث، أو باستخدام أقواس متقاطعة. وتشير حفرات الأعمدة التي عثر عليها بطول الجانبين الشرقي والغربي للهرم الأكبر إلى أن خط التحديد قد امتد خارج مساحة القاعدة نفسها، وهو ما يمنح مقاييس دقيقة بطول كل جانب. ويبدو أن مهندسي الهرم قد تعلموا جيدًا من هرم دهشور؛ لذا أصبحت الجوانب الأربعة متساوية بقرابة 20 سم.

ومع وصول مهندسي خوفو إلى الجيزة، كانت منطقة الهضبة والتي اختاروها لبناء هرمه قد مالت لدرجة كبيرة. وكانت قاعدة الهرم تصل إلى 230 م^2 (755 قدمًا)تقريبًا، وهو ما يعد أكبر مساحة بنيت عن أي هرم بني من قبل أو من بعد. فقد تم التخطيط لميل الهرم بنحو 51° درجة و52' دقيقة، وهو ما يصل بالهرم عند



الانتهاء من بنائه إلى ارتفاع مذهل نحو أكثر من 146.5م (482 قدمًا)، وهو ارتفاع مبنى مكون من 30 طابقاً. ومن أجل عمل سطح مستو لإقامة مثل هذا المبنى، تم نقل كميات مهولة من صخر الهضبة – ما بين 7 إلى 10 أمتار (33 قدمًا) بعيدًا عن النواة التي تركت ظاهرة في المنتصف. وكانت الأدوات والوسائل التي استخدمها العمال لنقر تلك الصخور بسيطة ولكن فعّالة، حيث كانت الفجوات تنقر في الصخر بواسطة أزاميل نحاسية. وباستخدام مطارق حجرية، وكان يتم وضع عروق خشبية داخل تلك الفجوات، ثم يتم غمرها بالمياه. فكان تمدد الخشب يسبب تشققًا في الحجر بطول خطوط الصدع الطبيعية، مما يسهل انفصالها بسهولة من الصخرة الأم.

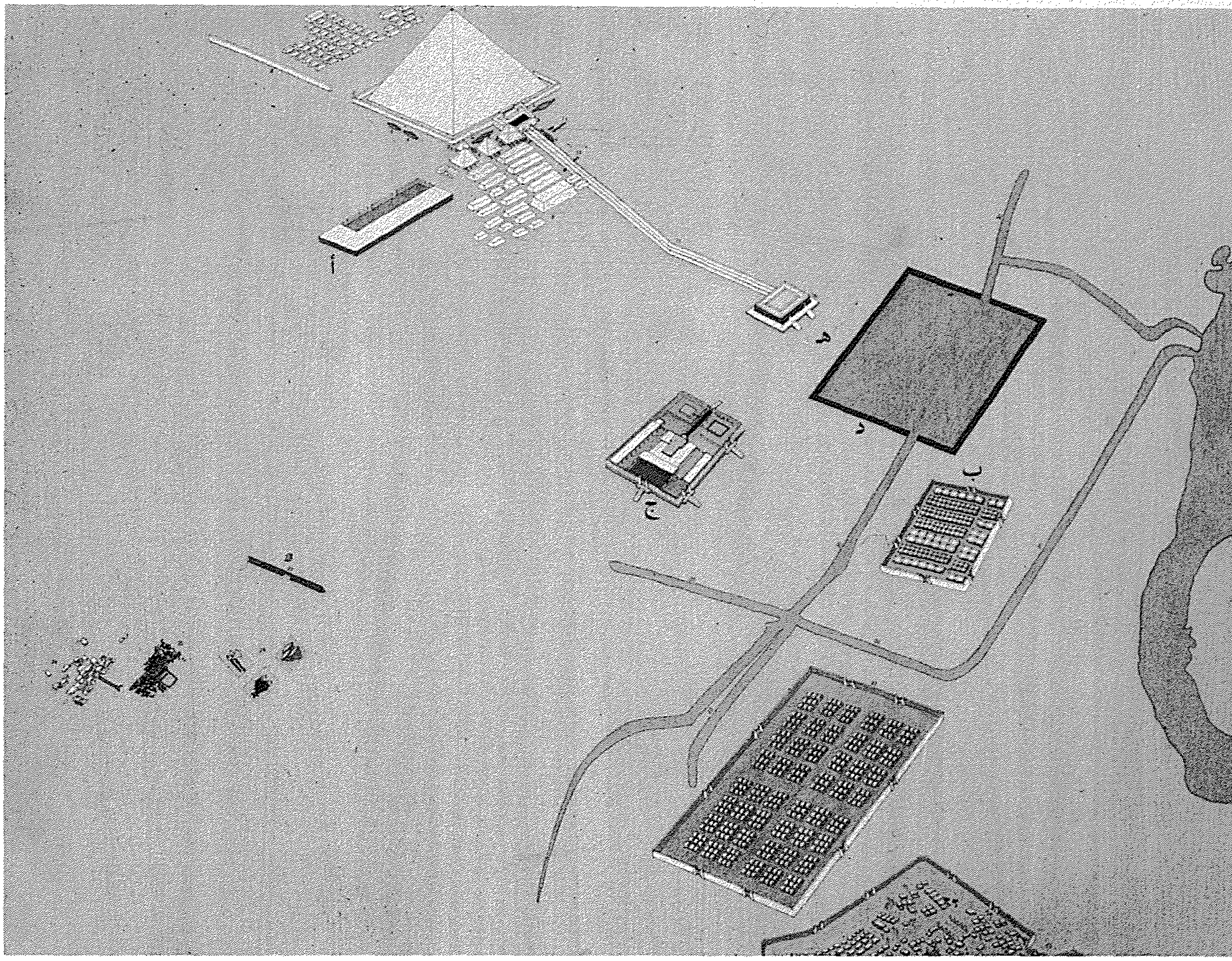
وحول قاعدة النواة السفلى للصخرة الأساسية، تم بناء رصيف مصنوع من الحجر الجيري الأبيض الجيد

■ منظر تخيلي للطريق الصاعد الذي كانت تنقل عليه الأحجار من الميناء.

المجلوب من محاجر طره (عبر النهر ونحو الجنوب)، وهذا الرصيف قد مهد جيدًا ليسمح بعمل أساس دقيق للهرم. وقد كان من المعتقد أن تقنية التسوية باستخدام قنوات المياه التي من خلالها تم عمل خط أفقي دقيق عن طريق وضع علامة عند المستوى العلوي لمياه القناة، ومع ذلك، فإنه من الصعب نقل قدر المياه المطلوب والحفاظ عليه قبل أن يتبخر من أجل استخدامه في القياس، ويبدو أنه قد تم استخدام ما يسمى بزاوية النجار وذلك لتحديد عملية التسوية، وتلك الأداة على شكل "حرف A" ذات أرجل متساوية في الطول وقضيب متقاطع ذي علامة في المنتصف. ويتدلى من تلك النقطة ثقل والتي تتصل بالأرجل. وعند تقاطع الثقل مع علامة المنتصف بالقضيب المتقاطع، فإن السطح الذي وضع به المربع يكون مستويًا. وفي حقيقة الأمر، فإن الركن الجنوبي الشرقي للهرم الأكبر يصل إلى 20سم (0.79 بوصة)تقريبًا أعلى من الركن الشمالي الشرقي، وهو ما يمثل صعوبة في الاعتقاد باستخدام نظرية المياه من عدمها، ولكنه يدخل ضمن هامش الخطأ المسموح به في حال استخدام آلة المربع الخشبي.

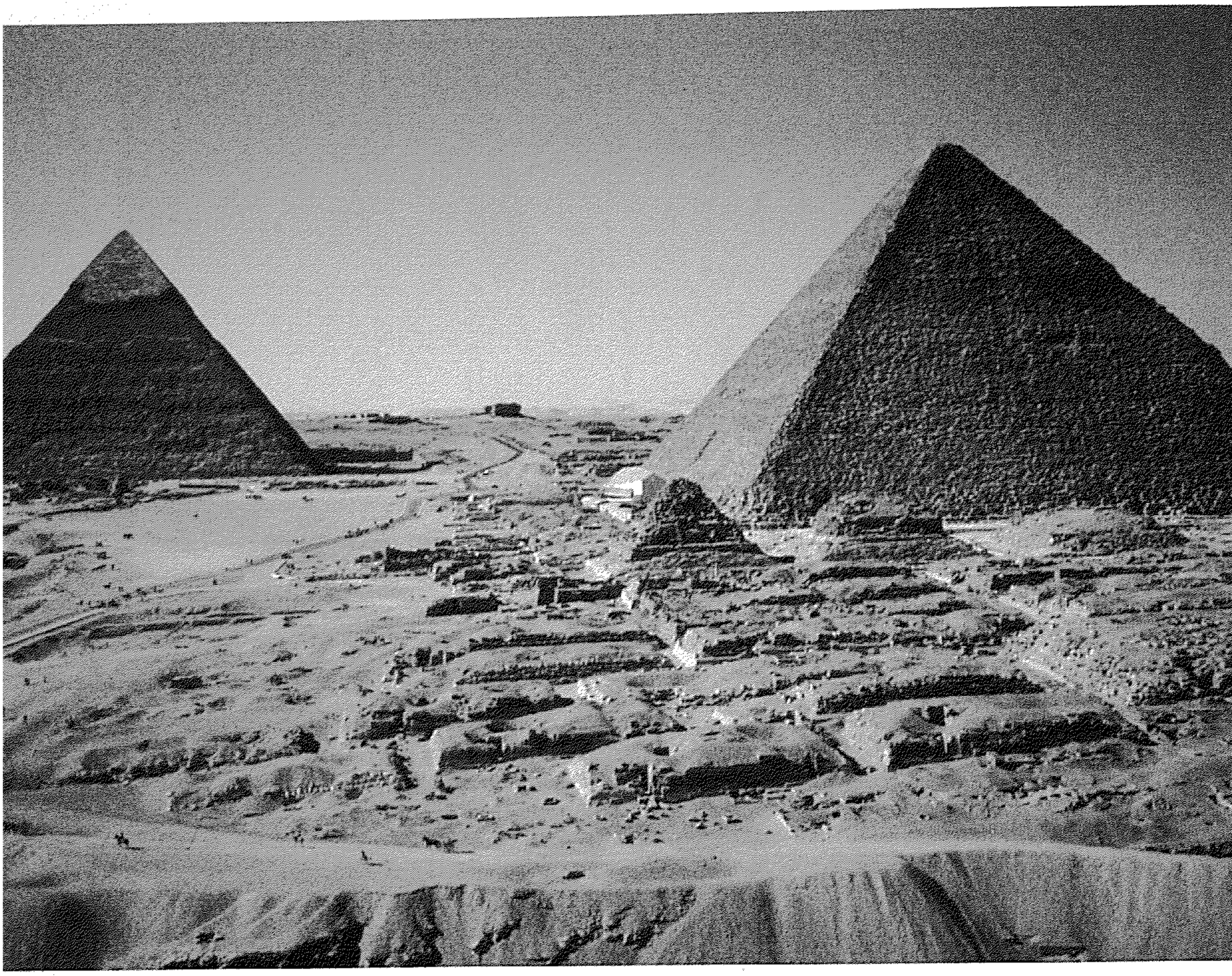
ومع إعداد الرصيف وبروزات الصخر بشكل جيد، فإنه يتم عمل مراسم وضع الأساسات، وبدء العمل بشكل جدي. وقد حددت المحاجر على مسافة 200 متر(620 قدمًا)تقريبًا جنوبي الهرم. كما تم بناء منحدر يسير من هذا المحجر حتى الركن الجنوبي الغربي من قاعدة الهرم. وفي عام 1990م، وخلال عمليات التنظيف حول الطريق الحديث المحيط بالهرم الأكبر، عثرنا على جزأين من هذا المنحدر ومن خلالهما نجحنا في إعادة تكوين الشكل الأصلي له، فقد بني من الطوب اللبن والركام، ويصل عرضه إلى 3 أمتار (10 أقدام)تقريبًا. وعند نهاية هذا المنحدر المستقيم، والذي ربما كان يصعد تدريجيًّا باتجاه الهرم، كان هناك منحدر حلزوني قد شق طريقه حول جوانب الهرم الأربعة، ويصعد مع صعود الهرم نفسه. وقد ظهرت نظرية جديدة على يد المهندس الفرنسي Jean-Pierre Houdin، والذي يقترح وجود منحدر حلزوني يقع داخل واجهة الهرم الخارجية مباشرة. وقد عقدنا ندوة لمناقشة هذه النظرية ووجدنا أنه لا يوجد أي دليل على صحتها.

وعودة إلى المحجر، حيث تم شق قنوات عريضة عبر الصخرة الأم، حيث تم نقر قنوات أقل عرضًا بالأحجار المتروكة جانبًا؛ من أجل تقسيمها إلى كتل لاستخدامها في نواة الهرم. ومع انفصال إحدى الكتل عن الصخرة الأم، يأتي العمال بروافع خشبية لنقلها من مهدها، ثم يتم وضعها على محفات خشبية ويتم نقلها عبر منحدر الإنشاء إلى موقع الهرم. وقد أشارت تجارب حديثة إلى أنه قد تم الاستعانة بما بين 10 إلى 12 رجلاً لجر كتلة تزن 2 طن مستخدمين حبالاً للنقل والمياه للتزييت.



ويبدو أن الهرم قد بني خطوة فخطوة ليصعد ببطء نحو السماء. وكأفضل طريقة لبنائه، تم وضع كتل النواة في أماكنها كما ملئت الفجوات بينها بمواد حشو (كأحجار صغيرة) وبعدها يتم وضع أحجار الكساء في أماكنها. وكان الكساء المعد من الحجر الجيري الأبيض الجيد يتم جلبه إلى الجيزة من طره، وكان يتم تعيين رؤساء على جوانب الهرم من أجل تسهيل عملية الكساء، ويبدو أنه كان يتم إعداد كتل القاعدة وجانب واحد من الكساء فقط قبل وضعها بأماكنها، أما الجانب الثاني والقمة فكان يتم إعدادها بأماكنها. وكان يتم نقر خط بقمة كتلة الكساء لتحديد النقطة التي ستبدأ منها الواجهة الخارجية المنحدرة، وهو ما يعد سندًا فيما بعد عندما يتم صقل تلك الواجهة؛ وذلك من أجل إعداد كساء مسطح لامع أبيض. ومع صعود الهرم، فإن العمال يستخدمون خطوطًا قطرية بسيطة للتأكد من أن هذا البناء سيظل متوازنًا.

■ رسم تخيلي للمجموعة الهرمية للملك خوفو.



ومع بداية صعود الهرم، تم نقر ممر هابط بالصخرة الأم، يبدأ من الشمال حتى الجنوب بطول 23م (76 قدمًا) تقريبًا بمحور شمال–جنوب. ويقع مدخل هذا الممر فوق مستوى الأرض بالواجهة الشمالية للهرم، وينحدر لأسفل نحو أغلب طوله، حتى يستوي ويصل إلى حجرة مستطيلة منقورة بطريقة خشنة؛ تلك الحجرة كان المخطط الأصلي لها أن تكون هي الحجرة التي سيدفن بها الملك، ومن فوق كان الهرم، والذي صمم على شكل البن بن المقدس، قد عمل على إرشاد الروح المبجلة للملك إلى السماء. ومع ذلك، فإن تلك الحجرة لم تكتمل قطُّ، ومازالت جدرانها خشنة وغير مكتملة. وهناك ممر يتجه جنوبًا من الجدار الجنوبي وهو أيضًا قد ترك دون اكتمال ويؤدي إلى طريق مسدود. ويبدو أنه كان بداية ممر لحجرة ثانية والتي لم تبن مطلقًا.

وفي الوقت الذي نقرت فيه الممرات والحجرات الواقعة تحت الأرض، كما تم عمل الطبقات السفلى من الهرم، فإن هناك عناصر أخرى قد تم البدء في بنائها بالمجموعة الهرمية. فحول الهرم تم التخطيط لجدار ذي ارتفاع 3

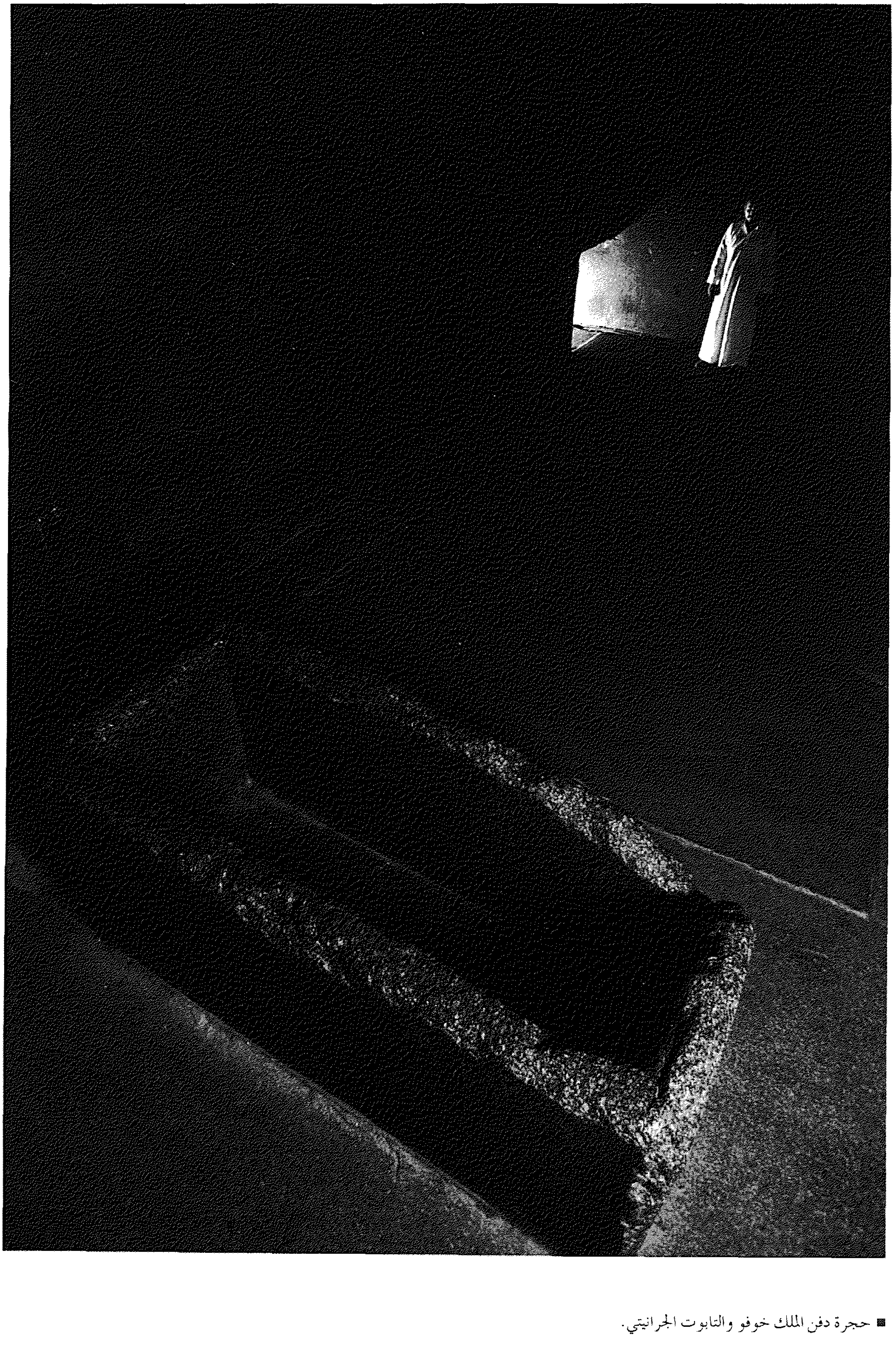
■ منظر لهرم خوفو والجبانة الشرقية أهرامات ملكات خوفو– هضبة الجيزة.

أمتار (10 أقدام) تقريبًا من الركام الحجري، ويعتقد بعض العلماء أن هناك مقصورة صغيرة مفتوحة قد بنيت أمام منتصف الجانب الشرقي لهذا الجدار. ويقع المعبد الجنائزي، أو المعبد العلوي، إلى الشرق من الهرم خارج السور المحيط الداخلي. وهذا المبنى هو عبارة عن مقصورة صغيرة ذات أرضية من البازلت، وجدران من الحجر الجيري الجيد.. وقد خطط لحفر حفرتين على شكل مركبين كبيرين، إحداهما ناحية الشمال والأخرى ناحية الجنوب من المعبد الجنائزي، وفي مواجهة الواجهة الشرقية للمعبد الجنائزي، يبدأ طريق صاعد والذي يسير طول المسافة حتى طرف سهل الفيضان، حيث يوجد معبد الوادي، وإلى الشمال من الطريق الصاعد قرب نهايته العليا، توجد حفرة مركب ثالثة والتي خصصت لحتحور.

وكانت إحدى أولويات العمال هي إنهاء الميناء الذي يقع عند حافة معبد الوادي، والمتصل بقناة "مينا" الرئيسية بواسطة مجموعة من القنوات الصغيرة. ومن خلال تلك الممرات المائية فإنه يتم توصيل كل من الأدوات والمواد البنائية (مثل الحجر الجيري الجيد من طره) بالإضافة إلى العمالة وإلى المجموعة الهرمية. وكان القصر الملكي والمدينة الإدارية تقعان بالقرب من تلك المجموعة.

وعودة مرة أخرى إلى الهضبة العليا، حيث خطط خوفو لإقامة ثلاثة أهرام جانبية لملكاته، وهرم رابع عقائدي صغير، وقد قضت التقاليد لوضع تلك الأهرام جنوبي الهرم الرئيسي، إلا أن منحدر الإنشاء القادم من المحجر كان يقع في ذلك الطريق؛ لذا فقد كان عليه إقامتها ناحية الشرق بدلاً من الجنوب، وكان كل هرم من تلك الأهرام له مقصورته الصغيرة وحفرة المركب الصغيرة الخاصة به. أما الهرم العقائدي الذي يقع في الجنوب الشرقي من هرم خوفو والذي بني على شكل هرم، قد بني من قبل إلى الشمال من الطريق الصاعد على شكل مبنى صغير متشابهاً مع مبنى هرم خوفو نفسه. وكانت الأهرامات العقائدية تأخذ واحدًا من هذين الشكلين.

وإلى الجنوب من هذا الهرم الأخير، خطط مهندسو خوفو لإقامة منطقة للورش، تلك المنطقة التي يتم نحت التماثيل وعمل النقوش المطلوبة للمعابد، كما تتم صناعة الأدوات المستخدمة للطقوس الهامة، وفي منطقة أخرى، كان المكان الخاص بتحنيط مومياء الملك. وعلى مسافة ناحية الجنوب، عند النقطة التي يقطع بها الوادي هضبة المقطم والتي تحدد الحد الجنوبي للهضبة، أقيم جدار، والذي يعرف حاليًا باسم حيط الغراب والذي يعتبر حدود الأماكن المقدسة. وخلف هذا الجدار تقع منازل ومخابز وورش العمال الذين خدموا في بناء الهرم الأكبر. وأعتقد



■ حجرة دفن الملك خوفو والتابوت الجرانيتي.



أن هناك نحو قريتين بارزتين، الأولى تضم أكواخًا بسيطة للعمال القادمين من جميع أنحاء البلاد للعمل في خدمة مليكهم، والثانية تضم منازل الحرفيين والمشرفين ضمن الخدمة الدائمة للبيت المالك. وإلى الغرب من تجمع العمال على المنحدرات وعند حافة الهضبة الواقعة جنوبي حيط الغراب، توجد جبانة والتي كانت مخصصة لدفن الحرفيين وصغار الموظفين والعمال المسئولين عن أعمال البناء بالهرم، هم وعائلاتهم.

ومنذ بداية عهد الملك خوفو، تم تعبئة أعداد كبيرة من المعماريين والمهندسين والمشرفين والعمال، بالإضافة إلى محجر الحجر الجيري الواقع بالجيزة نفسها، كان يتم إرسال بعثات لمحاجر عديدة أخرى لجلب أنواع أخرى من الأحجار المطلوبة للمجموعة الهرمية، فكان الحجر الجيري الأبيض الجيد يتم إحضاره من طره، كما ذكرنا من قبل. وكان الاستخدام الأساسي لهذا الحجر هو كساء الهرم وتحويل واجهته من مجرد سطوح خشنة إلى سطح أملس ناصع البياض، وكان الحجر الجيري المجلوب من طره يستخدم أيضًا كسطح مغطى بالنقوش التي تزين

▪ جماعة من البدو والضعفاء– حفائر المؤلف– أبو صير.

المعابد والطريق الصاعد، كما كان يستخدم في نحت التماثيل. وقد عثر على علامات تحديد بأحجار هذا المحجر ترجع للأسرة الرابعة، كما يوجد طريق لنقل الأحجار عليه في المنطقة الواقعة شرق الهرم الثاني وجنوب هرم خوفو يصل في بعض الأحيان إلى ارتفاع 10 أمتار (33 قدمًا) تقريبًا والذي يشهد على الكم الكبير للأحجار التي يتم نقلها من هذا الموقع.

أما البازلت الصلب الرمادي اللون، والذي كان يستخدم في رصف المعابد، ويتم جلبه من الفيوم والواحات البحرية وكان البازلت الأسود يشير إلى أن الملك قد أعطى خصوبة للأرض، في حين أن الألباستر المصري كان يجلب من منطقة حتنوب بمصر الوسطى، وكان يعني ارتباط الملك بعقيدة الشمس. وكان الديوريت يحضر من الصحراء الغربية للنوبة وشمال غرب منطقة توشكي والتي تقع على بعد 750 ميلاً من الجيزة. وكان خشب الأرز المستخدم في صناعة المراكب والأثاث والأغراض الجنائزية الأخرى، يتم جلبه من جبال لبنان عبر ميناء بيبلوس (جبيل) التجاري. أما الجرانيت الوردي البديع الذي استخدمه خوفو في تبطين حجرة دفنه وصناعة تابوته، فقد أحضر من محاجر أسوان بحدود مصر الجنوبية. وكان كل من النحاس والفيروز يتم جلبهما من مناجم سيناء، في حين يتم إحضار الذهب من الصحراوات الجنوبية.

وكانت تلك المحاجر جميعها تتطلب طاقة بشرية ضخمة وقدرة هائلة على التنظيم، وكانت الأدوات المستخدمة في الحفر بسيطة نوعًا ما، حيث المطارق الحجرية والملاقط والأزاميل النحاسية والروافع الخشبية؛ لذا فكان اقتلاع قطعة حجر يتطلب عددًا كبيرًا من ساعات العمل، وهناك منظر قديم من موقع قريب من المحجر الملكي بطره ينقل لنا صورة جيدة حول عملية النقل، حيث تظهر كتلة ضخمة من الحجر الجيري على محفة خشبية يسحبها ثلاثة أزواج من الثيران، في حين كان الطريق من المحجر إلى النيل -حيث يتم شحن الكتل على مراكب- ممهدًا بالطين والمياه، وبعدها يتم نقل المواد الخام إلى الجيزة، حيث يتم إحضارها إلى ميناء تصل بعد ذلك إلى حافة المجموعة الهرمية، وكان يتم الاستعانة بالجنود لحماية تلك المواقع، وخاصة تلك التي تقع خارج الحدود المصرية التقليدية.

وهناك مناظر من مناجم سيناء من عهد خوفو تمثل الملك – مثلما فعل والده – ممسكًا بالصولجان الملكي ويسحق البدو الذين هاجموا بعثته. كما يمكن أن نرى منظرًا من الطريق الصاعد لهرم ساحو رع من الأسرة الخامسة (2506 ق.م)، والذي تم الكشف عنه إبان حفائر المجلس الأعلى للآثار (بأبو صير) جنوبي الجيزة، حيث يظهر به جماعة

من البدو الضعفاء والمجلوبين إلى قاعة محاكمة ليحاكموا أمام مجلس ملكي، ويبدو أن تلك الجماعة من البائسين التعساء قد أقدموا على مهاجمة بعثة المحاجر الملكية.

ومنذ بداية حكمه، قام خوفو بتعبئة عدد كبير من القوة البشرية كي تعمل على بناء مجموعته الهرمية، ولابد أنه كان على درجة عالية من الحظ لحصوله على مجموعة من الحرفيين والمشرفين والعمال، الذين قد اكتسبوا خبرة كبيرة من خلال العمل بأهرام والده الملك سنفرو، وهو ما جعل انتقالهم إلى الجيزة أمرًا يسيرًا، وجعلهم يصبون كامل خبراتهم العالية في هذا المشروع الجديد. وتقوم حفائرنا الحالية والمقامة جنوبي حيط الغراب –والتي كان الرجال والنساء الذين اشتركوا في بناء الهرم قد عاشوا وعملوا ودفنوا بها– بإلقاء أضواء جديدة على نشاطات خوفو المتعددة؛ فنحن نتعلم معلومات هامة عن هؤلاء العامة، الذين كونوا الطبقات السفلى من هرم المجتمع المصري، وسوف نتعلم أكثر عن هؤلاء الرجال والنساء في الباب الرابع، عندما نلتقي ببناة الأهرام.

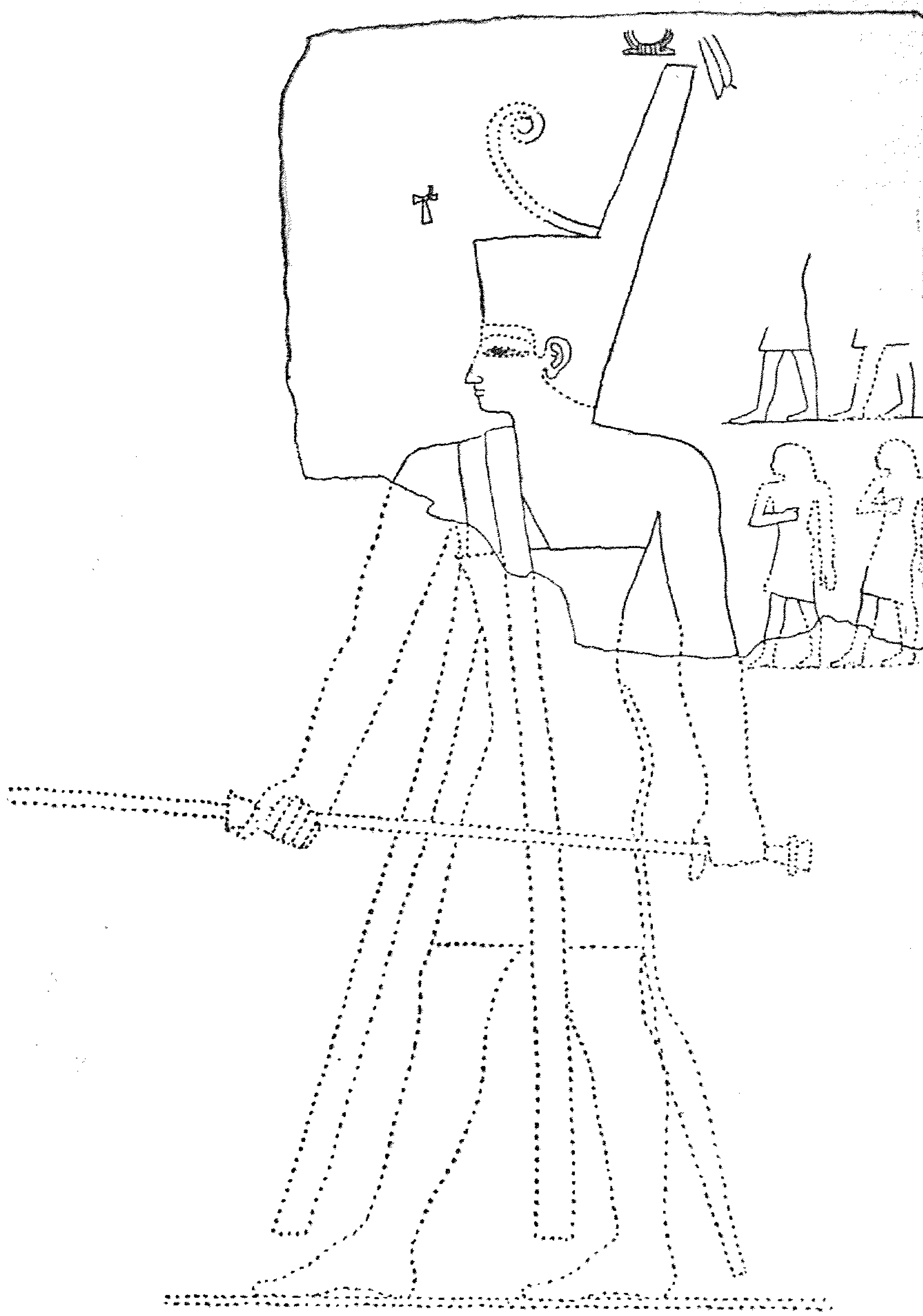
الفصل الثاني

ثورة في العام الخامس

سار العمل بالهرم الجديد ومجموعته بسرعة وكل شيء على ما يرام.. وكان حم إيونو يأتي بتقاريره إلى الملك كل يوم، يخبره بأن العمل قد تم والمكافآت قد دفعت... إلا أنه مع اقتراب الذكرى الخامسة لتولي العرش، شعر الوزير بأن شيئاً يؤرق مليكه... وفي يوم ما طلب خوفو من حم إيونو أن يحضر إلى حجرته، وجلس الملك على كرسي بسيط من الخشب الثمين المطعم بأسمائه وألقابه مرتدياً غطاء رأس "النمس" واستقبل وزيره الذي انبطح على الأرض، ثم قام منتبهاً.. فقال له الملك :" لقد كنت أفكر.. كنت أدرس النصوص القديمة وأنا على يقين بأننا قد سلكنا طريق الماعت وأغفلنا إرادة الأرباب الحقيقية..

لا نعرف السبب في ذلك، ولكن في العام الخامس من حكم الملك خوفو تم تعديل تصميم مجموعته الهرمية، حيث تركت حجرة الدفن الواقعة تحت الأرض كما نقل بعض من الركام الحجري بها فقط، ثم البدء في عمل ممر جديد صاعد عبر جسد الهرم، وكان هذا الممر يؤدي إلى حجرة عليا بالهرم والمعروفة حاليًا خطأ بحجرة الملكة. وقد تم التخطيط لعمل ممر صاعد – إما في نفس الوقت أو كتعديل آخر بالتصميم الداخلي– الذي يعد معجزة معمارية، والذي يعرف بالبهو العظيم، والذي يصل إلى حجرة الدفن الثالثة، والتي تعرف بحجرة الملك، حيث تحتوي على التابوت الجرانيتي للملك. وقد تم توسيع المعبد الجنائزي، حيث كان قطع أحجار تلك المباني قد ترك كما هو بالصخرة الأم. وقد تغير أيضًا المدخل العلوي للطريق الصاعد، ومن أجل اتصاله بمعبد الوادي، تم تعديل مساره في بعض أجزائه.

وتلك التعديلات كانت في الأغلب متصلة بتغيير في العقيدة الملكية، واستمرار لصراع سنفرو مع كهنة رع بهليوبوليس، وربما كان الكهنة يقومون بنوع من الضغط على الملك لتحقيق مطالبهم ومحاولتهم جعله يتبع النظام الذي وضعوه له، أو على الأرجح أن خوفو قد أراد التأكيد على أن ثروات البلاد ستتجه نحو الجيزة وليس هليوبوليس. وعلى أي حال فمن المحتمل أنه في العام الخامس من حكمه، أعلن خوفو نفسه ربًا للشمس.



ونظرًا لعملية التوسيع فقد قام المهندس المعماري بترك قاعدة الهرم الشمالية التي تعرف باسم Trial Passage و لم يبن عليها جسم الهرم، وقد قام بعد ذلك بنقله إلى جنوب شرق الهرم الأساسي أمام الهرم GI-C مباشرة.

وهناك دليل على حدوث هذا التغيير، وهو الاسم الذي اختاره خوفو لمجموعته الهرمية، ألا وهو آخت خوفو؛ أي أفق خوفو ولذا، فقد عرف نفسه مباشرة برب الشمس وذلك عن طريق نقل حجرة دفنه إلى موقع أعلى بقلب الهرم، وهو ما يمكنه من الشروق والغروب مع الرمز المقدس للبن بن، مثلما يشرق رع ويغرب على نطاق أكبر بالكون، وقبل عهد والده سنفرو، كان ملوك مصر يدفنون تحت الأرض. أما في دهشور وفي الجيزة فقد أصبح الملك رع الذي يشرق فوق الأفق.

ونعرف المزيد عن عقيدة خوفو من خلال ما نعرفه عن وظيفة مجموعته الهرمية، والتي هي نفسها تمثل صعوبة في إعادة تكوينها. وكانت زخارف المعابد والطرق الصاعدة -والتي يمكن استقاء المعلومات منها- قد سقطت

■ بقايا منظر للملك خوفو من المجموعة الهرمية للملك بالجيزة.

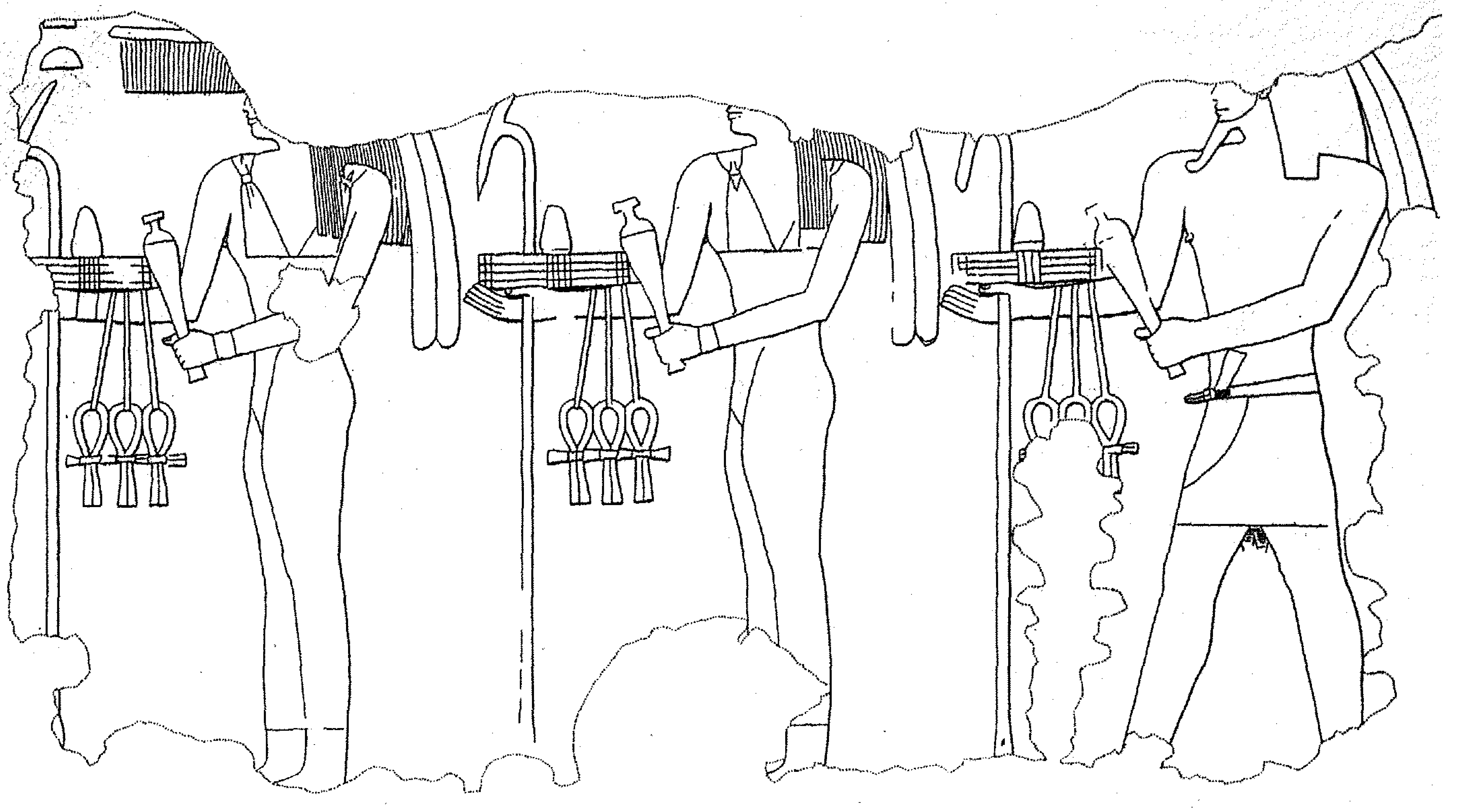
من على الجدران وتهشمت إلى قطع عبر قرون من وفاة خوفو. لذا؛ يجب علينا محاولة فهم البقايا وذلك من خلال معاينة العناصر المعمارية والزخرفية المشابهة الباقية بمكانها بالمجموعات الهرمية الأخرى من الدولة القديمة، بالإضافة إلى الاستعانة بالمصادر الكتابية مثل نصوص الأهرامات المنقوشة بحجرات الدفن بالأهرام اللاحقة.

وما بقي لنا من زخارف مجموعة خوفو الهرمية فقد عثر عليه حول المعبد الجنائزي والطريق الصاعد وأهرام الملكات، ومن الركام الداخلي لهرم أمنمحات الأول من الأسرة الثانية عشرة (1991–1962 ق.م) باللشت. وقد تصادم العديد من العلماء طيلة أعوام لتحديد الأماكن الأصلية التي يحتمل أن تكون بها تلك النقوش بالمجموعة الهرمية لخوفو.

وكان من المفروض أن يتم دخول المجموعة من الناحية الشرقية عبر معبد الوادي الواقع بسهل الفيضان عند حافة الهضبة. وفيما بين أعوام 1988–1994م أثناء إعداد مجسات وحفر خنادق لوضع مواسير صرف جديدة أسفل قرية "نزلة السمان" كجزء من مشروع ترميم أبو الهول، تم الكشف عن بقايا هذا المعبد بموقع فيلا خاصة بالقرب من ترعة المنصورية. ولسوء الحظ، فإننا قد واجهنا العديد من الصعوبات مع ساكني تلك المنطقة؛ لذا لم نطلب إزالة الفيلا. وقد نجحنا في تقفي أثر طول الرصيف البازلتي من الشمال للجنوب والذي كان بمثابة أرضية المعبد، ولكننا لم نستطع الكشف عن عرضه كاملاً، لأنه يسير أسفل تلك الفيلا. وعلى أي حال، فإن معرفة موقعه يعد أمرًا في غاية الأهمية لفهم تكوين المجموعة، ونعرف حاليًا أن هذا المعبد قد بني من البازلت الأسود، وإن كان له انعكاس أخضر والذي يرمز إلى الخصوبة.

وقد تم الكشف عن عدد من بقايا المناظر بمنطقة اللشت، والتي تنتمي لهذا المعبد متضمنة مناظر لممثلي الأقاليم ذكورًا وإناثًا، وهم يحملون القرابين. وقد عثر على مثل تلك المناظر بمعبد الوادي الخاص بالملك سنفرو. وكان هذا المعبد بمثابة مدخل لمجموعة خوفو الهرمية، حيث كان يتم إحضار القرابين من أقاليم خوفو إليها، وهناك بقايا أخرى تتضمن ألقاب خوفو يعلوها جناح صقر، وبجانب خرطوش خوفو يوجد رأس لأجنبي وهو ما يرجح أنه جزء من تمثال للملك يقف فوق هذا النقش.

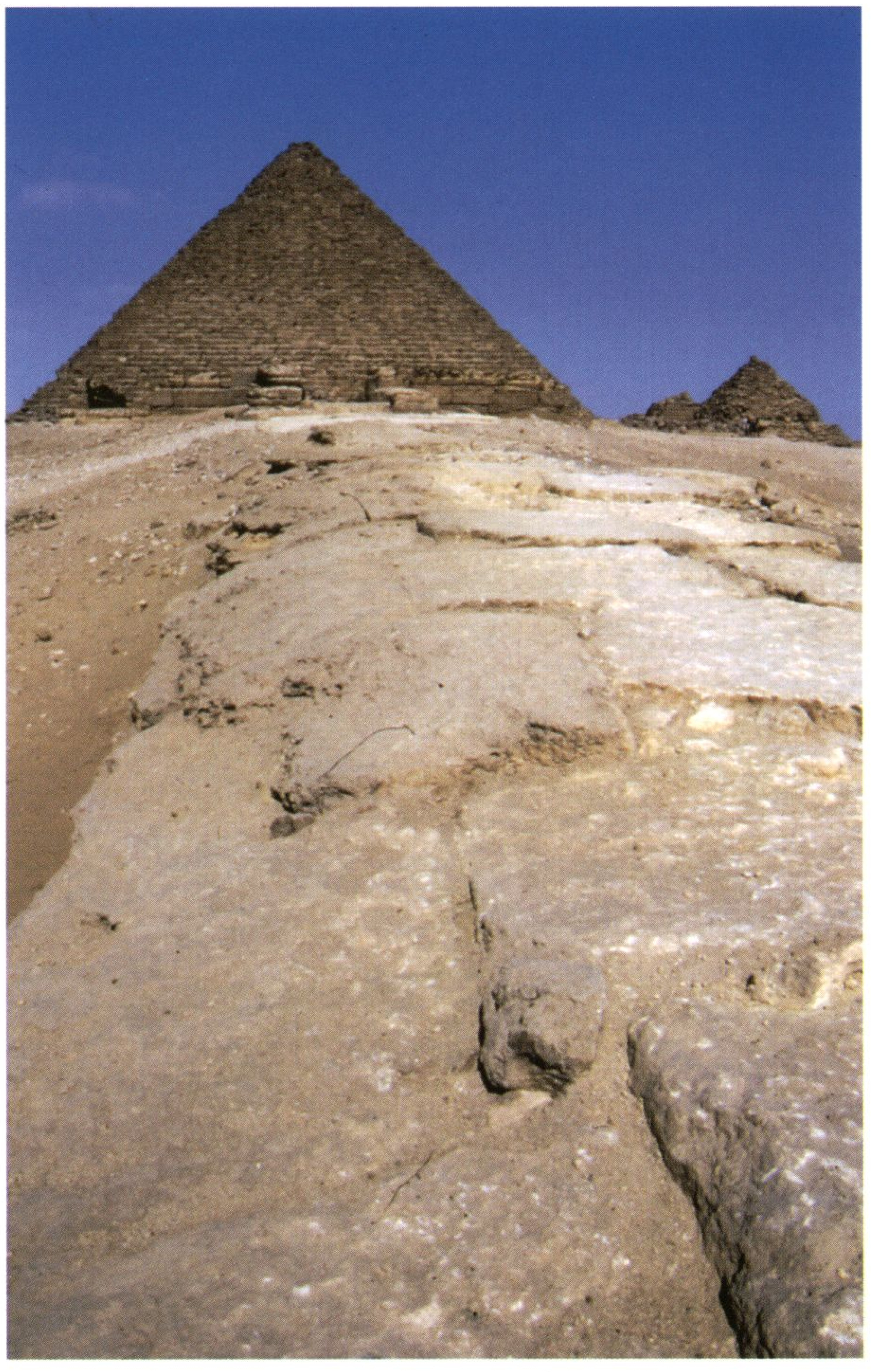
وهناك منظر آخر يمثل خوفو مع مجموعة من الأقوام الأجنبية، وهذا المنظر هو الأول من نوعه والذي يظهر بمجموعة هرمية. ومثل تلك المناظر قد عثر عليها بالمجموعات الهرمية للأسرتين الخامسة والسادسة، يكون موقعها



بمعبد الوادي أو الطريق الصاعد والتي كانت بمثابة علامات محددة للأماكن المقدسة، وفي الوقت الذي يُعَبِّر فيه الأجانب عن الفوضى التي يجب أن تكون بعيدة عن الحدود المصرية، فإنه من الناحية الرمزية كذلك يكونون بعيدين عن المنطقة المقدسة ومن ناحية أخرى، فإن المجموعة الهرمية تعد نموذجا للكون المصري، وعن طريق تمثيل انتصار الملك على أعدائه، فإنه بذلك يحافظ على نظام الكون بطريقة سحرية.

وهناك قطعة تنتمي لمعبد الوادي في الأغلب تمثل مراكب مبحرة، في حين توجد أخرى تحمل نقشًا هيروغليفيًا وجزءًا من مركب مصنوع من أعواد البردي. ومن المحتمل أن يكون مثل هذا المركب قد استخدمه الملك بالرحلات الرياضية بالأحراش، ومثل تلك المناظر تحمل معاني ارتباط الملك بالرب حورس خلال حفاظه على نظام الكون من قوى الفوضى المتمثلة في حياة البراري بالأحراش، والتي دائمًا ما تهدد مصر. وقد عثرنا على منظر آخر من اللشت ربما كان مكانه بمعبد الوادي والذي يمثل أعضاء البلاط الملكي ومعهم خادم يحمل مظلة.

■ منظر لمجموعة من حاملي وحاملات القرابين للملك خوفو.



وبشكل عام، يبدو أن الوظيفة الأساسية لمعبد الوادي هي تقبل القرابين من الأقاليم الملكية، كما يمثل المكان الذي كان يعبد فيه الملك حورس والمسئول عن حماية نظام الكون المصري.

ويبدأ الطريق الصاعد عبر الهضبة من خلال مدخل بالجدار الجنوبي لمعبد الوادي، ويسير الطريق الصاعد بالاتجاه الجنوبي الغربي لثلث طوله تقريبًا، ثم يلتف شرقًا حتى يصل إلى المعبد الجنائزي. وقد بقي من هذا الطريق الصاعد بالقرن الخامس قبل الميلاد ما يكفي المؤرخ هيرودوت كي يصف سقفه المهول المزخرف بالطيور والنجوم.

وهناك العديد من البقايا من الجيزة واللشت ترجع لهذا الطريق الصاعد، وهناك قطعة ربما تأتي من النهاية السفلى للطريق الصاعد تحمل ألقاب الملك ومناظر لأسرى ليبيين والتي توضح قوة الملك أمام الأجانب. ويظهر بمنتصف الطريق الصاعد منظر لقطيع من الثيران يحملون قرابين أجنبية أو أسرى (وهو ما يمثل هزيمة قوى الشر والفوضى والسيطرة عليها وبهذا ينسب رمزيًا للمنطقة المقدسة). ويمكن رؤية تمثيل للأقاليم الملكية بمعبد الوادي والتي يمكن أن تكرر بالطريق الصاعد. وهناك قطعة أخرى والتي ربما جاءت من النهاية العليا للطريق الصاعد تمثل التجديف بمؤخرة مركب.

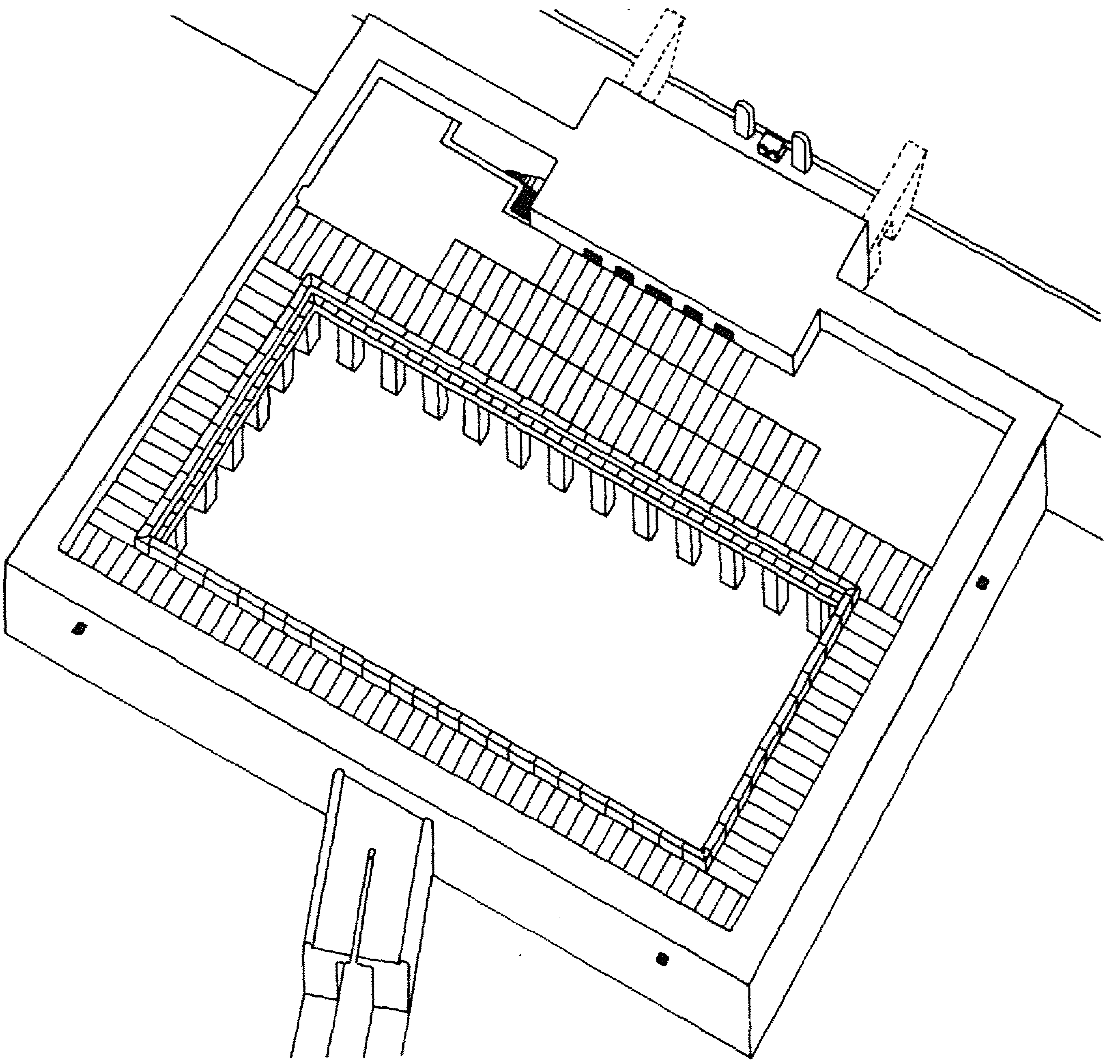
ومعظم زخارف الطريق الصاعد مكررة من زخارف معبد الوادي. ومثل معبد الوادي، كان الطريق الصاعد يمثل المدخل ومنطقة حماية للمجموعة الداخلية. ومع عبور الطريق الصاعد، يستطيع المرء العبور من العالم الخارجي، حيث حدود الكون، وحيث يجب الحفاظ على نظام الكون من قوى الفوضى، إلى العالم الداخلي، حيث المنطقة المقدسة المحمية.

■ الطريق الصاعد للملك خوفو - هضبة الجيزة.



ومازال الرصيف البازلتي للمعبد الجنائزي يقع بالحافة الشرقية للهرم، ويمكن تقفي تخطيطه الأساسي من خلال الأساسات الباقية. أما قدس الأقداس فكان مستطيل الشكل، حيث كان المكان الذي تقام فيه المراسم والتي كانت في الأغلب عبارة عن طقوس قرابين لعقيدة الملك المتوفي بصفته رب الشمس. أما المخازن المحيطة فربما كانت تحتوي الأدوات اللازمة لتلك الطقوس، مثل أدوات طقسة فتح الفم بالإضافة إلى الأثاث والمعدات الجنائزية. ويضم المعبد أيضًا فناءً مفتوحًا. وطبقًا لإحدى محاولات إعادة بناء قدس الأقداس المدمر إلى حد كبير، فإن معبد خوفو الجنائزي كان أول من احتوى خمس نيشات، ربما كانت أربعًا منها قد خصصت لوضع تماثيل للملك بصفته رع، والخامسة خصصت لتمثال عقائدي لحتحور. وقد عثر على العديد من بقايا تماثيل ملكية بأماكن متعددة حول المجموعة الهرمية بشكل عام؛ ولذا يحتمل أن تكون قد أتت من هذا المعبد.

■ بقايا المعبد الجنائزي للملك خوفو – هضبة الجيزة.



وكان استخدام البازلت في هذا المعبد، مثل معبد الوادي، يحمل معاني الخصوبة كما أشرنا من قبل. وقد استخدم أيضًا كل من البازلت الأبيض والأصفر (وهو تكوين من الحجر الجيري النصف شفاف والمعروف بشكل أكثر تحديدًا بالكالسيت). وكانت المنطقة التي كان يتم إحضار تلك الأحجار منها تسمى "حتنوب"؛ أي "بيت الذهب" وهو ما يؤكد علاقة الملك برب الشمس رع والذي كانت المادة المكونة له هذا المعدن النفيس.

ويبدو أنه كان كل من الفناء ورواق المعبد الجنائزي فقط قد زينا بمناظر. وكان العديد من الكسرات والتي نقلت من الجيزة واللشت تحمل مناظر للعديد من الطقوس المرتبطة بعيد "السد"، وتلك المناظر تعد النماذج الأولية للمناظر التي استخدمت لتزيين هذا المعبد. ويسيطر على أغلب تلك المناظر، مناظر الملك نفسه، حيث يظهر مرتديًا النقبة القصيرة وهو يقوم ببعض من مراسم عيد السد. وتمثل إحدى المناظر الرب وبواووت وهو معبود جنائزي هام

■ رسم تخيلي للمعبد الجنائزي للملك خوفو- بعد ريكه.

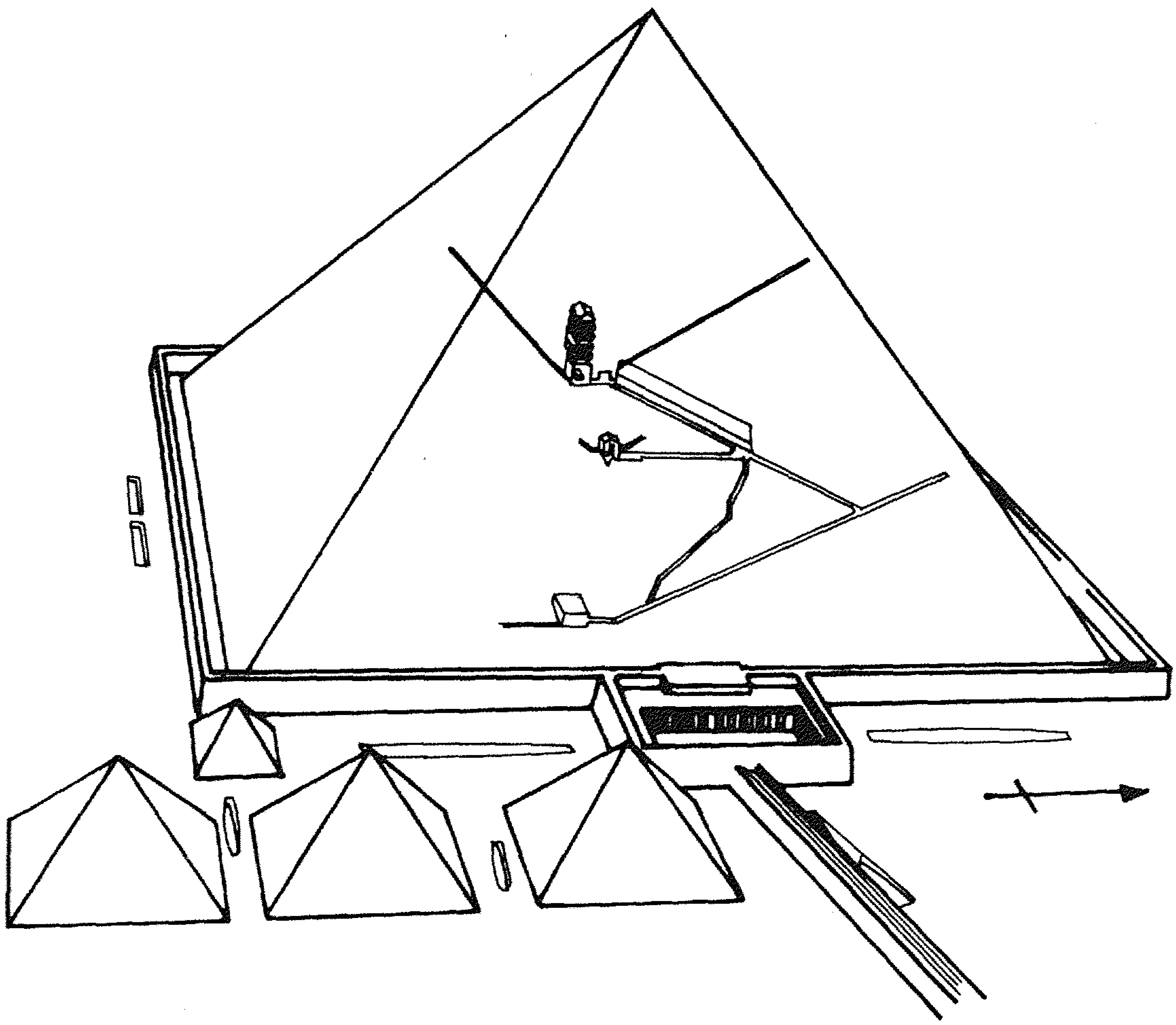


في صورة بشرية ورأس كلب، وليس لهذا المنظر أي مثيل بأي مجموعات هرمية أخرى.

وهناك منظر آخر ربما من جدار الفناء، يمثل معبودة تدعى "ميريت الأراضي المصرية العليا" والتي تستقبل الملك عندما يقترب من المعبد للقيام بطقوس عيد السد. وبصفتها ربة للموسيقى، فإنها ترتبط بالربة حتحور، التي كان لها علاقة بالموسيقى. ويظهر بهذا المنظر عدد من الكهنة ومجموعة من بلاط الملك ويصل عددهم إلى ستة أشخاص، ثلاثة منهم يطلق عليهم "المسيطرون على القصر" وثلاثة آخرون يحملون ألقابًا كهنوتية، وأخرى متعلقة بالبلاط. وهناك قطعة أخرى عثر عليها بمجموعة سلا لم بالقاهرة الإسلامية والتي تمثل منظرًا لفرس نهر أبيض اللون. وقد عثر على منظر مشابه بصالة المعبد الجنائزي للملك بيبى الثاني (2300–2206 ق.م)؛ لذا فإن المنظر الموجود بالقاهرة الإسلامية يمكن أن يكون مكانه الأصلي بالمعبد الجنائزي لخوفو.

وعلى أساس المناظر التي عثر عليها بمعابد الأهرام، فإن رواق المعبد ربما كان يتضمن مناظر تمثل الملك وهو يقدم

■ منظر عام لبقايا المعبد الجنائزي للملك خوفو – هضبة الجيزة.



القرابين للمعبودات المختلفة. ومع ذلك، فإنه لم يعثر على أية بقايا لتلك المناظر. وربما كان ذلك بسبب عدم الحفاظ عليها، ولكن يبدو ذلك أيضًا نتيجة عقيدة خوفو، حيث كان خوفو نفسه ربًا وموازيًا للمعبودات الأخرى.

وما تنفرد به مجموعة خوفو الهرمية هو تنظيم حفرات المراكب، حيث توجد خمس حفرات للمراكب، واحدة بطول الطريق الصاعد، واثنتان متاخمتان للمعبد الجنائزي، وحفرتا مركبتين إلى الجنوب من الهرم. وكانت الحفرتان جنوبي الهرم منفصلتين عن بعضهما بواسطة جدار من صخر الأساس، والذي يقع على محور من شمال إلى جنوب من الهرم الأكبر، كما أنهما مختلفتان في الشكل عن بقية الحفرات، حيث تتخذان الشكل المستطيل أكثر منه شكل المركب.

وقد تم الكشف عن حفرات المراكب الجنوبية في عام 1954م على يد الأثري والمهندس كمال الملاخ. وكانت الحفرة الشرقية مغطاة بـ41 لوحًا من الحجر الجيري يزن الواحد قرابة 15 طنًا، وقد احتوت 9 منها على علامات محاجر. ومن بينها كان هناك 18 خرطوشًا لابن الملك خوفو وخليفته جدف رع، وهو ما يظهر أنه

■ رسم ثلاثي الأبعاد لهرم الملك خوفو وأهرامات الملكات.

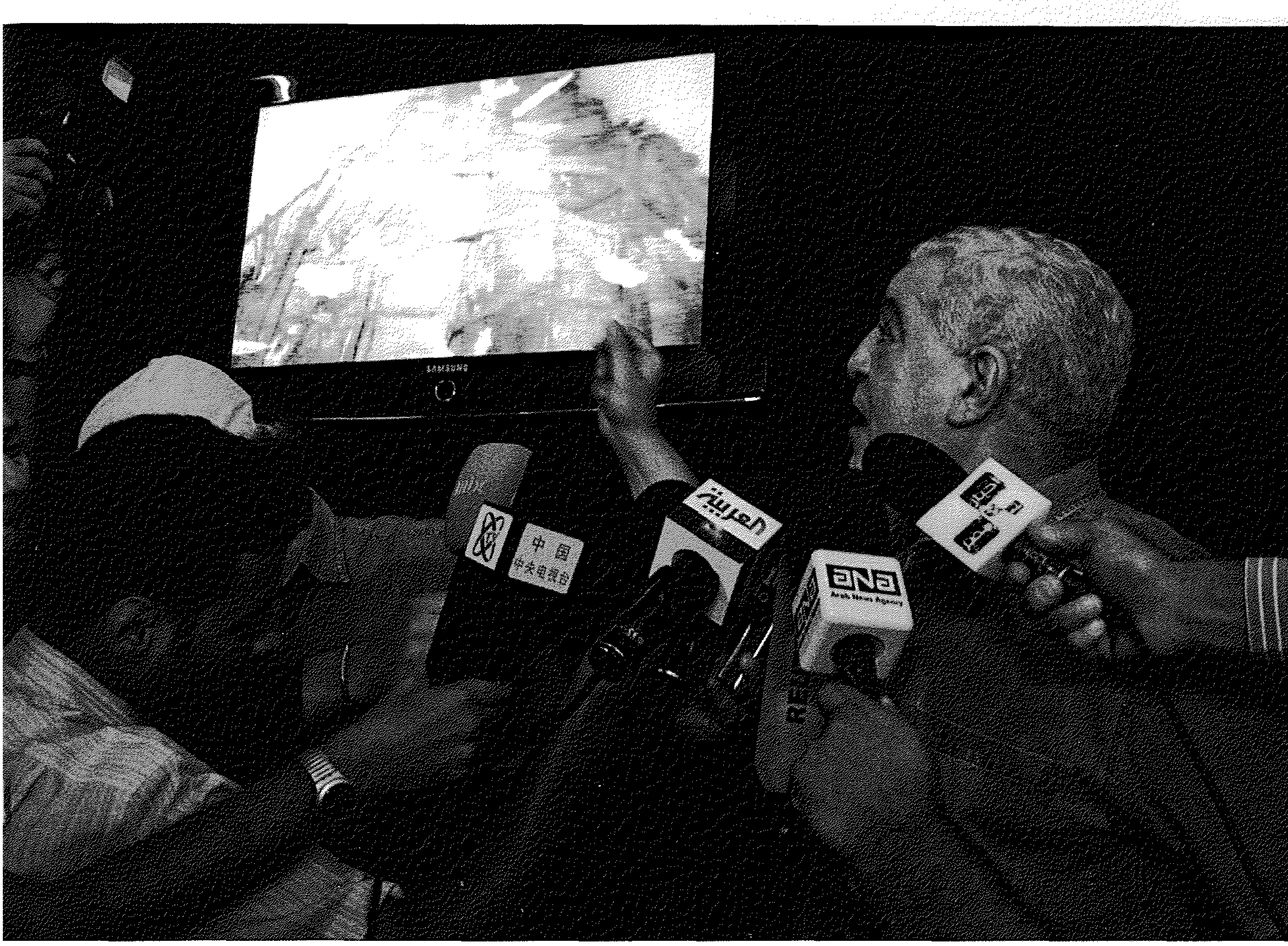


■ مركب خوفو- متحف مركب خوفو- هضبة الجيزة.

هو الذي اتخذ مسئولية دفن والده. وعندما قام الملاخ بفتح الحفرة، عثر على مركب مفكك بالحجم الطبيعي مصنوع من أخشاب الأرز والسنط. وعلى قمة الألواح الخشبية للمركب توجد طبقة من الحصير والحبال، بالإضافة إلى أداة مصنوعة من الحجر، وقطع صغيرة من الملاط الأبيض. وبالإضافة إلى أجزاء المركب نفسها، والتي كان أغلبها قد قيد بالأربطة، فقد عثر على عدد من الأشياء الأخرى، مثل 12 مجدافًا، منها 10 للتجديف و2 للقيادة. وكان كل منها مصنوعة من قطعة واحدة من الخشب، بالإضافة إلى 58 سارية و3 أعمدة أسطوانية و5 أبواب؛ أي بمجموع 651 قطعة.

وقد قام المرمم العبقري الراحل الحاج أحمد يوسف قرابة عشر سنوات كي يستطيع الحفاظ وإعادة تكوين ذلك المركب القديم، والذي أصبح الآن داخل متحف رديء الشكل – وخاصة لوجود مبنى حديث يجاور أعظم مبنى معماري في التاريخ – نوعًا ما أقيم فوق حفرته، وقد وصل هذا المركب بعد إعادة تركيبه إلى 43 مترًا (141 قدمًا) تقريبًا في الطول و6 أمتار (20 قدمًا) في العرض. وصممت مقدمة السفينة على شكل سارية بقمتها قرص خشبي. وفي وسط المركب توجد قمرة مسقوفة والتي صممت للاستخدام السحري والأبدي للملك. وكانت وظيفة هذا المركب مازالت محل جدال، حيث يعتقد الملاخ أنه مركب شمسي خصص لاستخدام الملك خوفو بصفته المعبود رع في العالم الآخر، في حين يرى علماء آخرون أنه أحد المراكب التي استخدمت بالجنازة ودفن معه بعد إتمام تلك المراسم. وهناك أمر واحد يمكن أن يساعد في الفصل بين هذين الرأيين وهو تحديد إن كان هذا المركب قد سار في النهر أم لا. وكانت أغلب المعلومات الواردة منها كونها قد بنيت قرب مكان دفنها كما أنها لم تحتوِ على أية نقوش أو ألوان تقترح أنه قد دفن دون استخدامه، وأنه مركب رمزي أكثر منه مركب ذو استخدام فعلي. ومع ذلك، لا يوجد أي تأييد علمي لتلك النقطة.

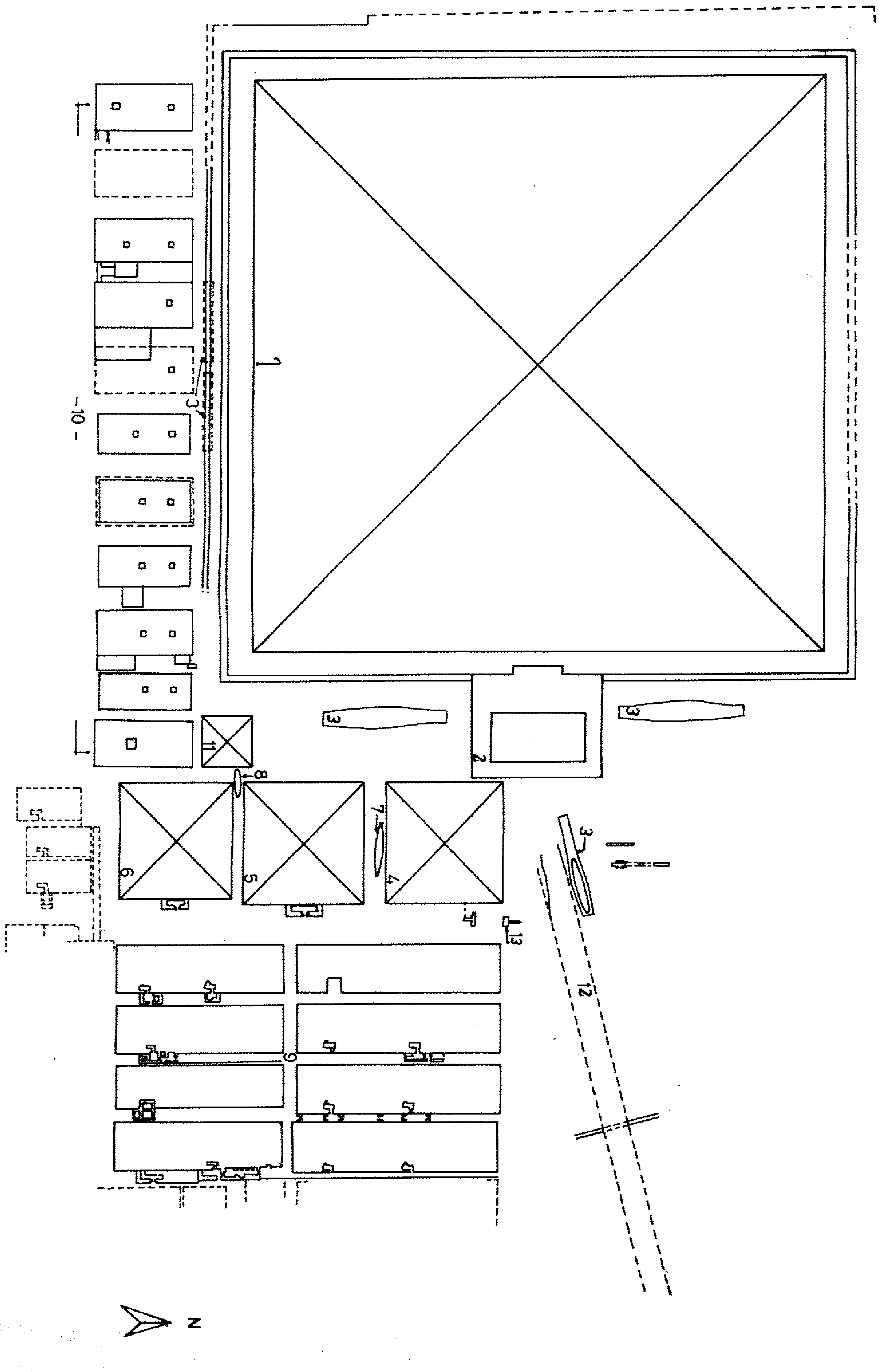
أما الحفرة الغربية فمازالت مغطاة بعشرين لوحًا من الحجر الجيري، ولكن في عام 1988م قامت الجمعية الوطنية الجغرافية National Geographic بإرسال كاميرا إلى الحفرة واكتشفت أنها تحتوي على مركب آخر مفكك من الخشب. وقد قام اليابانيون ببعض أعمال الترميم بتلك الحفرة كما قاموا بتغطيتها بغطاء. وسوف يكون هذا المركب هو الثاني الذي سيتم اكتشافه وإعادة تركيبه سرعان ما نحصل على تمويل كاف للقيام بهذا العمل على نحو ملائم وآمن. وقد تم الآن تركيب كاميرا تليفزيونية داخل الحفرة بحيث تسمح للزائر بأن يرى شكل المركب أسفل الحفرة لأول مرة.



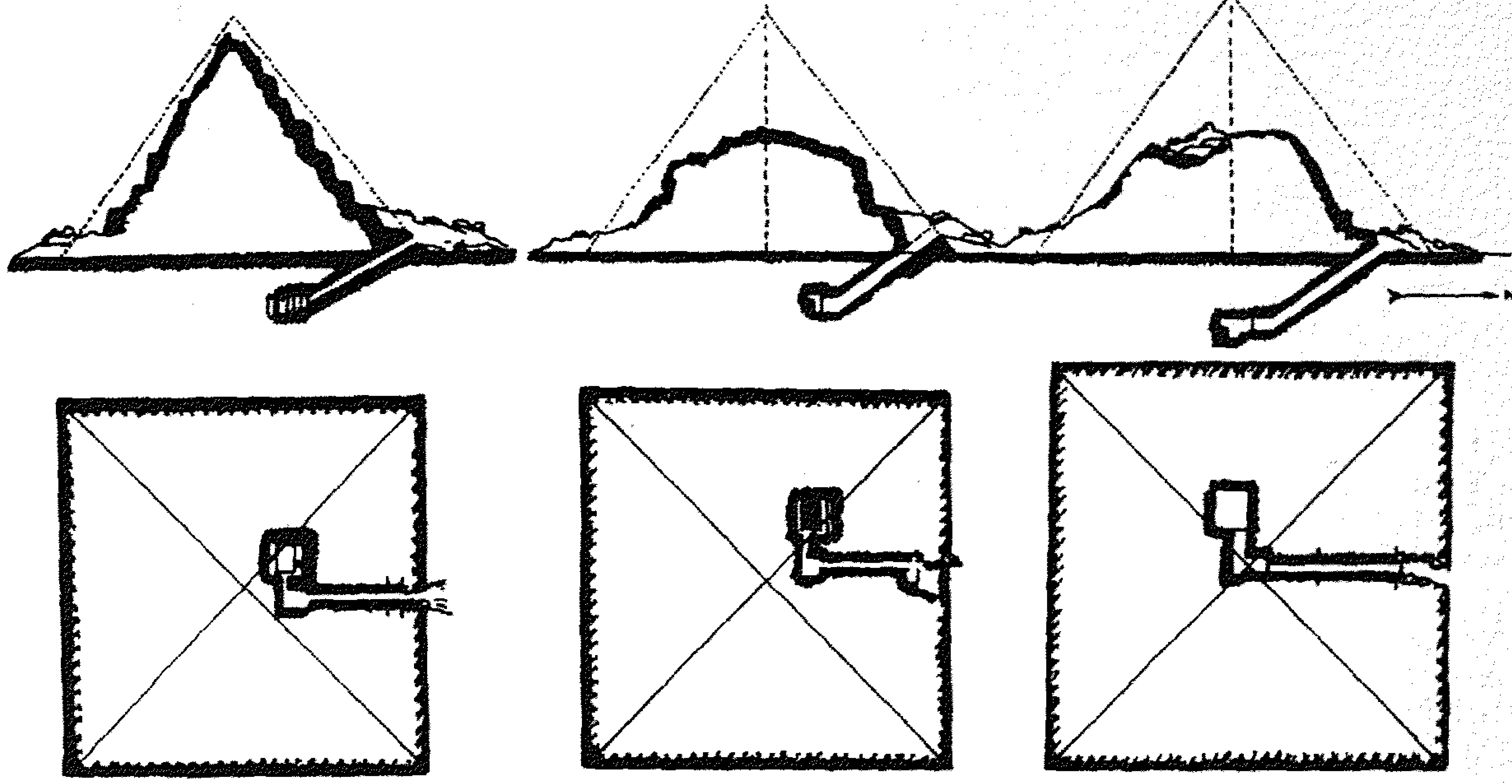
وهناك العديد من النظريات المختلفة حول وظيفة مراكب خوفو الخمسة. فقد عثر على حفرات ونماذج مراكب كبيرة مماثلة مرتبطة بعدد من مقابر الصفوة من الأسرات الأولى وحتى الخامسة. وقد قام الأثري الأمريكي دافيد أوكونر David O'Conner – والذي قضى معظم فترات حياته يعمل بحفائر بأبيدوس– بالكشف عن 14 مركبًا خشبيًا مغطاة بالملاط والطمي، مزودة بمراسٍ حجرية، والمراكب تقع بالقرب من المعبد الجنائزي للملك خع سخموي المعروف بشونة الزبيب. وكانت وظيفة تلك المراكب بالإضافة إلى المراكب التي عثر عليها بالمنطقة الجنائزية مازالت غامضة، ولكن يبدو أنه كان لها كل من الدورين العملي (حيث كانت المراكب تستخدم كوسائل مواصلات في مصر القديمة) والرمزي (وهو طريقة نقل المعبودات) .

وقد قمت بعمل دراسة لهذه المراكب ووجدت أننا لكي نفهم وظيفتها لابد أن ندرس عناصر المجموعة الهرمية ككل وفي اعتقادي أنه إذا أمكننا عمل ذلك فقد استطعنا معرفة أن الحفرات الواقعة بشمال وجنوب المعبد الجنائزي

■ المؤلف داخل غرفة المركب الغربية يعلن عن بدء تشغيل كاميرا لرؤية ما يوجد داخل الحفرة.



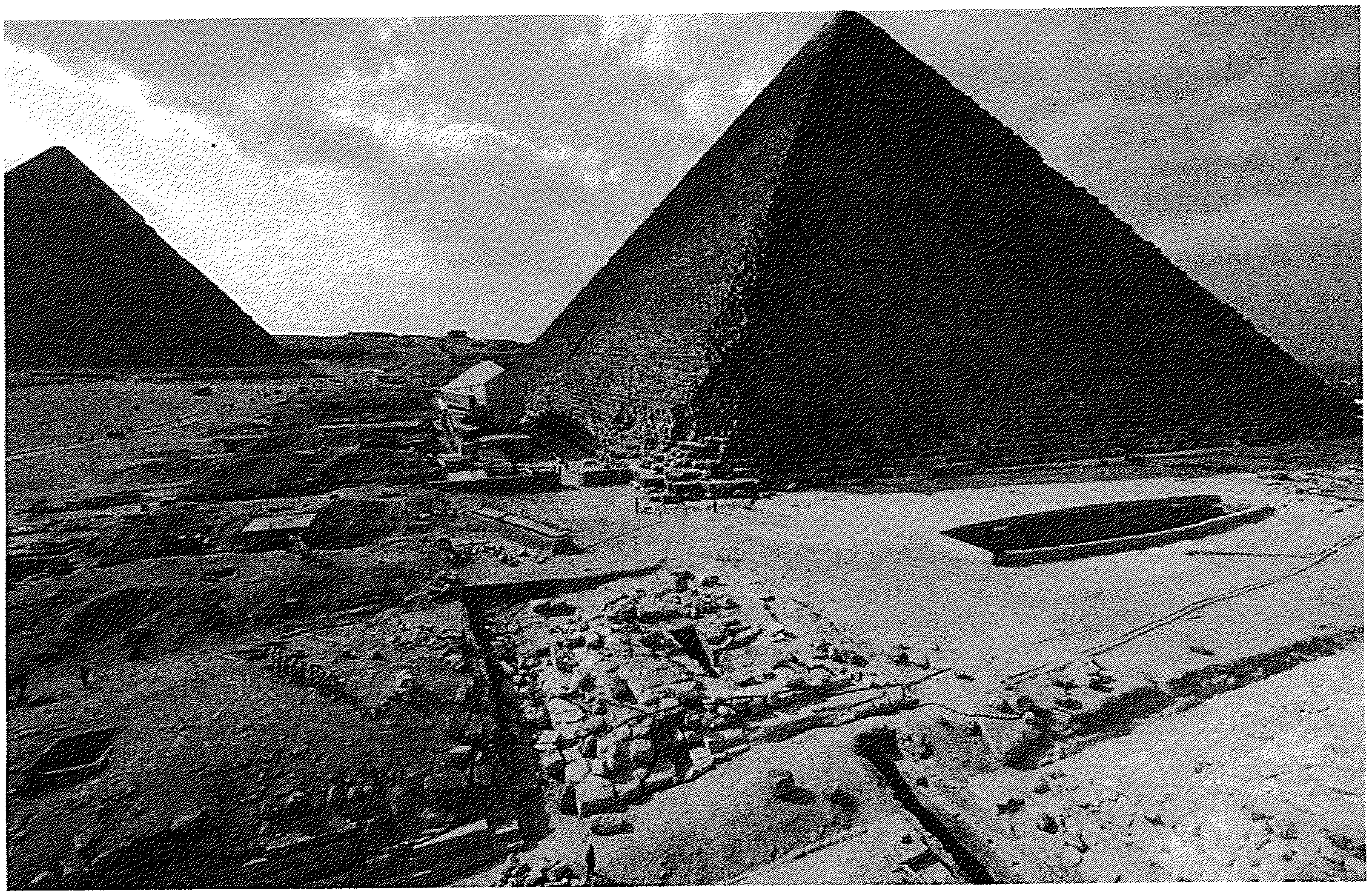
■ مخطط للهرم الأكبر وأهرامات الملكات والجبانة الشرقية– هضبة الجيزة.



قد أعدت للملك بصفته حورس كي يسيطر على الأرضين، حيث الحفرة الشمالية لمصر السفلى والجنوبية لمصر العليا. أما المراكب الواقعة جنوبي الهرم فقد خصصت للملك بصفته رع، حيث تعد إحداهما مركبَ الصباح، والتي كان يستخدمها الملك كرب الشمس من الشرق إلى الغرب عبر السماء، أما الأخرى فكانت مركب المساء والتي يرتحل بها رب الشمس من الغرب إلى الشرق عبر العالم الآخر كي تتم إعادة ولادته مرة أخرى بالنهار. أما المركب الخامسة الواقعة بطول الطريق الصاعد، فربما خصصت للملكة في هيئة الربة حتحور، أو إنها استخدمت لمرة واحدة أثناء نقل جثمان الملك إلى مقر دفنه. ويمكن الرجوع إلى الدراسة الكاملة التي أعددتها في هذا الموضوع.

ومع تغيير التخطيط العام للمعبد الجنائزي، تغير موقع الهرم الجانبي الواقع أقصى الشمال ليصبح متجهًا عدة أمتار ناحية الغرب. ومع اختياره دفن أهم ملكات عصره داخل الأهرام، فقد اعتبر ذلك إدماجًا لهن داخل عقيدته. وكما رأينا، أن كل ملكة رئيسية كانت مرتبطة بالربة حتحور خلال الدولة القديمة والتي عرفت أيضًا بسيدة الجميز، وهي شجرة كانت تنمو بمنطقة منف. وكان هناك العديد من السيدات المدفونات بالجيزة واللائي حملن لقب "كاهنة حتحور"، وهن اللائي قد حافظن على عقائد الملكات وحافظن على إقامة الطقوس الجنائزية وتقديم القرابين المطلوبة لإقامة الأبدية بالكون. وكان لهرمين من أهرام الملكات حفرات مراكب صغيرة منقورة في الصخر بطول الجانب

■ مخطط يظهر أهرامات ملكات خوفو.



الجنوبي للهرم. وتلك الحفرات كانت تمثل وسيلة مواصلات سحرية لكل ملكة بصفتها حتحور والتي ستتبع الملك بصفته حورس؛ وذلك خلال مجهوداته للحفاظ على نظام العالم المصري. وقد نسب الهرم الشمالي إلى حتب حرس أم خوفو والأوسط إلى زوجته مريت إيت إس والثالث الجنوبي إلى زوجته حنوت سن.

أما العنصر الهام والأخير ضمن المجموعة الهرمية لخوفو، فهو الهرم العقائدي. كان هناك اعتقاد لوقت طويل أنه لم يكن لخوفو هرم عقائدي، وقد ظل هناك تساؤل بين العلماء عن سبب عدم وجود هذا العنصر الهام بمجموعة خوفو الهرمية. وكان يعتقد أن الأحجار غير المكتملة الواقعة شمالي الطريق الصاعد مرتبطة بمثل هذا الهرم العقائدي. إلا أن الجزء العلوي منه لم يبن بعد. وفي عام 1991م، عندما كنت بالمستشفى نتيجة لأزمة قلبية، اكتشف فريقي بالجيزة الذي كان يعمل بتنظيف المنطقة شرقي الهرم الأكبر جزءًا من بقاياه. فلم يتبق من هذا الهرم سوى الجزء الواقع تحت الأرض وبعض كتل متناثرة من الجزء العلوي. وما عثرنا عليه يكفي لتصور إعادة بنائه، حيث كانت قاعدته 10.7م مربع (115 قدمًا مربعًا) تقريبًا. وفي يوم ما، عندما كنت أشرف على الحفائر، وضعت يدي على كتلة من الحجر الجيري وسرعان ما أدركت أنها قمة هذا الهرم الصغير!

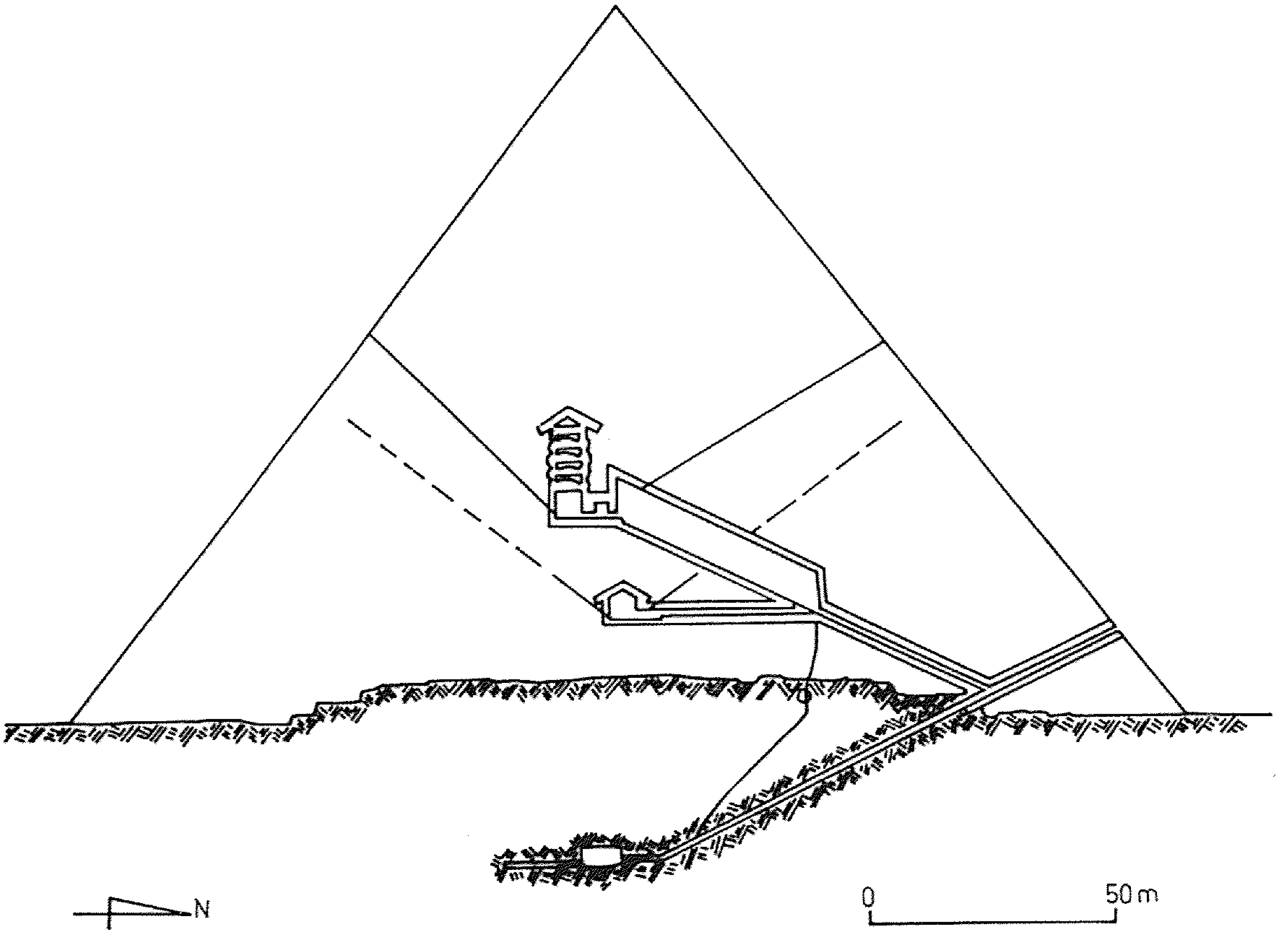
■ منظر عام للهرم العقائدي للملك خوفو– حفائر المؤلف– هضبة الجيزة.

والهرم من الداخل بسيط جدًّا، حيث يتكون من ممر هابط يبدأ من منتصف الجانب الشمالي له ويؤدي بدوره إلى حجرة مربعة محورها شرق–غرب. وتلك الحجرة كانت فارغة عدا مجموعة مختلفة من الأحجار. ويبدو من تكوين الهرم كما لو أنه قد بني على عجل، ربما بعد وفاة الملك.

ويعتبر الهرم الأكبر هو درة المجموعة الهرمية، حيث يعد أعظم وأروع الآثار التي بناها الإنسان. وقد ارتبط بالهرم العديد من النظريات والقصص، وخاصة حول كيفية بنائه ومن هم الذين قاموا ببنائه، ومعظمها مليء بالأخطاء وبعيد عن الحقيقة. وقد ألهب الهرم خيال الكثيرين طيلة القرون الماضية و لم يقل الاهتمام به في أي وقت من الأوقات، فما زال الهرم محاطًا بالغموض والألغاز، وإن كنا نعرف الكثير عنه ونتعلم الكثير طوال الوقت. فلم يبن على يد كائنات فضائية أو سكان قارة أطلانتس الغارقة، فكل الدلائل الأثرية تشير دون أدنى شك إلى أن المصريين القدماء هم الذين قاموا ببناء الهرم الأكبر في عام 2506 ق.م. و لم يكن الهرم مقبرة لملك مصر فحسب، وإنما كان محور عقيدته.

وكما ناقشنا من قبل، فإن أحد المظاهر غير المألوفة بهذا الهرم هو نظام الحجرات والممرات داخل نواة الهرم أكثر من الموجودة بالجزء الواقع فوق الأرض كما هو متعارف عليه. وما ظهر هنا قد ظهر مرة أخرى بهرم أبيه، الملك سنفرو، وهو ما يرجح وجود تقارب بين عقيدتي الملكين بصفتهما رَبَّي الشمس رع. وتقع حجرة الدفن الأصلية أسفل الهرم، وهي الوحيدة التي شملها التغيير الذي تم بالعام الخامس من حكم خوفو، حيث تم نقل حجرتين إلى قلب الهرم نفسه. وكان المهندس المسئول عن بناء الهرم– ربما حم إيونو أو أحد الرجال العظام الذين دفنوا بالجيزة– هو بحق معماري عبقري وهو ما تشهد عليه تلك الدرجة الفائقة من الدقة في تحديد الزوايا والتصميم العام وبناء هذا الهرم. كما كانت عملية بناء الجزء الواقع فوق الأرض عملاً معماريًّا خلاقاً، والتي تطلبت تخطيطًا حذرًا وتنفيذًا خاليًا من الخطأ. فعلى سبيل المثال قام المهندسون بوضع خمس حجرات للتخفيف فوق حجرة الملك –وهي أعلى حجرة بالهرم– حيث صممت لتخفيف وزن الهرم عن المساحة الخالية أسفلها. وفي العصور التالية، وربما لأسباب دينية وتقنية أيضًا، عادت أماكن حجرات الدفن أسفل الجزء الواقع فوق الأرض مرة أخرى.

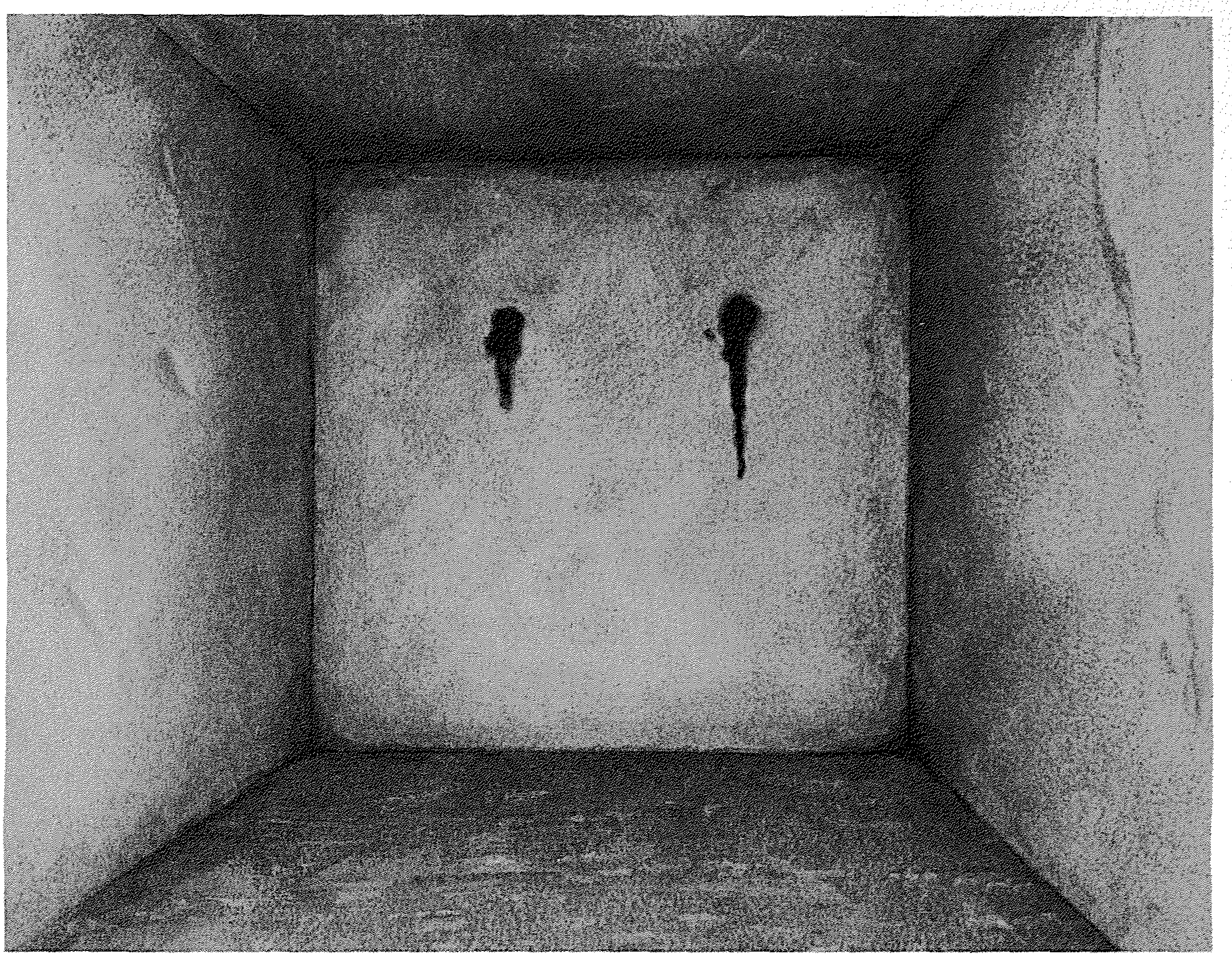
وقد احتوت بعض الأهرامات المبكرة على بعض الزخارف، إلا أن الملك سنفرو قد ترك الحجرات الداخلية



لهرمه غير منقوشة. وقد استمر خوفو على هذا النهج، وقام بتبطين حجراته العلوية بالجرانيت دون أية نقوش. ويوجد بأرضية حجرة الملك التابوت الجرانيتي الضخم الذي يرجح أن الملك خوفو قد دفن به.

وهناك عناصر أخرى ينفرد بها هرم خوفو، فهو الهرم الوحيد الذي يحتوي على ممرات يطلق عليها خطأ اسم ممرات هوائية وهي ممرات غامضة تصل إلى 20 سم^2 (3 بوصة مربعة) تقريبًا والتي تسير من الجدارين الشمالي والجنوبي للحجرتين العلويتين، ويصل ممران من حجرة الملك إلى الخارج، في حين أن الممرين الخارجين من حجرة الملكة لا يصلان للخارج. وقد تم الكشف عن ممري حجرة الملكة في القرن 19م، إلا أن تقنية تلك الفترة لم تتح الكثير من العمل لدراستهما. وكان أول من قام بالكشف عنهما هو الإنجليزي واينمان ديكسون Wynman Dixon عام 1872م، وقد عثر داخلهما على خطّاف برونزي صغير (يشابه تلك الأدوات التي تستخدم بطقسة فتح الفم) بالإضافة إلى كرة من الجرانيت وقطعة من الخشب الممزوج بالراتنج. وفي عام 1992م، كجزء من خطتي لإدارة الموقع، طلبت من المعهد الألماني للدراسات الشرقية مساعدتنا في تنظيف ممرات التهوية الخارجة من حجرة الملك حتى يتسنى لنا

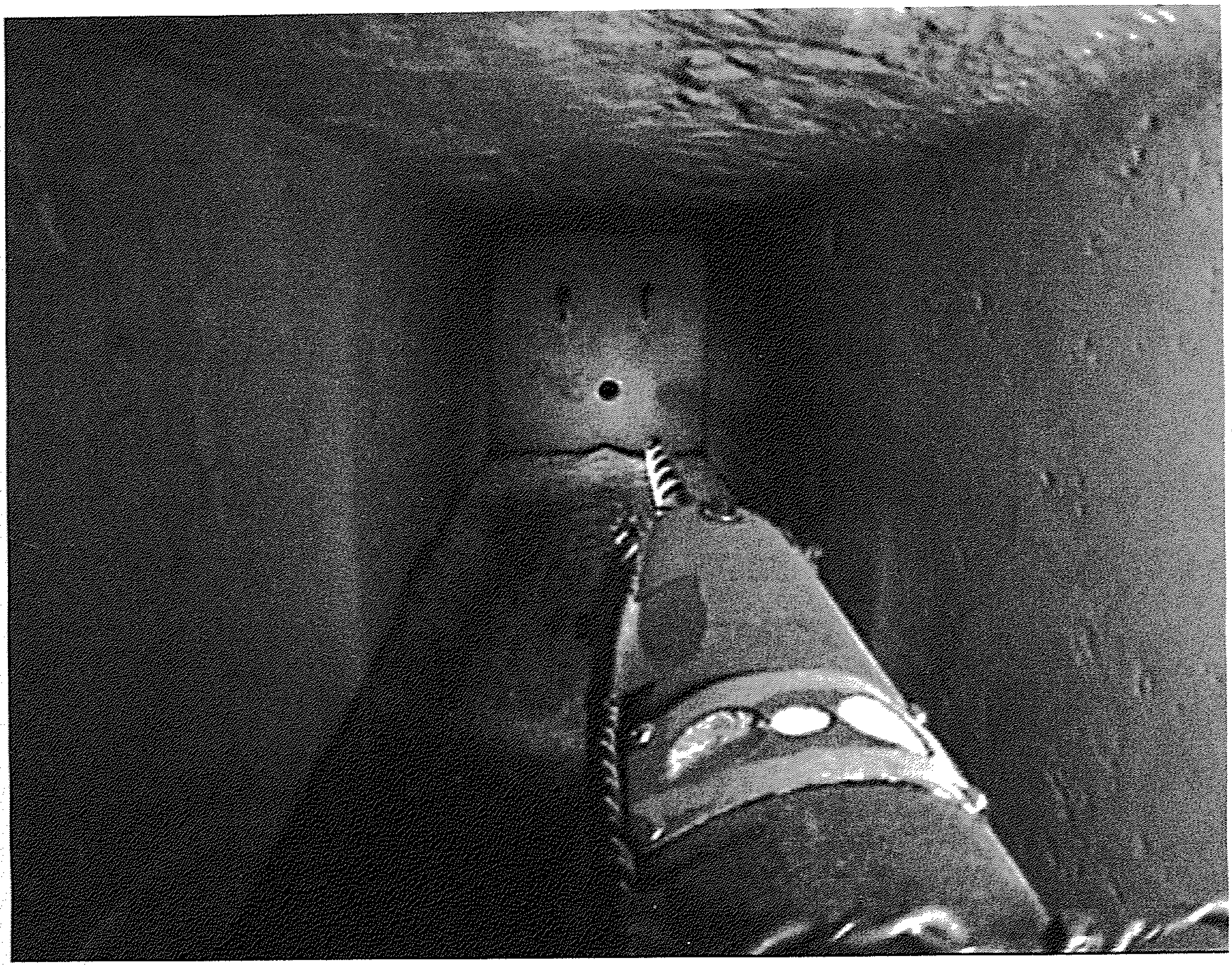
■ مخطط للممرات والحجرات الداخلية للهرم الأكبر.



عمل نظام للتهوية يقلل من نسبة الرطوبة داخل الهرم. فقام المصمم رودلف جانتنبرنك Rudolph Gantenbrink بتصميم إنسان آلى أو روبوت والذي سمي "وبواووت" على اسم المعبود المصري القديم "فاتح الطرق"، والذي كان ذا حجم صغير يمكنه من دخول تلك الممرات. وبعد الانتهاء من وضع نظام التهوية بممرات حجرة الملك، قمنا بإرسال الروبوت عبر الممر الشمالي لحجرة الملكة عام 1993. حينها وجدنا المفاجأة، فقد التف الممر بشدة نحو الغرب بعد مسافة 27 قدمًا (8م) و لم يستطع الروبوت الالتفاف. أما في الممر الجنوبي، فقد سار الروبوت وبواووت على مسافة 208 أقدام (4,63م) حتى توقف أمام سدة من الحجر الجيري ذات مقبضين نحاسيين يسدان الممر.

وفي سبتمبر من عام 2002م، انتهى المجلس الأعلى للآثار – بالتعاون مع الجمعية الوطنية الجغرافية National Geographic من إنتاج روبوت جديد يدعى Pyramid Rover – من الإعداد لمحاولة معرفة ما يوجد وراء تلك السدة. وكان هذا العرض مذاعًا على الهواء مباشرة ليشاهده العالم كله، وذلك حتى نؤكد للعامة في كل مكان أن الهرم لا يحتوي على أسرار أو أدلة خاصة بأي حضارات أخرى. وفعلاً كان لذلك فعل السحر الذي

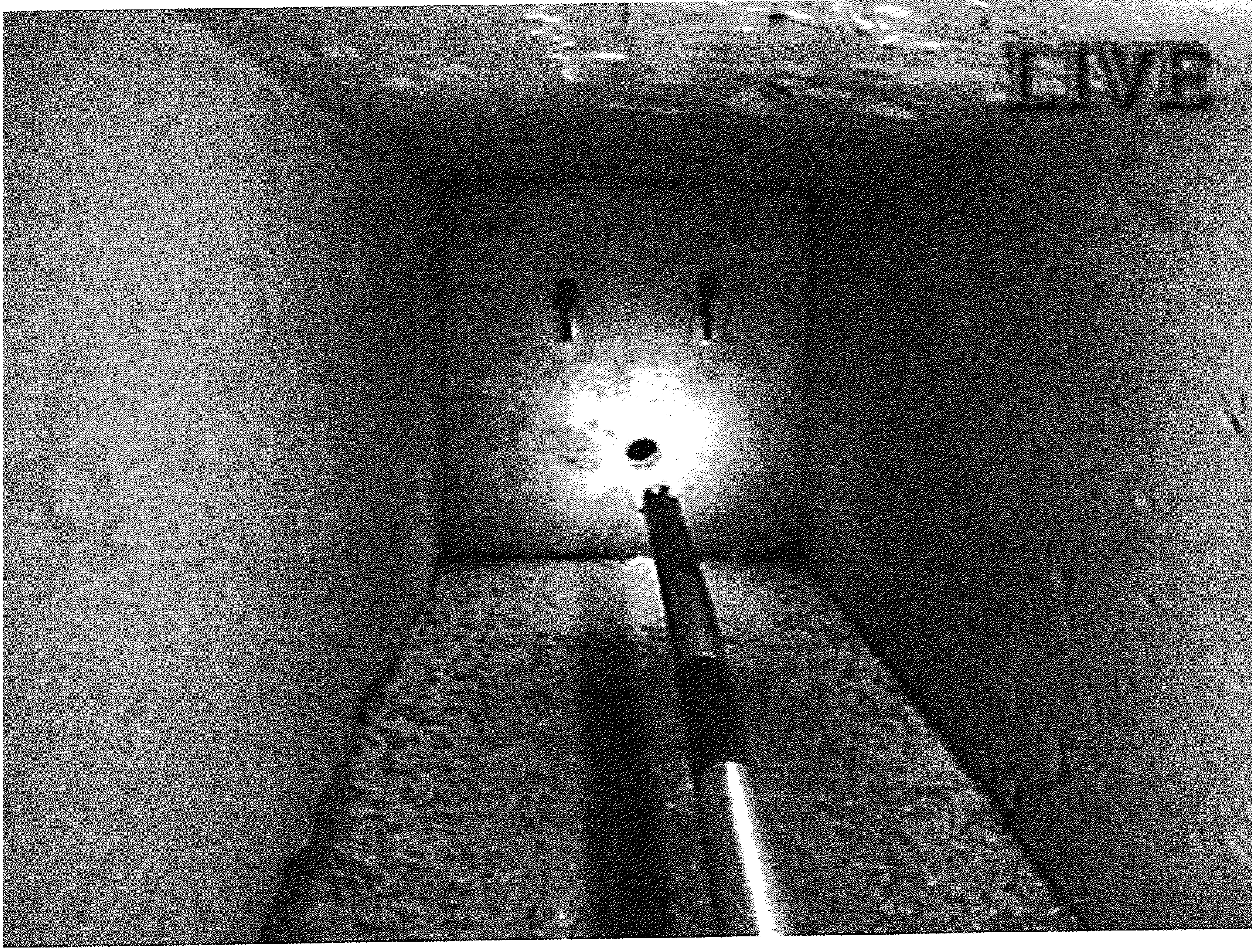
■ الباب ذو المقبضين النحاسيين والفتحة الجنوبية بالحجرة الثانية (حجرة الملكة)– داخل هرم خوفو.



أثبت للعالم وخاصة الخبراء المتخصصين فرعونية الهرم. فقمنا بعمل ثقب صغير لا يزيد عن 1 سم و1 مم عبر الباب لإرسال كاميرا صغيرة، حيث عثرنا على باب آخر يبتعد عن الباب الأول بمسافة 21 سم (8 بوصات) وذلك في محاولة لرؤية أو تصوير أي شيء. وبعدها أرسلنا الروبوت الجديد داخل الممر الشمالي، حيث كانت له القدرة على التجوال والالتفاف ووجدنا أن الممر بعد 60 قدمًا (18م) ينحرف يمينًا ويسارًا لمسافة 24 قدمًا (7م) لكي يتفادى البهو الكبير، وبعد ذلك اكتشفنا وجود سدة ثانية من الحجر الجيري ذات مقبضين نحاسيين على بعد 63 مترًا (208 أقدام) من بداية الممر وهي نفس المسافة التي يوجد بها اللوح الموجود بالممر الجنوبي. وأتوقع أن نعثر خلف هذا اللوح على جدار وهو نفس ما عثرنا عليه بالممر الجنوبي. ونحن بصدد إرسال روبوت جديد داخل الممر الجنوبي لمعرفة ماذا يوجد خلف هذا الباب. وذلك بعد دراسات جادة لاختيار الإنسان الآلي الذي يكشف عن أسرار الهرم ولأول مرة بأيد مصرية.

ويقع أحد الممرات الهوائية الممتد من حجرة الملك على المحور المتوسط للجانب الجنوبي للهرم، كما يتخذ

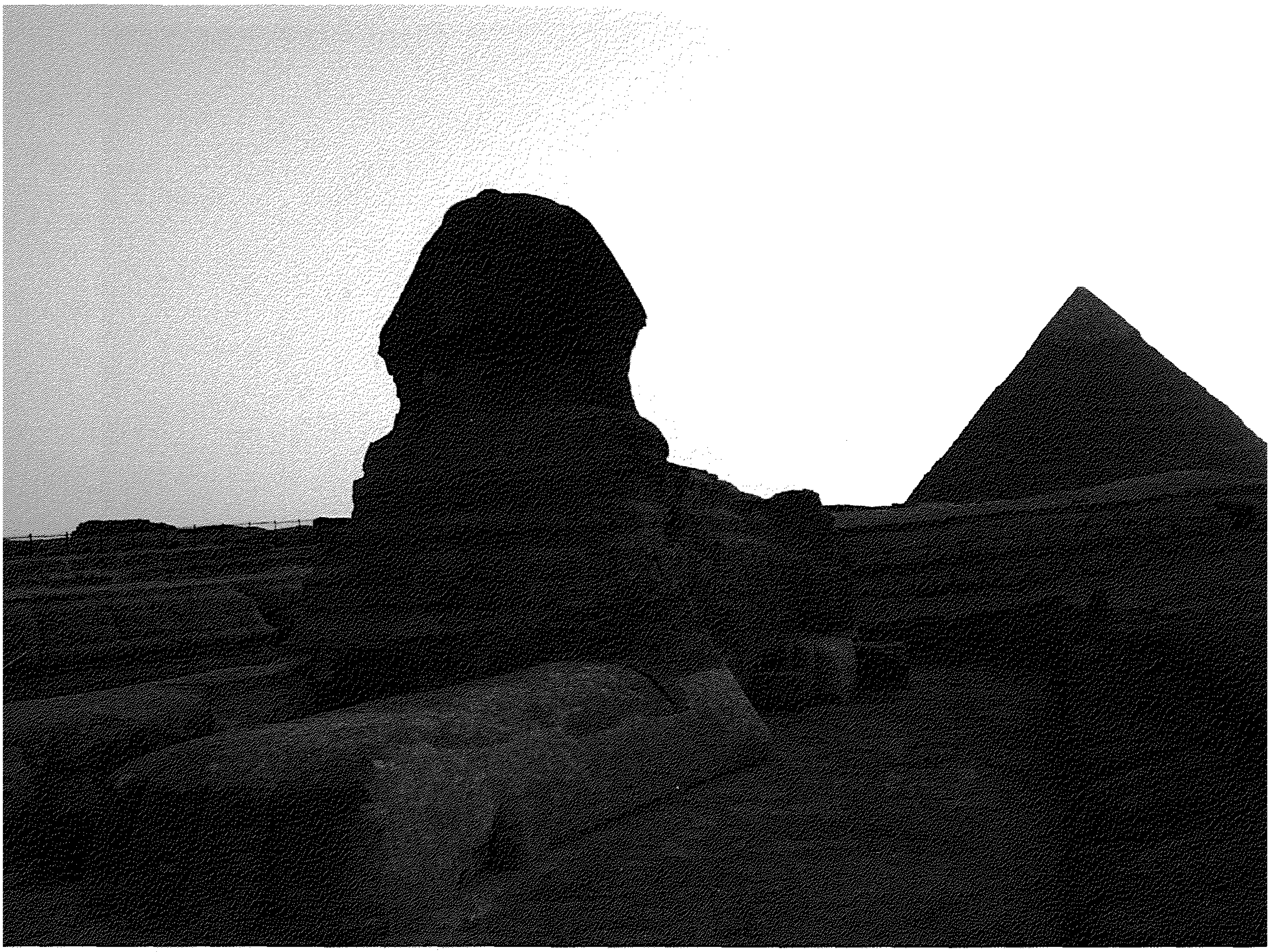
■ الإنسان الآلي يقوم بعمل فتحة بالباب.



زاوية قائمة عند المحور شرق–غرب للمركبين. ويبدو أنه كان معتقدًا أن روح الملك ستتجول بطريقة سحرية عبر هذا الممر كي تركب مركبه. كما يتجه الممر أيضًا باتجاه برج الجوزاء والذي كان قد عرفه المصريون القدماء مع المعبود أوزير. أما الممر الشمالي فيتجه نحو النجوم القطبية والذي في الأغلب يمثل طريقًا سحريًّا تصعد من خلاله روح الملك للالتحاق بتلك النجوم والتي يسكنها أقرانه من المعبودات. وتحتاج ممرات حجرة الملكة إلى فترة لإمكانية تفسيرها وذلك حتى الانتهاء من اكتشافها لصبر ما بداخلها من أسرار.

وقد ظلت النظرية الخاصة بتمثيل خوفو بمثابة رع أثناء حياته غير مثبتة، إلا أننا قد عثرنا على بعض أدلة تكشف بوضوح أن خوفو قد قام بنوع من الثورة الدينية. فكما ذكرنا من قبل، أن بقايا مناظر جدران مجموعته الهرمية لا تحتوي على أية مناظر يمكن أن توضح الملك وهو يقوم بتقديم القرابين للمعبودات. فربما كان ذلك بسبب عدم

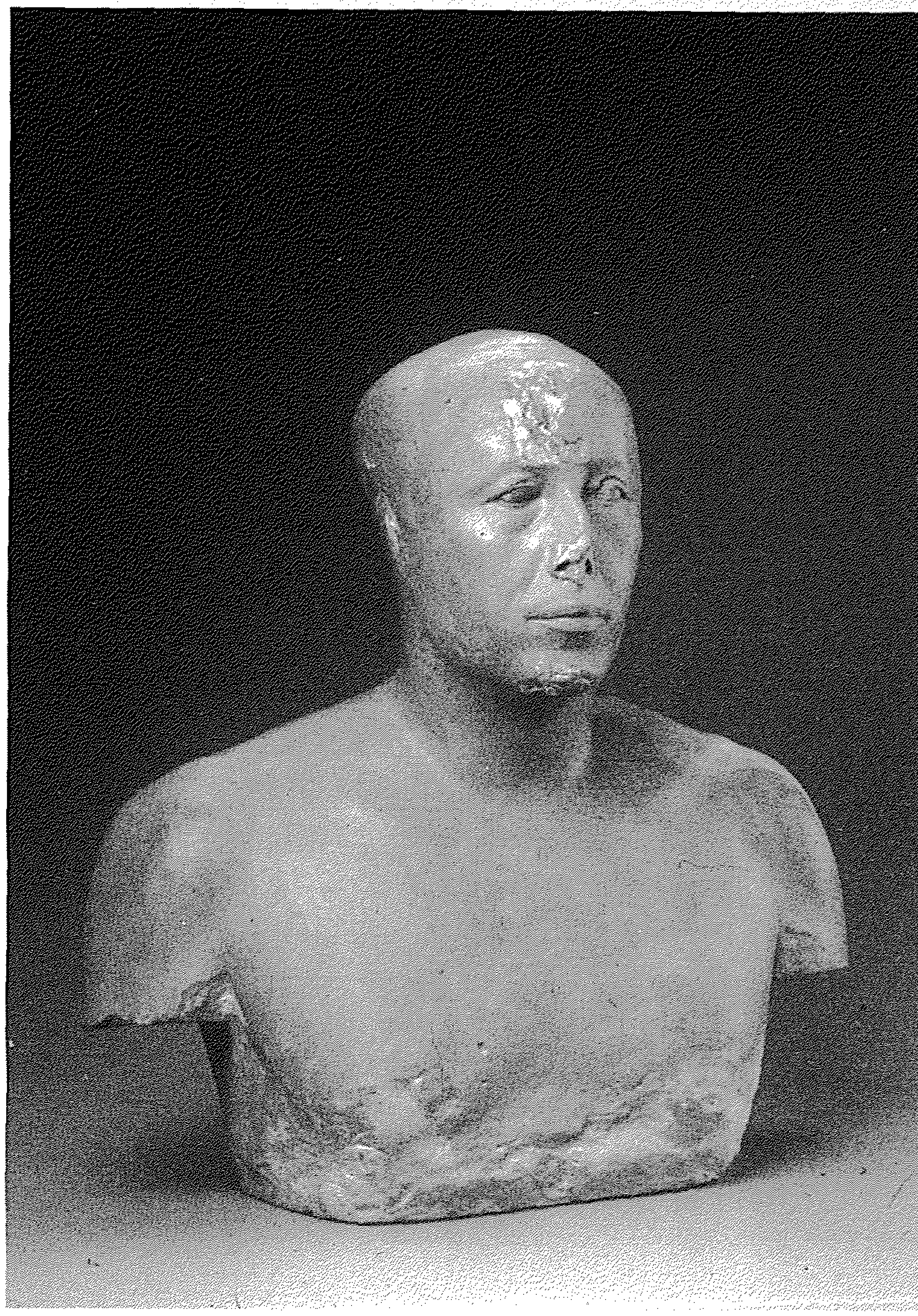
■ لم تتجاوز الفتحة ١,١سم لرؤية ما يوجد خلفها.



الحفظ، أو أنه باعتباره معبودًا، فإنه ليس من المناسب له كمعبود أن يقدم قرابين لمعبودات أخرى. وكان خليفة خوفو الملك "جدف رع" هو أول من حمل لقب "ابن رع"، وهو ما حمله من بعده خليفته خفرع، وهو ما أصبح ضمن الألقاب الملكية المصرية. وفي اعتقادي أن أبو الهول العظيم نفسه يمثل الملك خفرع وهو يتعبد لوالده خوفو باعتباره رب الشمس؛ لذا، فإن عقيدة خوفو الجديدة كانت الثورة الدينية الأولى في التاريخ المصري القديم، وهو ما أدى إلى نبذ كهنة هليوبوليس وجعله يؤسس عقيدته الخاصة بالجيزة.

وبعد سقوط الدولة القديمة في عام 2165 ق.م، تم تدمير معابد خوفو وكشطت نقوشه من على الجدران كما حطمت تماثيله. وهذا النوع من التدمير خلال التحليل الأثري يعكس أن ما حدث هو أمر يفوق غرض السرقة. فمن المحتمل أن يكون الانقلاب الديني الذي حدث على يد خوفو وتبعه أبناؤه إلى حدوث ردة فعل وعودة قوة كهنة رع من جديد.

■ تمثال أبو الهول بالجيزة.



ولم نعثر على الكثير من التماثيل من عهد خوفو، فعلى الرغم من العثور على العديد من بقايا المناظر غير المعروفة من الجيزة، فإننا لم نعثر إلاَّ على تمثال وحيد للملك خوفو وهو تمثال صغير من العاج عثر عليه بعيداً عن الجيزة بأبيدوس في الجنوب داخل معبد المعبود خنتي أمنتيو. ومع ذلك، فإن المنطقة التي عثر بها على التمثال تعود لما بعد الأسرة الرابعة، وأعتقد أن هذا التمثال يرجع للأسرة 26، وذلك عندما تم إحياء عقيدة خوفو. ولا يوجد سوى القليل من التماثيل الكاملة للأفراد – ذات الأسلوب الشائع الذي ساد سواء قبل أو بعد حكم خوفو– والتي ترجع لعهده.

ومن بين تلك الاستثناءات ذلك التمثال الجالس الذي يمثل الوزير حم إيونو، فهو لرجل من كبار صفوة الدولة. وهناك وزير آخر يدعى عنخ حاف لم يعثر له إلاَّ على تمثال نصفي. وكان النوع الأساسي من التماثيل والذي شاع بعهده كان يهدف لتمثيل الرأس، وكان أغلب تلك الرءوس (والتي وصل عددها حتى الآن إلى 37 رأسًا تقريبًا) يرجع لعهد خوفو. وتلك الرءوس تمثل رأس صاحب المقبرة، والتي لا نعرف الغرض المحدد لها حاليًا. وعلى أية حال، فإنها في الأغلب تمثل تغييرات قد حدثت في عهد الملك خوفو وذلك كي تتماشى مع عقيدته الجديدة.

■ تمثال نصفي لـ: عنخ حاف – متحف الفنون الجميلة – بوسطن.

الفصل الثالث

خوفو.. حاكم طاغية أم عالم عظيم؟

جلس الملك خوفو بحجرته يفكر في الأبدية.. وقد استمر العمل بهرمه بسرعة شديدة.. حيث كانت فرق العمل المكونة من رجال أصحاء يتغذون جيداً تقوم بنقل كتل الأحجار الضخمة على المنحدرات، التي تلتف حول وجه الهرم الذي مازال مختفياً.. وكان النحاتون الملكيون في غاية الانشغال بنحت مساحات من النقوش التي ستزين معابده.. ولكنه مازال غير راض..! فهل فهم إرادة المعبودات جيداً؟ وهل كانت جميع الترتيبات الهامة لحجرات هرمه مضبوطة؟

كانت هناك مخطوطة بمكتبة "أون" والتي أراد أن يراها بنفسه.. فلم يعد يصدق مصيره على يد هؤلاء الكهنة الحمقى.. فلا أحد يمكن أن يفهم كلمات القدامى أفضل منه.. كما أنه قد حان الوقت أن تصبح الأمور كاملة بيديه هو..

إنه أمر في غاية الصعوبة، أن تعيد بناء شخصية تاريخية ما ولو بعد مرور جيل أو جيلين فقط من رحيلها. فالتاريخ، كما يقال، يسطر بأقلام المنتصرين دون أية مصادر معاصرة محايدة والتي من المستحيل أن نجدها، حيث إن وجود ديكتاتور طاغية ذائع الصيت يمكن تذكره على يد الأجيال التالية وكأنه حاكم خيّر، أو يمكن تصوير حاكم عبقري ومنصف وكأنه وحش شرير. وليس لدينا أية روايات معاصرة لعهد خوفو. وفي عصر المؤرخ هيرودوت؛ أي بعد مرور ألفي عام على وفاة خوفو، اكتسب خوفو سمعة سيئة تصوره كمستبد:

"لقد أوصل (خوفو) البلاد إلى جميع أنواع البؤس. فقد أغلق المعابد، ولم يسمح لها بممارسة عقائدها عدا تلك التابعة له. وقد أجبرهم دون أي استثناء ليعملوا كعبيد لصالحه.. (Herodotus, The Histories, Book II).

وقد ذكر هيرودوت أيضاً أن الهرم الجنوبي ضمن أهرام الملكات هو لابنة خوفو والتي -عندما مر الملك بضائقة اقتصادية- قد أرسلها للعمل كعاهرة لملء خزائنه. بالإضافة إلى النفقات التي طلبتها لصالح أبيها، طلبت من كل زبون من زبائنها بأن يحضر لها حجراً أسود كي تبني هرمها الصغير! وطبقًا للروايات التي ذكرت لهيرودوت والتي

أعاد ذكرها بإخلاص، فإن مصريِّي القرن الخامس قبل الميلاد أو على الأقل المرشدين القدامى الذين ترددوا على منطقة الأهرام لم يذكروا باني الهرم الأكبر بطريقة كريمة.

وقد قام كاهن مصري يدعى مانيتون، والذي جمع تاريخ ملوك مصر السابقين خلال القرن الثاني قبل الميلاد بواسطة العديد من المصادر الأكثر منطقية عما حصل عليه هيرودوت، بعدم ذكر أية آراء حول شخصية خوفو إلا أنه قد ذكر أن هذا الملك قد كتب كتابًا هامًا والذي كان له تقدير كبير طوال التاريخ المصري. والأقرب زمنيًا لعهد خوفو هي بردية وستكار، والتي ذكرناها من قبل. وتلك المجموعة من القصص والتي كتبت إبان الأسرة 12 تصف ملكًا يبحث عن المعرفة مفتونًا بالغموض. وتدور أحداث القصة ككل – على الأقل ما تبقى لنا– داخل بلاط خوفو، حيث تعاقب أبناء الملك ليقصوا على أبيهم روايات حول أحداث غير عادية حدثت في عصور الأسلاف. وبعد قصة سنفرو والفتيات المجدفات والتي رواها ابنه باو إف رع، وقف الأمير ددف حور ليتكلم، وبعد ملاحظته أن جميع الحكايات تدور حول أناس فارقوا الحياة، وهو ما لا يضمن حقيقتها، أعلن أن هناك ساحرًا من رعايا خوفو يدعى جدي يعيش بـ "جد سنفرو" (ميدوم). وأكمل قائلاً: "هذا الرجل يبلغ من العمر 110 أعوام ويأكل نحو خمسة آلاف رغيف من الخبز ونصف ثور ويشرب 100 جرة تقريبًا من الجعة يوميًا وله القدرة على أن يوصل رأسًا مقطوعة بجسدها، كما أنه يستطيع أن يجعل أسدًا يسير خلفه تاركًا قيوده على الأرض.. إنه يعرف عدد الحجرات السرية لقدس أقداس تحوت..."

وطبقًا للرواية، فإن ذكر الحجرات السرية لتحوت (رب الكتابة والحكمة) قد أثار فضول خوفو، والتي كان يبحث عنها حتى يستطيع أن يقلدها بمعبده الخاص. فأرسل ددف حور جنوبًا للبحث عن جدي، حيث عرفنا من خلال الرواية لمحات عن أسلوب الترحال بمصر القديمة: "... وبعد أن رست السفن على الشاطئ، انتقل برًا جالسًا على كرسي محمول مصنوع من الأبنوس، في حين كانت ساريات الكرسي مصنوعة من seshnedjem – أي مصنوعة من الخشب المطلي بالذهب، وقد عثر الأمير على جدي مستلقيًا على حصيرة بفناء منزله، فأعطاه الرسالة ودعاه لزيارة الجيزة. حينها أيقن جدي بطول بقائه بالعاصمة، فطلب حضور أطفاله وكتبه معه إلى المراكب الملكية ومنها إلى قصر خوفو..

والتقى كل من الملك والساحر، وسرعان ما سأل خوفو عن إمكانية جدي بالقيام بوصل رأس مقطوعة، فأجاب جدي بأنه يستطيع. فأمر خوفو بإحضار سجين وإعدامه حتى يستطيع ذلك الرجل العجوز باستعراض سحره



■ الإله تحوت إله الحكمة عند المصري القديم– مقبرة الملك سيتي الأول– الأقصر.

عليه. فرفض جدي صارخًا: "ليس بآدمي.. سيدي الملك.. فليس مسموحًا بإجراء هذا العمل مع العامة النبيلة.." فأحضروا إوزة، وبعد أن نجح جدي في وصل رأسها بجسدها، قام بنفس الخدعة بطائر (يحتمل أن يكون طائر الكركي) ومن ثم بثور.

فسأل خوفو حول أمر هام قائلاً: " يقال أيضًا إنك تعلم عدد الحجرات السرية لقدس أقداس تحوت.."فرد جدي أنه لا يعرف العدد ولكنه يعرف أين توجد معلومات عنها، فهي داخل صندوق من الصوان بمبنى بـ"أون" (هليوبوليس). فأمره خوفو بإحضاره، إلا أن جدي أخبره بأنه ليس الشخص الذي سيأتي به، ولكنه أكبر ثلاثة أشقاء داخل رحم امرأة تدعى "رددت" زوجة كاهن أكبر لرع. وأكمل قائلاً: "إنهم سوف يغتصبون هذا الدور الجيد (الملكية) بكامل تلك البلاد وسيكون أكبرهم هو الكاهن الأكبر لأون. فظهر الحزن على خوفو لسماع تلك الأخبار، فسرى عنه جدي قائلاً: "سيحكم ابنك أولاً، ومن ثم ابنه ومن ثم أحد منهم..". وعبر خوفو عن رغبته لزيارة معبد رع عندما تقوم رددت بالولادة، في حين أكد له جدي أنه سيتأكد من كون هذا الأمر نافذًا، حتى وإن كان هذا الأمر سيصبح خلال الصيف، وتصبح تلال الرمال التي يجب اجتيازها جافة. فقام الملك بمكافأة الساحر، وأسكنه بمنزل الأمير ددف حور ومنحه مكافأة.

وتستمر البردية في ذكر ولادة الأطفال الملكيين من رددت. وتعد تلك القصة مبهرة في ضوء النظرية التي تذكر أن خوفو قد دخل في صراع على السلطة ضد كهنة رع. وفي حقيقة الأمر، فإن نسل خوفو قد استمر نحو 50 عامًا قبل تحقيق نبوءة بردية وستكار. لكن الأسرة الخامسة – والتي وصلت إلى السلطة في عام 2513 ق.م– كان لها علاقة مختلفة مع كهنة هليوبوليس، وهو ما يعد عنصرًا حقيقيًّا بتلك القصة الخيالية، فقد بنى ملوك تلك الأسرة -بالإضافة إلى أهراماتهم– معابد الشمس والتي خصصت للمعبود رع ذات مسلات ضخمة كبؤرة العقيدة الشمسية؛ لذا، نظريًّا فإن السلطة التي اغتصبت على يد كل من سنفرو وخوفو من كهنة هليوبوليس قد عادت عند تلك النقطة وأن هناك أسرة مرتبطة بهم وموالية لهم قد وصلت إلى العرش. وتعد تلك الروايات بشكل عام محاولة لإكساب الأسرة الخامسة نوعًا من الشرعية، ومع ذلك فإن البردية نفسها وهي النسخة الأقدم والوحيدة والتي تحتوي على تلك القصة الشهيرة، ترجع لعصر الهكسوس (1600ق.م تقريبًا) كما أن نهاية القصة الأخيرة مفقودة؛ لذا فإن السبب الجوهري لتلك الروايات والقصص ليس بين أيدينا حاليًا.

وماذا نعرف عن شخصية خوفو من خلال تلك القصة؟ يرى بعض العلماء حقيقةً أن خوفو كان ينوي قطع رأس السجين دون معرفة إن كان الساحر سيستطيع إعادتها مرة أخرى أم لا، وهو ما يدعم وصف هيرودوت له بأنه طاغية مستبد. ومع ذلك، فإن تلك النظرة السلبية لا تؤيدها القصة نفسها. وفي حقيقة الأمر، فإن الملك لم يفعل شيئًا عندما قام أحد رجال حاشيته برده عن ذلك وتقبل ما قاله ذلك الرجل العجوز، وهو ليس تصرف رجل مستبد! كما أنه عندما سمع بحلول تلك الأسرة على عرش البلاد فإنه لم يثر و لم يأمر بقتل تلك المرأة وأبنائها المولودين، فقد ارتضى بالقدر وكافأ الرجل الذي أخبره تلك الأخبار المحزنة.

وإنه من الشائق التكهن حول حجرات تحوت السرية، حول ماهيتها ولماذا كان خوفو يبحث عنها، أو على الأقل قد ذكر أنه يبحث عنها. فربما هناك ذكرى شعبية تتعلق بالتصميم الداخلي قد بقيت عبر السنين، ومن المؤكد أن تلك الرواية بالإضافة إلى ما ذكره مانيتون في أن خوفو قد كتب كتابًا هامًّا تقدم صورة رجل متعلم مهتم بعظمة الماضي وتواق لتطبيق أفكار الماعت. وهنا يجب أن نسأل هل هذا الكتاب الذي كتبه الملك خوفو موجود خلف هذه الأبواب، أم أن هذه الأبواب مرصودة لكي تغلق حجرة الدفن الذي أراد إبعادها عن أيدي اللصوص؟ عموماً فإن هذا السر سوف نعرف إجابته بعد أن نعرف ما هو موجود خلف الباب الثاني من الممر الجنوبي أو الباب الثالث الموجود بالممر الشمالي.

الفصل الرابع

بلاط الملك

كان الملك سعيداً بمساعديه كبيري رجال الدولة حم أيونو وعنخ حاف، وهما اللذينْ عاشا معه طيلة فترة حكمه كما وثق فيهما لدرجة كبيرة.. وكان خوفو شديد القلق على والدته والتي كانت طاعنة في السن إلا أنها كانت قادرة على السيطرة على أمور الحريم.. وهو أمر ليس بهين في ظل وجود العديد من الزوجات والأبناء الطامعين في الوصول إلى كرسي العرش... فلم يفتقد خوفو إمكانية العثور على وجود خليفة له.

وكان وقت اختيار ولي العهد قد أصبح وشيكًا.. كما أن الاختيار أمر صعب.. إلا أنه كان يعني نفسه بإنجاز بناء الهرم حتى يستطيع الصعود إلى السماء والتأكيد على حياته الأبدية كمعبود.. دون النظر إلى ماذا سيحدث على الأرض بعد أن يتركها.. وقد اختار كبار رجال عهده بعناية وكانت البلاد في أيد أمينة.. حيث تم سحق أعدائها والثروات تملئ خزائنها.....

وقد عرفنا من خلال نصوص مقبرة أحد كبار موظفي الدولة في عهد الملك خوفو يدعى "رع نفر" –والذي حصل على لقب مدير مدينة هرم سنفرو– بأن جزءًا من بلاط الملك قد ظل في ميدوم ليخدم شعيرة الملك السابق. أما بردية (أبو صير) والتي ترجع للأسرة الخامسة (2450 ق.م) فتذكر أيضًا اسم "جد سنفرو والمكتوبة بمخصص علامة المدينة. وهو ما يشير بوضوح إلى المدينة وليس الهرم. وكان الأمير رع حتب وزوجته نفرت قد دفنا هناك، وذلك بعد رضى وموافقة الملك خوفو، مثلما فعل الأمير نفر ماعت وزوجته أتت. ومع ذلك، فإن أغلب أفراد البلاط قد انتقلوا مع الملك خوفو إلى الجيزة وعاشوا وعملوا مع الملك الجديد.

وعلى أساس كل من مدن أهرام سنفرو وما عرفناه من وثائق مدن أهرام كل من منكاورع والملكة خنتكاوس، فإن مباني مدينة خوفو والتي ضمت أفراد بلاطه ربما كانت بالقرب من معبد الوادي الخاص به. ويرى عالم المصريات الأمريكي جورج رايزنر George Reisner – الذي أمضى أغلب فترات حياته بعمل حفائر بالجيزة– أن مدينة هرم خوفو يمكن أن تكون أسفل قرية نزلة السمان، وكما ذكرنا من قبل،



■ جزء من الجبانة الغربية، حيث تظهر كيفية تقسيمها إلى شوارع– هضبة الجيزة.

أن هناك أدلة على وجود مدينة كبيرة ترتبط بالمجموعة الهرمية ظهرت فيما بين أعوام 1988 و1990 خلال إعداد نظام جديد للصرف الصحي. وبالإضافة إلى ذلك، فقد تم عمل حفائر في عام 1978م بمنطقة بعيدة عن العمران الحديث بتل يقع شرقي الهضبة جنوبي معبد الوادي للملك خوفو، حيث تم الكشف عن تجمع سكاني من العصر اليوناني الروماني تتضمن العديد من كسرات الفخار. وقد تم ربطها بمدينة بوزيريس والتي تعرف في المصادر المصرية واليونانية الرومانية وخاصة استرابو. وهناك دليل آخر على تجمع بالدولة الحديثة بنفس المنطقة، وهي قرية قريبة من نزلة السمان والتي تسمى الحرانية وذلك نسبة للاسم الكنعاني "حورون" والذي شبه بأبو الهول. ومع استمرار البناء على تلك المنطقة والتي كانت موقعاً لتجمع سكاني من الدولة الحديثة والعصر اليوناني الروماني، فإنه من المرجح أن تلك المنطقة كانت تضم الحي الراقي إبان عصر خوفو.

وما نعرفه عن أسرة وإدارة خوفو يأتي لنا في المقام الأول من خلال مقابر جبانة الجيزة، فبدون أية وثائق أو بقايا للتجمعات، لابد لنا وأن نستخدم مناظر وكلمات الموتى كي نحاول إعادة تكوين حياتهم. فهناك جبانتان كبيرتان تضمان مقابر عائلة خوفو ورجال بلاطه. ففي الجبانة الواقعة شرقي الهرم الأكبر مباشرة –والتي بدأ بناءها في العام الخامس من حكمه– تقع مقابر زوجاته وأبنائه وأحفاده بالإضافة إلى بعض من كبار رجال بلاطه. أما الجبانة الواقعة غربيْ الهرم–حيث بنيت في العام 12 من حكمه– فتضم كبار رجال خوفو وكهنته، بينهم وزراء ومسئولو الخزانة ومزارعون والمسئولون عن العقيدة الملكية. وكان كل من الجبانتين قد صممتا على شكل صفوف بينها شوارع. وقد استمر استخدام هاتين الجبانتين حتى نهاية الدولة القديمة. ومع مرور الزمن، كان يتم بناء مقابر أصغر حول المقابر الكبيرة، كما أن النظام الواضح في تخطيط الجبانتين قد اختفى من الفوضِى المتلاحقة عليها، مثلما يحدث لتخطيط مدن الأحياء.

وكان هذا التخطيط المنتظم لمدن الموتى هو أيضًا من إبداعات عصر الملك خوفو. حيث إن بداية فكرة هذا التخطيط قد جاءت من الأسرة الأولى، حيث تم دفن هؤلاء الذين خدموا الملك إبان حياته بالقرب منه لمرافقته في موته. وخلال عملنا الحالي بسقارة، عندما قمنا بتنظيف واكتشاف مقابر الأسرة الأولى، عثرنا على مقبرتين ثانويتين كاملتين. ووجدنا بداخل بئر إحدى المقبرتين مومياء ملفوفة بالكتان لامرأة ماتت عن عمر 35 عامًا تقريبًا وكانت رقبتها مكسورة مع وجود أثر لدماء على ساقها. أما الأخرى، فقد عثرنا على صندوق خشبي



يحتوي على أجزاء من هيكل عظمي محنط لرجل، وهو يعد أقدم أدلتنا على التحنيط. وعلى الرغم من أن عادة التضحية بالبشر قد تركت بالأسرة الثانية، إلا أن أعضاء العائلة وبعض التابعين لها قد استمروا في نقر مقابرهم بالقرب من مقابر ملوكهم خلال الأسرتين الثالثة والرابعة. ومع ذلك، فقد قام خوفو بتنظيم هذا الأمر وجعله رسمياً، وذلك من خلال تخطيطه للتقسيمات بين مصاطب أفراد أسرته وموظفيه. ومما يؤكد مدى قوة شخصيته وعقيدته هو الاستمرار في استخدام تلك الجبانات طيلة مئات السنين من بعده. وقد قام خلفاؤه سواء بالأسرة الرابعة أو حتى نهاية الدولة القديمة بعمل جبانات حول أهرامهم، وإن لم تكن منظمة أو معروفة مثل جبانات خوفو.

■ الجبانة الشرقية، جبانة عائلة الملك خوفو–هضبة الجيزة.



العائلة الملكية

دفن أفراد عائلة خوفو المقربون بالجبانة الشرقية، والتي كان لها تخطيط موحد. أما شرقيْ الهرم الأكبر مباشرة، تقع أهرام الملكات، والتي تم التخطيط لها قبل تغيير العقيدة بالعام الخامس من حكم خوفو. وكما ذكرنا من قبل، فإنه قد تم نقل الهرم الثانوي بأقصى الشمال عندما تم توسيع المعبد الجنائزي وأعتقد أن هذا الهرم الثانوي GI-a قد بني لدفن الملكة الأم، حتب حرس.

وفي عام 1925م، كان أحد المصورين العاملين مع جورج رايزنر أثناء حفائره بالجيزة ويدعى الريس محمدين يقوم بتثبيت حامل الكاميرا الخاصة به، حينها اكتشف لوحًا من الحجر الجيري الذي كان يسد باب إحدى المقابر. وكان

■ الجبانة الشرقية، جبانة عائلة الملك خوفو–هضبة الجيزة.



■ مدخل بئر الملكة حتب حرس- هضبة الجيزة.

رايزنر حينها في إجازة بالولايات المتحدة، ولكنه عند سماع تلك الأخبار عاد مسرعًا. وقد كشفت الحفائر وقتها عن مجموعة من السلالم بـ 12 درجة تقريبًا تؤدي إلى بئر مليء حتى قمته بكتل من الحجر الجيري. وبالقرب من القاع والذي كان يحتوي على قطع أثرية وكسرات من الفخار عثر على ختم يحمل اسم الورشة الجنائزية للملك خوفو. أما بالجدار الغربي لهذا البئر فكانت هناك كوة تتضمن بقايا قرابين مبعثرة، منها ثلاث عظام لساق ثور ملفوفة بحصيرة، وجمجمة ذات قرون مكسورة، وزوج من أواني نبيذ، وقطعة من الحجر الجيري، ولوحين من البازلت، وبعض قطع من الفحم.

وعند قاع البئر، توجد حجرة مليئة بكنوز بديعة وهي محفوظة حاليًا بالمتحف المصري. وأغلب قطع الأثاث مصنوعة من الخشب المطلي بالذهب ومنها جوسق وسرير وزوج من الكراسى ذات المساند الجانبية (ربما يشبه الذي استخدمه ددف حور بأسطورة بردية وستكار). ومن بين تلك القطع المبعثرة الكبيرة، عثر على صندوق مغطى بالجلد لوضع عصا المشي، وعدد من الصناديق الخشبية وبعض الأدوات النحاسية وقطع أخرى صغيرة منها 20 أسورة فضية مطعمة باللازورد والعقيق والتي في الأغلب قد صممت كي تزين ذراعي الملكة. وقد عثر أيضاً على صندوق لحفظ الأواني الكانوبية والتي كانت تحتوي على الأحشاء المحنطة للملكة فوق محفة خشبية داخل كوة مغلقة بالجدار الغربي لتلك الحجرة. وفي الجدار المقابل كان يوجد تابوت من الألباستر له غطاء، وعندما تم فتح الغطاء كان التابوت خاويًا وهو ما جعل من تلك المقبرة أحد ألغاز مصر القديمة.

وكانت بعض قطع الأثاث منقوشة بألقاب الملك سنفرو والملكة حتب حرس والتي كانت "أم ملك مصر العليا والسفلي" و"ابنة الإله". كما عثر على أختام طينية داخل صناديق خاصة بورشة الملك خوفو والتي ربما قد ألقي بها بعدما أخذ ما كان بها من محتويات. وقد عثر أيضاً على اسم الملكة حتب حرس ولقبها "أم الملك" على إناء بمدينة بيبلوس.

كيف لنا حل لغز مقبرة الملكة حتب حرس، والتي تعرف باسم حتب حرس الأولى (حيث اتخذت العديد من الملكات من نسلها نفس الاسم)؟ ولماذا لم يوجد مبنى فوق الأرض يعلو مقبرتها، ولماذا أصيبت حجرة دفنها بمثل تلك الفوضى؟ والسؤال الأهم.. أين توجد مومياءها؟

وهذا هو السيناريو الذي تخيله رايزنر لشرح الوضع القائم:

ماتت الملكة حتب حرس الأولى خلال الأعوام الأولى من حكم ابنها خوفو، ودفنت على الطريقة التقليدية بدهشور، قرب هرم زوجها. في وقت ما، قام مجموعة من اللصوص باقتحام مقبرتها وسرقوا مومياءها، وعندما

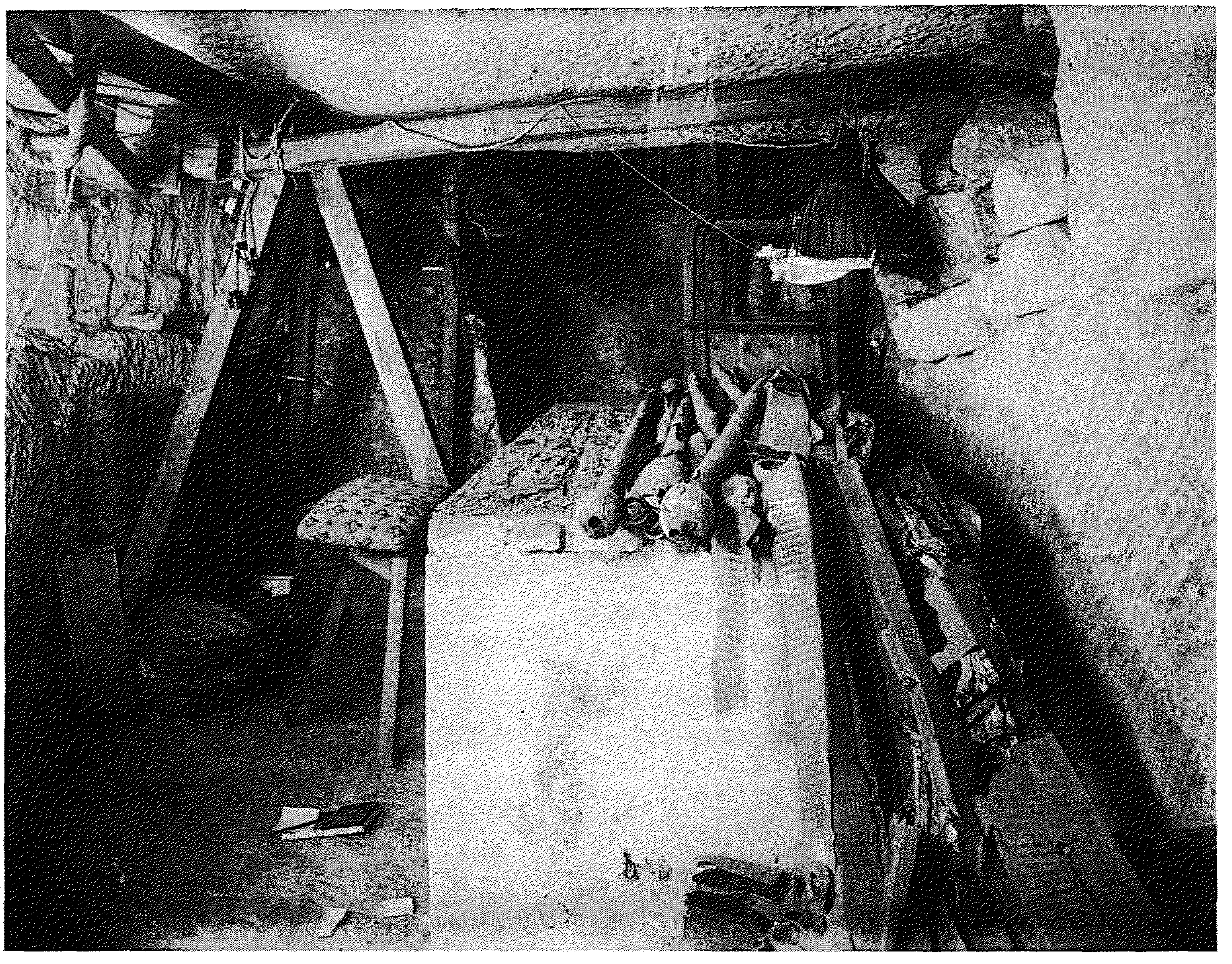


سمع الملك بأن قبر أمه قد انتهك، قام بتجميع ما بقي من أثاثها الجنائزي ونقله إلى مكان غاية في السرية وكان هو ذلك البئر المنقور على عجل بالقرب من هرمه بالجيزة.

وقد لاحظ رايزنر أن جانب التابوت الملاصق للجدار قد أصابه التهشم وهو ما يرجح أنه قد تعرض للكسر. بالإضافة إلى ذلك، فإنه يرى أن محتويات المقبرة قد نقلت بشكل عكسي، بمعنى أن أول قطع قد تم أخذها من مقبرة دهشور هي أول قطع قد تم وضعها بمقبرة الجيزة. ومع تقديم قرابين بتلك المقبرة الجديدة بالجيزة، فيحتمل أن الملك خوفو لم يعرف بفقدان جثمان أمه. وقد عثر على قطع من البازلت داخل كوة القرابين وهو ما جعل رايزنر يرجح بأن كل هذا قد تم خلال عملية رصف المعبد الجنائزي.

ويخالف مارك لينر Mark Lehner ما اقترحه رايزنر، حيث قال بأن اللصوص لم يقوموا بتكسير غطاء التابوت أو سرقة جميع المحتويات الصغيرة (ومنها الأساور الفضية البديعة)، كما أنه يرفض فكرة نقر هذا البئر في سرية

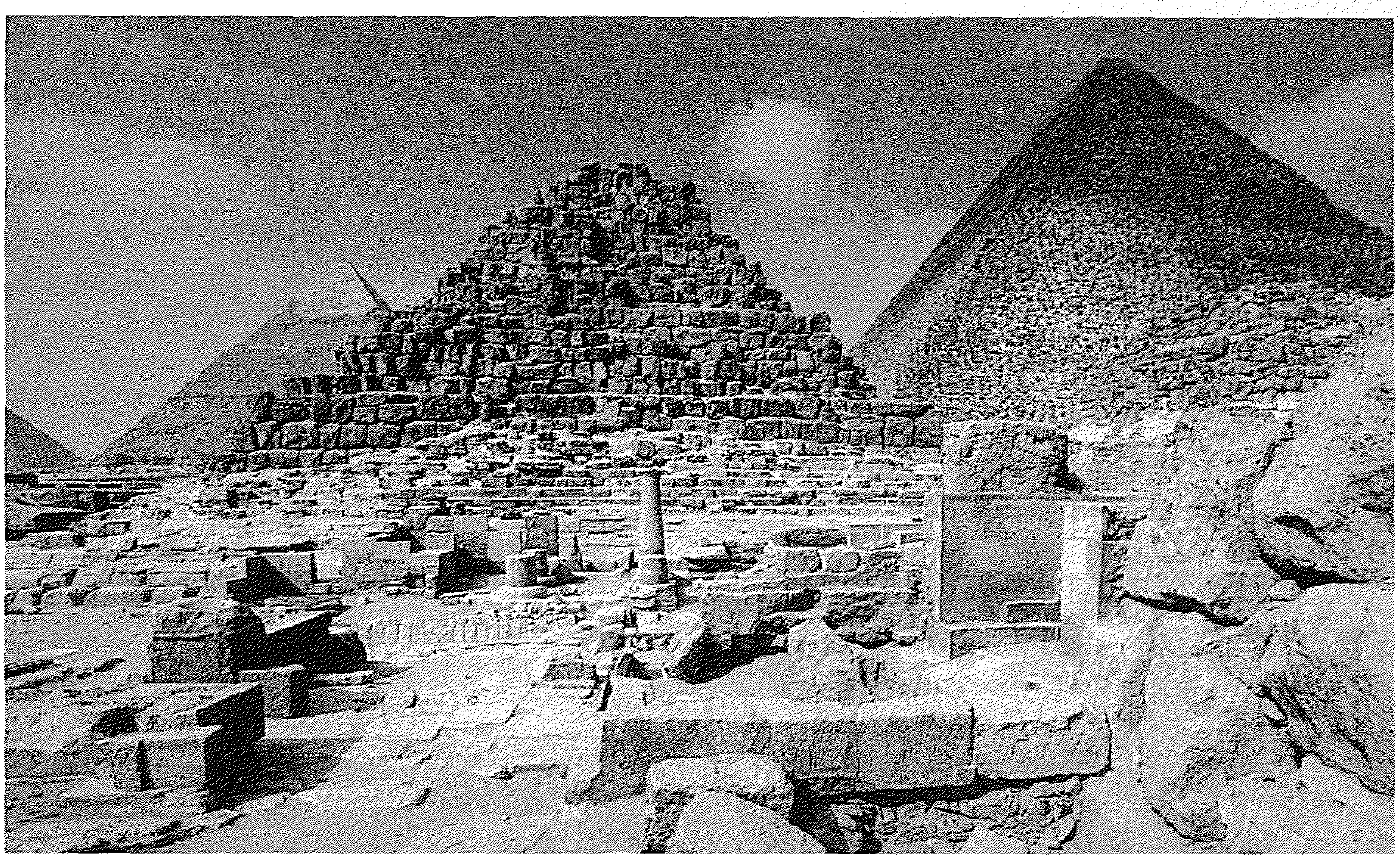
■ الأساور الذهبية للملكة حتب حرس– المتحف المصري.



تامة، حيث وجد أنه ليس من اللائق أن يترك خوفو أمه تدفن بأثاث متهالك وقطع مكسورة من الفخار. ومع تحديده لنوع هذا البئر والذي يشبه آبار الأسرة الثالثة، فيرى لينر أن هذا البئر قد نقر في أوائل حكم الملك خوفو والذي خصص في الأصل لدفن الملكة حتب حرس كجزء من التصميم العام للهرم GI-a. وقد تم البدء في بناء جزء علوي للمقبرة، إلا أنه قد توقف مع تغيير تصميم المعبد الجنائزي. ومع إتمام بناء الأهرام الثانوية، فإنه قد تم نقل جثمان الملكة من مدفنها الأصلي إلى أحد الهرمين إما GI-a أو GI-b.

وعلى الرغم من اجتهاد النظريتين، إلا أنهما قد أغفلتا العديد من التفاصيل، مثل الأواني الكانوبية الخاصة بالملكة والتي من الصعب أن تبقى في حال نقل موميائها على يد رجال خوفو. وفي رأيي الشخصي أرى أن الملكة حتب حرس قد دفنت بالهرم الثانوي GI-a. فقد أشار لينر إلى أن كلًا من أوانيها الكانوبية وأثاثها الجنائزي قد وضعت بحجرة دفن هذا الهرم، وهو ما يجعل الأمر أكثر منطقية عندما يكون هناك مكان مخصص لها بحجرة الدفن. وخلال عصر الانتقال الأول تعرضت آثار الجيزة للتدمير نتيجة صراعات عظيمة بالمجتمع المصري، وهو

■ الأثاث الجنائزي للملكة حتب حرس لحظة الكشف.

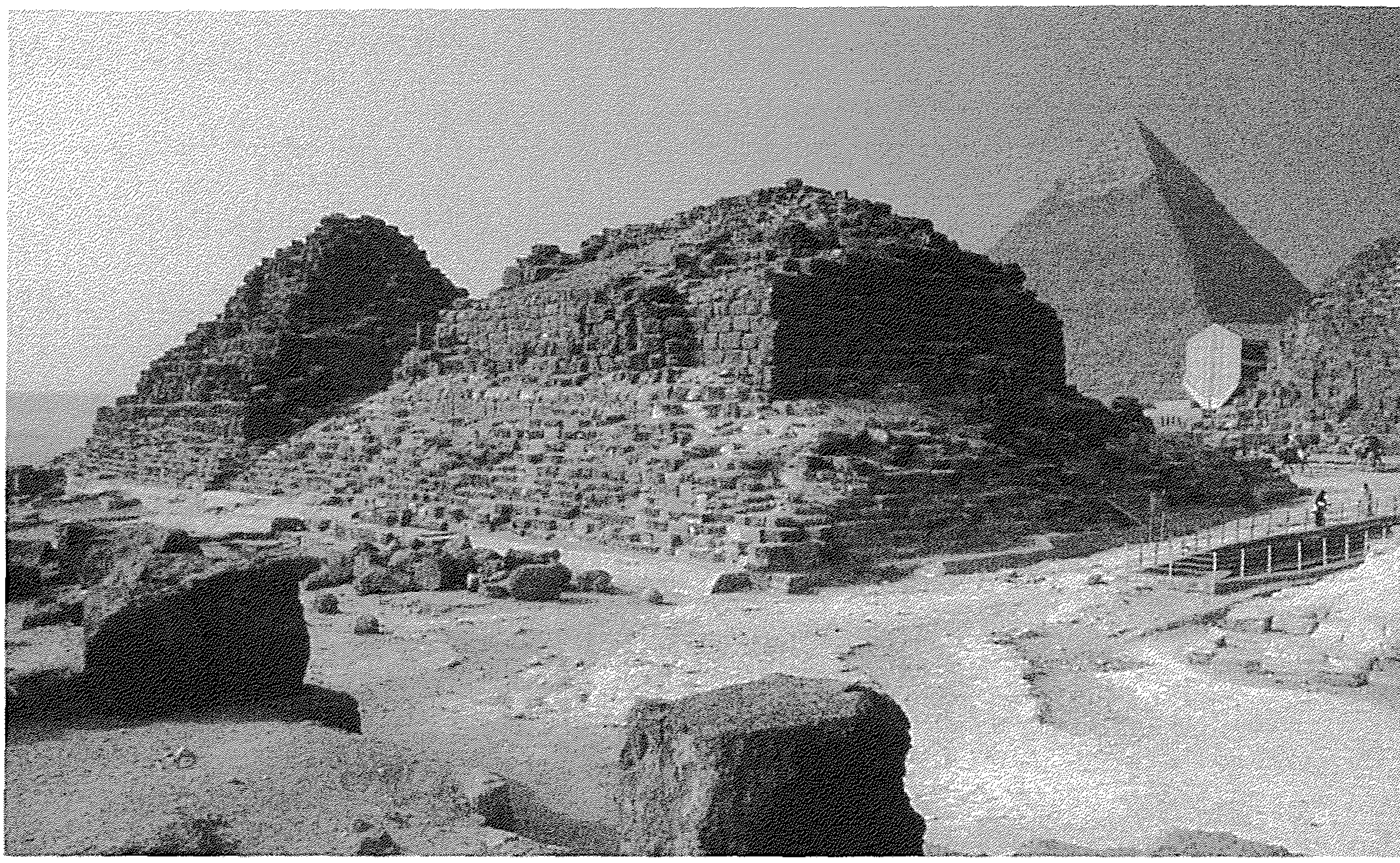


ما عرض مقبرة الملكة للدمار والنهب خلال تلك الفترة العصيبة، حيث قام اللصوص بسرقة مومياتها بحثًا عن الكنوز والتمائم. وبعدها قام مجموعة من الكهنة الموالين للعقيدة الملكية بنقل ما تبقى من الأثاث الجنائزي بهذا البئر الموجود بالجيزة والذي يبدو أنه قد نقر قبل حكم خوفو، وبقى هناك لمدة 4 آلاف عام. وهذا ما يبرر وجود البقايا البازلتية التي عثر عليها بكوة القرابين والتي ربما أتت من أطلال المعبد الجنائزي للملك خوفو.

وفي حال إن كانت نظريتا أو نظرية لينر هي الصحيحة، فإن الملكة قد دفنت بأحد الأهرام الثانوية، وهو في الأغلب الهرم الشمالي. ماذا إذًا عن الهرمين الآخرين؟ يبدو أن الهرم الجنوبي GI-c قد بني لإحدى الملكات والتي تدعى حنوت سن. وقد عرفنا هذا الاسم من خلال لوحة منقوشة والتي تعرف بلوحة الحصاد أو لوحة ابنة خوفو. وقد عثر على هذه اللوحة بالمعبد الصغير الذي خصص لإيزيس في العصر المتأخر فوق المقصورة الأصلية للهرم GI-c. ويمكن قراءة جزء من النص والذي يرجع للأسرة 18 (1500 ق.م):

"يعيش حورس مجدو.. ملك مصر العليا والسفلى خوفو معطي الحياة.. لقد كان هذا بجوار بيت أبو الهول بالجانب الشمالي الغربي لبيت أوزير سيد راستاو والذي أسس بيت إيزيس.. وكان هذا بجوار معبد تلك المعبودة، حيث بنى هرمه.. وكان هذا بجوار هذا المعبد الذي بنى هرمًا لابنته، حنوت سن..."

■ معبد إيزيس شرق أهرامات ملكات خوفو – هضبة الجيزة.



ومن الواضح أن كاتب هذا النص لم يكن محددًا لمعلوماته، وخاصة أن هرم خوفو قد بني قبل نحت أبو الهول. ومع ذلك، فإن اسم حنوت سن هو اسم شائع بالدولة القديمة، ومع غياب أية عناصر أخرى تنسب لها، فيمكن لنا اتباع القواعد العلمية والتكهن بأن حنوت سن كانت إحدى زوجات خوفو وقد تم دفنها بالهرم GI-c.

أما بالنسبة للهرم الأوسط GI-b فلا توجد أية نصوص تتعلق به؛ لذا فلابد من البحث عن مصادر أخرى كي نتكهن باسم صاحب هذا الهرم. وقد عرفنا أسماء ثلاث ملكات من عائلة خوفو وهن: مريت إت إس الأولى، نفرت كاو الأولى، سديت. وكانت نفرت كاو هي الابنة الكبرى للملك سنفرو، وأم الأمير نفرماعت الثاني وجدة رجل يدعى خاف سنفرو. ولا نعرف إن كانت قد تزوجت من الملك خوفو أم لا، إلا أنه من المحتمل أن تكون هي صاحبة الهرم الثانوي الأوسط. ومع ذلك، فإن هناك احتمالاً كبيرًا بأن تكون الملكة مريت إت إس هي التي دفنت به. وبصفتها حاملة للقب "زينة سنفرو" و"زينة خوفو" (واحدة من الحريم)، فيبدو أنها قد وصلت إلى درجة عالية ببلاط كل من الثلاثة ملوك، كما يبدو أنها ابنة سنفرو وحتب حرس الأولى، وهو ما يجعلها أخت خوفو الشقيقة والملكة الرئيسية.

■ الهرم الأوسط من أهرامات ملكات خوفو – هضبة الجيزة.

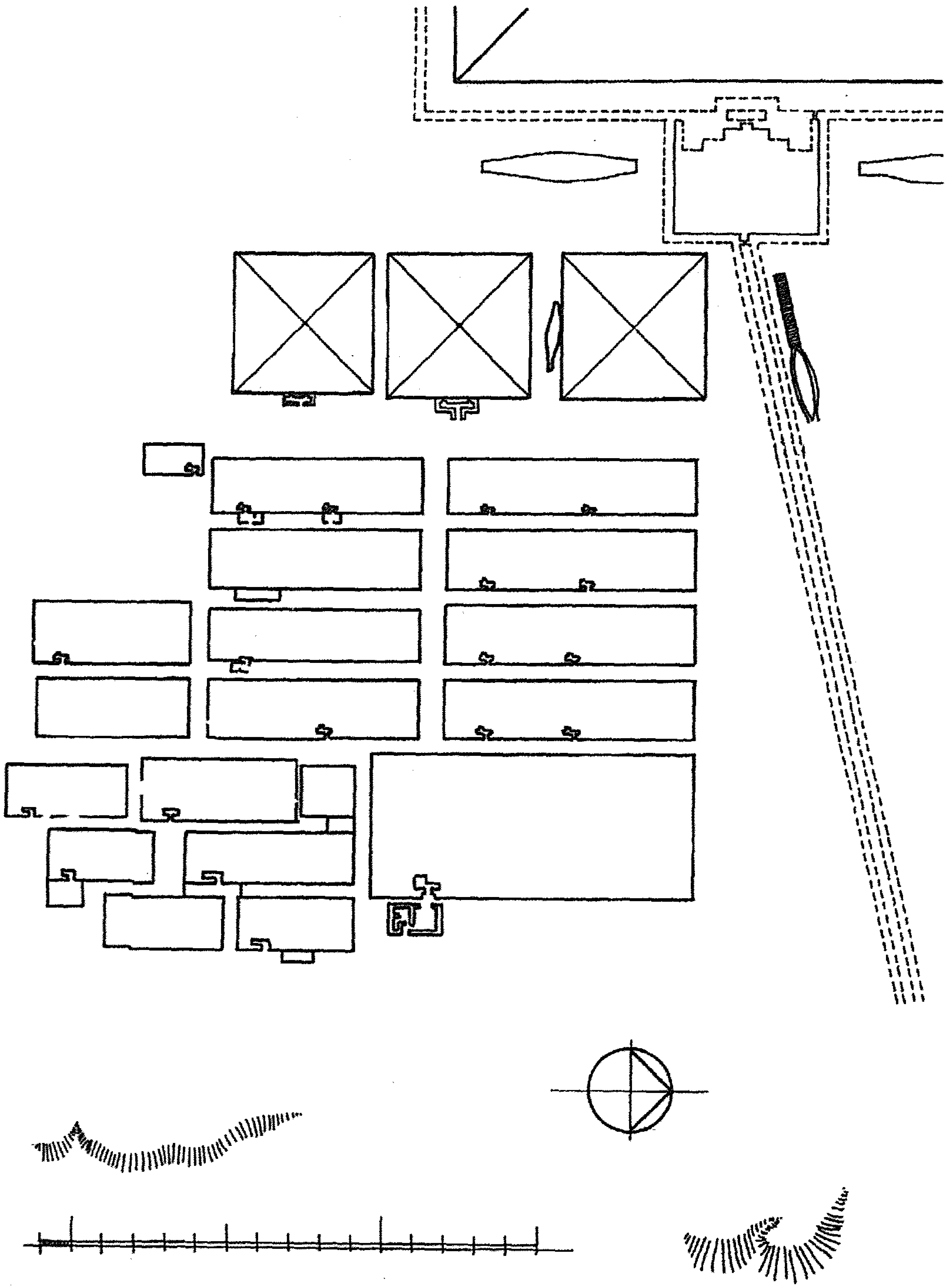
الأطفال الملكيون

تحتوي الجبانة الشرقية على أكبر مصاطب بالجيزة (عدا المصطبة الضخمة رقم G2000 بالجبانة الغربية التي لا نعرف صاحبها). وقد عرفنا من خلالها أسماء أصحابها وبعضًا من ألقابهم (وبالتالي بعضًا من مناصبهم الرسمية بالبلاط) والذين كانوا بالعائلة الملكية.

ويبدو أن قلة المعلومات المتاحة لدينا عن العائلة الملكية قد تسببت في صعوبة تحديد العلاقات بين أفراد تلك العائلة. ومن بين أهم الألقاب التي حملها العديد من هؤلاء الذين دفنوا بالجيزة هو "سا نسوت" (بالنسبة للنساء سات نسوت) وهو ما يترجم "ابن الملك" أو "ابنة الملك". أما بالنسبة للأفراد العاديين فإنه يعني ابن فلان أو ابنة فلان. وقد أصبح هذا اللقب يعني أيضاً لقباً حكوميًا يحمله موظفون غير ملكيين. وعلى أي حال فإن إعادة تشكيل العائلة الملكية لابد وأن يكون أمراً افتراضياً في ظل الحصول على معلومات من طرز المقابر وزخارفها، بالإضافة إلى أية معلومات يمكن الحصول عليها مستقبلاً.

ومن المعروف أن صاحب المقبرة شرقي الهرم الأكبر مباشرة هو الأمير كاوعب.، وهو الابن الأكبر للملك خوفو من زوجته الرئيسية مريت إت إس، وهو ما جعله ولي العهد. وقد تزوج من أخته الشقيقة حتب حرس الثانية وأنجب ابنة تدعى مرسي عنخ الثالثة. وينسب لهذا الأمير أول تماثيل للكاتب والذي يمثله جالساً جلسة القرفصاء ممسكاً بلفة بردي على حجره. وتلك المجموعة من التماثيل من النوادر التي ترجع لعهد خوفو. ويبدو أن كاوعب قد مات قبل خوفو وهو ما حرمه من فرصة الصعود إلى العرش. ويعتقد بعض العلماء الجدد أنه لم يتم اختياره كي يكون خليفة الملك، حيث إنه قد اتخذ لقب الوزير وخدم والده في هذا النطاق فحسب، وأعتقد أن كاوعب لم يكن وريثاً للعرش إطلاقاً؛ لأنه لو كان قد تولى العرش بعد أبيه لما بنى مقبرة بهذه الضخامة بالجبانة الشرقية.

وهناك ابن آخر للملك وهو باو إف رع، والذي ذكر ببردية وستكار وبنقش من الدولة الوسطى بوادي الحمامات يضعه ضمن أحد خلفاء خوفو (على الرغم من أنه لم يصل إلى العرش أيضاً)، ويبدو أنه قد تم دفنه بمقبرة كبيرة رقم G7310+20 والتي لا نعرف صاحبها. ومن المحتمل أنه هو نفس الأمير باو إف حور والذي عرفناه من خلال تابوت جرانيتي لا نعرف مصدره، موجود حالياً بالمتحف المصري. وتلك المقبرة G7420 هي الوحيدة غير المعروفة والتي تبلغ من الضخامة ما يمكنها أن تحتوي على مثل



هذا التابوت الكبير، فقد عثر على بقايا تحمل اسمه على جدار مقصورة تنسب إلى تلك المقبرة، بالإضافة إلى بقايا لقب لم يحمله سوى الوزراء إبان الأسرة الرابعة. أما الجزء الآخر من تلك المقبرة وهو G7410 فهو يخص إحدى الملكات والتي تدعى مرسي عنخ (وهو اسم ثانٍ بعد اسم أم سنفرو) وهو ما يرجح أن تلك المقبرة هي لباو إف حور، حيث إن كلاً من باو إف حور ومرسي عنخ كانا زوجين.

■ مخطط للجبانة الشرقية والتي ضمت مقابر عائلة وأبناء خوفو- هضبة الجيزة.

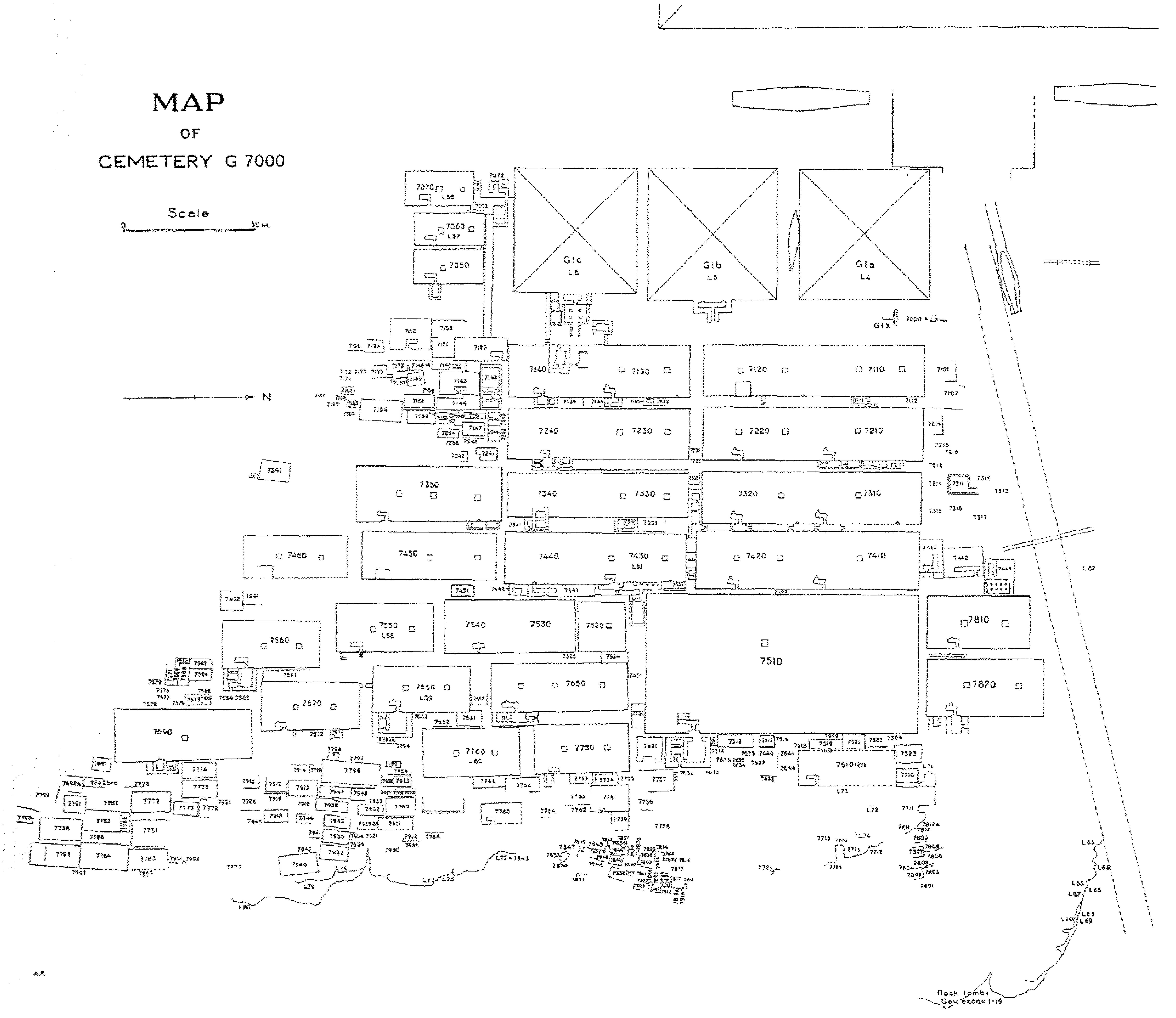
لماذا نعتقد أن كلاً من باو إف حور وباو إف رع هما شخص واحد؟ فهذا السؤال على قدر من الأهمية والذي يتعلق بعقيدة خوفو الجديدة. حيث إن اسم باو إف هو مثل العديد من المصريين يتضمن على اسم الرب حورس. ويعني اسم باو إف حور "روحه هي حورس". وكان أغلب أبناء خوفو قد حملوا أسماء تتضمن اسمي حورس وخوفو، اللذين يشيران إلى الملك نفسه. وعندما يتحول الملك ليصبح رع، فسوف تتحول أسماء أبنائه في نفس الوقت من حور إلى رع، أو من خوفو إلى رع.

أما بالنسبة للمقبرة 20+7210 فهي من المؤكد أنها تخص الأمير جدف حور، وذلك من خلال بعض النقوش بالمقبرة وإن كان قد أصابها تلف شديد. وقد تعاظمت عقيدة هذا الأمير مع نهاية الدولة القديمة وأصبحت ذكراه معروفة بين الناس بكونه رجلاً حكيمًا وكاتب العديد من التعاليم، وهو نفس الأمير ددف حور الذي ذكر ببردية وستكار.

ويبدو أن مسألة خلافة العرش إبان الدولة القديمة كان أمرًا صعبًا، حيث كان ولي العهد بالعصور الحديثة يشارك والده في الحكم قبل أن يخلفه على العرش. أما بالعصور القديمة فلا نعرف كيف كان يتم اختيار الخليفة، كما أننا لا نعرف تحديداً متى بدأ الناس في نقر مقابرهم وتزيينها بالزخارف. وهناك اقتراح بالنسبة للجبانة الشرقية هو أن أصحاب تلك المصاطب قد وضعوا التخطيط العام لها، ولم يشرعوا في بنائها إلا عندما وصلوا إلى عمر معين، وبلغوا مناصب مرموقة. وقد عرفنا أن بعض أصحاب المصاطب قد وصلوا إلى أعلى المراتب بالسلم الوظيفي، وذلك بعد أن قاموا بزخرفة أجزاء من مقابرهم. لذا، فإن أغلب الزخارف والمناظر قد تمت قبل وفاة أصحاب المقابر.

ومن الشائع أن الابن الأكبر للملك هو الذي يخلفه على العرش، وفي حال وفاة ولي العهد، يأتي من بعده الابن التالي. وهذا التقليد يشوبه نوع من التعقيد بالدولة القديمة، على الرغم من وجود مثال للخلافة ما بين الإخوة، مثلما تم بين جدف رع وخفرع، كما يحتمل أن يصعد إلى العرش أحد الأقارب الأقوياء (في حالة وفاة الملك قبل تعيينه لولي العهد). ويبدو أن فكرة الخلافة قد جاءت متأثرة بالأسطورة المصرية القديمة الخاصة بقتل أوزير على يد أخيه ست ليصل إلى العرش، ومن ثم جاء ابنه حورس ليغلب عمه ويأخذ عرش أبيه.

ومن المحتمل أن يكون الأمير جدف حور قد شرع في بناء مقبرته عندما كان شابًا ثم تركها بعد وفاة والده عندما تقلد العرش باسم جدف رع. وتذكر الروايات المتأخرة جدف حور بصفته رجلاً حكيمًا أكثر من كونه ملكا على مصر



على الرغم من ذكر اسمه بنقش وادي الحمامات من الدولة الوسطى والذي يذكر كلاً من جدف رع وجدف حور كخلفاء لخوفو؛ لذا فإنه من المحتمل أن يكون هذان الاسْمان لشخصين منفصلين. وفي تلك الحالة، فإن عدم وجود مقبرة لجدف رع بالجيزة تشير إلى أنه دائماً ما يذكر بأنه ولي العهد؛ لذا فإنه قد انتظر كي يبني هرماً خاصًا به.

أما الأمير خع إف خوفو، فكان أحد أبناء الملك والذي صور بمقبرته رقم G7130+40 بمنتصف عمره في العام 24 من حكم الملك خوفو، ويبدو أن أمه كانت ملكة ذات أهمية على الرغم من أننا لا نعرف اسمها. كما أنه لم

■ مخطط تفصيلي لمقابر الجبانة الشرقية والجبانة ٧٠٠٠.



يحمل لقب وزير داخل مقبرته، على الرغم من وجود كسرة بإحدى حفرات مراكب الملكات والتي زخرفت بنفس أسلوب المقبرة ويظهر بها لقب وزير؛ لذا فإنه من المحتمل أن يكون خع إف خوفو قد حصل على هذا اللقب بعد أن أتم بناء مقصورته. ويرى شتادلمان أن خع إف خوفو هو نفسه خع إف رع (خفرع) صاحب الهرم الثاني بالجيزة. ويبدو أنه قد أصبح وزيراً في عهد أخيه غير الشقيق جدف رع وليس في عهد أبيه خوفو.

وهناك أميران آخران من هذا الجيل وهما خع إف مين ونفر ماعت الثاني. وقد حمل خع إف مين لقب "أكبر أبناء الملك من صلبه" وهو اللقب الذي لم يحمله سوى الأمير كاوعب، حيث يبدو أنه كان أكبر أبناء الملك من إحدى زوجاته. وقد عمل أيضاً كوزير في عهد خفرع وهو نفس لقب الأمير نفر ماعت الثاني حفيد سنفرو، ولكن ليس ابن خوفو.

■ مقبرة مرسي عنخ– الأسرة الرابعة– هضبة الجيزة.

أما عن بنات خوفو فأشهرهن مرسي عنخ الثانية، والتي دفنت بالمقبرة G7410+20 كانت ابنة للملك من زوجته مرسي عنخ الأولى، وهناك الأميرة حتب حرس الثانية من نفس الملكة والتي تزوجت ثلاث مرات، من أخيها كاوعب كما ذكر من قبل ومن "عنخ حا إف" ومن "جدف رع"، وأنجبت الأميرة مرسي عنخ الثالثة، وهناك الأميرة "خع مرر نبتي" وهي ابنة الملك خوفو من ملكة غير معروفة، وتزوجت من الملك خفرع.

ولتلخيص عائلة خوفو:

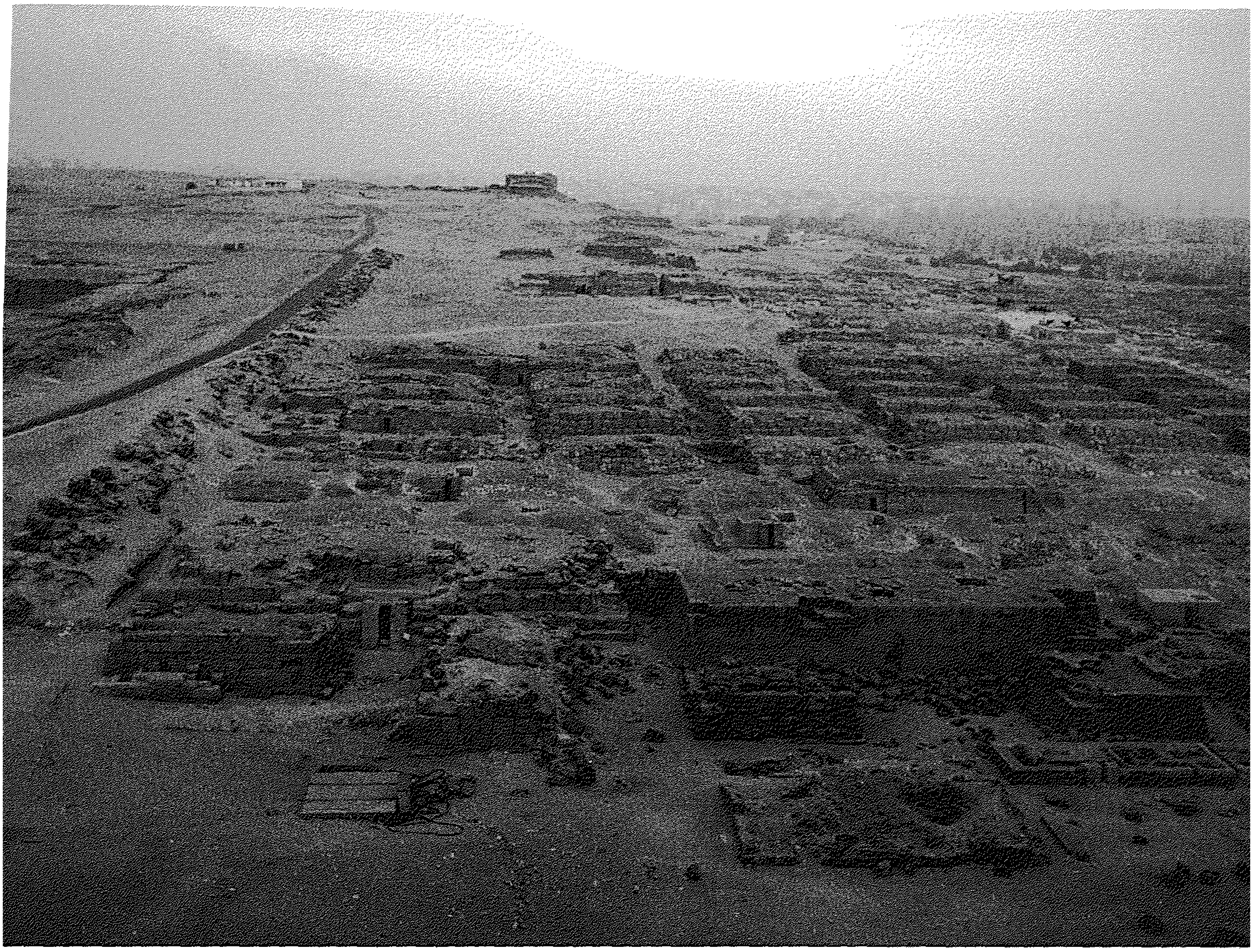
- زوجة خوفو الرئيسية (مريت إت إس الأولى) والتي أنجب منها كلاً من (كاوعب، وباو إف حور/باو إف رع، و جدف حور، وجدف رع، ومريت إت إس الثانية، وحتب حرس الثانية).
- الملكة حنوت سن كانت أمًا لخع إف خوفو/خفرع، وخع إف مين.
- نفرت كاو الأولى• ابنة الملك سنفرو.. أنجبت كلاً من نفر ماعت الثاني وزوجة خع إف خوفو والتي تدعى نفرت كاو الثانية.
- هناك ملكة أخرى نعرف اسمها وهو سديت.

الإدارة في عهد خوفو

من الواضح أن أغلب، إن لم يكن جميع أبناء خوفو قد اتخذوا لقب وزير، وذلك في حياة أبيهم، كما أننا نعرف اثنين من الوزراء المعاصرين له. فقد كان حم إيونو هو أول وأهم مستشاري الملك، والذي دفن في المقبرة G4000 بالجبانة الغربية، وكان هذا الرجل الهام ابن وزير الملك سنفرو والمدعو نفر ماعت الأول والذي يحتمل أن يكون ابن أخ أو ابن عم خوفو. أما عنخ حا إف والذي كان ابن الملك سنفرو من زوجة ثانوية فقد دفن في المقبرة G7510، والتي تعد واحدة من أكبر مصاطب الجبانة الغربية. ويبدو أنه من الصعب تحديد الوقت الذي عاش فيه هؤلاء وأي منهم قد خدم في عهد خوفو كوزير.

وقد حاول العديد من العلماء عمل تسلسل مختلف لهؤلاء الوزراء، ومن خلال تحديد عدد معين من الوزراء، والذين عاشوا في فترة معينة، يبدو أن الأمراء قد وصلوا إلى تلك المرتبة بعد التدرج بالألقاب ببطء، وهو ما يرجح أنهم قد وصلوا إلى تلك الدرجة في عمر كبير، وماتوا بعدها مباشرة. وهناك احتمال آخر وهو غير شائع أن أكثر من وزير قد خدموا في نفس الوقت. وهذا ما حدث خلال الدولة الحديثة عندما كان يخدم وزيران في نفس الوقت.

• راجع عائلة خوفو ص 262–263.



ودون النظر إلى شخصية من خدم كوزير في عهد خوفو، فيبدو أن هذا المنصب غاية في الأهمية، وهو الذي يلي الملك مباشرة في متابعة جميع الأعمال، حيث الأعمال الإدارية المركزية والإشراف على جميع الأقاليم، ويلي الوزير طبقات إدارية عديدة. وعلى عكس ما نرى من نظم الإدارة في يومنا هذا، خاصة في الدول الغربية من حيث التخصص، فقد كان الموظفون المصريون القدماء يقومون بالعديد من الأعمال في مختلف الأوجه في آن واحد.

ويعد الجيش أحد أهم أفرع الإدارة المصرية، وهو المسئول عن حماية البعثات الأجنبية وتأمين طرق المناجم، والتي يتم منها إحضار المواد الخام اللازمة لبناء الهرم، والحفاظ على الحدود المصرية. وقد نظم الجيش على نظام قبلي ذي وحدات تأتي من جميع أنحاء البلاد، في حين أن الوحدات المتمركزة بالعاصمة فكانت تحت إمرة ضابط ملكي.

■ منظر عام للجبانة الغربية جبانة الموظفين- هضبة الجيزة.

أما بالنسبة للضرائب، فكانت تجمع من جميع أنحاء البلاد، من ضمنها العاصمة، ويتم إيداعها بالخزانة الملكية والتي كانت مقسمة إلى فرعين، خزانة مصر العليا وأخرى لمصر السفلى. وكانت الخزانة الملكية تحتوي على كل من الذهب والفضة والحبوب والأشياء النفيسة. وكانت كل من الخزانتين تحت إشراف شخص واحد وهو المسئول عن جميع السجلات.

وكانت مصر مقسمة إلى أقاليم، يقوم الملك بتعيين حاكم كل إقليم، وبالإضافة إلى مهمتهم في جمع الضرائب، كان حكام الأقاليم يقومون بإرسال العمال للخدمة في بناء الهرم، ويبدو أن تنفيذ هذا المشروع الرهيب كان نتاج إدارة قوية أسسها الملك خوفو، حيث كانت الإدارة عبارة عن مجموعة من الأقسام الصغيرة التي اندمجت في أقسام أكبر واقعة تحت إشراف موظف واحد، فقد كانت هناك إدارة تختص بشؤون بعثات المناجم والمحاجر بسيناء فقط، وهناك إدارة أخرى تختص بمراقبة نقل المواد والأفراد، وهناك ثالثة مسئولة عن تخطيط وإنشاء القصر والمقابر والقنوات والترع والبحيرات. وكانت جميع تلك الإدارات واقعة تحت إشراف موظفين ملكيين يرأسهم الوزير ومن فوقه الملك.

ولم ينتمِ معظم موظفي إدارة خوفو للعائلة المالكية، كما أنهم لم يدفنوا حسب ترتيب زمني مثل حم إيونو. ويحد الجبانة الغربية ناحية الجنوب جدار ضخم من الطوب اللبن يسير من الشرق للغرب عبر المحجر القديم لخوفو. أما ناحية الشرق فيوجد جدار محيط من الصخر. ومن خلال تلك العناصر، قسمت الجبانة إلى 4 مجموعات من المقابر الصخرية، بينها طرق وشوارع. أساسية رقمها العلماء G1200 وG2100 وG4000 والمجموعة En echelon؛ أي "المجموعة المنسقة" وتتكون كل مجموعة من مقابر حجرية يفصلها شوارع وطرق. وخلال العام 20 من عهد الملك خوفو أكمل العمال الملكيين مقابر المجموعة G4000 ونظمت من الشرق إلى الجنوب الشرقي من مقبرة حم إيونو (حملت نفس رقم G4000). وقد ترك القائمين على تخطيط جبانة خوفو مسافة 140–150م عرضًا بين الهرم وبين المجموعات G4000 و1200 ربما لعمل ممر للمنحدرات الكبيرة والجسور الخاصة ببناء الهرم أو لعمل ثكنات مشابهة لتلك الموجودة إلى الغرب من هرم خفرع والتي استخدمت كورش أو أماكن تخزين.

وكانت أكبر مقبرة بالجبانة الغربية هي المقبرة G2000، وقد عثر بداخلها على هيكل عظمي لرجل مسن، وإن لم يعثر على أية نقوش بها، كما أن المقصورة الخاصة بها كانت مدمرة إلى حد كبير. ويبدو أن هذا الرجل كان ذا أهمية كبيرة في الدولة وإن كنا لا نعرف أي شيء عنه أو حتى اسمه.


ويتكون الجزء العلوي لتلك المقابر من كوات بسيطة بالنهاية الجنوبية للجانب الشرقي. وبداخل تلك الكوات عثر على لوحات من الحجر الجيري الجيد، والتي تحمل نقوشًا ومناظر رائعة لأصحاب المقابر، وتتضمن أسماءهم وألقابهم ومناظرهم وهم جالسون أمام موائد تضم أنواعًا مختلفة من القرابين. ومن أروع تلك اللوحات التي عثر عليها لوحة لأحد الأشخاص يدعى "وب إم نفرت" والذي يظهر جالساً على كرسي منقوشة جوانبه بأرجل ثيران أمام مائدة قرابين. وأمام تلك الكوات توجد مقاصير من الطوب اللبن مليئة بمناظر عن الحياة اليومية، وإن لم تكن بالمستوى اللائق. ومع أواخر عصر الملك خوفو عادت مناظر مقابر الأفراد بمستوى رائع وبديع مرة أخرى؛ وذلك ربما لأن العمل داخل هرم ومعابد خوفو قد قارب على الانتهاء، فقد تم تجديد المصاطب والمقابر القديمة كما تم هدم مقاصيرها اللبنية وبنيت مصاطب حجرية صغيرة ذات درجات يحيط بها جدران محيطة، مبنية بكتل ضخمة من الحجر الجيري.

وقد احتوى عدد من مقابر الأفراد بالجيزة على ما يسمى بـ"الرءوس البديلة"، حيث عثر على ما يقارب 37 رأسًا (أغلبها بالجيزة) وقد عثر عليها بقاع آبار الدفن أو بالمقاصير أو بحجرات الدفن. وكانت كل رأس مختلفة عن الأخرى وذات طابع خاص وإن كانت في نفس الوقت ذات ملامح بهيجة تنظر لأعلى، وكأنها تتطلع للعالم الآخر. وبعض من تلك الرءوس مصنوعة بطريقة غير متقنة، وتحتوي على كسر خلف الرأس، بالإضافة إلى كسور حول الأذنين. ولا تحتوي تلك الرءوس على أية نقوش، وهو ما جعل معرفة الغرض منها محل جدال بين العلماء، ويرى البعض منهم أن تلك الرءوس عبارة عن نماذج اعتمد عليها الفنان المصري القديم، أو إنها تماثيل إضافية لصاحب المقبرة في حالة تلف جسده.

أما عن عائلة خوفو، فكان الملك خوفو قريبًا جدًا من أمه الملكة حتب حرس والتي لم ترغب أن تدفن بجوار زوجها سنفرو، مثل كل الملكات ولكنها فضلت أن تدفن بجوار هرم ابنها خوفو بالجبانة الشرقية بالهرم G1-a، وقد أدَّت دوراً كبيراً في البلاط الملكي.

وقد تزوج الملك خوفو من الملكة مريت إت إس وبنى لها الهرم الأوسط في الجانب الشرقي من هرمه G1-b، وكذلك الأميرة حنوت سن والتي دفنت بعد ذلك في الهرم الجنوبي المجاور لها G1-c، كما تزوج من كل من "نفرت كاو الأولى" و"سديت". أما نفرت كاو فهي الابنة الكبرى للملك سنفرو وأم أحد الأمراء ويدعى "نفر ماعت الثاني" وجدة رجل يدعى "خع إف سنفرو". أما أولاده فكان أكبرهم هو الأمير كاوعب وقد تزوج من

■ رأس بديل– حجر جيري– متحف بوسطن.



أخته حتب حرس وكان الزواج بين الأخوة والأخوات في مصر القديمة قائمًا فقط؛ لأنهم مثل الآلهة وكان هذا الأمير يظهر دائمًا متربعًا على هيئة الكاتب مثل التماثيل التي نشاهدها في المتحف المصري ولا نعرف لماذا لم يتولَّ الابن الأكبر الحكم بعد وفاة أبيه الملك خوفو، ويعتقد أنه مات قبل أبيه.

وكان للملك خوفو أولاد أهمهم: الملك جدف رع، وهو الذي تولى الحكم بعد أبيه مباشرة، ولكن بنى هرمه في منطقة تعرف باسم أبو رواش تقع إلى الشمال من أهرامات الجيزة، ولا نعرف لماذا لم يبن هرمه بجوار أبيه. ويعتقد الدارسون للآثار المصرية أنه بعد وفاة الملك خوفو حدثت مشاحنات ومشاجرات بين الأولاد؛ ولذلك فضل الأمير جدف رع أن يبني هرمه بهذا المكان، وكان الابن الآخر خفرع هو الذي تولى الحكم بعد وفاة أخيه، وخاصة أن جدف رع حكم 8 سنوات فقط، ولا نعرف سبب هذه الوفاة المفاجأة. وقد جاء خفرع ابن الملك خوفو لكي يبني هرمه إلى جوار هرم أبيه مباشرة بمنطقة آثار الجيزة. وهناك ابن آخر للملك هو "باو إف رع" ابن الملكة مريت إس والذي لم يصعد قط للعرش وعرف أيضاً بالأمير "باوإف حور". وهناك أيضاً الأمير "جدف حور" ابن الملكة مريت إس والذي عرف أيضاً بـ"جدف رع" والذي خلف الملك خوفو على العرش، كما عرف في التعاليم المتأخرة بأنه رجل حكيم وكاتب لمجموعة من النصائح حول "الحياة السعيدة". وهناك أيضاً الأمير "خوفو خع إف" وهو ابن لإحدى الملكات وإن كنا لا نعرف اسمها. وهناك أميران آخران يجب ذكرهما وهما: "خع إف مين" والذي حمل لقب الابن الأكبر للملك من صلبه، وهو اللقب الذي حمله الأمير كاوعب من قبل، والأمير "نفر ماعت الثاني" الذي كان حفيد الملك سنفرو ولكن ليس ابن خوفو. وهنا نقطة هامة: إذا كان فعلاً الأمير كاوعب هو الوريث الشرعي لأبيه فلماذا قام ببناء هذه المقبرة الضخمة بالجبانة الشرقية.

أما عن بنات خوفو فأشهرهن مرسي عنخ الثانية والتي كانت ابنة للملك من زوجته مرسي عنخ الأولى، وهناك الأميرة حتب حرس الثانية من نفس الملكة، والتي تزوجت ثلاث مرات، من أخيها كاوعب كما ذكرنا من قبل ومن "عنخ حاف" ومن "جدف رع"، وأنجبت الأميرة مرسي عنخ الثالثة، وهناك الأميرة "خع مرر نبتي" وهي ابنة الملك خوفو من ملكة غير معروفة وتزوجت من الملك خفرع.

الفصل الخامس

الانتهاء من بناء الهرم الأكبر ووفاة الملك خوفو

ومع قدوم العام الثلاثين من حكمه، بدأ الملك خوفو يشعر بآلام الشيخوخة والعجز، وشعر أن نهايته أصبحت وشيكة ولكنه لم يشعر بالخطر، فقد ترك البلاد في أمن واستقرار، وعرف أن عقيدته ستستمر من بعده، كما أنه قد أنهى بناء هرمه في انتظار دفنه وإعادة بعثه، وقبل أن يرحل عن هذا العالم ويصعد إلى السماء كي يتحد مع الأرباب، قرر خوفو الانتهاء من كتابة كتابه المقدس وترك وصية لخلفائه؛ لذلك أمر خدمه بأن يحضروا له لفافة بردي وأدوات الكتابة ويتركوه في سلام بعض الوقت...

ولم يعرف ماذا يحتوي هذا الكتاب من معلومات، ربما حصيلة خبرات خوفو على مدار حياته، أو بعض العلوم التي تعلمها خلال بناء الهرم، أو بعض الأفكار الدينية التي أدت إلى تغيير عقيدته، أو ربما كانت تحوي قصصًا عن مؤامرة أو تحكي نصائح لأبنائه وخلفائه. ولم يعثر على أي نسخة لذلك الكتاب الذي عرفناه من خلال الروايات المتأخرة، وإذا كانت هناك نسخ فمن الأغلب أن تكون موجودة داخل الهرم الأكبر.

ومع اكتمال بناء الهرم، تم الانتهاء من إزالة المنحدر الحلزوني الذي كان يلتف حول الهرم، ومع نزول العمال من على الهرم، كانوا يقومون بصقل وتنظيف الكساء الخارجي له. ومع إزالة المنحدرات تم نقر حفرتي المركبين جنوبي الهرم، كما تم بناء الهرم العقائدي بالقرب من الركن الجنوبي الشرقي للهرم الأكبر.

وقد عرفنا من خلال النقوش التي عثر عليها بالأهرام الأخرى أن عملية وضع قمة الهرم أو ما نسميه بالهريم تعد مناسبة هامة، يقام لها احتفال بكل أنحاء مصر، ومع إتمام تلك العملية وقبل إزالة المنحدرات، يبدو أن مهندسي الهرم قد أبقوا على أحد المنحدرات على أحد جوانب الهرم، وهو الشمالي على الأرجح حتى يساعد على وضع الهريم. وكان هذا الهريم يتم تغطيته بالورش الملكية بالذهب حتى تُضاء بالشمس.

ومن المحتمل أن الملك خوفو قد دمج عيد السد الخاص به – وهو العيد الذي يقدم فيه الأرباب ما يجب أن يقوم به الملك من عمل كبناء مقبرته، والمعابد لعبادته كرب مع عبادة كل من حتحور، وحورس، ورع، وطرده لأعداء مصر خارجًا، والقيام بما هو هام لدعم ثراء البلاد واستقرارها مع الانتهاء من بناء هرمه.

ولنا أن نتخيل الأحداث التي يمكن أن تتم في مثل هذا اليوم الهام:

تم الإعلان بجميع أقاليم البلاد.. من الأخضر العظيم (البحر المتوسط) وحتى أسوان فهناك من أتى إلى العاصمة، وهناك من احتفل بإقليمه، والكل كان سعيدًا.. ورفرفت الأعلام فوق جميع معابد مصر، كما سارت المراكب على مياه النيل مزينة بالورد.. والكل بطول البلاد وعرضها مرتدياً ملابسه الجديدة.. كما انتشرت الموسيقى بكل قرية، وأقيمت الرقصات الطقسية.. واستعد قرابة مليون مصري لهذا اليوم الكبير....

وفي صباح الاحتفال استيقظ خوفو مبكرًا.. حيث أعد خدمه طعام الإفطار والحمّام وجهزوا له ملابسه وتاجه.. وعندما غادر القصر كان بصحبة عائلته وفرقة الموسيقى الملكية.. والتقى بوزيره عند الفناء الشمالي للهرم وفحصا معًا ذلك الهريم الذي سيتوج الهرم الأكبر.. فقام مجموعة من العمال المهرة بالصعود إلى قمة الهرم وسط عزف الموسيقى ورقص الراقصين حتى وصلوا إلى القمة... حينها أعطاهم الملك إشارة وضع الهريم الذهبي على القمة...

ودخل خوفو حجرة جانبية بهرمه العقائدي مرتديًا رداء عيد السد والتاج المزدوج للأرضين.. فقام بخلع تاجه وردائه وخرج مرتديًا نقبة وهو يمسك بالشارات الملكية، وقام بأداء طقوس عيد السد مستعرضًا قوته وجسارته على الرغم من كبر سنه.. حينها أعلن أنه أصبح رب مصر وعليه فقط الانتظار كي يموت حتى ينتقل عبر السماء والانضمام للنجوم.. الكل كان يراقبه.. زوجاته وأبناؤه وكبار موظفيه، في حين أن بقية النبلاء وعامة الشعب لم يسمح لهم بالدخول إلى داخل المجموعة الهرمية ليشاهدوا تلك الطقسة إلا أنهم اشتركوا في الاحتفالات المقامة...

وعندما انتهى خوفو من طقوسه.. صرخت الجموع عاليًا.. ودخل الهرم العقائدي مرة أخرى ليغير ملابسه ويخرج مرتديًا الرداء والتاج ويمسك بالشارات الملكية ليعود إلى قصره يملؤه المجد والفخر....

جنازة خوفو

كان من المعتقد أن الملك خوفو قد حكم طيلة 23 عامًا، كما هو مذكور ببردية تورين من الدولة الحديثة، وإن تم العثور على نقش بالواحة الداخلة يسجل بعثة أرسلها الملك خوفو في العام 27 من حكمه لإحضار المافت. ومن المعروف أن الملوك القدامى قد أرخوا لسنين حكمهم طبقًا لإحصاء الماشية كل عامين، وهو ما يمكن أن يحدث تضارباً بين العام 23 والإحصاء 23. وفي حال أن بردية الدولة الحديثة قد حددت الإحصاء 23، فيحتمل أن يكون خوفو قد حكم لمدة 46 عامًا. وفي احتمال آخر أن تلك البردية قد أعطت لكل ملك من ملوك تلك الأسرة مدة حكم جيل. أما عن توقعي والمبني على أساس الدلائل المتاحة، فهو أن الملك خوفو قد حكم لمدة 30–32 عام، وكان عن عمره يناهز نحو 58–60 عامًا عندما مات.


أما مراسم الدفن، فقد أشرف عليها ابنه وخليفته الأمير جدف رع وربما قد عاونه في تلك المراسم الوزير عنخ حاف، في حين كان الوزير حم إيونو قد مات قبلها، فقد أخذ جثمان الملك في البداية إلى معبد الوادي ووضع على سرير داخل خيمة التطهير، والتي كانت تسمى بالهيروغليفية "وعبت"، التي أعدت من أجل مراسم تطهير جثمان الملك، وبعد مجموعة من الطقوس أُخذ الجثمان إلى حجرة التحنيط، حيث تظل هناك لمدة 40 يومًا، مغمورة في النطرون من أجل إزالة رطوبة الجسم، ثم 30 يوماً أخرى من أجل إتمام عملية التحنيط.

وفي يوم الدفن، وضعت المومياء الملكية المقدسة داخل تابوت ذهبي، وحمل إلى الجانب الشمالي للهرم بواسطة موكب من الكهنة، وبمجرد وصول التابوت إلى مدخل الهرم، أوقف عنخ حاف الموكب وصرف جميع الكهنة إلا اثنين منهم، وقاد حملة التابوت عبر حجرة المدخل وخلفه النائحات تندبن ملك مصر، وبعدها دخلوا إلى الحجرة الوسطى للثلاث حجرات، وهناك وضع الكهنة التابوت داخل تلك الحجرة السرية وأغلقوها تماماً. وعندما خرج عنخ حاف مع الكاهنين أمر بإغلاق مدخل الهرم ليحمي السر بأن الملك خوفو لم يدفن في الحجرة ذات التابوت الجرانيتي، ولكنه دفن في مكان يجعله في أمان وسلام أبدي، وحتى الملك التالي جدف رع لم يعرف ذلك السر.



الباب الثالث

خلفاء خوفو



الفصل الأول

معارك داخل الأسرة الملكية.. جدف رع بأبو رواش

كانت الأيام التي قبيل وفاة الملك خوفو – عندما سقط الملك القوي عاجزاً على سرير المرض– مليئة بالاضطراب داخل الأسرة الملكية.. وبعدها مات الملك، وأعلن انتقال الملك المعبود وعم الحزن البلاد.. أما بالقصر الملكي فظهر من يروجون الإشاعات حول خليفة الملك، فهل سيصعد جدف رع على العرش أم سيتولاه أخوه غير الشقيق خفرع؟إلا أن جدف رع كان هو الأكبر في السن ووصل إلى مرتبة ولي العهد وكان له تأثيره على العائلة الملكية وكبار رجال الدولة. وهذا ما جعله ينتصر في معركة الحكم ويحكم سيطرته على مراسم دفن أبيه، وقد طلب من كبير النجارين "انتي شدو" أن يفكك له مركبين واللذينْ قد دفنا في حفرتين جنوبي هرم أبيه، وفي تأكيد لدوره في خلافة والده قام بنقش خرطوش يحمل اسمه على إحدي اللوحات، التي تغطي حفرة مركبه وكرر هذا النقش 18 مرة.

وبعد توليه العرش، اتخذ الملك جدف رع لقبًا جديدًا وهو "ابن رع" كنوع من التبجيل لعقيدة والده، كما اتخذ 3 أسماء أخرى: "حورس خبر"؛ أي حورس متواجد، ولقبه النسو بيتي، و"خبر ام نبتي"، ولقبه حورس الذهبي (يظهر به ثلاثة صقور).

وبعد أن دفن والده، قام الملك جدف رع بترك الجيزة المليئة بمؤامرات أخيه خفرع، وانتقل ببلاطه الملكي إلى منطقة أبو رواش (8كم/5 أميال) إلى الشمال وإن كانت هناك أدلة حديثة من خلال الحفائر التي تمت بأبو رواش أنه لم يكن هناك مؤامرات بين الأسرة المالكة بعد موت خوفو، وأن جدف رع تولى العرش بادعائه أنه الوريث الوحيد ولكن يظل اختياره مكانًا بعيدًا عن الجيزة أمرًا يجب تفسيره. وكان الملك متزوجًا خلالها من أميرة تدعى "خنت تنكا"، ولكن من أجل تأكيد شرعيته في الحكم، قام بالزواج من أرملة أخيه وأخته في نفس الوقت الأمير كاوعب والتي تسمى "حتب حرس" الثانية. ولا نعرف اسم المهندس الذي خطط لإقامة تلك المجموعة الهرمية، وإن كنا نعرف اسم المجموعة وهي "جدف رع نجمة السحد" أو "جدف رع السماء ذات النجوم"



وبأفضل بقعة على إحدى الروابي المرتفعة على ارتفاع 150م (492 قدمًا) تقريبًا فوق وادي النيل، يطل هرم جدف رع على هضبة الجيزة، وكان التل القائم هناك يضم نواة لإقامة الهرم، مما وفر قدرًا كبيرًا من المجهود. أما الهرم نفسه فقد صمم على شكل مبنى متوسط نسبيًّا ذي جوانب شديدة الانحدار في تشابه للميل الأصلي للهرم الجنوبي الخاص بجده سنفرو بدهشور، ومن المفترض عادة أن جدف رع لم يكن يستطع الوصول إلى الثروات التي كانت تحت إمرة والده، ومن ثم أخيه خفرع، حيث إنه من المحتمل أنه كان في سن متقدمة عندما وصل إلى العرش (حيث نعرف أن أبناءه كانوا كباراً) مما لم يتح له الوقت لإكمال مشروعه الضخم.

وتتكون نواة الهرم (وهي العنصر الوحيد الباقي منه حالياً) من طبقة صخرية وكتل من الحجر الجيري، بالإضافة إلى وجود بقايا بالجانب الشرقي للهرم تدل على أنه قد كسي بطبقة من الجرانيت. وقد تم الكشف مؤخراً عن فأس من النحاس مدفونة بالموقع مما يدل على إقامة طقوس التأسيس عند الهرم. ويصل الجزء الواقع تحت الأرض إلى نحو

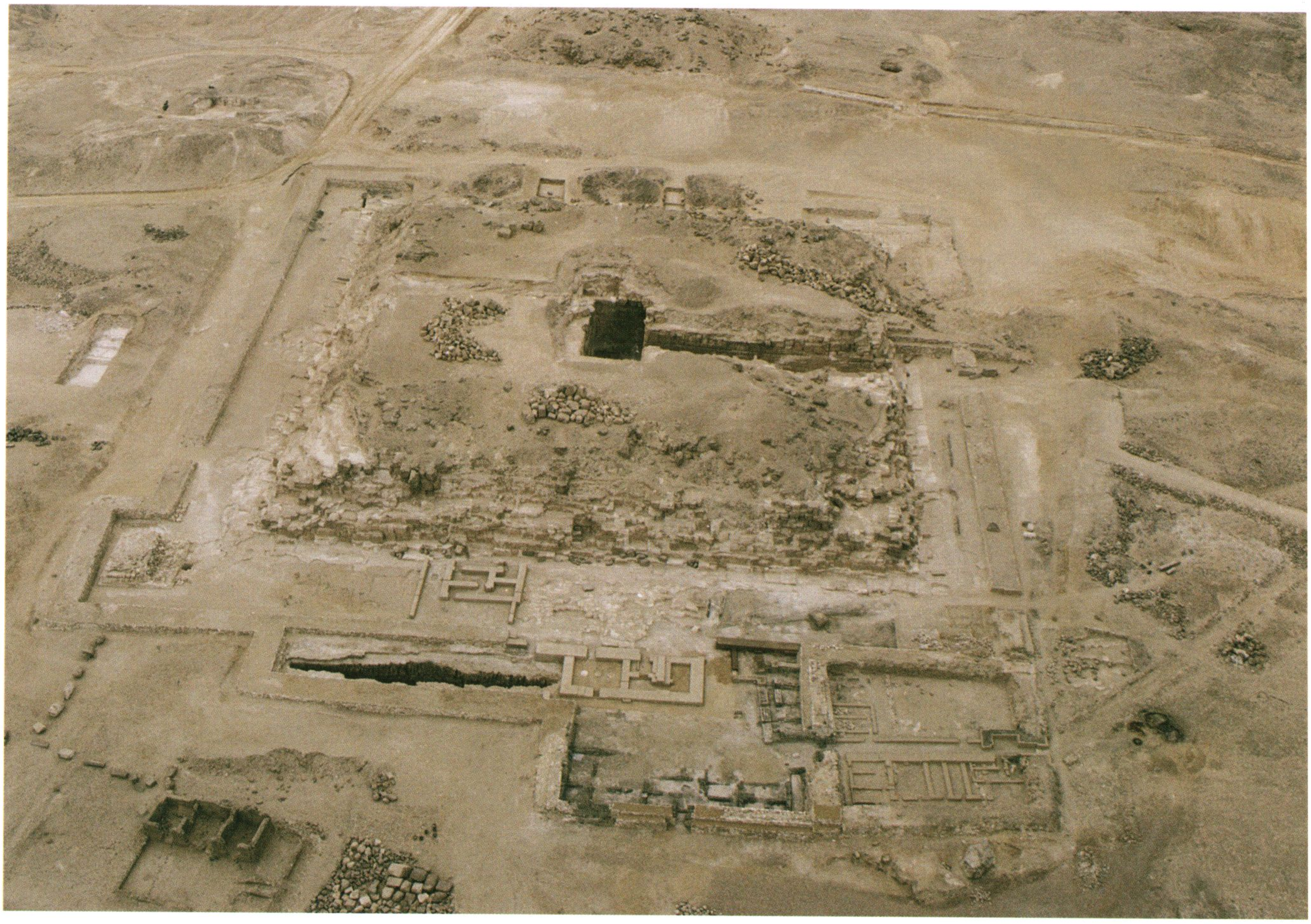
■ رأس للملك جدف رع- كوارتزيت- متحف اللوفر.



23×10م (76×33 قدمًا) ويصل إلى عمق نحو 20م (66 قدمًا). ويبدأ بممر يصل طوله إلى 49م (161 قدمًا)تقريبًا، ويصل إلى حجرتيْن إحداهما هي حجرة الدفن والأخرى هي حجرة السرداب. وقد عثر العالم بتري في عام 1880م، بهذا الجزء على بعض القطع الجرانيتية، حيث يعتقد بعض العلماء أنها أجزاء من تابوت جرانيتي خاص بالملك.

وإلى الشرق من الهرم توجد بقايا المعبد الجنائزي الذي بني بكتل من الحجر والطوب اللبن. وبتلك المنطقة كان اسم الملك جدف رع مكتوبًا داخل خرطوش بطول جزء من دعامة، كما عثر على حفرة مركب على الجانب الغربي للمعبد الجنائزي، والتي كانت مليئة بالعديد من بقايا التماثيل المصنوعة من الكوارتز، حيث يعتقد أنه هناك أكثر من 120 تمثالاً قد هشموا وألقوا بتلك الحفرة. وكانت بقايا تلك التماثيل تمثل الملك وهو جالس على عرشه، وزوجاته و3 من أبنائه واثنتين من بناته. ومن أجمل بقايا تلك التماثيل ذلك التمثال الذي يمثل الملك نفسه حيث يمثل رأس الملك كجزء من تمثال لأبو الهول، وهو ما يعتبر أقدم وأول نموذج لدينا في

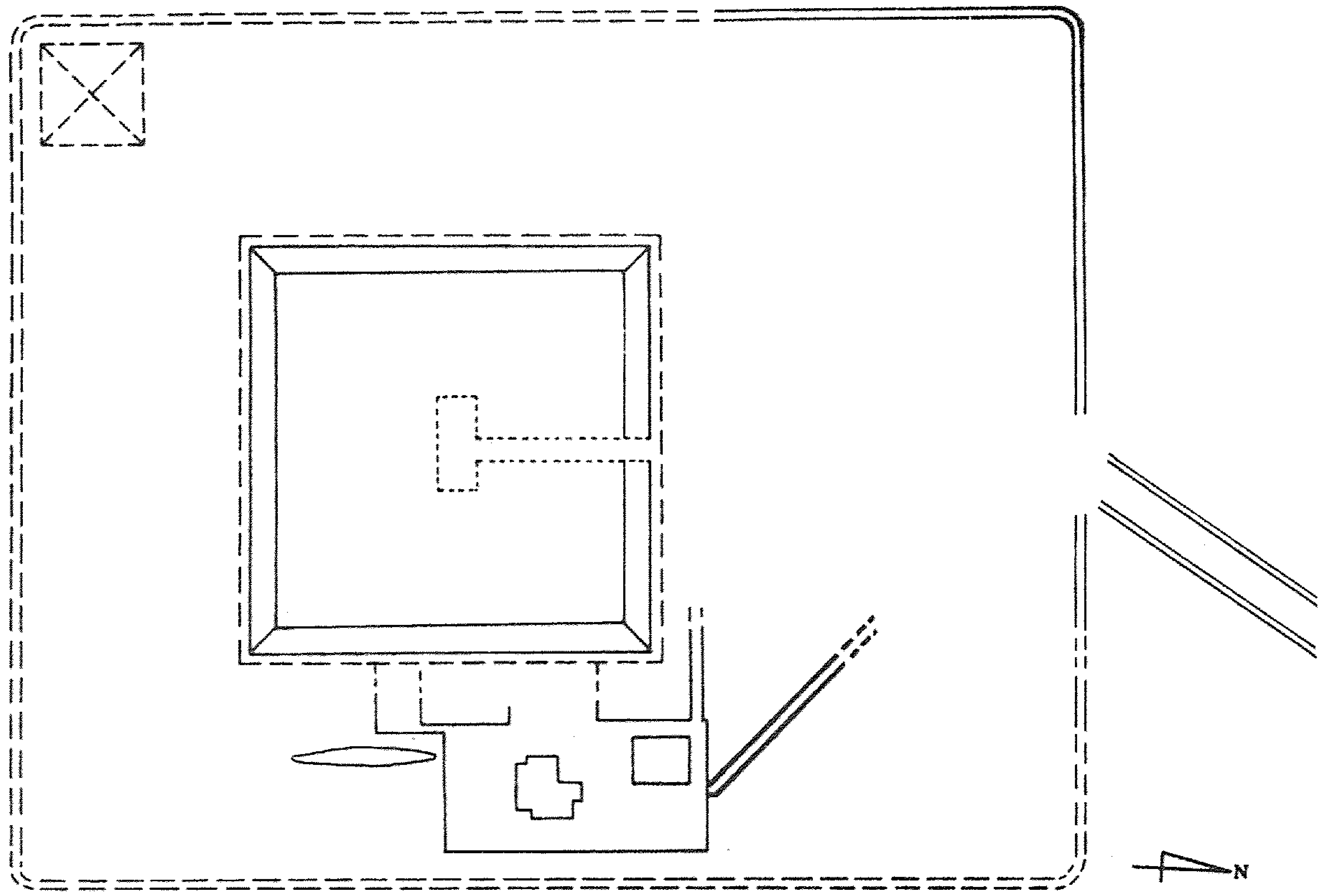
■ الممر داخل هرم الملك جدف رع– أبو رواش.



التاريخ المصري لفكرة تمثال أبو الهول. وكان أبو الهول المصري مصورًا على شكل رأس الملك وجسد أسد كرمز لقوة وسلطان ملك مصر. ويبدو من أسلوب تهشم تلك التماثيل أنها قد تعرضت للانتقام والتخريب عن عمد، ويرجح بعض العلماء أن هذا الأمر يعد دليلاً على وجود صراع شديد بين الملك جدف رع وأخيه خفرع، كما أنه من الممكن أن يكون هذا التدمير قد حدث لاحقًا إما خلال عصر الانتقال الأول، عندما خربت جبانة الجيزة، أو خلال العصر اليوناني الروماني، أو حتى خلال العصر الحديث عندما زحف العامة إلى هذا الموقع لاستخدام أحجاره لبناء منازلهم الحديثة.

وبالركن الجنوبي الغربي للهرم توجد بقايا لهرم عقائدي. وقد كشفت الحفائر الحديثة المشتركة بين المجلس الأعلى للآثار والبعثة السويسرية عن وجود هرم جديد بالقرب من الركن الجنوبي الشرقي للهرم الأساسي، ويصل طول قاعدته إلى 10.5م (34 قدمًا) تقريبًا و لم يبق منه سوى 5 مداميك من الحجر الجيري عند كل جانب. وفي منتصف الجانب الشمالي للهرم عثر على بئر يصل طوله إلى 1.5م (5 أقدام) تقريبًا وعلى عمق 4 أمتار (13 قدمًا)

■ منظر عام للمجموعة الهرمية للملك جدف رع- أبو رواش.



يؤدي بدوره إلى ممر محوره شمال–جنوب يوصل إلى 3 حجرات، واحدة بالشرق واثنتين بالغرب. وبداخل البئر عثر على كسرات من فخار من الدولة القديمة، وأوان من العصر الروماني، كما عثر على بعض قطع أثرية بديعة، مثل: قطعة من الملاط على شكل حصيرة تشبه تمثيل الحصير الموجود داخل المقبرة الجنوبية للملك زوسر. ويوجد بالممر الرئيسي داخل الهرم إناء كبير من الألباستر يحمل اللقب الحوري للملك خوفو، وثقل ميزان من البازلت منقوش بقياس 90 "دبن" وهو ما يعادل حالياً 810 جرامات، بالإضافة إلى بعض الأواني الكانوبية، وتلك الأواني هي الأقدم والأولى من نوعها. أما الحجرة الشرقية فتضم قطعًا من غطاء تابوت.

وعلى الأرجح أن هذا الهرم يخص إحدى الملكات، وهي غالباً الملكة حتب حرس الثانية. وكان موقع هذا الهرم يستخدم في العادة للأهرام العقائدية، ولكن بالنسبة لمجموعة الملك جدف رع الجنائزية فإنَّا نرى أن العديد من العناصر المعمارية مختلفة عما كانت عليه بمجموعة والده وخلفائه.

■ مخطط لهرم الملك جدف رع.



ويرتبط هرم جدف رع بطريق صاعد طويل يصل حتى الجدار المحيط بالهرم عند جانبه الشمالي. وفي حقيقة الأمر فإنها تشبه المجموعة الهرمية للملك زوسر، كما لو كان الملك قد اختار أن يدمج نفسه مع الماضي البعيد.

أما الهرم الآخر الذي عثر عليه، فربما كان للملكة "خنت تنكا"، حيث إن هناك العديد من بقايا التماثيل تنتمي لتلك الملكة تم العثور عليها بأبو رواش.

■ حفرة المركب داخل المجموعة الهرمية للملك جدف رع– أبو رواش.

وكان العمل بهرم جدف رع قد مضى سريعاً إبان عصره، ولكن دون اتباع المعايير المتقدمة التي اتبعها بناة هرم خوفو. فكان من المعتقد أن جدف رع قد حكم مصر لفترة قصيرة جدًّا لا تزيد عن 8 سنوات، حيث توفي تاركًا مجموعته الهرمية غير مكتملة، وهو ما دفع أخاه وخليفته خفرع لإكمال هذا العمل، ومع ذلك، فقد عثر على بقايا عرش لتمثال يدل على أنه تمثال جالس منقوش عليه "من.... رع" (منكاورع)، وهو ما يشير إلى وجود نشاط له في المجموعة الهرمية لجدف رع.

ويحد هرم جدف رع طريق صاعد طويل يصل إلى السور المحيط للهرم عند جانبه الشمالي، ويوجد ممر مسقوف يربط بين الجدار الداخلي المحيط بالمعبد الجنائزي وبين هذا الطريق الصاعد، وخارج هذا الممر تم العثور على خبيئة تضم أواني قرابين صغيرة، وتدل بقايا فخار تلك الأواني على استمرار خدمة عقيدة الملك جدف رع لمدة كبيرة، وهذا على الرغم من عدم اكتمال مجموعته الهرمية، فلم تهمل عقيدته بعد وفاته.

ولا نعلم سوى القليل عن شخصية هذا الملك، حيث إن الأدلة التي تركها خلفه قليلة، ومنها تلك الرأس لتمثال أبو الهول والموجودة حاليًا بمتحف اللوفر، والتي تشير إلى ملامحه كرجل حكيم عميق التفكير، حازم وقوي. وقد مثل أبناءه في صورة كتبة (وهي من أوائل صور الكتبة التي عرفناها في مصر القديمة) وهو يخبرنا بأنهم قد تعلموا وأصبحوا محل ثقة من أبيهم. وإن كان هذا الشخص هو جدف حور، فإنه يحمل ذكرى رجل حكيم وكاتب بعض من أهم أعمال الأدب التعليمي.

وبسبب الدمار المتعاقب الذي حل بمجموعته، فنحن لا نعرف الكثير عن أحداث فترة حكم جدف رع، كما أننا لا نعرف الظروف التي تحيط بوفاته. فمعظم الآراء التي تؤمن بوجود صراع بين أبناء الملك خوفو على العرش رأت بأن جدف رع قام بقتل أخيه "كاوعب" مما دفع خفرع لقتله بدافع الانتقام. وترى بعض الآراء أنه ربما تركت مجموعته الهرمية غير مكتملة كما تم تدمير تماثيله بدافع الكراهية والرغبة في محو اسمه وعقيدته للأبد، إلا أننا نعرف أن عقيدته قد استمرت، وبالإضافة إلى خبيئة الفخار النذري التي عثر عليها بأبو رواش، فإن كهنة جدف رع قد دفنوا بالجيزة بالإضافة إلى وجود مراسيم تبرع وسجلات قرابين قد خصصت لعقيدته على يد خلفاء خفرع.

الفصل الثاني

مؤامرات خفرع

لقد نجح أخوه غير الشقيق جدف رع في الصعود إلى عرش مصر.. ولكن جدف رع قد مات الآن.. وها قد جاء دوره.. ولم يكن من أبناء جدف رع من يتمتع بالقوة الكافية ليتغلب عليه.. فقد كان مدعماً بمستشاري والده، وعلى الرغم من أن خفرع مازال صغيراً في السن كي يتطلع لعهد قوي، إلا أنه عرف أن هذا الوقت هو وقت انتصاره وهذه هي الفرصة كي يصعد على العرش ويصبح ملكًا على الأرضين.. على الرغم من كونه أصغر إخوته إلا أنه كان المحبوب من والده، كما أمضيا ساعات يناقشان كيفية تطبيق الماعت وما هي أفضل طريقة لحكم البلاد؟ وكيف يمكن اتباع إرادة أرباب السماء بينما هو يقوم بدور المعبود على الأرض؟.. وكانا يقرءان المخطوطات القديمة معًا وتجادلا حول نقاط جيدة بأمور العقيدة.. وكان خفرع دائمًا يعرف أنه الخليفة المناسب لأبيه.. والآن جاءت اللحظة التي قد انتظرها منذ وقت بعيد..

صور الأمير خاف خوفو، والذي نعتقد أنه هو نفسه خفرع، وهو في منتصف عمره بمصطبته الواقعة شرقي الهرم الأكبر، كما توجد علامة محجر من المقبرة تشير إلى أن المقبرة قد بنيت في العام 24 من حكم الملك خوفو، وقد كان ابن الملك من صلبه، ومن المحتمل أن يكون ابن الملك خوفو، وأمه هي الملكة حنوت سن، تلك الملكة التي دفنت بالهرم الواقع أقصى الجنوب من أهرام الملكات. وكانت زوجته هي "نفرت كاو" وكان له على الأقل ولدان وابنة.

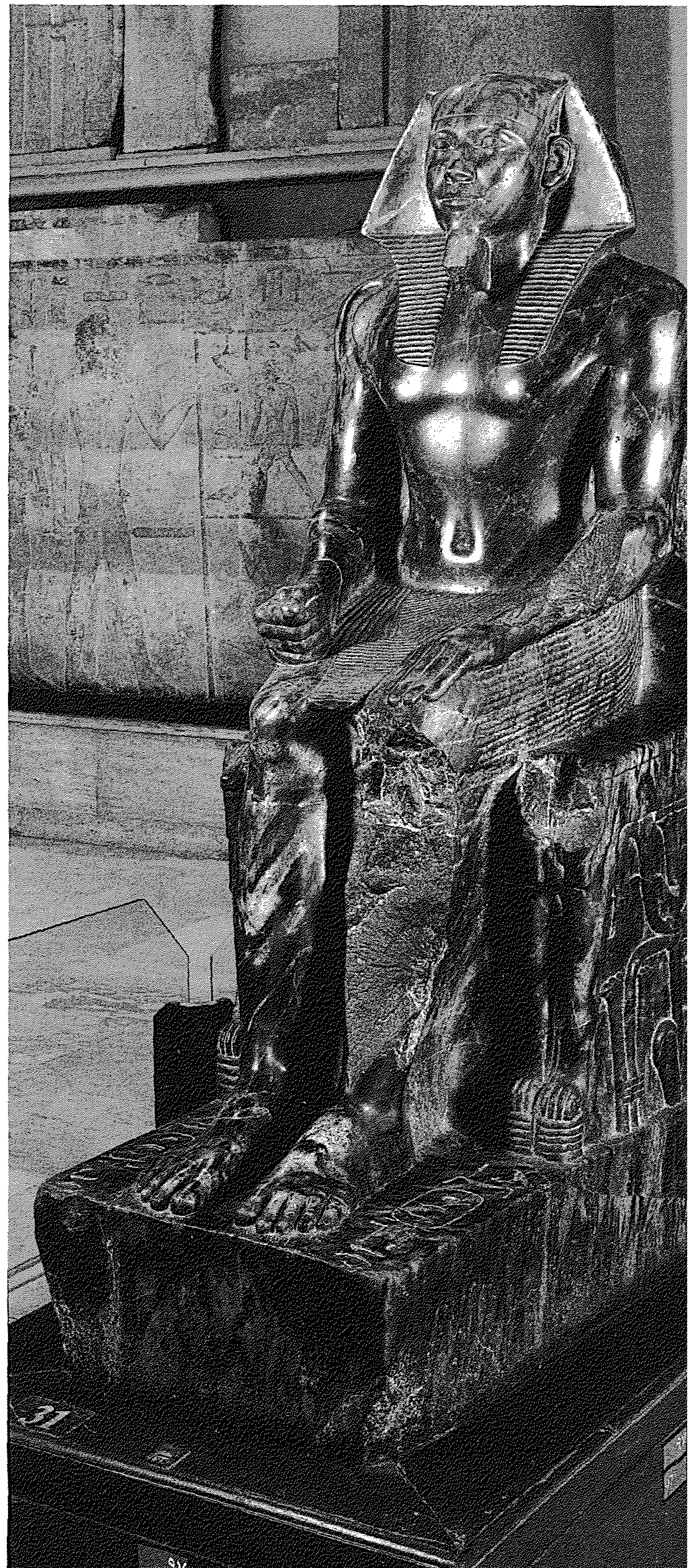
وإن كان خوفو خع إف وخفرع هما نفس الشخص، فربما قد تزوج من أخته غير الشقيقة مرسي عنخ الثالثة، ابنة الملك خوفو ومريت إت إس الأول.

ومع اعتلائه العرش، نجح الملك خفرع في إعادة التآلف بين أفراد الأسرة الحاكمة، وحكم مصر لمدة 25 سنة، وكان الملك خفرع هو ابن الملك خوفو من زوجته الملكة حنوت سن والتي دفنت بالهرم الجانبي الجنوبي لهرم الملك خوفو.

وكانت أول خطوة قام بها الملك خفرع عند اعتلائه العرش هي إعادة البلاط الملكي إلى الجيزة مرة أخرى، وإن لم يكن هناك أي دليل على بناء قصر جديد له هناك؛ لذا فإنني أعتقد أنه قد أقام في قصر أبيه بعد أن أضاف بعض المناظر على جدرانه التي تحتفل بعهده الجديد.

وكان وزيره الأول هو "عنخ حاف" والذي حمل لقب المشرف على جميع أعمال الملك. وقد دفن هذا الرجل بالمقبرة رقم G7510، ثاني أكبر مقبرة بالجيزة. ويعتقد بعض العلماء أنه كان ابن الملك سنفرو، في حين يعتقد آخرون أنه كان ابن الملك خوفو وأخا الملك خفرع. وقد قام هذا الرجل بإعلان قدوم الملك الجديد للأقاليم الـ42 بمصر العليا والسفلى. وربما كان كهنة هليوبوليس أقل سعادة بالعودة إلى الجيزة وعقيدة خوفو، والتي كانت أقل ظهوراً خلال عهد جدف رع.

ومن المحتمل أن الملك خفرع قد تولى عرش مصر خلال فصل النمو "برت" وعبر فصل "الشمو" -فصل الحصاد- قد أتم انتقاله إلى الجيزة، حيث عاد بعد غياب 12 عامًا فقط، واستقبل من قبل الكهنة والموظفين الذين بقوا من أجل إحياء شعائر عقيدة أبيه خوفو. وخلال أشهر الحصاد الأربعة، قام مهندسو الملك ببداية البحث عن موقع لإقامة هرم



■ تمثال الملك خفرع- ديوريت- المتحف المصري.

للملك والذي كان مخططًا له أن يكون أكبر من هرم أبيه، وإلى الجنوب الغربي من الهرم الأكبر وقع اختيارهم على بقعة مناسبة والتي شيد عليها هرم خفرع ليكون أعلى من هرم خوفو.

وقد بدأت إعدادات الهرم الجديد خلال فصل "الآخت"؛ أي الفيضان والذي تبدأ معه الدورة الزراعية بالسنة. وفي بعض الأحيان ما يأتي الفيضان قويًا وخطيرًا وفي أحيان أخرى يأتي بسيطًا مما يحرم الأراضي من المياه الكثيرة وهو ما يجعل عملية نقل الأحجار إلى موقع الهرم أمرًا عسيرًا. وكان الفيضان المعتدل تعبيرًا عن السنة المعتدلة الجيدة كما كان بشرى جيدة للمستقبل.

ومع إعداد موقع الهرم الجديد، قام الملك خفرع ومستشاروه باختيار اسم له، وهو أمر كان في غاية الأهمية، حيث يحدد من خلاله رمزية الهرم القوية، وهي نقطة التقاء وانتقال الحياة والموت، النور والظلام. وقد اختار خوفو اسم هرمه "آخت خوفو"؛ أي أفق خوفو، ولكنه أيضًا يندمج بمعنى التحول، والظهور من الظلام إلى نور المجد. أما خفرع فقد اختار لهرمه اسم "خفرع ور"؛ أي عظيم هو خفرع.

وإبان الدولة الحديثة عثر على لوحة بالقرب من معبد الوادي بالقرب من موقع استراحة الملك توت عنخ آمون تقول:

"الهدية التي يمنحها الملك لأنوبيس الرابض على جبله، والذي يمكن أن يعطيها إلى كبير مدينة الهرم (عظيم هو خفرع)".

وهذا النص يوضح لنا أن مدينة هرم خفرع كانت أشهر من مدينة هرم خوفو، كما أن هذا الاسم – كما كان معتادًا– هو اسم الهرم نفسه. وكان موقع تلك المدينة أمام الواجهة الشرقية لمعبد الوادي؛ أي إلى الشرق من الرصيف والقناة التي تجري أمامه. ونعرف أيضًا من ألقاب الحاشية المدفونين بالجيزة بأن منطقة واحدة على الأقل من مدينة هرم خفرع تدعى ten-resy، وهذا قد دعى العديد من الدارسين إلى أن مدينة هرم خفرع كانت تقع إلى الجنوب من الطريق الصاعد ومعبد الوادي.

وتلك المدينة كانت مركز الإدارة والكهنوت، حيث عاش بها العديد من العمال والفنانين وصغار الموظفين، والذين ارتبطوا ببناء الهرم ناحية الجنوب بالقرب من منطقة حيط الغراب. وكان هؤلاء الرجال والنساء جميعهم يعملون معًا ليخدموا ملكهم الجديد، وثبتوا مكانة مصر على الأرض ومستقبل خفرع كإله.

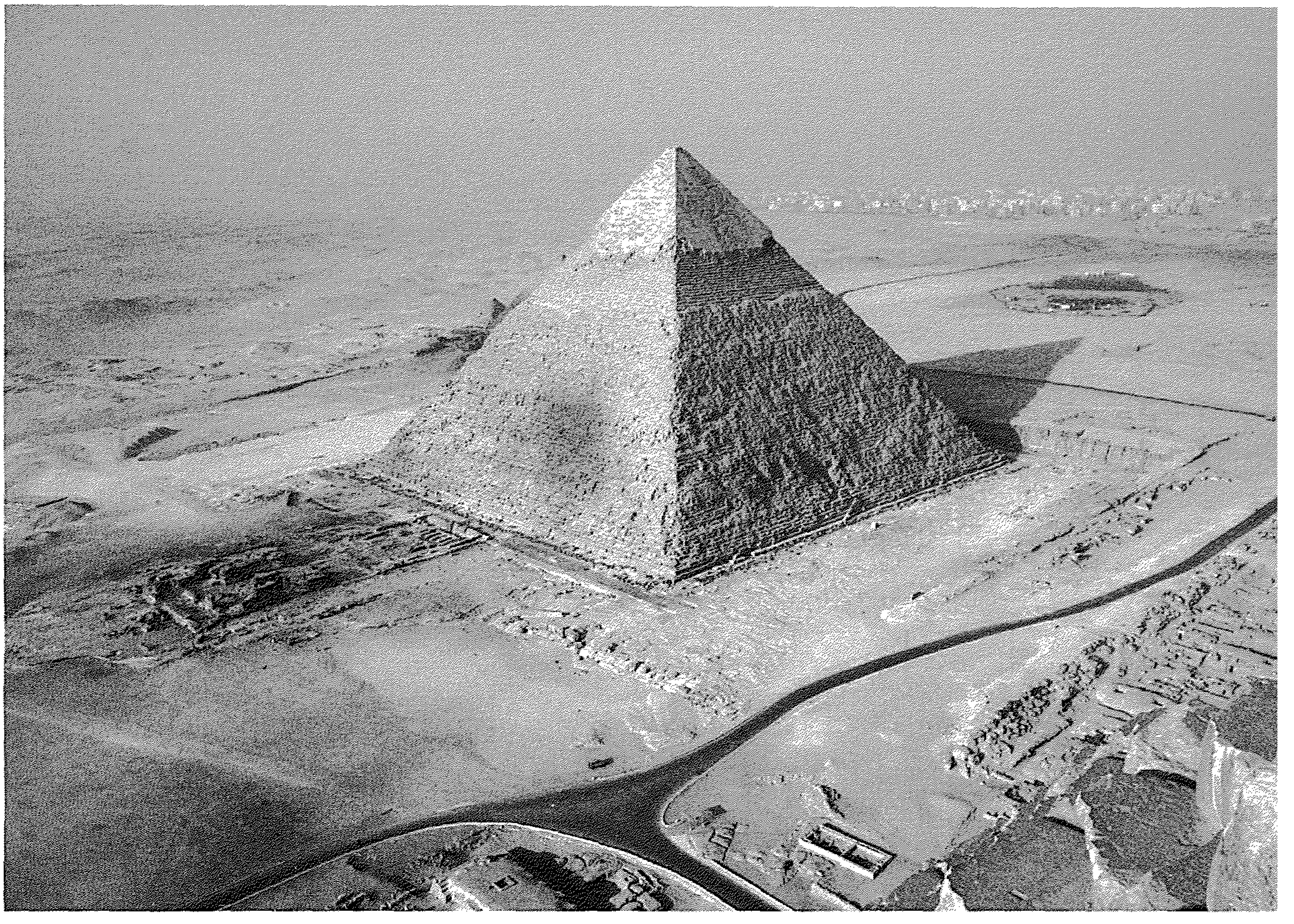
الفصل الثالث

المجموعة الهرمية للملك خفرع

لم يكن خفرع ذلك الملك الجديد الصغير في السن.. ولكنه كان قوي البنيان كما رغب في السير على خطى أبيه... وكان هرمه كبيراً نوعًا ما، كما كانت مجموعته الهرمية مزينة.. وها قد عاد نحاتو أخيه إلى الجيزة وعملوا على تطبيق ما تعلموه بأبو رواش...وأمر بنحت عديد من التماثيل من أحجار صلبة لامعة.. والتي ستزين معابده...

وتعد مجموعة خفرع الجنائزية على مستوى عال من الحفظ، حيث يمكن رؤية تخطيطها بوضوح كما أن كل من طريقها الصاعد ومعابدها من أكثر الأماكن زيارة. وتبدأ المجموعة من الشرق، حيث معبد الوادي والذي مازال يقف بارتفاعه الأصلي. وقد كشفت الحفائر الحالية عن وجود آثار لميناء كبير أمام المعبد على مسافة 19م (62 قدمًا). وفي عام 1980، قمت أنا ومارك لينر بعمل خندق على بعد 14م فقط (46 قدمًا) ناحية الشرق، وعثرنا على رمال نقية تمتد حتى صخر الأساس بعمق 6 أمتار (20 قدمًا) أسفل مستوى السطح. وعلى بعد 18م (59 قدمًا) شرق هذا الخندق، قامت وزارة الرى بالحفر لمحاولة معرفة مستوى المياه الجوفية كجزء من مشروع ترميم أبو الهول. وقد وصل حفرهم إلى عمق 14م (49 قدمًا) عبر الرمال وتسرب المياه حتى اصطدموا بسطح صلب، وهو ما يرجح وجود ميناء قديم وهو ميناء هرم خفرع. وقد خرج من الحفر بقايا جرانيتية مجلوبة من أسوان، وهو في الأغلب من معبد الوادي لخفرع، فإما أن تكون قد سقطت تلك الأجزاء أثناء عملية البناء أو أنها قد سقطت من مبان قديمة من عصور متأخرة.

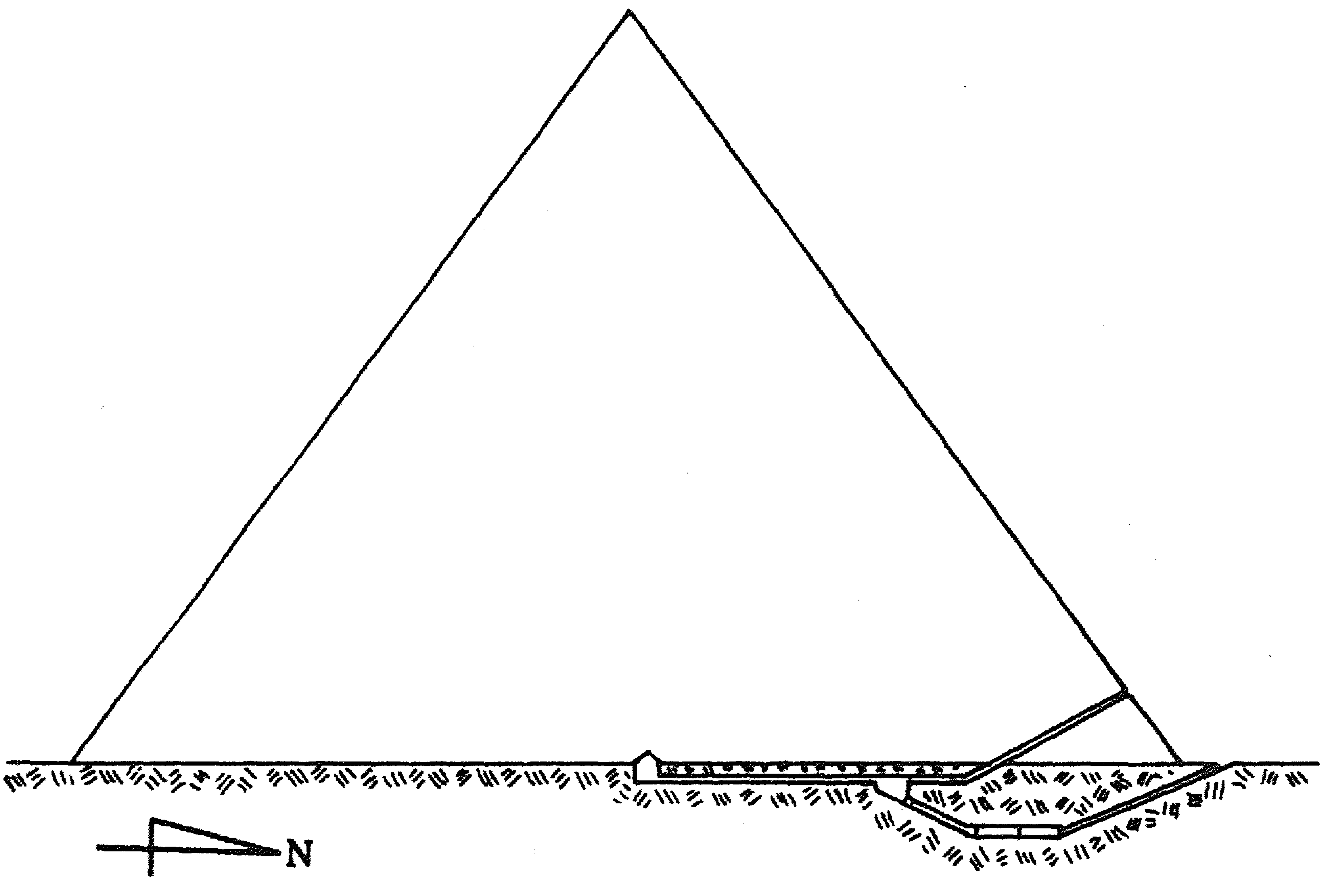
وكان هذا الميناء هو مكان تجمع المراكب التي تأتي لتوصيل حمولتها من حبوب وماشية وأحجار لإمداد مشروع بناء الهرم، حيث تقوم بتفريغ حمولتها برصيف أمام معبد الوادي. وفي عام 1996م وضمن مشروع إدارة الموقع، قمنا بإزالة مسرح حديث مبني من الأسمنت أمام معبد الوادي والذي كان يستخدم قديماً في إحياء بعض الحفلات مثل حفلي فرانك سيناترا وبيلي بيرل. وعندما أزلنا المسرح عثرنا على بعض التكوينات الغريبة في المنطقة الواقعة شرقي المعبد.



وللمعبد مدخلان يطلان على رصيف يسير بطول الواجهة. أما المدخل الشمالي فقد خصص للمعبودة باستت، في حين أن المدخل الجنوبي قد خصص للمعبودة حتحور. وهذان المعبدان يمثلان فكرة ازدواجية الشمال والجنوب للتأكيد على وظيفة الملك كملك على الأرضين ويؤدي هذان المدخلان إلى طريقين من الحجر الجيري ينتهيان بمنحدرين هابطين يؤديان إلى رصيف الميناء المزمع اكتشافه. ويصل طول كل من المنحدرين إلى نحو أكثر من 24م (79 قدمًا) و1.2–1.5م (4–5 أقدام) في العرض. وتدل بعض الحفرات بسطح الصخر على وجود أبواب خشبية كانت تغلق مقاصير المداخل.

وأسفل كل منحدر يوجد خندق أو نفق منقور بصخر الأساس، كما بُنِيَ جداران متوازيان من الطوب اللبن بين الأنفاق وعند جانبهم الشمالي والجنوبي مكونة ممرًا بعد أربعة أمتار (13 قدمًا). وهناك دليل من الدولة الحديثة يشير إلى أن الملك كان يحتاج إلى مراكب للسيطرة على الأرضين، سواء من الناحية الرمزية أو العملية. وأعتقد أن تلك الأنفاق قد خصصت لمراكب الملك المقدسة بصفته حورس. في حين يرى لينر أن تلك الأنفاق عبارة عن

■ منظر عام لهرم الملك خفرع– هضبة الجيزة.



مستودعات للمياه لهؤلاء الذين يجاورون المعبد عن طريق تلك المنحدرات عبر المقاصير إلى المكان المقدس، كما يمكن أن تكون ممرات يمكن من خلالها أن يعبر العمال والأشخاص غير الرسميين إلى المناطق المقدسة حول الهرم من خلال الشمال إلى الجنوب دون الحاجة إلى الالتفاف حول المجموعة كلها.

وتصل الشرفة أمام المعبد نحو 6.7م (22 قدمًا) من الشرق للغرب. وقد كشفت حفائرنا بتلك المنطقة على مواضع لأربعة تماثيل لأبو الهول، كل اثنين يتاخمان المدخل. بالإضافة إلى آثار لخيمة التحنيط والتي يتم بها وضع جثمان الملك على سرير ويتم تغسيله. وبالناحية الشمالية الشرقية يوجد رصيف من الطوب اللبن، والذي استخدم كمنطقة استطلاع استخدمتها الأسرة الملكية.

ويحيط بمعبد الوادي من الثلاث جهات جدار محيط من الحجر الجيري والذي مازال جزءه الجنوبي قائماً. وكان قلب المعبد مبني من كتل من الحجر الجيري، والتي كسيت بعد ذلك بالجرانيت الوردي المجلوب من أسوان.

■ مخطط يظهر الممرات والحجرات داخل هرم خفرع.

وهناك أدلة بالنيشات المرتفعة بالجدران الخلفية على وجود تماثيل لقردة البابون المهللة لأشعة الشمس. أما الأرضية فقد رصفت بالألباستر الأصفر اللامع وذلك لربط الملك برب الشمس.

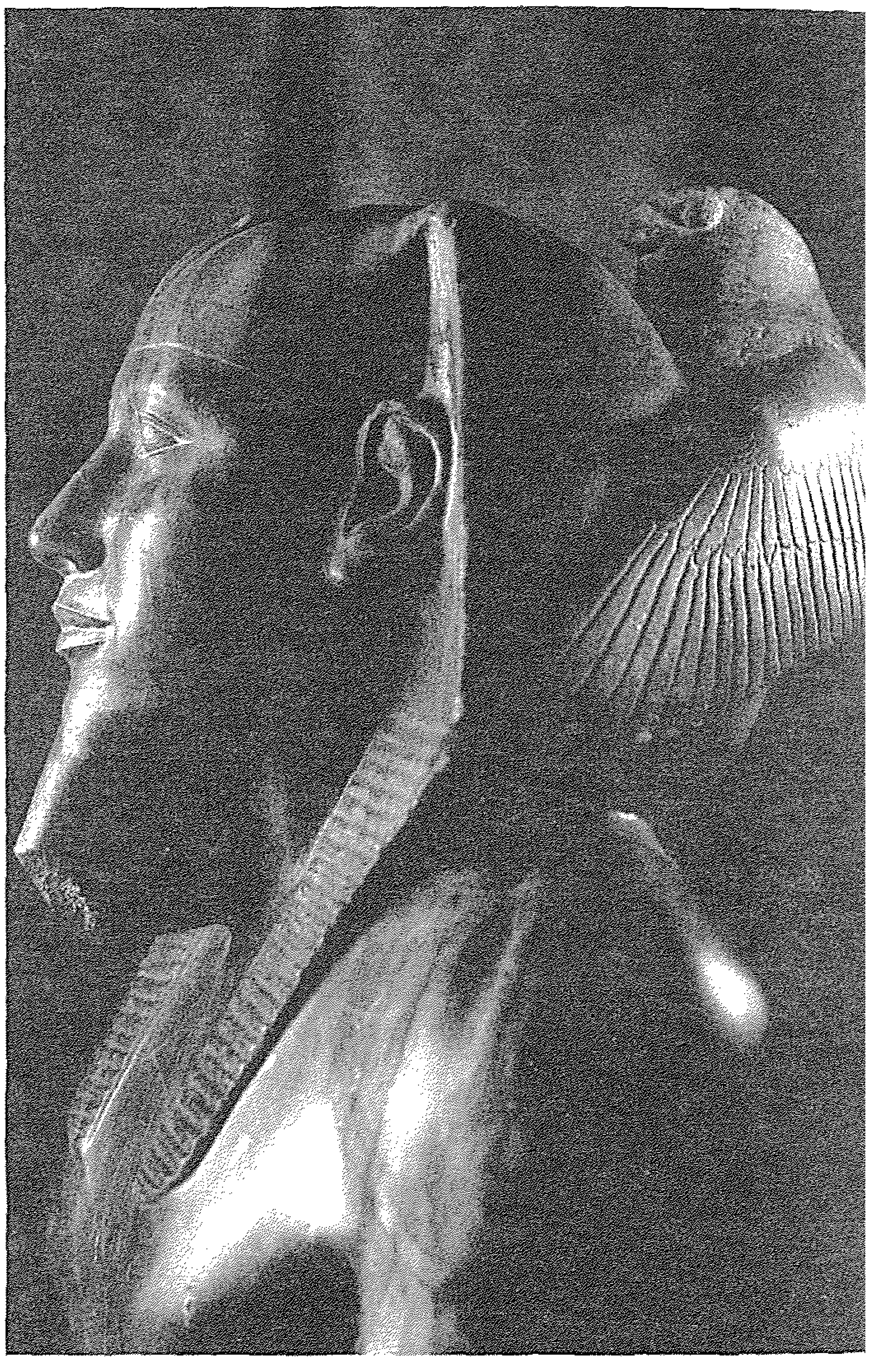


ولم يتم زخرفة الجدران، في حين تم الكشف عن مواضع لـ23 أو 24 تمثالاً للملك والتي كانت بديلاً عن زخارف الجدران. وكانت تلك التماثيل تحد الحجرة الرئيسية والتي كانت على شكل T. وقد عثر أوجست ماريت Auguste Mariette أول مدير لمصلحة الآثار على بقايا تلك التماثل داخل حفرة بالجزء الشمالي لدهليز المعبد، حيث خبئت في وقت ما قديمًا.

وأشهر تلك التماثيل الموجودة بالمتحف المصري، ذلك التمثال الذي يعد من روائع الفن المصري القديم، والذي يمثل الملك مرتديًا نقبة قصيرة وغطاء الرأس المعروف بالنمس، وجالسًا على عرش ذي مسند مرتفع والذي يعلوه الصقر حورس ناشرًا جناحيه حول رأس الملك. ويرمز التمثال لتعريف خفرع بحورس، كما يجعله تحت حماية هذا المعبود، حيث يظهر وكأن حورس سوف يأخذ الملك ليطير به. وفي تفسير آخر، فإن التمثال يمثل ثالوث أوزير وإيزيس وحورس، حيث يرمز العرش لإيزيس والملك نفسه هو أوزير، في حين أن الصقر خلفه هو حورس. والتمثال مصنوع من الديوريت وهو حجر صلب، يأتي من صحارى النوبة، وتبلغ قمة الإبداع في قدرة الفنان على منح الحياة للتمثال، وكأن العروق الملكية تكاد تسير أسفل الجلد.

وقد تم تسقيف المعبد وإن ظلت هناك بعض الفجوات بالقمة؛ وذلك للسماح لضوء الشمس بالدخول والانعكاس على الأرضية المصنوعة من الألباستر. وبالإضافة إلى الحجرة الرئيسية، فإن هناك مجموعتين من المخازن.

■ أوجست ماريت.



ومن الحجرة الرئيسية يسير ممر إلى الطريق الصاعد يسير ناحية الغرب لنحو ربع ميل وهو محاط بجدران مكسوة بالحجر الجيري الجيد، وإن كان لا يوجد أي دليل على كونها مزخرفة. وينتهي الطريق الصاعد عند المعبد الجنائزي أمام الهرم نفسه، وهذا المعبد يعد أكبر معبد معروف من عصر الدولة القديمة والذي يحوي العديد من تماثيل الملك.

وقد بني هذا المعبد من كتل من الحجر الجيري المحلي، والتي قد تصل إلى أكثر من 200 طن. ويعكس التخطيط العام للمعبد الأسلوب العام للدولة القديمة، حيث يتكون من صالة استقبال وفناء وخمس نيشات وحجرات قرابين ومخازن. وقد أطلق المصريون أسماء على أجزاء المعبد، فقد أطلقوا على الدهليز "بر ورو"؛ أي مكان العظماء، أما الفناء فكان "أوسخت"؛ أي الفسيح، في حين سمي قدس الأقداس "تبخت"؛ أي التجويف. ويضم فناء هذا المعبد طاولة كبيرة خصصت لوضع القرابين. أما النيشات الخمس فقد احتوت على تماثيل للملك والمعبودات، حيث احتوت 3 منها على تماثيل لخفرع كمعبود، ونيشة لتمثال الربة حتحور، في حين أن الخامسة احتوت على تمثال لخوفو بصفته رب الشمس رع. أما قدس الأقداس والذي لم يكن مسموحًا إلاَّ للملك والكهنة بدخوله، فيقع غربي الفناء. وعند قاعدة الهرم توجد منطقة للقرابين والتي تتكون من مذبح ولوحتين.

أما الهرم نفسه فهو محاط بجدار محيط وفناء. ومثل هرم والده، بني هرم خفرع من الحجر الجيري المحلي، وكسي بالحجر الجيري المجلوب من محاجر طره، حيث مازالت بقاياه موجودة بقمة الهرم. وعلى عكس هرم خوفو الذي لم يستخدم سوى الحجر الجيري لكساء الهرم، فإن خفرع قد استخدم الجرانيت الوردي لكساء هرمه.

■ تمثال خفرع والإله حورس- ديوريت- المتحف المصري.



وهناك التواء بسيط بالقمة يدل على أن مهندسي خفرع لم يكونوا ببراعة مهندسي والده، حيث إن اتجاه الهرم لم يكن ناحية الشرق مباشرة، وكان على المهندسين اجتناب هذا الخطأ.

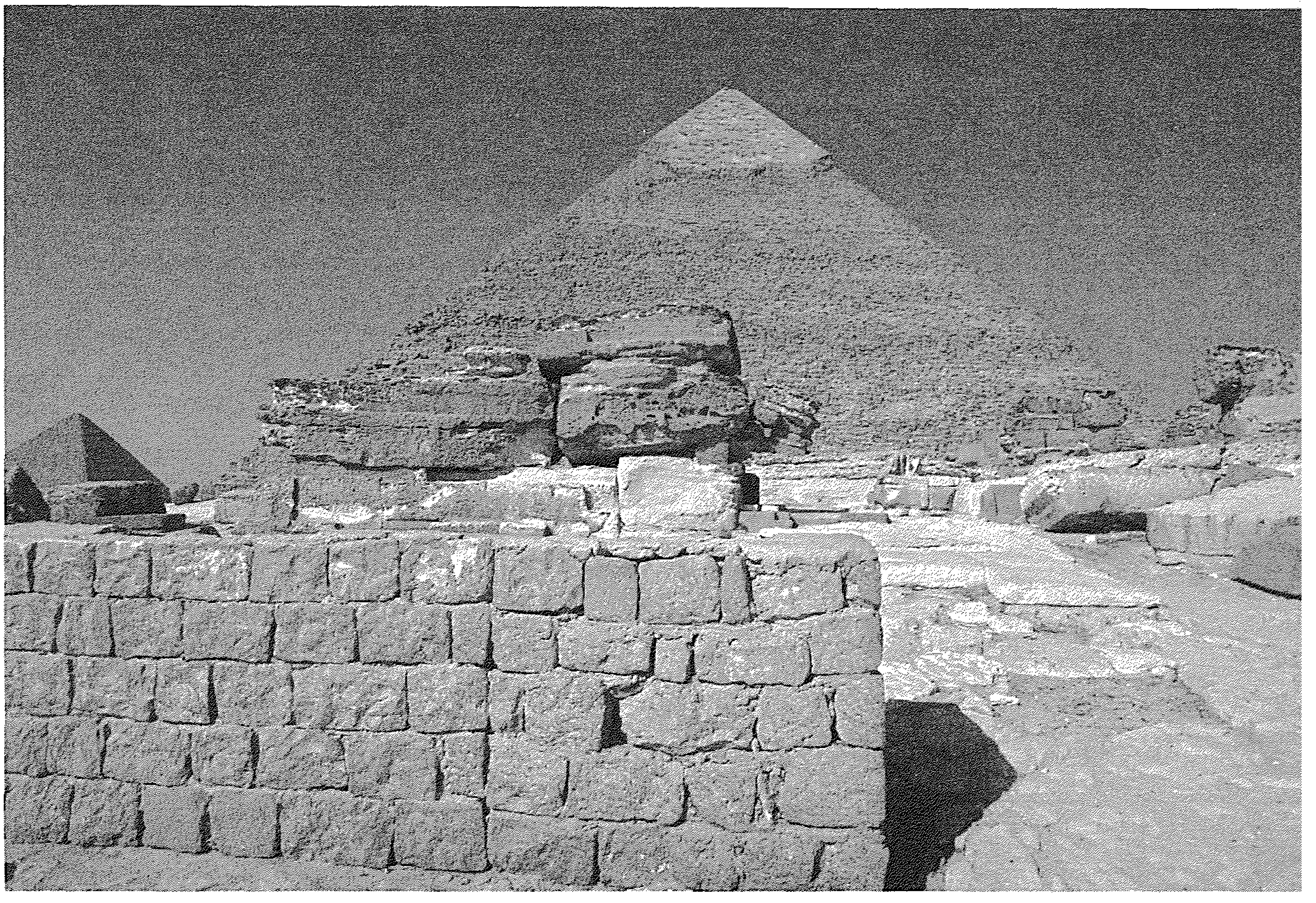
وهناك ممران من المدخل يؤديان إلى الحجرات الداخلية وهو ما يشير إلى حدوث تغيير في التخطيط في وقت ما نتيجة تغيير حجم أو موقع قاعدة الهرم. ويبدأ أحد الممرين بجسم الهرم نحو 11.5م (38 قدمًا) فوق مستوى القاعدة خلف الجانب الشمالي، والذي ينحدر أسفل مستوى الأرض حتى يصل إلى ممر أفقي، ثم ينحدر مرة أخرى ليصل إلى ممر أفقي آخر، الذي يؤدي بدوره إلى حجرة الدفن. وبطول الممر الأفقي الذي يقترب من المدخل الثاني توجد حجرة مستطيلة والتي لا تتضح وظيفتها، حيث يحتمل أن تكون بمثابة سرداب لحفظ تمثال الملك.

■ بلزوني.

تقع حجرة الدفن شرقي منتصف الهرم. وبالقرب من الجدار الغربي لتلك الحجرة، يوجد تابوت من الجرانيت الأسود ملتصق بالأرض ومغطى بغطاء. وهناك ثقوب بباطن الغطاء تشير إلى محاولة إغلاقه بإبر نحاسية كانت تتعلق بحفرات مقابلة بالتابوت. وعند دخول تلك الحجرة لأول مرة في عام 1818م (على يد لاعب سيرك إيطالي تحول إلى أثري يدعى جيوفاني بلزوني Giovanni Belzoni)، عثر على عظام ثور داخل هذا التابوت. وقد عثر على حفرة يبلغ طولها 76سم (30 بوصة)، وعرضها 72سم (28 بوصة)، وعمقها 70سم (27 بوصة) منقورة بأرضية الحجرة والتي يحتمل أن تكون مكانًا لصندوق الأواني الكانوبية التي تحمل أحشاء الملك. وعلى الرغم من أن الحجرات الداخلية لخفرع لم تكن ملفتة مثل حجرات هرم خوفو، إلا أنها كانت ذات طابع وتصميم فريد. وكان الممر الهابط العلوي مكسوًّا بالجرانيت في حين أن نظام البناء ككل يتميز بطابع من البساطة والروعة.

والجدير بالملاحظة أن الحجرات داخل الهرم تقع تحت الأرض وهو على عكس حجرات هرم خوفو، فيبدو أنها قد بنيت داخل فجوة كما خطط جدف رع بهرمه. ويشير التكوين البسيط للممر وحجرة الدفن أن البناة قد حاولوا تلافي العديد من المشاكل التي واجهت بناة هرم خوفو. ومن غير المحتمل أن تكون حجرة الدفن الحقيقية لهرم خفرع مختفية بمكان ما داخل الهرم. على الرغم من العديد من البعثات التي استخدمت أشعة X ونظام الرادار للبحث عن حجرات خفية! وقد نجح البعض منهم في الكشف عن تجاويف، إلا أن الصخر الداخلي منقور بطريقة غير منتظمة، كما أنه يحتوي على فجوات. ومع ذلك، فإنه من المرجح أن ملوك تلك الأسرة كانوا أكثر مهارة منا جميعاً، حيث نجحوا في إخفاء حجرات دفنهم من لصوص المقابر. وفي يوم ما يمكن أن نبتكر تقنيات أحدث في محاولة للكشف عن الأسرار ومعرفة الحقيقة.

وإلى الجنوب من هرم خفرع، عثر على بقايا هرم آخر، إما أن يكون هريمًا أو هرمًا ثانويًّا لإحدى الملكات. وفي عام 1960م وعلى بعد 4 أمتار (13 قدمًا) غربي الهرم على محور شرق–غرب، عثر عبد الحفيظ عبد العال والذي كان يعمل أمينًا لمنطقة الهرم وبعد ذلك مديرًا للحفائر بمصلحة الآثار على ممر مغلق ينحدر لأسفل 7.15م (23 قدمًا) تقريبًا في الطول، وعند نهايته بالجانب الجنوبي عثر على نيشة صغيرة بطول 1.19م (4 أقدام)، وداخلها صندوق مغلق بوتر يحتوي على 3 قطع خشبية، والتي أعيد تشكيلها على هيئة أربعة أعمدة تحمل حلية الكورنيش. وهناك بعض المناظر من مقابر الدولة القديمة،



والتي تمثل عمليات نقل التماثيل الجنائزية داخل مقاصير كبيرة على نفس هذا الشكل. ويشير هذا الممر الخاص بالهرم الجانبي إلى أنه كان بمثابة ملحق بتكوين الهرم. كما تشير دفنة مقصورة التمثال إلى أن التمثال كان ينقل إلى الهرم الجانبي ويوضع بحجرة الدفن. ولا يوجد أي دليل على أن هذا الهرم قد استخدم للدفن، ولكن يبدو أنه كان هرمًا عقائديًا أكثر منه هرمًا للملكة.

وهناك منطقة ذات شرفات ضيقة (نحو أكثر من مائة شرفة) والتي تسير غربي هرم خفرع، والتي تعرف بمساكن العمال وهو الاسم الذي أطلقه مكتشفها فلندرز بتري.F.Petrie وقد أثبتت عمليات التنظيف الحديثة أن تلك التسمية هي تسمية غير صحيحة، حيث إنها استخدمت كمخزن للطعام المطلوب للعقيدة الجنائزية، كما كانت بمثابة ورشة لإعداد الأدوات الطقسية.

ومازال بعض العلماء يتجادلون حول وظيفة المجموعة الهرمية ككل، ووظيفة كل عنصر على حدة. بالنسبة للأسرة الرابعة، فإن مجموعة خفرع هي الأكثر اكتمالاً مما يجعلها تستخدم كدليل على مختلف التفسيرات، وقد حدد بعض علماء

■ منظر عام آخر لهرم الملك خفرع– هضبة الجيزة.

المصريات تلك الفجوات بسقف معبد الوادي بأنها مواضع لخيمة التطهير كدليل على مراسم التحنيط، التي كانت تضم جثمان الملك داخل المعبد نفسه. وبعد تحنيط الملك يقوم كبير الكهنة وهو في نفس الوقت ولي العهد بوضع المومياء داخل التابوت، كما يقود المراسم الجنائزية عبر الطريق الصاعد حتى المعبد الجنائزي. وداخل هذا المعبد يقوم الكهنة بتلاوة الصلوات وإقامة الطقوس، ومن ثم يمرون به عبر المعبد إلى داخل فناء الهرم، ثم إلى الهرم نفسه، حيث يرقد الملك داخله إلى الأبد.

ومع ذلك، فإن مناظر جدران المعابد والطريق الصاعد لا تحتوي على أي وصف للجنازة؛ لذا فتلك الطقوس لا تعد مؤكدة. ومن الملاحظ أن الباب الذي يربط المعبد الجنائزي بفناء الهرم شديد الضيق بحيث لا يسمح بمرور موكب جنائزي. وبالإضافة إلى ذلك، فإن حفائرنا الحديثة أمام معبد الوادي قد أكدت أن عملية تطهير جسد الملك، كانت تتم على رصيف خارج المعبد، في حين أن عملية التحنيط تتم داخل إحدى الورش ناحية الجنوب.

وقد اقترح علماء آخرون بأن معبد الوادي قد استخدم على يد الملك بمثابة استراحة أثناء زيارته للمجموعة الهرمية أثناء بنائها. ومع ذلك، وبعد معرفتنا بأن الملك كان يعيش داخل قصر على حافة الهضبة، الأمر الذي ينفي استخدام الملك لمعبد الوادي كاستراحة. وهناك اقتراح آخر يشير إلى استخدام المعبد في الأعياد. وطبقًا لتلك النظرية، فإن العامة يقادون بواسطة الكهنة ليبجلوا التماثيل الموجودة داخل المعبد، كما يقدمون القرابين هناك، حيث تتلى الصلوات وتعزف الموسيقى، كما يبارك الكهنة العامة الذين ينتقلون عبر الباب الخلفي إلى الطريق الصاعد ليسيروا نصف كيلومتر تقريبًا ومنه إلى المعبد الجنائزي. ولكننا متأكدون من أن الدخول إلى المجموعة كان مقصورًا على الكهنة فقط مما يقلل من حقيقة تلك النظرية.

ومن خلال تحليل عمارة المجموعات الهرمية للأسرة الرابعة والمناظر المنقوشة على الجدران، بالإضافة إلى المصادر النصية، فإننا نعرف أن تلك المجموعات الهرمية كانت بمثابة مراكز عبادة خصصت للعقيدة الملكية، كما كانت مكاناً مقدساً يمارس فيه الملك بصفته حورس مهامه (كالدفاع عن البلاد ضد الأعداء والقيام بطقوس عيد السد). وهو في المقابل يمنحه الاندماج مع رب الشمس. وهناك تسلسل خاص بالمجموعة الهرمية، حيث يظهر الملك بصفته حورس جليًا بمعبد الوادي والطريق الصاعد ومن ثم يؤدي دور رع بالمعبد الجنائزي. أما الملكة، فتؤدي دورًا هامًّا بصفتها حتحور ابنة رع وزوجة حورس. وهذا التقسيم يجعل من المجموعة الهرمية تعبيرًا



معماريًا لنظرة المصري القديم الدينية والتي صنعت كاملة من الحجر.

أبو الهول العظيم

هذا التمثال نحت على شكل رأس إنسان وجسد أسد يرقد عند الطرف الشرقي للجبانة؛ كي يحمى مدخل هذا المكان المقدس، والذي دفن فيه الملك خفرع وأبوه خوفو ومن بعده ابنه منكاورع فيما بعد. وقد نحت التمثال من صخر الهضبة والذي يتكون من 3 طبقات متنوعة من الحجر الجيري. وقد بدأت فكرة أبو الهول في البداية على يد الملك جدف رع، والذي يعد رمزاً من رموز الشمس كما كان رمزًا للملكية وقوتها المتمثلة في قوة وصرامة الأسد. ويعد تمثال أبو الهول أكبر وأضخم التماثيل التي وصلتنا من مصر القديمة.

وبداية من عام 1988م بدأنا في إعداد برنامج ترميم ذلك التمثال المهيب وصيانة أجزاء منه، والتي سقطت وذلك لحمايته للأجيال القادمة. وعندما بدأنا تنفيذ هذا البرنامج كان جسد أبو الهول في حالة سيئة وإن كانت الرأس أفضل بقليل.

■ تمثال أبو الهول العظيم- هضبة الجيزة.

وقد أشركنا معنا اثنين من أشهر النحاتين في هذا المشروع. وذلك كي نستطيع لأول مرة فهم تصميم وشكل أبو الهول، ومن هنا نستطيع فهم قدرات الفنان المصري القديم ومعرفة التكنولوجيا التي استخدموها في نحت ذلك التمثال الرهيب.

فمن أجل نحت تمثال أبو الهول، قام النحاتون في البداية بإزالة جميع الأحجار والصخور المحيطة على شكل U مكونة خندقًا منفصلًا عن الصخرة الأم. ويتكون جسد أبو الهول من طبقات رديئة المستوى (معروفة لدى علماء الجيولوجيا باسم الطبقة 2 أو Member II)، وتلك الطبقة كانت عرضة للتغيرات الجوية، وهو ما أثر عليها بسهولة ويحولها إلى قطع مفككة وبرادة. أما الطبقة الأسفل من جسد أبو الهول والمُشَكِّلة لقاعدته فلا تتأثر بالطقس مثل السابقة، ولكنها خشنة وهشة (member I). وهناك شقوق كبيرة بجسد أبو الهول تمر عبر الطبقة II وتصل حتى الطبقة I. وبما أن الحجر الجيري قد تكون منذ وقت طويل قبل نزوح المصريين إلى الجيزة فإن طبقات جسد أبو الهول كانت بالفعل في حالة سيئة إبان الدولة القديمة.

أما الطبقة التي تشكل وجه أبو الهول ورأسه ولحيته ورقبته (الطبقة Member III) فكانت أكثر صلابة، ومن مادة أجود من الحجر الجيري، كما كانت أكثر احتمالاً للأحوال الجوية والرياح التي تهب على التمثال من الصحراء، وقد نجح النحات المصري القديم في استخدام هذا الصخر في نحت قطعة فريدة من الفن المصري القديم، والتي قاومت عوامل التلف الطبيعية. وكانت من أشهر الأضرار التي لحقت بالتمثال هي تلك الإصابة الخاصة بأنفه المفقود، والتي كانت بسبب أحد المتصوفين المتشددين بالقرن الخامس عشر الميلادي.

أما بخصوص لحيته المفقودة، فقد جرى العديد من المناقشات والجدل حولها، فإننا نعرف أن أبو الهول كان يرتدي لحية مستعارة، وقد تم اكتشاف قطع متعددة منها منذ قرون مضت، وعلى عكس اللحيات الملكية بتماثيل أبو الهول الأخرى ذات النهاية العريضة، فإن لحية أبو الهول العظيم كانت طويلة ومعقوفة بصفتها لحية معبود. ويمكن رؤية مثل تلك اللحية لأبو الهول في نقوش الأسرة الخامسة. ويرى بعض العلماء أن تلك اللحية لا ترجع لعهد الدولة القديمة عندما تم نحت التمثال، ولكنها إضافة من عهد الدولة الحديثة عندما تمت بعض الإصلاحات لهذا التمثال. وتشير الدراسات الجيولوجية الحديثة إلى أن اللحية ترجع لعهد الدولة القديمة، كما كانت جزءًا من البروز الجيري الذي نحت منه جسم التمثال.

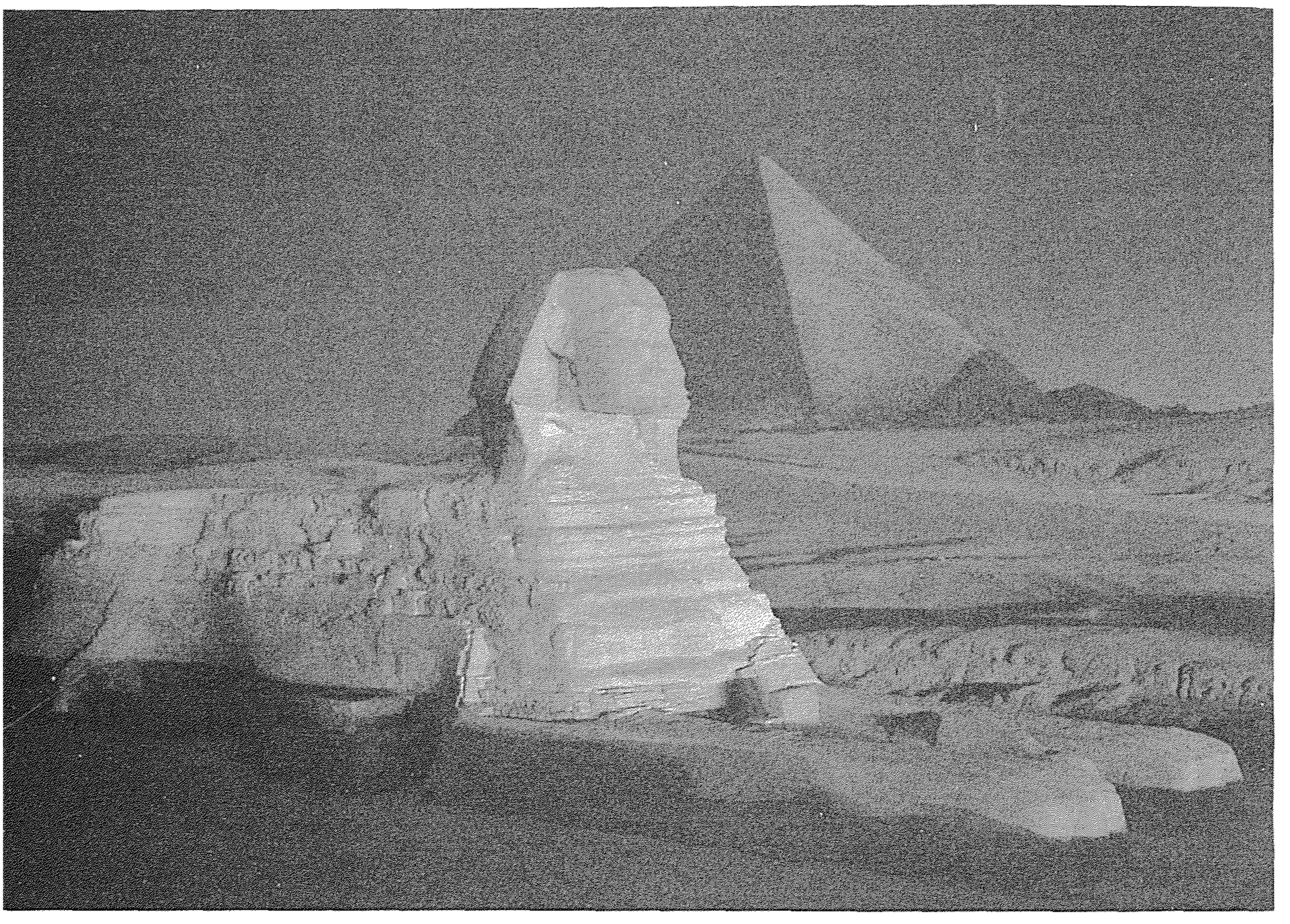
وحتى دون تلك المعلومة، لا يمكن التخيل بأن تلك اللحية قد أضيفت كجزء منفصل، حيث كان من الصعب القيام بإضافته بشكل دقيق.

وفي عام 1983م، انتاب القلق بعض المسئولين من هيئة الآثار المصرية نتيجة لكون رأس أبو الهول في خطر مما دعاهم إلى اقتراح إعادة تكوين اللحية كي تدعم الرأس. و لم يتم عمل أية إجراءات أو أية دراسات علمية؛ وذلك لأن المخاوف التي أحيطت بالتمثال كانت واهية ولا تستند على أي دليل علمي أو جيولوجي. وفي عام 1989م قامت منظمة اليونسكو بعقد تحقيق علمي برئاسة المعهد الفرنسي لاختبار الرأس ومنطقة الرقبة. كما استخدم اليونسكو تقنيات الموجات فوق الصوتية لهذا الغرض. وبالإضافة إلى ذلك قامت مجموعة من العلماء بأخذ عينات مختلفة من جسد أبو الهول لتحليلها من أجل الوصول لطريقة مثلى في ترميم التمثال.

وكانت من أهم النتائج التي خرجت من الأبحاث والتحاليل أن رأس وعنق أبو الهول هما أقوى جزء بالتمثال. كما أن فكرة إعادة تكوين اللحية لم تكن ضرورية لتدعيم الرأس. وقد كنت في غاية السعادة بعد صدور تلك النتائج، حيث إنني لم أشعر بالراحة نتيجة لفكرة إعادة تكوين اللحية والتي سوف تغير من الشكل المألوف لوجه أبو الهول، والذي تعودنا عليه. هذا بالإضافة إلى أنه لا يوجد لدينا سواء بالمتحف المصري أو المتحف البريطاني أكثر من 13 ٪ من اللحية الأصلية. ومع ذلك، فإن إحدى النتائج الإيجابية لتلك المناقشة هي تلك الخرائط الفوتوجراماتية لأبو الهول والتي ساعدتنا على إعادة تكوين الشكل الأصلي لهذا الأثر الهام.

ومع نحت جسم أبو الهول في الصخرة الأم، قام نحاتو الدولة القديمة باستخدام كتل من الحجر الجيري الجيد المجلوب من طره لكساء الجسم، كما تم نحت بعض التفاصيل والأقدام والذيل بدلاً من النقر في الصخر الرديء. وقد سقط العديد من تلك الكتل في الوقت الذي قامت مجهودات قديمة ومعاصرة مختلفة لإعادة تشكيلها مرة أخرى عبر ألف عام، وكان أحدثها تلك المحاولات فيما بين عامي 1988–1998م خلال مشروعنا لترميم أبو الهول.

ومن المثير أن جسد أبو الهول العظيم كان أكبر وأطول من ناحية التناسق مع الرأس. وهذا الأمر يدل على أن الموقع المثالي للتمثال على أعلى درجة من الأهمية، كما أن المصريين القدماء قد تفهموا جيولوجية صخر الأساس؛



لذا، فقد نجحوا في فصل قلب الصخر بطريقة تسمح للنحاتين بنحت الرأس بالطبقة III الصلبة والتي تسير فوق الطبقتين الضعيفتين I وII.

تأريخ أبو الهول

خرجت العديد من النظريات حول تأريخ أبو الهول العظيم، حيث أراد بعض الهواة والدجالين أن يقنعونا بأنه قد نحت منذ 10 آلاف عام مضت عندما أتى بعض الأقوام من قارة أطلانتس المفقودة (وهي حضارة وهمية ليس لوجودها أي دليل) إلى مصر، وقاموا ببناء منازل لهم وتهدمت بفعل الطبيعة. وقد حاول هؤلاء الهواة التأكيد بكافة المعلومات البراقة عن العوامل الجوية والطوفان لإثبات نظرياتهم، ولكن كافة ادعاءاتهم واهية وغير منطقية. وهناك من رأى أن هناك كائنات فضائية قد غزت الأرض ونحتت هذا التمثال. وجميع تلك النظريات سخيفة وغير علمية وهو ما يليق فقط بأفلام الخيال العلمي.

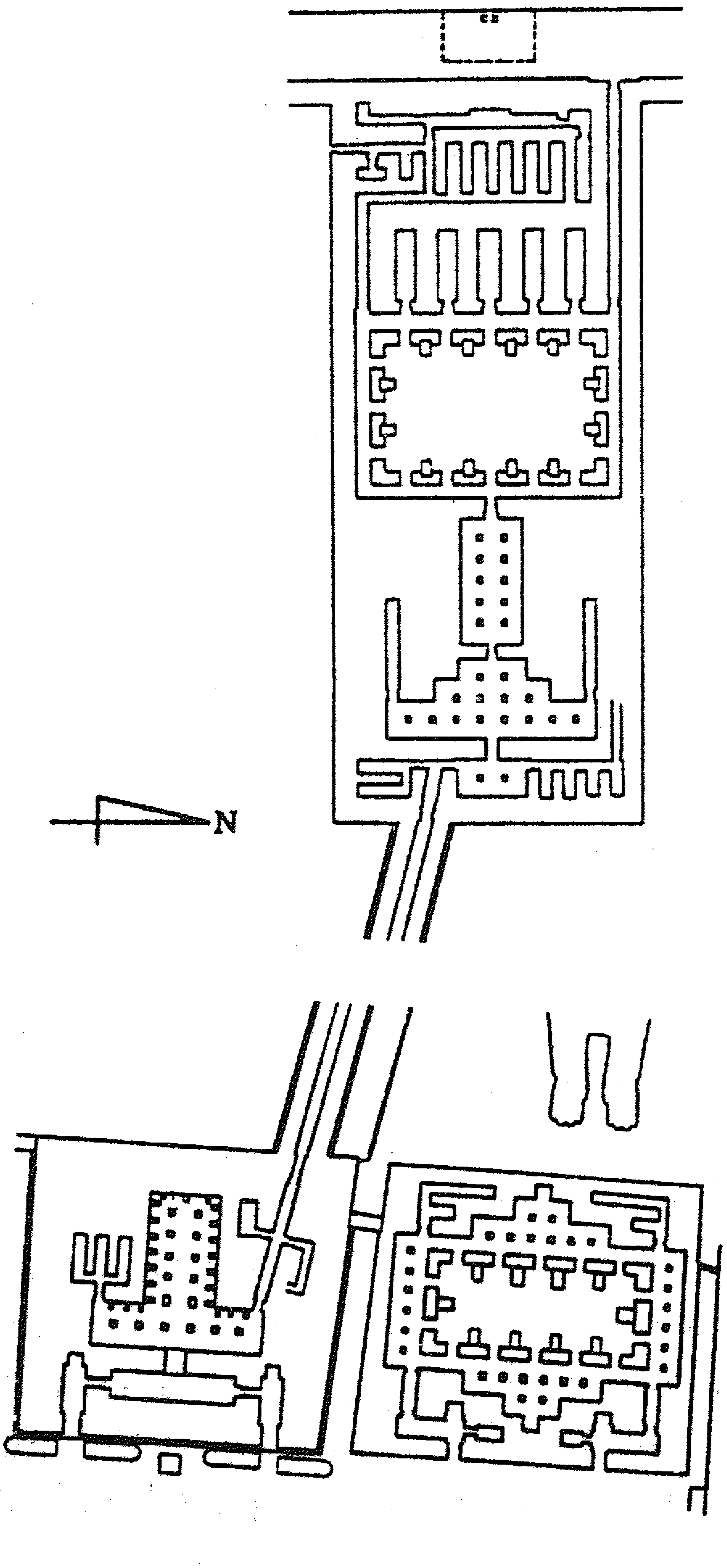
■ تمثال أبو الهول العظيم- هضبة الجيزة.

أما الرأي العلمي الصحيح هو أن تمثال أبو الهول يرجع للأسرة الرابعة؛ أي في عام 2600 ق.م. وكانت رأس التمثال تمثل رأس ملك يرتدي الزي الملكي المصري التقليدي، حيث غطاء الرأس الملكي (النمس) وعلى رأسه حية الكوبرا وأسفل الرأس تظهر بقايا اللحية المستعارة، ويرى العديد من العلماء – ومنهم مؤلف هذا الكتاب – أن تلك الرأس تمثل الملك خفرع كما أنه جزء من مجموعته الهرمية وهي فكرة جاستون ماسبيرو Gaston Maspero ثاني مدير لمصلحة الآثار. وهناك دراسة حديثة هامة شاملة تؤرخ زمن أبو الهول لعصر خفرع، ومع ذلك فإن هناك مدرسة من العلماء يقودها شتادلمان تشير إلى أن أبو الهول يمثل خوفو أكثر من خفرع.

وللأسف، لا نعرف أية نصوص معاصرة يمكن أن تخبرنا عن هوية الذي قام بنحت أبو الهول، ولدينا نص واحد هام متعلق به يعرف بلوحة الإحصاء أو لوحة ابنة خوفو. وقد تحدثنا عن تلك اللوحة مسبقاً عند حديثنا عن هرم خوفو الجانبي برقم GI-c. ولإنعاش ذاكرتكم، فإن تلك اللوحة ترجع للعصر المتأخر (700–500 ق.م) وتقع بمعبد إيزيس على أطلال المقصورة الشرقية الخاصة بهذا الهرم الجانبي. وما يتعلق بهذا الموضوع بهذه اللوحة والتي ترجع لعهد المعبد؛ أي نحو ألفي عام بعد وفاة خوفو، يشير إلى أن خوفو قد قام ببناء معبد إيزيس بالقرب من بيت أبو الهول شمالي بيت أوزير، ومن ثم قام ببناء هرمه بجوار هذا المعبد.

ويمكن الخروج بالعديد من التأويلات على يد هؤلاء الذين آمنوا بفكر بناء الهرم على يد مخلوقات فضائية. ومع ذلك، فإن مرور ألفي عام بعد وفاة خوفو هو زمن طويل في الوقت الذي نحتاج فيه إلى مصدر أكثر دقة ووضوحًا عن ذلك النص، وهناك العديد من الاحتمالات التي ترجح تأريخ أبو الهول لعهد خفرع أكثر من خوفو، فبدايةً من خلال الوجه والذي يشابه وجوه تماثيل خفرع، في حين أن التمثال الوحيد للملك خوفو فيرجع لعهد الأسرة 26 وهو ما لا يشابه وجه أبو الهول.

أما عن موقع أبو الهول بمدخل مجموعة خفرع، فهو يشير بوضوح إلى كونه تمثالاً ضخمًا لتمثيل الملك. كما أن النواحي الأثرية للمكان ترجح هذا الاحتمال. أما الخندق الواقع جنوبي أبو الهول على شكل U والذي يشكل الحد الشمالي للطريق الصاعد لخفرع فيسير فوق أبو الهول ويدخل معبد الوادي الخاص بخفرع. وهناك قناة صرف تسير بطول الجانب الشمالي للطريق الصاعد وتفتح بالركن الجنوبي الغربي العلوي لخندق أبو الهول، وهو ما يشير إلى أن الطريق الصاعد قد نقر قبل الانتهاء من عمل خندق أبو الهول.



وهناك نظرية قديمة اعتنقها العديد من العلماء دون نقاش، وهي أن المشرف على جميع أعمال خفرع قد حول كتلة صخرية ضخمة إلى تمثال للملك خفرع برأس الملك وجسد أسد، ومن خلال بعض التحليلات التي قام بها مارك لينر، استنتج أن موقع أبو الهول قد اختير بعناية كي يتعلق بهرم خفرع. وأعتقد أنه عندما قام المصريون القدماء بنقر الحجر الجيري من منطقة أبو الهول لبناء المجموعة الهرمية لخفرع، فإن المشرف على الأعمال (ربما عنخ حا إف) قد بدر إلى ذهنه فكرة أبو الهول، وأمر بنقره في الصخر حتى يبقى بتلك المنطقة؛ لذا فإنه من المرجح أن التخطيط الأساسي للمجموعة الهرمية للملك خفرع تضم أبو الهول كعنصر أساسي.

وينظر أبو الهول ناحية الشرق ويحتضن أمامه معبدًا صغيرًا يعرف باسم معبد أبو الهول. وكانت العلاقة بين معابد خفرع وبين معبد أبو الهول تربط بين أبو الهول

■ مخطط للمعبد الجنائزي ومعبد أبو الهول ومعبد الوادي للملك خفرع.

وخفرع، حيث إن معبد الوادي لخفرع يقع على نفس الشرفة الصخرية مثل معبد أبو الهول. وكان الجانب الأمامي من المعبد وجانبه الخلفي مصطفَّيْن نوعاً ما، كما بنيت جدرانهما بنفس الأسلوب من كتل كبيرة من الحجر الجيري بالإضافة إلى كتل صلبة من الجرانيت الأحمر في الكساء. وهناك أدلة على أن تلك الكتل الجيرية قد جلبت من خندق أبو الهول نفسه، ويضم المعبد فناءً أوسط مليئًا بتماثيل ضخمة مرتبة على شكل دائري. وقد قام عالم المصريات السويسرى هربرت ريكه Herbert Ricke بدراسة تفصيلية لمعبد أبو الهول ما بين عامي 1967 و1970م، حيث أشار إلى أن هذا الفناء هو نسخة من فناء المعبد الجنائزي لخفرع عدا عدد التماثيل، حيث يحتوي المعبد الجنائزي على 12 تمثالاً بدلاً من 10. وقد قمنا مؤخراً في مارس 2008 بعمل خمسة مجسات داخل حرم أبو الهول بعمق 8م منها بجانب القدم اليسرى واليمنى وخلف التمثال. ووجد أن منسوب المياه الجوفية يصل إلى 4.60م بالإضافة إلى أن هذه المجسات أثبتت عدم وجود أي شيء أسفل أبو الهول كما اعتقد البعض.

معنى "أبو الهول"

للأسف ليس لدينا أية نصوص معاصرة يمكن أن تخبرنا مباشرة عن معنى اسم أبو الهول.

أما عن أسماء أبو الهول فمجمل الآراء التي تناقشه هو أنه عاش في منطقة الجيزة مجموعة من الكنعانيين خلال عصر أمنحتب الثاني فتعبدوا للتمثال باعتباره صورة من معبودهم القومى "حورون" وأطلقوا عليه هذا الاسم السامي، كما أطلق عليه أيضاً "بر – حور"؛ أي قصر حورس، وعندما أتى العرب إلى مصر أطلقوا عليه اسم "أبو الهول". وكلمة سفنكس Sphinx مقتبسة من ترجمة يونانية محرفة لكلمة مصرية هي Shespu Ankh؛ أي الصورة الحية. وكانت تماثيل أبو الهول اليونانية مختلفة عن أبو الهول المصري، حيث تتكون من رأس امرأة وجسد أسد مجنح بجناحي نسر وله ذيل أفعى.

وكانت جميع النصوص المتأخرة الخاصة بأبو الهول تؤكد على تعريف أبو الهول بكونه معبودًا. وفي الدولة الحديثة أصبح أبو الهول بؤرة هامة للعامة وللعقيدة الملكية تحت مسمى "حور إم آخت"؛ أي حورس في الأفق، ومزيج بين حورس رب الملكية ورع رب الشمس. وأصبحت هيئة أبو الهول بين هرمي خوفو وخفرع تمثل هذا المفهوم من الناحية الشكلية، حيث الرمز الهيروغليفي "آخت" أو الأفق، فقد كان الهرمان يمثلان جبليْن عند طرفي الأفق في الوقت الذي يمثل أبو الهول الشمس الغاربة بينهما.

ولدينا أدلة أخرى حول معنى أبو الهول، فعلى سبيل المثال، نعرف من نصوص الأهرام من الدولة القديمة أن الملك كان يعرف مع رب الأرض أتوم ذلك الرب الخالق المرتبط برب الشمس رع بهليوبوليس. وكان أبو الهول والذي ينمو من الأرض نفسها يعد نموذجًا مثاليًا لأتوم والذي خرج من الأرض في بداية الخليقة.

ونعرف من معبد أبو الهول أدلة حول معنى أبو الهول، حيث إن الفناء الأوسط المفتوح محاط بأروقة مسقوفة تحملها 24 عموداً مربعاً من الجرانيت، كما يضم المعبد قدس الأقداس، أحدهما ناحية الشرق والآخر ناحية الغرب، وهما على المحور المركزي للمعبد. وقد اعتقد ريكه أن هذا المعبد هو معبد بدائي للشمس، في حين أن أبو الهول هو تمثيل لرب الشمس. وقد نفهم أن عمارة هذا المعبد ترمز للدورة الشمسية، حيث إن قدس الأقداس الشرقي يرمز للشمس المشرقة، في حين أن قدس الأقداس الغربي يرمز للشمس الغاربة، كما أن كل عمود من تلك الأعمدة يرمز للـ24 ساعة من ساعات النهار والليل.

ومن اللافت للنظر أنه خلال فترتي الربيع والخريف، يتعامد المحور الشرقي الغربي فوق كتف أبو الهول مع نقطة غروب الشمس بالطرف الجنوبي لهرم خفرع. وهذا التعامد هو عنصر آخر يربط بين أبو الهول وبين المجموعة الهرمية لخفرع. كما يعد أحد الأدلة على أن أبو الهول ليس مجرد تمثال لمخلوق من كتلة صخرية غير مستخدمة بمحجر خوفو.

ولدى اعتقاد شخصى بأن مفهوم أبو الهول يتعلق بالعقيدة الشمسية الجديدة لخوفو، حيث إن أبو الهول - طبقًا لنظريتي- يمثل خفرع بصفته حورس في مواجهة الشرق ليتعبد لأبيه خوفو بصفته رب الشمس رع؛ لذا فإن معبد أبو الهول قد خصص لخوفو في حين أن خفرع هو الممثل الأبدي للعقيدة الخالدة.

الفصل الرابع

بلاط خفرع

إنه من المرهق أن تكون ممثلاً لحورس على الأرض.. فقبل أن يكون ملكًا، كان لديه زوجة واحدة.. والآن لديه الكثير منهن وعليه أن يوازن بين احتياجاتهن ورغباتهن في الادعاءات التنافسية بين أطفالهن... وكان يتقدم عبر السنين دون أن يعرف كيف يمكن له أن يصمد.. وكان عديد من إخوته الشباب مازالوا يأملون في الحصول على دورهم في بلوغ عرش أبيهم.. وإن كان عليه أن يختار فسوف يجعل ابنه الشاب منكاورع وريثه، إلا أن أم منكاورع والتي تدعى خع مرر نبتي كانت في ريعان شبابها وهو ما يجعلهما غير قادرين على امتلاك القوة.. فربما قام بالاستعانة بمساعدة إخوته واعداً إياهم بالجلوس على العرش العظيم في حال وعدهم بمساعدة الطفل.. ولم يعمر أحد منهم بعد وفاته..

كانت حياة الملك خفرع العائلية مشابهة لحياة والده؛ معقدة نوعاً ما، حيث كان له العديد من الأخوة الأشقاء وغير الأشقاء، عاشوا في عين حياته كما كان له على الأقل 3 زوجات و16 طفلاً. ومن المثير في الأمر أن مجموعته الهرمية لا تحتوي على أية أهرامات للملكات، فيبدو أن جميع زوجاته قد عمروا أكثر منه، أو أنه لم يرد تفضيل واحدة على الأخرى.

فعلى سبيل المثال، تم دفن الملكة مرسي عنخ الثالثة بمقبرة بديعة رقم G7530+40 بالجبانة الشرقية بدلاً من دفنها بهرم صغير. وربما كان ذلك بسبب استمرار الصراع بين فرعي جدف رع وخفرع بالعائلة، إلا أننا لسنا متيقنين من ذلك. وعلى كل حال، فإن الملكة مرسي عنخ الثالثة كانت ابنة الأمير كاوعب الابن الأكبر للملك خوفو والملكة حتب حرس الثانية. وقد عاشت بعد وفاة زوجها (وهو ما يبرر عدم دفنها بهرم)، وماتت عند عمر الخمسين. وقد نقشت مقبرتها بإبداع، وزينت بمناظر وتماثيل منحوتة في الحجر، وهو ما يمدنا بمادة خصبة عن الأسرة الملكية والمعتقدات الدينية والتحنيط وأمور أخرى تخص المصريين، الذين عاشوا إبان الأسرة الرابعة.

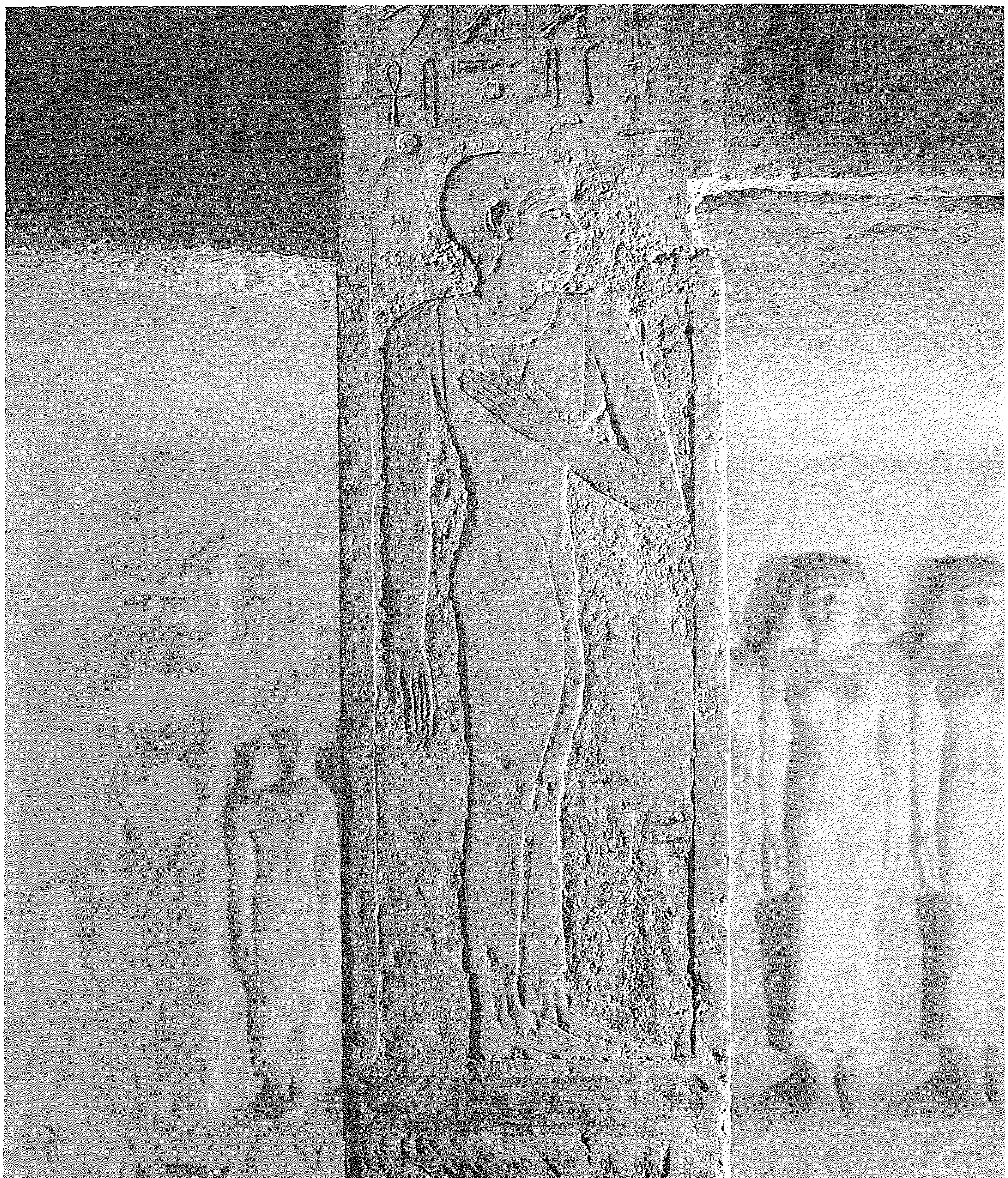
وبداخل مقبرتها، صورت مرسي عنخ الثالثة مرتدية رداءً حابكًا يصل حتى كاحليها. وتظهر بمنظر واحد على الأقل وهي تحمل زهرة اللوتس –رمز إعادة الولادة– قرب أنفها. أما أمها حتب حرس الثانية وأبوها كاوعب، فقد مثلا أيضاً بتلك المقبرة بالإضافة إلى العديد من الأقارب. وتتضمن المناظر المصورة على الجدران الحرفيين وهم ينفخون في أنابيب لتشكيل الذهب وصناعة الخزف، والنحاتين الذين يقومون بتشكيل تابوت، ورجال يقومون بسحب تمثال، وموسيقيين، ومغنين، وراقصين، ونشاطات زراعية، ومناظر رحلة الحج إلى أبيدوس، ومنظر لمرسي عنخ وأمها داخل مركب بالأحراش. وكانت أغلب تلك المناظر تندرج تحت نوعية مناظر يطلق عليها "مناظر الحياة اليومية". وكما ذكرت من قبل، فإن جميع مناظر المقبرة تحمل رمزية دينية، كما تهدف إلى تأكيد كل من الحياة الأبدية للمتوفي والوظيفة المناسبة لنظام الكون المصري. وفي نفس الوقت، فإنها تمدنا بقدر وافر من المعلومات حول أساليب الحياة الثرية، والمتنوعة التي عاشها المصريون القدماء.

وهناك نقش بمدخل المقبرة نعرف منه أنه قد مر 272 يوماً تقريبًا بين وفاة مرسي عنخ الثالثة وبين دفنها. وهذا الأمر غير عادي ؛ حيث إن مراسم التحنيط العادية تأخذ 72 يوماً تقريبًا؛ لذا فيبدو أنه قد حدث تأخير ما وهو ما يعد لغزًا.

وتضم تلك المقبرة ومقابر أخرى قليلة من تلك الفترة عنصراً فريداً ألا وهو مجموعة من التماثيل المنقورة في الصخر والتي يصل عددها إلى 10 تماثيل، وهي 4 لمرسي عنخ نفسها، و3 لأمها، و3 لبناتها. ويحمل تابوتها نقشًا يخبرنا أنه كان هدية من أمها. وكان لها ابن من خفرع يدعى "دوا نى رع" والذي خدم كوزير في عهد الملك منكاورع ابن خفرع من ملكة أخرى. وقد حمل دوا ني رع لقب "أكبر أبناء خفرع"، إلا أنه لم يخلفه في الحكم. وهذا الأمر يقودنا إلى تصديق فكرة أنه ليس بالضرورة أن يتم توريث العرش للابن الأكبر.

أما المستشار الأول للملك خفرع، فيبدو أنه كان "عنخ حاف" والذي أدَّى نفس الدور في حياة والده، وقد حمل هذا الرجل ألقاب الوزير والمشرف على جميع أعمال الملك. وأعتقد أن هذا الرجل كان كهلاً في عصر الملك خفرع، حيث يظهر حفيده "عنخ إت إف" بمقبرته. وقد تزوج من ابنة الملك الكبرى (ربما ابنة الملك خوفو).

ويمكن أن نتخيل كيف كان عنخ حاف هو أكثر الأشخاص أهمية بالبلاد بعد الملك. فقد كان يدير الشئون السياسية بالبلاد، كما كان المسئول عن تصميم المجموعة الهرمية. ورغم أنه لم يكن يشرف على العمل اليومي



بالمجموعة الهرمية مباشرة، إلا أنه قد اختار التصميم العام وحدد النهج ليسير عليه المشرفون بعد ذلك.

وهناك وزير آخر لخفرع هو "مين خع إف" والذي كان أيضًا ابنًا للملك، ويعتقد بعض العلماء أنه كان ابن خوفو من حنوت سن، تلك الملكة التي دفنت بالهرم الواقع بأقصى الجنوب شرقي الهرم الأكبر. ويعتقد أن مين خع

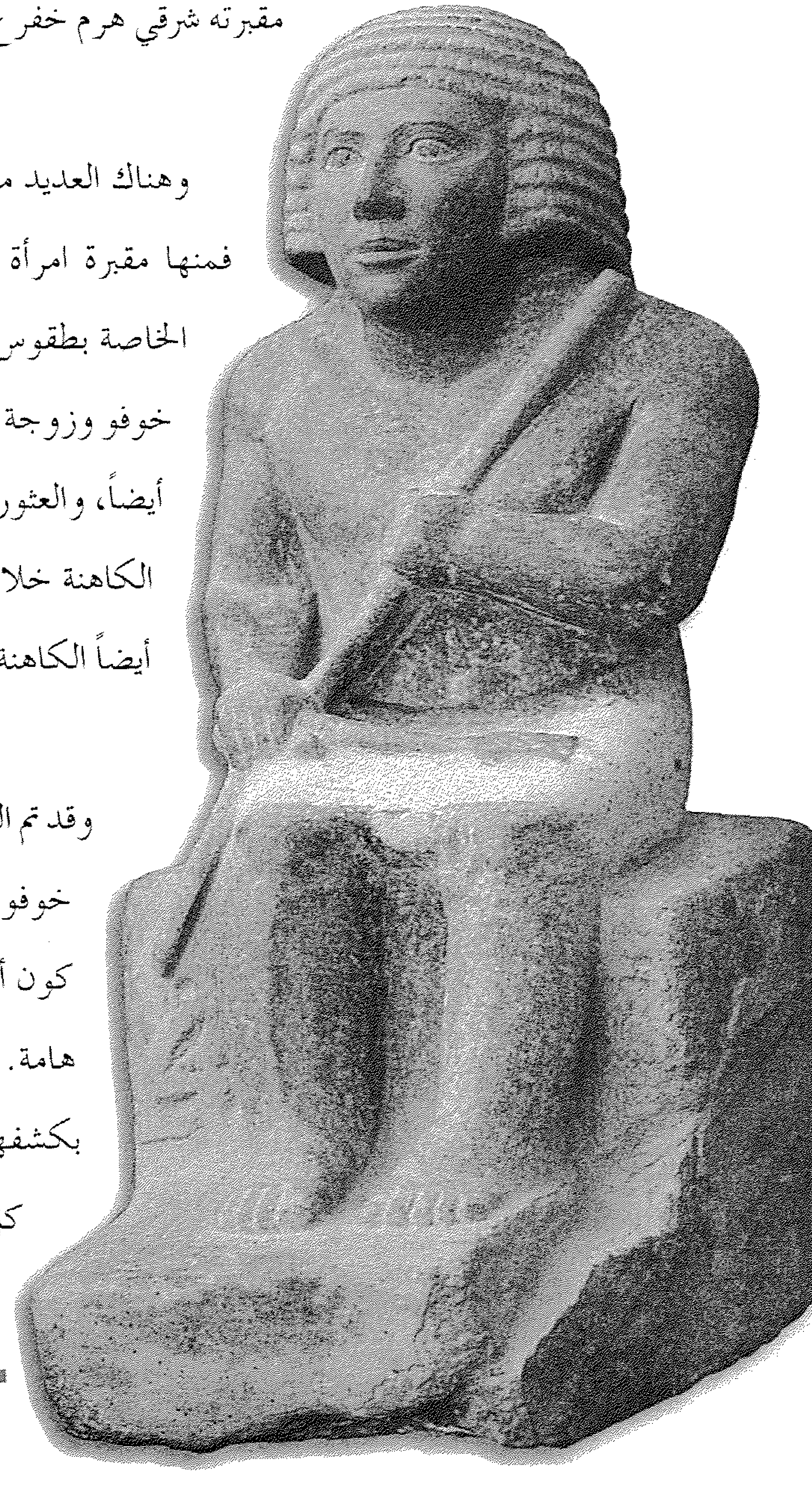
■ الملكة مرسي عنخ الثالثة بمقبرتها- الأسرة الرابعة- هضبة الجيزة.

إف هو المهندس المعماري الذي نفذ أفكار عنخ حاف في بناء الهرم ونجح في تحويلها إلى حقيقة، وأشرف على بناء الهرم. وهناك رجل آخر أدَّى دورًا هامًّا في تخطيط وبناء هرم خفرع وهو الوزير "نفر ماعت الثاني" الوزير الثالث في عهد خفرع والذي دفن في المقبرة G7060 بالجانب الشرقي من الهرم. وكانت أم هذا الوزير هي "نفرت كاو" والتي يعتقد أن تكون ابنة الملك سنفرو من زوجة ثانوية، وابنتها "نفرت كاو الثانية" قد تزوجت من "خاف خوفو الأول" (ربما أصبح خفرع بعد ذلك).

وفي فترة متأخرة من عصره، تزوج خفرع من ملكة أخرى تدعى "خد حخنو" والتي أنجبت له ولدًا يدعى "سخم كارع". وقد عاش هذا الطفل إبان عصر الأسرة الخامسة وخدم كوزير في عهد الملك أوسركاف (2513–2506 ق.م) قبل وفاته في عهد الملك ساحورع. والسبب في اعتقاد العلماء أنه كان ابن الملك خفرع هو موقع مقبرته شرقي هرم خفرع.

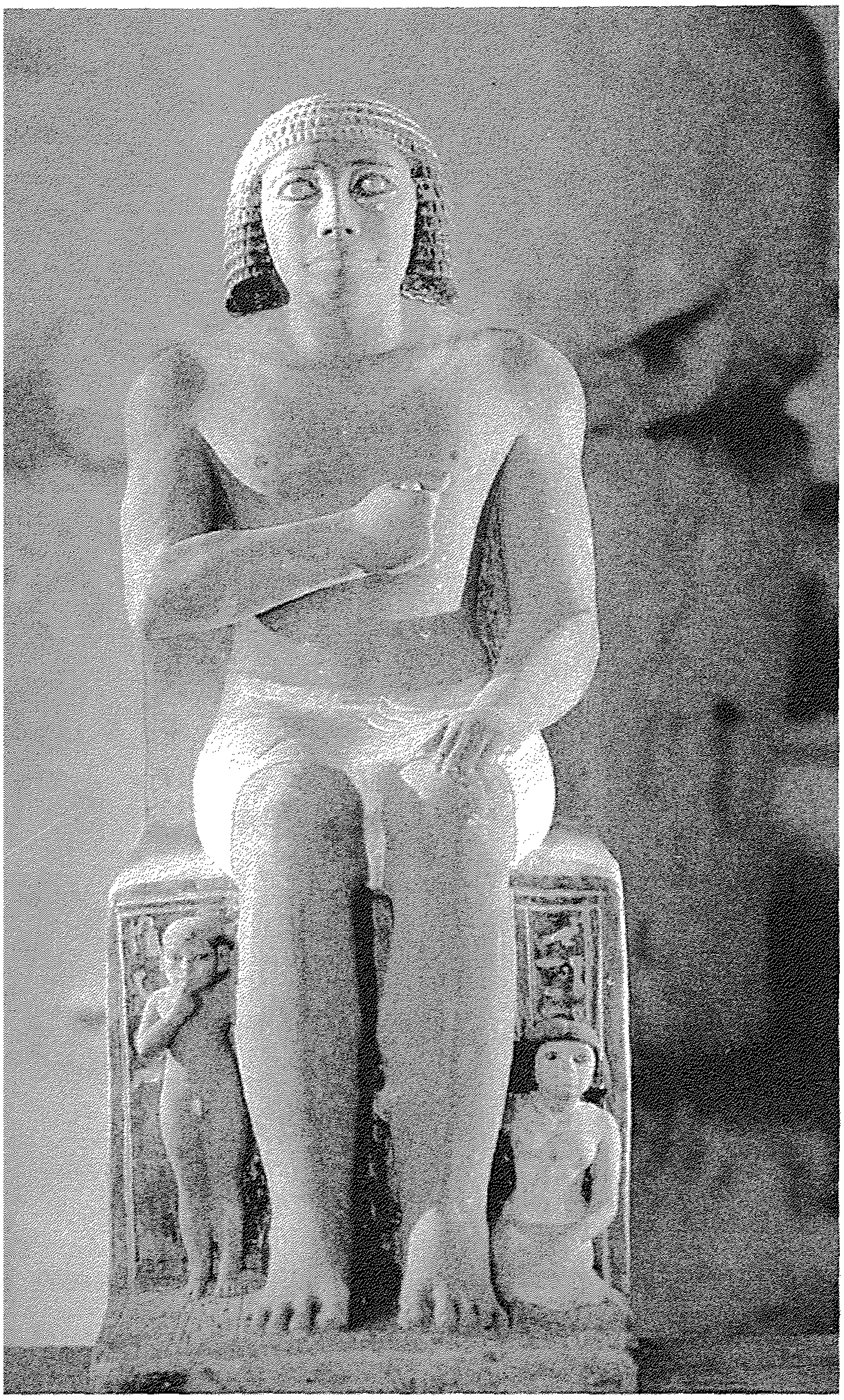
وهناك العديد من المقابر الشائقة بالجيزة والتي ترجع لعهد الملك خفرع. فمنها مقبرة امرأة تسمى بـ"مريت إيت اس" الثالثة والتي كانت الكاهنة الخاصة بطقوس خوفو والإلهتين حتحور ونيت، حيث كانت ابنة الملك خوفو وزوجة رجل يدعى "آخت حتب" والذي حمل لقب كاهن خوفو أيضاً، والعثور على هذا اللقب يدل على دور هام لهذا الكاهن، أو تلك الكاهنة خلال الطقوس الملكية بالأسرة الرابعة. وقد حمل هذا اللقب أيضاً الكاهنة "نيس جر كاي" والتي دفنت أيضاً بالجيزة.

وقد تم الكشف حديثًا عن مجموعة من المقابر بالجبانة الغربية للملك خوفو والتي ترجع زمنيًا لعصر الملك خفرع. وعلى الرغم من كون أصحابها ليسوا من العائلة الملكية إلا أن لها أهمية تاريخية هامة. ومن بين تلك المقابر مقبرة القزم "برني عنخو" التي قمت بكشفها والذي حصل على لقب "قزم القصر الذي يسعد جلالته كل يوم". وكان للأقزام في مصر القديمة دور هام وخاصة



■ تمثال للقزم برني عنخو– بازلت– المتحف المصري.

بالقصور الملكية، حيث عُرِفُوا برقصاتهم المتميزة مثل التي كان يقدمها برني عنخو كرقصات طقسية لإمتاع الملك. وبعد فتح حجرة التمثال المغلقة الملحقة بمقبرته اكتشفنا تمثالاً بديعًا له، وأعتقد أن برني عنخو كان والد القزم الشهير سنب الذي يوجد تمثاله بالمتحف المصري ومقبرته تقع إلى جوار المقبرة المكتشفة مباشرة، ونحن نعرف أن سنب قد حصل على لقب معلم أطفال الملك.



ومن بين المقابر الجميلة التي ترجع للأسرة الرابعة، مقبرة أحد الكهنة يدعى "كاي" تلك المقبرة المنقوشة والمزينة بالعديد من المناظر والألوان بديعة. ونكتشف من خلال مناظر تلك المقبرة أسلوب المقايضة الذي كان سائداً في مصر القديمة، حيث نقش بمدخلها نص رائع يقول فيه الكاهن: "لقد دفعت لكل من بَنَّائي المقبرة والرسامين والنحاتين مقابل عملهم بعضًا من الخبز والجعة وتأكدت من رضاهم..".

ومن خلال قدر من المعلومات حصلنا عليه من مجموعته الهرمية ومقابر رجال دولته، يمكن معرفة القليل عن عصر خفرع. فقد علمنا أنه قام بإرسال عدد من البعثات إلى النوبة لإحضار الديوريت والجرانيت من أجل تشييد معبده وتماثيله، ويحمل محجر الديوريت اسم خفرع الآن، كما عثر على اسمه مع كل من خوفو ومنكاورع في بيبلوس، مما يشير إلى إرسال بعثات لإحضار خشب الأرز، ويشير كذلك إلى أن هؤلاء الملوك قد أقاموا علاقات تجارية بمدن الساحل السوري. كما يوجد اسم الملك خفرع بموقع "إبلا" بسوريا، والذي يشير إلى وجود علاقات مع دول شرقي حوض البحر المتوسط.

■ تمثال الكاهن كاي– حجر جيري ملون– المتحف المصري.

الفصل الخامس

وفاة خفرع

ألقى الملك خوفو العجوز بظلاله كثيراً على الحياة ولم يمت بعد.. وكان هناك أميران رئيسيان مازالا على قيد الحياة ينتظران دورهما على العرش.. ولم يكن هناك ادعاء للوصول إلى عرش الأرضين أعظم من دم ينسب إلى الملك خوفو.. ولم يكن منكاورع الخليفة الشاب لخفرع يافعًا بالقدر الكافي كي يجلس على العرش؛ لذا فكان أخوه جدف حور الذي أوصل خفرع ليرقد بهرمه المضيء وتقديم الطقوس التي ترسل الكا للالتحاق بالآلهة الأخرى....

وضعت معظم تواريخ الدولة القديمة الملك منكاورع بعد الملك خفرع مباشرة. ومع ذلك، فإن هناك بعض الأدلة على وجود سلسلة من الملوك الذين حكموا لمدة قصيرة بين بناة الهرمين الثاني والثالث بالجيزة. وقد ذكر المؤرخ مانيتون ملكًا يدعى "بخريس" وقال أنه قد حكم لمدة 4 سنوات فقط. أما نقش الجرافيتي بوادي الحمامات والذي يرجع للدولة الوسطى – والذي ذكرته من قبل– والذي نقش على يد موظفي منف، فقد ذكر ملوك الأسرة الرابعة بهذا الترتيب (كل اسم داخل خرطوش): خوفو، جدف رع، خفرع، جدف حور (رع)، باو إف رع. ومن الواضح أنه غير صحيح، فهناك خطأ قد حدث على يد كهنة كاذبين في فترة سادت بها السذاجة، وما زاد من تصديقها هو وضعها بقوائم ملوك رسمية لاحقة. ومع ذلك، وبالرغم من ذلك فإن هذا النص يعد قائمة بمستلمي القرابين أكثر من كونها قائمة بتاريخ الملوك، إلا أنه يعد الأقرب في الفترة الزمنية للأحداث الفعلية للدولة القديمة، وربما يكون على درجة من الدقة.

أما عن الملك "بخريس" الذي ذكره مانيتون بقائمته فيمكن تحديده بأنه الملك باو إف رع بقائمة وادي الحمامات. وقد ورد اسم هذا الشخص أيضاً ببردية وستكار كأحد أبناء الملك خوفو. وأعتقد أنه هو نفسه باو إف حور والذي يعتقد أنه ابن خوفو والذي دفن بمصطبة من أكبر مصاطب الجيزة. وقد حصل باو إف حور على درجة وزير وتزوج من الأميرة مرسي عنخ الثانية ابنة الملك خوفو والتي دفنت هي الأخرى بنفس المصطبة. ونعرف من خلال ألقابها أنها كانت زوجة ملك ويحتمل أن يكون خفرع. ومع ذلك، فإذا كانت نظرية كَوْنِ باو إف حور

أصبح باو إف رع وحكم لفترة قصيرة بصفته ملكًا، فإن مرسي عنخ ربما قد حصلت على لقبها من ذلك الرجل الذي نعرف أنه كان زوجها. وإذا كان باو إف رع قد حكم يوماً ما، فإن فترة حكمه ستكون قصيرة جدًّا وهو ما يجعلنا لا نعرف شيئاً عنه.

أما جدف حور، فكان كما ذكرنا أنه مثل ددف حور/ حور ددف الذي ذكر ببردية وستكار أو كما تعرف أيضاً باسم خوفو والسحرة بصفته ابن خوفو، الأمير الذي رافق الساحر جدى إلى القصر. وقد ذكر هذا الرجل على يد مصريِّ العصر المتأخر كمؤلف مجموعة من التعاليم والحكم حول كيفية المعيشة بشكل قويم. وقد دفن هذا الرجل بالجيزة بالمقبرة رقم G7320 شرقي الهرم الأكبر.

وليس لدينا أية آثار لحورددف و باو إف رع، والتي يمكن أن تدل على كونهما ملكين. وكان أحدهما قد شرع في بناء مجموعة هرمية بمنطقة زاوية العريان والتي تضم هرمًا مجهول النسب. وإذا كان أحدهما أو كلاهما قد حكم لمدة ما، فقد تركا القليل من الآثار الملكية وهو ما جعلهما يذكران بصفحات التاريخ الخلفية. أما الملك التالي لهما، فهو الملك منكاورع الذي ترك بصمته عندما بنى أصغر، وأجمل أهرام الجيزة.

الفصل السادس

الملك منكاورع يصعد إلى العرش...

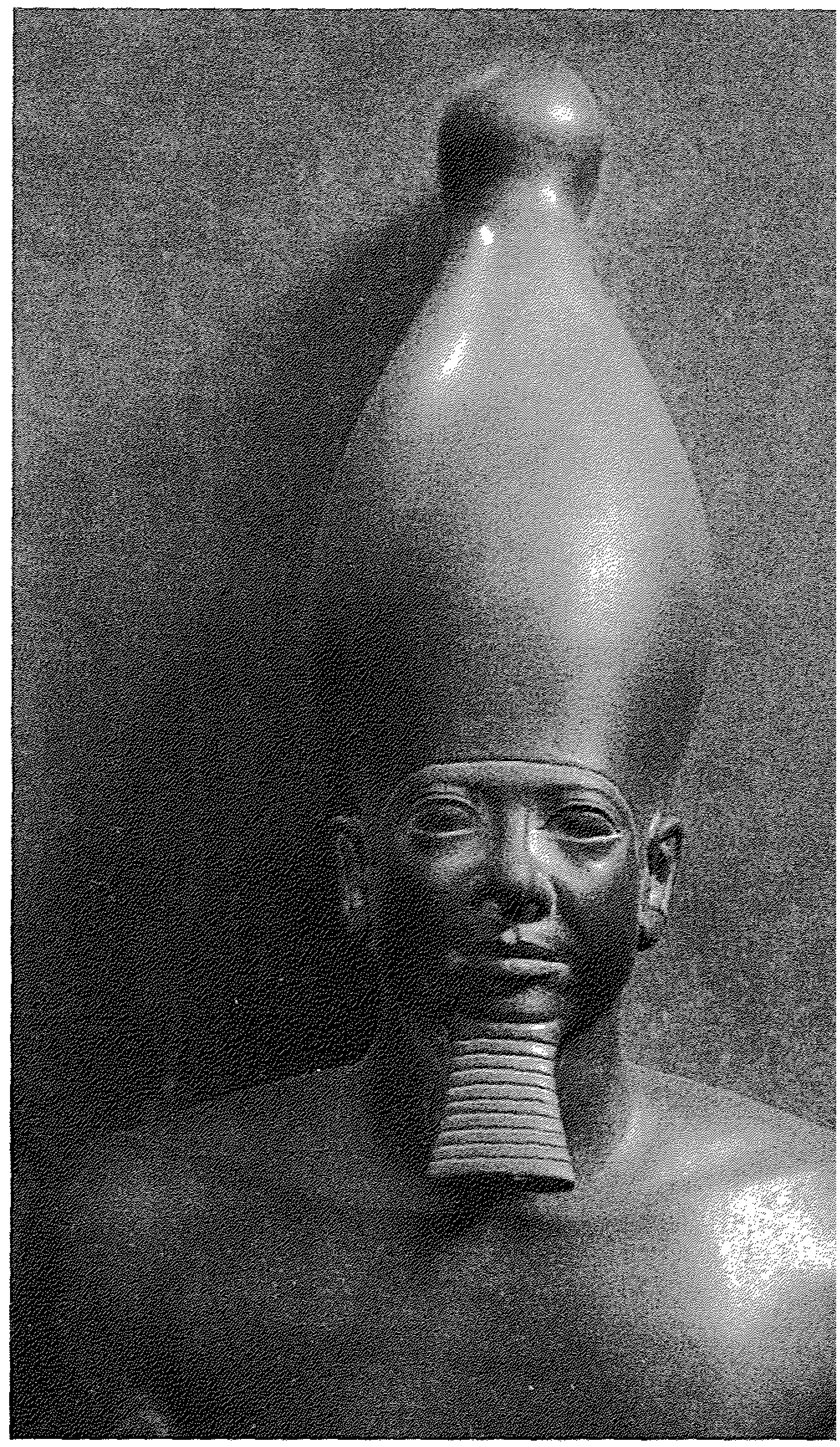
لم تكن وفاة الملك خفرع بالمفاجأة، فقد كان طاعنًا في السن ويعاني من بعض الأمراض، ولكن بالرغم من قصر مدة حكمه إلا أنها اتسمت بالحكمة، فقد جعل مصر كلها متهيئة لتقبل الملك الجديد الذي اختاره من بعده. ومن بين العديد من أحفاد خوفو، وقع الاختيار على الأمير منكاورع، ابن الملك خفرع والذي كان شابًّا قويًّا ونشيطًا يتسم بالحكمة رغم صغر سنه. فيبدو وكأن الآلهة قد منحته العظمة.. ووضعت بداخله نوع الدبلوماسية، وهو ما كان مطلوبًا لتسوية الصراعات الناشبة داخل العائلة الملكية.. وقد تربى وتعلم على يد كهنة هليوبوليس مما جعل بينه وبينهم سلامًا.

وبعد وفاة أبيه خفرع، اعتلى الملك منكاورع عرش مصر. وبالإضافة إلى اسمه الموجود بالخرطوش الملكي، حمل منكاورع لقبه النبتي وهو "خاخت" أي (جسده هو ثور)، ولقب حورس الذهبي وهو "حور نوب نتر" أي (المعبود حورس الذهبي). أما اسمه باليونانية فقد تحرف إلى منكيريس كما ذكر (مانيتون) أو ميكيرينوس كما ذكر (هيرودوت).

ونعرف أن الملك منكاورع هو ابن خفرع من إحدى الملكات والتي نعتقد أن تكون الملكة "خع مررنبتي" الأولى، أما أخته فهي الملكة خع مررنبتي الثانية. وإذا تأكد من كون الملكة خع مررنبتي الأولى هي أمه فإن الملكة خع مررنبتي الثانية ستكون أخته من دم ملكي مما يجعل السلطة والنفوذ متركزيْن بيد فرع واحد من العائلة الملكية.

ويخبرنا المؤرخ مانيتون أن الملك منكاورع قد حكم مصر لمدة 63 عامًا في حين تشير بردية تورين إلى توليه العرش لمدة 18 عامًا وهو ما يميل للدقة. وتشير كتابات هيرودوت إلى الملك منكاورع لكونه ملكًا طيبًا وخيّرًا وتحدثت عنه بشكل مادح، فقد ذكر أنه قد أعاد فتح المعابد التي أغلقت في عهد جده وأبيه كما سمح للعامة في

مواصلة تقديم قرابينهم للآلهة، ووصلت ذكراه الطيبة في الروايات القديمة أنه إذا حكم على أحد الموظفين بحكم لا يرضيه كان يدفع له من ماله الخاص كي يجعله سعيدًا، وهناك أسطورة ارتبطت به بأن الآلهة قد قرروا بأن تعيش مصر في محنة في الوقت الذي قدر له أن يعيش لمدة ست سنوات فقط، لذلك فقد كان يضاعف وقته المقدر له على الأرض بأن يظل طوال الليل متيقظًا. وقد كانت تلك القصة الشائقة لهذا الملك الطيب مصدر خيال الكاتب "ماثيو أرنولد Matthew Arnold" ليكتب قصيدة بعنوان "ميكيرينوس" في عام 1849م.



هرم منكاورع

اختار منكاورع الحد الجنوبي لهضبة الجيزة كموقع لهرمه والذي أسماه "منكاورع الإله"، ولسبب ما صمم هرمه بحجم أصغر من هرمي أبيه وجده، فقد كان عُشر حجم الهرم الأكبر، وقد اعتقد بعض العلماء بأن السبب في صغر حجم الهرم يرجع لأسباب اقتصادية، ولكن الطبقات الـ16 السفلي قد كسيت بالجرانيت وهو حجر باهظ الثمن. وكان من المحتمل أن التخطيط الأصلي للبناء يتضمن كساء الهرم كله بالجرانيت، ومع ذلك فيبدو أن المجموعة لم تكن قد انتهت عندما مات الملك. وقد قام ابنه وخليفته الملك شبسسكاف بإكمالها، حيث قام بتكسية بقية الهرم بالحجر الجيري (في حين أكمل المعابد بالطوب اللبن).

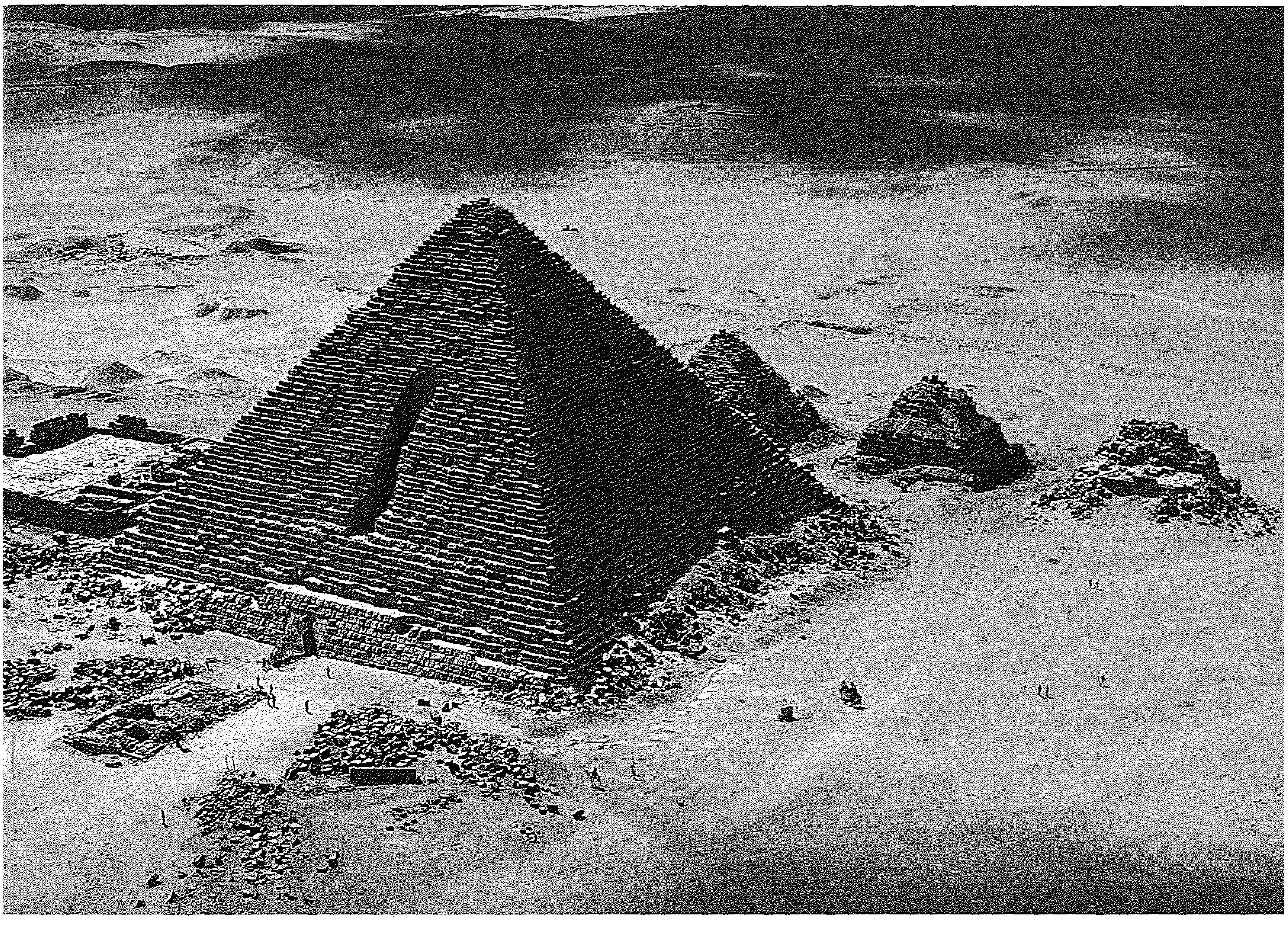
ولا نعرف السبب في اختيار منكاورع للجرانيت من أجل تكسية هرمه، حيث إن الجرانيت لم يستغل من قبل في تكسية أي هرم غير أن مهندس أبيه قد كسى المدماكيْن السفليَيْن بالهرم الثاني. ويبدو أنه من الصعب التعامل مع الحجر الجيري، والذي يمكن أن يطئ العمل بطريقة شنيعة. ومع ذلك، فإنه من الواضح أن المهندس المسئول عن هذا المشروع كان بارعاً، كما يظهر أن التخطيط العام للهرم والمجموعة قد تمت بأسلوب جيد.

■ الملك منكاورع– المجموعة الثلاثية– المتحف المصري.

وعلى مدخل الهرم قد نقش على شريط من الكساء الجرانيتي أن الملك منكاورع قد مات في اليوم 23 من الشهر الرابع من فصل الصيف، وهذا النص لا يرجع لعهد الدولة القديمة، بل إنه قد أضيف إبان الدولة الحديثة أو عصر الملك رمسيس الثاني، حيث كان ابنه الأمير "خع إم واست" مولعاً بآثار أجداده كما أنه عمل ككاهن بمنف، وقام بترميم العديد من آثار الدولة القديمة بتلك المنطقة. ولكن الرأي الأرجح أن هذا النص قد كتب في الأسرة 26 وهي فترة إحياء عقيدة ملوك الأسرة الرابعة بالجيزة.

ويقع مدخل الهرم عند الجهة الشمالية منه ويؤدي بدوره إلى ممر هابط مكسو معظمه بالجرانيت ويصل إلى حجرة جانبية مستطيلة تحت سطح الأرض ذات نيشات منحوتة في جدرانها، ويخرج من تلك الحجرة ممر أفقي كان مسدودًا بباب جرانيتي يؤدي إلى حجرة الدفن المستطيلة أسفل منتصف الهرم. وهناك مجموعة أخرى من الممرات تؤدي إلى مدخل مغلق ربما تعد دليلاً على أن تخطيط الهرم كان معدًّا ليكون أصغر. وهناك مجموعة أخرى من الحجرات يمكن الوصول إليها عن طريق منحدر عند مستوى حجرة الدفن الأولى ويصعد إليها عن طريق مجموعة من الدرجات والتي أضيفت للتخطيط العلوي للهرم. ويعتقد البعض بأن أولى تلك الحجرات كانت تضم ستة نيشات عميقة منقورة بالجدران، أربعة بالجدار الشرقي واثنين بالجدار الشمالي. ويعتقد الباحثون أنها كانت مخصصة لوضع الأواني الكانوبية الخاصة بالملك، والتي كانت تضم أحشاءه بعد تحنيطه أو لوضع تيجانه الملكية أو للأدوات التي استخدمت في المراسم الجنائزية. وفي اعتقادي أن تلك النيشات موازية للأقبية الموجودة تحت الأرض والتي خصصت لتخزين الطعام والشراب والتي كانت موجودة بمنازل الأحياء والتي كانوا يخزنون بها القرابين من طعام وشراب للحياة الأخرى. أما الحجرة الثانية بهذا المستوى فكانت مكسوة بالجرانيت والتي يمكن أن تعد حجرة الدفن الفعلية.

وبحجرة الدفن الأصلية، عثر فيز أول مكتشف معاصر لهذا الهرم، على غطاء تابوت خشبي عليه نقش لـ"أوزير منكاورع" وهذا النقش يرجع للعصر المتأخر. وبالقرب من هذا الغطاء عثر على قطع من الكتان وبقايا عظام آدمية، والتي تم تأريخها عن طريق المسح بالكربون المشع إلى العصور المسيحية. ويبدو أن هناك نوعًا من الدفن الرمزي قد حدث في الوقت الذي تم تنفيذ هذا النقش بالقرب من المدخل.



وفي مواجهة الجدار الغربي لحجرة الدفن الثانية المكسوة بالجرانيت، عثر فيز على تابوت فارغ من البازلت مزخرف من الخارج على شكل كوات. وبصعوبة بالغة، نجح فيز في إخراج التابوت من الهرم وشحنه إلى الإسكندرية ووضعه على سطح سفينة تدعى "بياتريس" استعدادًا لنقله إلى انجلترا، إلا أن السفينة قد تعرضت لعاصفة عنيفة مما أدى إلى غرقها عند سواحل أسبانيا في عام 1838م، مما أدى إلى غرق التابوت معها واستقراره في قاع البحر. وسيكون حدثاً رائعاً إذا قام أحد الأثريين المتخصصين في الآثار الغارقة والعاملين غربي حوض البحر المتوسط بمحاولة العثور على هذا الكنز الغارق.

وتعطينا المجموعة الجنائزية للملك منكاورع – والتي أكملها شبسسكاف– قدرًا كبيرًا من المعلومات حول الطقوس الجنائزية الملكية بشكل عام والطقوس الخاصة بمنكاورع بشكل خاص. وكانت مجموعة الكهنة الخاصة به على درجة من النشاط خلال الدولة القديمة لمدة تصل إلى 300 عام تقريبًا. وقد كشف عن تلك المجموعة الجنائزية

■ منظر عام لهرم الملك منكاورع– هضبة الجيزة.

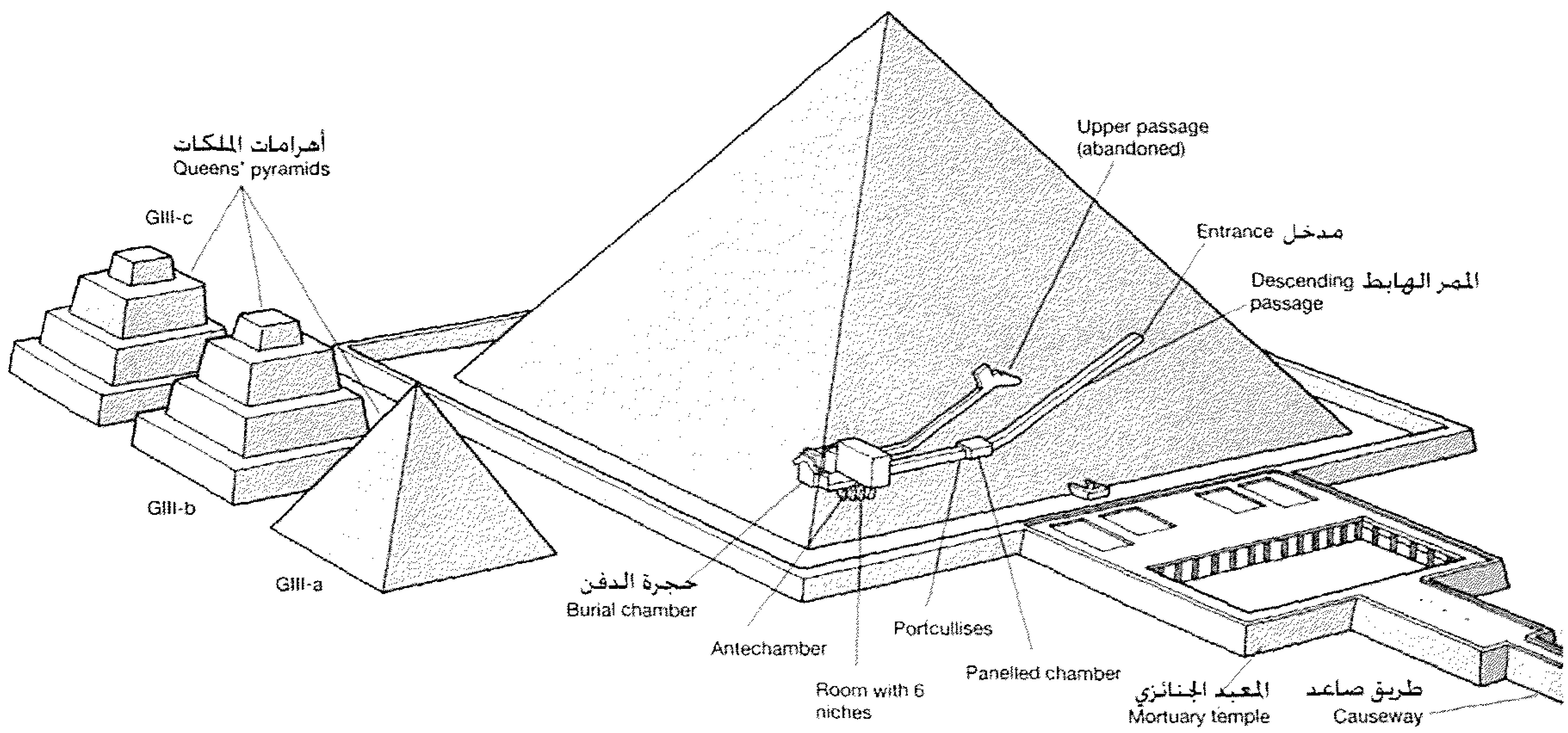
منذ بداية منتصف القرن العشرين واحد من أبرع الرواد في مجال الآثار وهو الأمريكي جورج رايزنر والذي اكتشف ضمن معابد منكاورع مجموعة كبيرة من التماثيل والتي تدخل ضمن مصاف أفضل تماثيل الدولة القديمة.

وتبدأ المجموعة – مثل بقية المجموعات الهرمية – بمعبد الوادي والذي يقع بأقصى الغرب أبعد من معبدي خوفو وخفرع. وكان التخطيط الأصلي للمعبد يتكون من فناء أوسط مفتوح له صالة محاطة بمجموعة من الحجرات الصغيرة ناحية الشرق ومخازن وحجرات الطقوس ناحية الغرب.

وقد تم الكشف بجوار وداخل معبد الوادي عن بقايا القرية التي كانت تضم مساكن الكهنة الذين أقاموا الشعائر الجنائزية لمنكاورع، حيث كشف رايزنر في جزء من القرية عن 11 منزلاً مبنيًا من الطوب اللبن ومخازن للقمح دائرية الشكل، في حين أن مبانيَ أخرى لم يتم الكشف عنها. وقد عثر على قطع داخل منازل الكهنة من بينها قطع فخارية تمتد من الأسرة الرابعة حتى الأسرة السادسة، وقد اعتقد رايزنر أن المنازل المبكرة قد بنيت داخل فناء معبد الوادي، ومن ثم فقد توسعت المدينة عن تلك المنطقة. ومع ذلك، فإنه من المحتمل أن تكون منازل الكهنة قد بنيت في الأصل خارج المعبد، وتم توسيعها فقط إبان الأسرة الخامسة عبر الجدار الشرقي نحو فناء المعبد.

ومن الواضح من خلال الأدلة الأثرية أنه كان هناك طقوس ... قد تمت بمعبد الوادي بأواخر الدولة القديمة والتي تركزت بحجرة مظلمة مهملة خلف القرية المكدسة بالطوب اللبن. ومن المحتمل أنه بنهاية الأسرة الخامسة حدث سيل عارم غمر الوادي المجاور وتسبب في تدمير الجزء الغربي من المعبد. وقد بني معبد جديد فوق أطلال المعبد القديم، ربما مع بداية الأسرة السادسة، حيث عثر على مرسوم بدهليز المعبد من عصر الملك بيبي الثاني، حيث أقر الملك بإعفاء كهنة المعبد من دفع الضرائب طيلة الوقت الذي يخدمون فيه عقيدة الملك. ويبدو أن عبادة منكاورع قد استمرت حتى نهاية الدولة القديمة.

وبأحد الممرات خلف المعبد اكتشف رايزنر واحدًا من أبدع وأجمل تماثيل الفن المصري في تلك الفترة، حيث عثر على تمثال "مزدوج" غير كامل منحوت من البازلت يمثل الملك بصحبة إحدى الملكات ربما كانت الزوجة الرئيسية، وللأسف لم ينحت الفنان عليه اسم الملك أو الزوجة على قاعدته. ويمثل التمثال الزوجيْن الملكيّيْن في حجم ثلاثة أرباع الحجم الطبيعي حيث تكشف عن أهميتهما، وقد نقر خلف التمثال المزدوج مسند ظهر مرتفع،



ويندمج الزوجان معًا من خلال حركة الزوجة وهي تلف ذراعها حول خصر زوجها بينما تلف الآخر حول ذراعه. ويظهر كل من الزوجين وهما يقدمان الساق اليسرى خطوة للأمام.

وهذا التمثال يلقي الضوء على البلاط الملكي وعقيدة منكاورع، حيث يوضح لنا كيف كانت الملكة مساوية في الأهمية مع الملك، وكانت خطوة الملكة للأمام – وهو وضع رجولي في الفن المصري القديم- يؤكد فكرة المساواة. وتخرج مشاعر الحب بين الزوجين واضحة من حجر التمثال الصلب لتكشف لنا عن لمحة عن إنسانية هذا الملك.

وبالإضافة إلى هذا التمثال الرائع، عثر للملك على مجموعة من التماثيل الجماعية بمعبد الوادي. والعنصر الرئيسي بتلك المجموعات هي خمسة تماثيل ثلاثية مصنوعة من حجر الجرايويك (أحدهما أصبح بقايا) تمثل منكاورع بصحبة اثنين من المعبودات، حيث عثر على أربعة منها تمثل الملك مرتديًا التاج الأبيض للوجه القبلي يقف... في الوسط مقدمًا ساقه بين كل من الإلهة حتحور (مقدمة ساقها بنفس الدرجة) وبين إلهة تمثل إحدى الأقاليم المصرية. وكان كل من تلك المجموعات منحوتة على مستوى عال من الدقة بطريقة منظورة من كل الجهات وخلفها مسند ظهر مرتفع.

■ مخطط ثلاثي الأبعاد لهرم الملك منكاورع والمعبد الجنائزي وأهرامات الملكات.

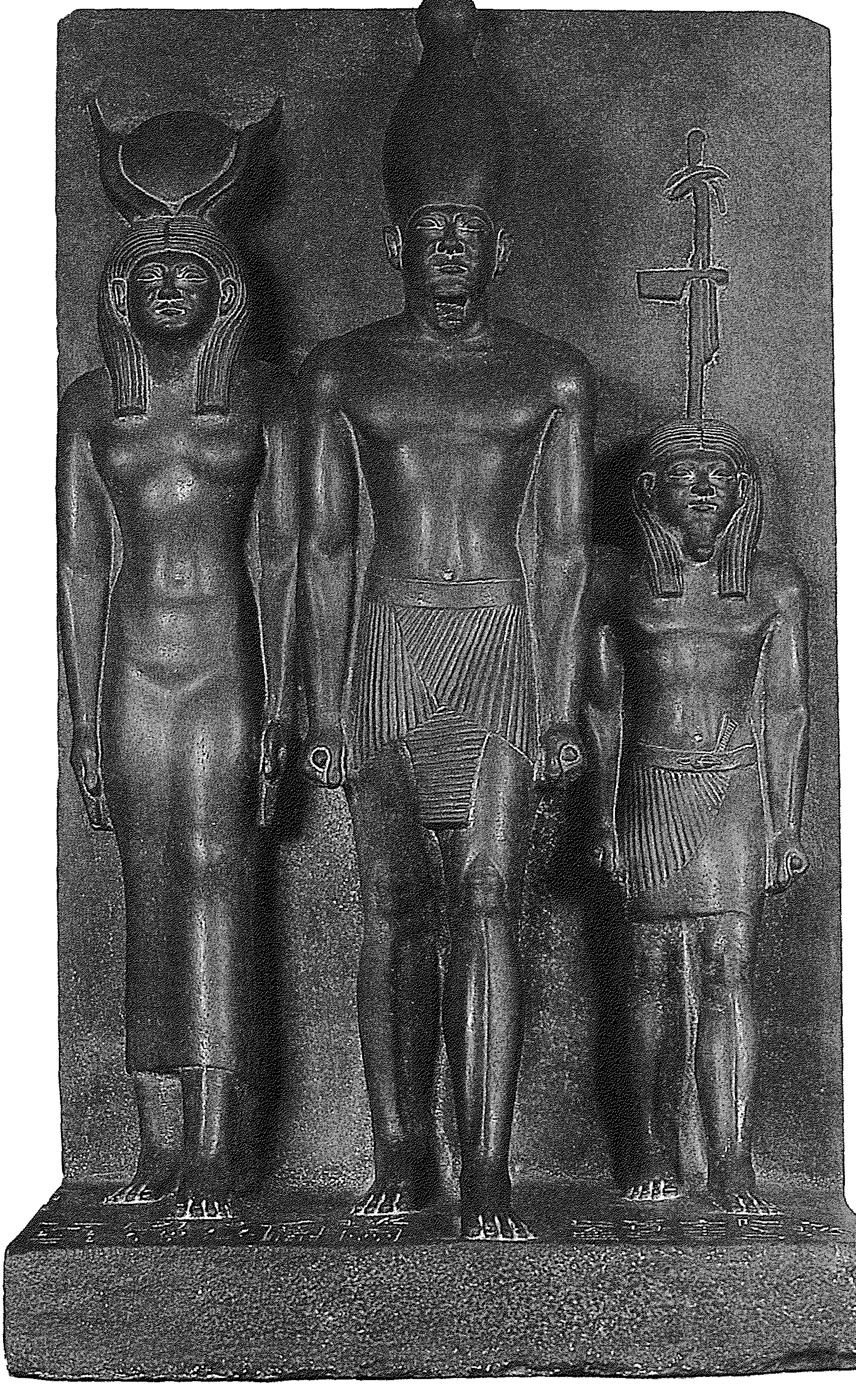


وهناك تمثال جماعي خامس مختلف في الشكل، حيث يمثل الربة حتحور جالسة على عرش، ويقف الملك على يسارها مرتديًا النقبة وتاج مصر العليا ممسكًا بصولجان الحكم بيده اليمنى وأداة غامضة بيده اليسرى، وعلى يسار حتحور تقف إحدى ممثلات الأقاليم. وتظهر حتحور وهي تحتضن الملك بإحدى ذراعيها وتلف الذراع الآخر حول وسطه مثلما كانت الملكة تحتضنه بالتمثال المزدوج. وما يجعل هذا التمثال الجماعي فريدًا من نوعه هو حجم حتحور الأكبر من حجم الملك بالإضافة إلى وضعها جالسة، حيث تصل رأسها عند نفس مستوى رأس الملك وهو واقف.

وكانت حتحور معبودة سماوية أرضية في نفس الوقت، حيث كانت تؤدي دور الأم، حيث كان اسمها يكتب مع الصقر حورس معبود الملكية داخل مستطيل، وهو الرمز الهيروغليفي الذي يرمز للمنزل أو المقر؛ لذا فإنها من الناحية اللغوية الحرفية تعني مقر حورس، وهو إشارة على الملكية التي تمر من خلال العنصر الأنثوي بالعائلة الملكية ودورها في صورة الملكة الأم و"بيت" الملك خلال فترة حمله داخل رحمها.

وكانت تلك التماثيل الخمسة تعمل على تدعيم شعيرة الملك، حيث كانت تخدم نفس الغرض من مناظر ممثلي الأقاليم الذين يحملون القرابين والمنقوشة على جدران معبد الوادي الخاص بالملك سنفرو. وتؤكد النقوش

■ المجموعات الثلاثية للملك منكاورع وقت العثور عليها بمعبد الوادي للملك منكاورع– هضبة الجيزة.



الموجودة أمام مناظر حتحور وممثلي الأقاليم نفس الفكرة، حيث تقول: "لقد منحتك جميع الخيرات والقرابين من الجنوب لكونك ملك مصر العليا والسفلى للأبد...". وكانت جميع الأقاليم المذكورة تقع بمصر العليا، حيث يظهر الملك مرتديًا التاج الأبيض. ومن المحتمل أن يعثر على مجموعات ثلاثية أخرى (ربما ثمانية أو ستة عشر) بعضها يمثل أقاليم مصر السفلى بصحبة الملك مرتدياً التاج الأحمر. ومن المحتمل أن هناك تمثالاً ثلاثيًّا بكل مركز من مراكز عبادة حتحور.

وكان وجود الإلهة حتحور يحمل أيضاً معاني الخصوبة ويؤكد على إعادة الولادة، حيث كانت تؤدي دورًا هامًّا في العقيدة الملكية، وكانت الملكة الرئيسية تجسد المعبودة حتحور كما كان الملك يمثل حورس إبان حياته ورع بمماته. وترتدي المعبودة حتحور قرص الشمس رمز أبيها رع فوق رأسها وهو ما يؤكد أهمية العقيدة الشمسية. وتعزز تلك التماثيل الثلاثية رأيي في أن معبد الوادي قد بني للملك بصفته حورس وللملكة بصفتها حتحور، التي تعد عينيْ رع وأم الملك الحي والملك التالي.

وكجزء من أهميتها الدينية، كانت تلك التماثيل جميعها تعد قطعًا فريدة من نوعها، حيث الإبداع في نحتها وصقلها وتلوينها بألوان نابضة. وقد آمن المصريون القدماء بأن تلوين التماثيل يجعلها تعود إلى الحياة بطريقة حرفية لتكون شخصيات يمكن أن تؤدي خدمات مثل تقديم القرابين والمؤن بالعالم الآخر.

وكان كل من الملك والملكة والمعبودات جميعهم قد مثلوا بطريقة غاية في المثالية وهو ما يعد الفن الملكي النموذجي للدولة القديمة، حيث كان يظهر الملك في صورة مثالية متكاملة بجسد رشيق وعضلات مفتولة وكأنه بطل رياضي، فكان الفنان يلقى اهتماماً بالغاً ببعض التفاصيل مثل عضلات السيقان، وكانت الأردية الشفافة الحابكة التي ترتديها الملكة والمعبودة تكشف أكثر مما تحجب، حتى حلمات الصدر التي نحتت بالحجر.

أما ملامح وجوه التماثيل، فلا تدخل ضمن فن رسم البورتريه الذي نعرفه حاليًا، فقد كان لكل وجه نفس الملامح، حيث يفترض أن الوجه قد مثل بملامح عامة للملك والتي نفذت لأي صورة ملكية أو إلهية. فكانت كل من الأنف السميكة الشامخة والوجنتين الممتلئتين ومقلتى العين البارزتين والابتسامة الخفيفة، من الملامح التقليدية لبقية تماثيل منكاورع وتعد نسخًا مثالية لملامحه الفعلية. أما تماثل الملامح لدى وجه الملكة فيبدو أنه بسبب كونها

■ المجموعة الثلاثية للملك منكاورع والإلهة حتحور وممثل إقليم طيبة– شست– المتحف المصري.

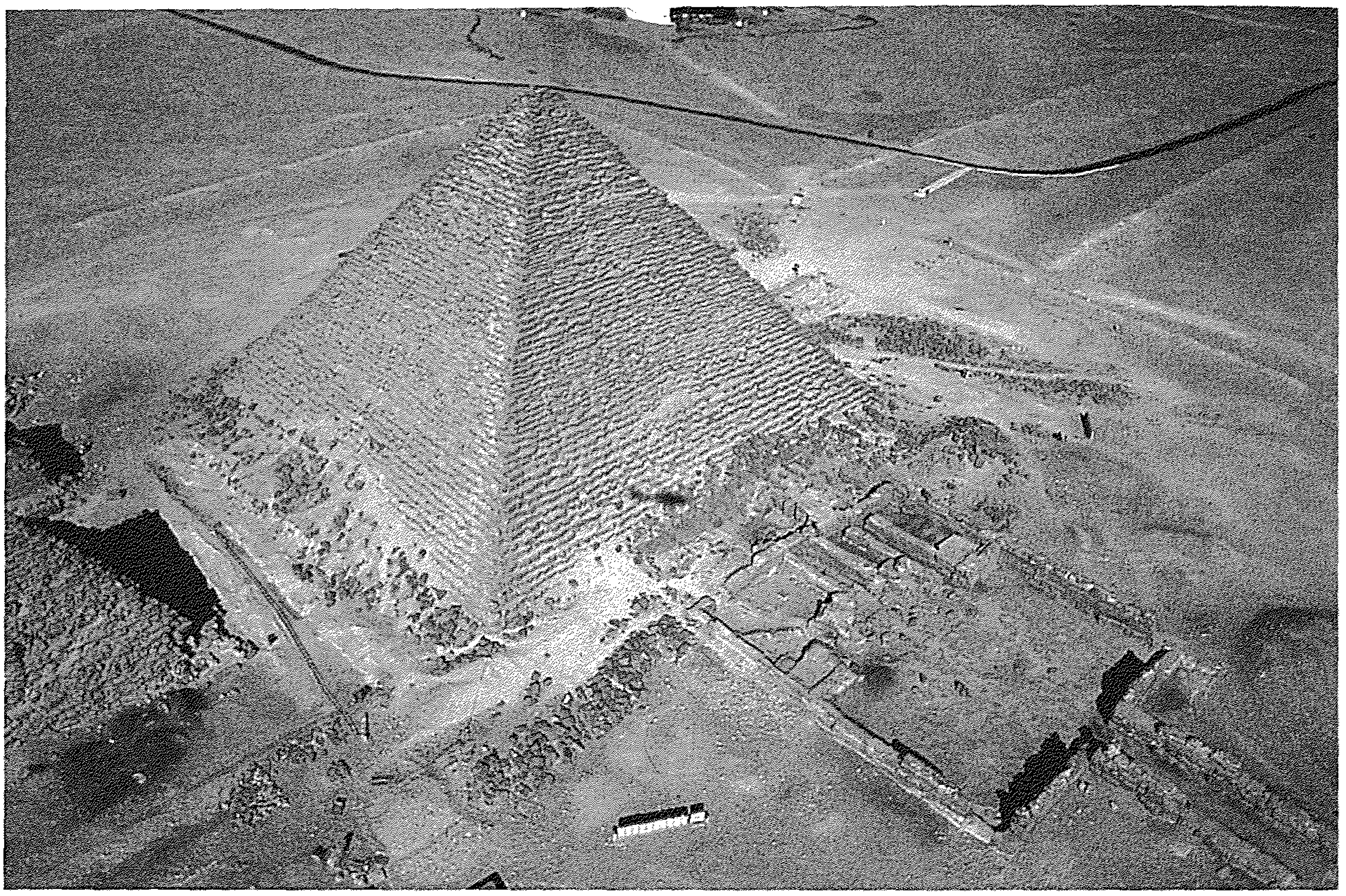


أخت لزوجها. وكانت ملامح كل من حتحور وممثلة الإقليم متشابهة مع ملامح الملكة؛ لأن الملكة تندمج مع تلك المعبودات، في حين أن ملامح ممثل الإقليم الذكر بإحدى المجموعات الثلاثية تظهر بملامح مختلفة.

ويخرج الطريق الصاعد لمجموعة منكاورع من معبد الوادي على خط مستقيم ليصل إلى المعبد الجنائزي الواقع بالواجهة الشرقية للهرم، وهذا الطريق لم يكتمل بعد وإن كنا نستطيع تقفي آثاره.

وقد بدأ معماريو الملك ومهندسوه في إقامة معبده الجنائزي بأحجار ضخمة مجلوبة من المحاجر الجيرية المحلية، حيث كان أكبرها يزن نحو 200 طن، وقد قسم المعبد الجنائزي إلى جزأين، الجزء الأمامى وهو المخصص للعامة ويتكون من صالة وفناء مفتوح، أما الجزء الداخلي أو الخاص فيقع بين الجدار المحيط والواجهة الشرقية للهرم. ويحتوي المعبد من الداخل على مجموعة من المخازن تمتد من الشمال للجنوب بطول قاعة طولية، وكانت المخازن الجنوبية مخصصة لحفظ الأواني المستخدمة في طقوس عقيدة منكاورع، كأواني القرابين ونماذج الأطباق والأواني الحجرية، في حين خصصت المخازن الشمالية لحفظ الأدوات التي كان يستخدمها الملك في قصره وسوف يحتاجها في العالم الآخر مثل الأواني الفخارية والسكاكين وقطع خشبية والتي يحتمل أن تكون أجزاء من طاولات وألعاب

■ منظر عام للمعبد الجنائزي للملك منكاورع– هضبة الجيزة.

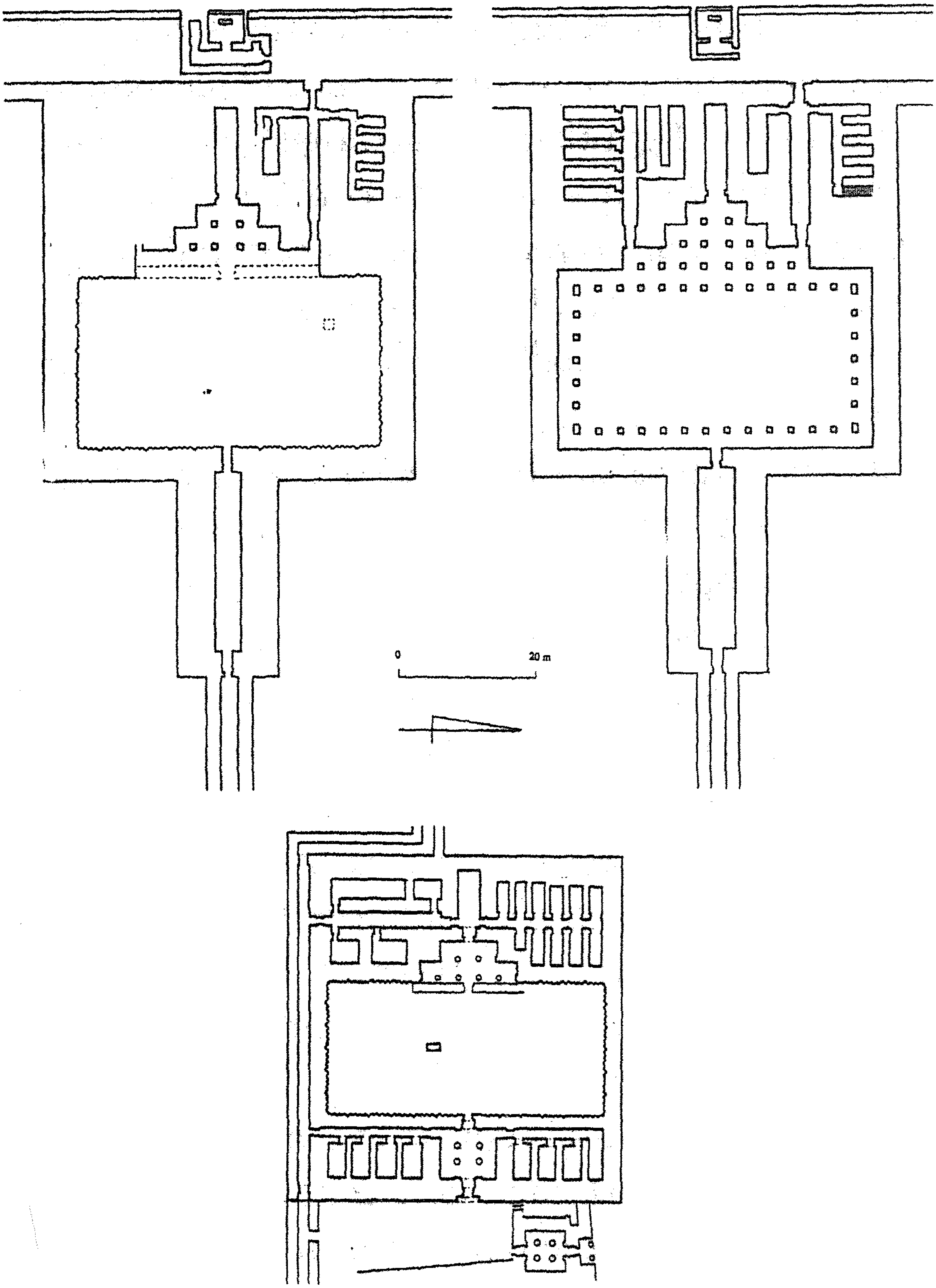


خشبية وصناديق وغيرها من الأشياء. أما بالنسبة للقاعة الطولية فكانت عبارة عن قدس أقداس المعبد مركز إقامة الشعائر، وأعتقد أنها كانت تحتوي على تمثال أو أداة خاصة بالإله رع أو تمثال للملك منكاورع.

وقد عثر رايزنر على تمثال ضخم من الألباستر للملك منكاورع، وهو الموجود حالياً بمتحف بوسطن للفنون الجميلة بالولايات المتحدة، والذي يعتقد أنه كان يوجد بمؤخرة تلك القاعة، وتصل مقاييس التمثال إلى نحو 2.35م في الارتفاع (7.7 أقدام)، ويمثل التمثال الملك مرتدياً غطاء الرأس الملكي "النمس" ونقبة ذات ثنايا واللحية المستعارة رمز الملكية، ويمسك الملك قطعة قماش في يده اليمنى. ويظهر بالتمثال شريط اللحية المستعارة ملونًا كما يظهر الشارب الرفيع الأسود فوق شفاهه العليا. أما الرأس فتبدو صغيرة بالنسبة لمقاييس بقية الجسد. وقد اقترح الأمريكي "بيتر لاكوفارا Peter Lacovera" أن المثّالين الملكيين قد أعادوا نحت الرأس لتغيير التصميم الأصلي لغطاء الرأس أو بسبب حدوث شرخ بالحجر.

وفي حال وقوف التمثال بمؤخرة الصالة الوسطى فإنه سوف يواجه محور الطريق الصاعد. وخلف هذا التمثال أي بين المعبد الجنائزي والواجهة الشرقية للهرم، توجد مقصورة داخلية لتقديم القرابين ربما احتوت على مكان لباب وهمي وهو رمز لخروج الملك ودخوله العالم الآخر، ويمثل التمثال الملك وهو يخرج من العالم الآخر ليواجه

■ منظر عام للهرم الثالث والمعبد الجنائزي للملك منكاورع– هضبة الجيزة.



مخطط للمعبد الجنائزي للملك منكاورع والتغيرات التي حلّت به.

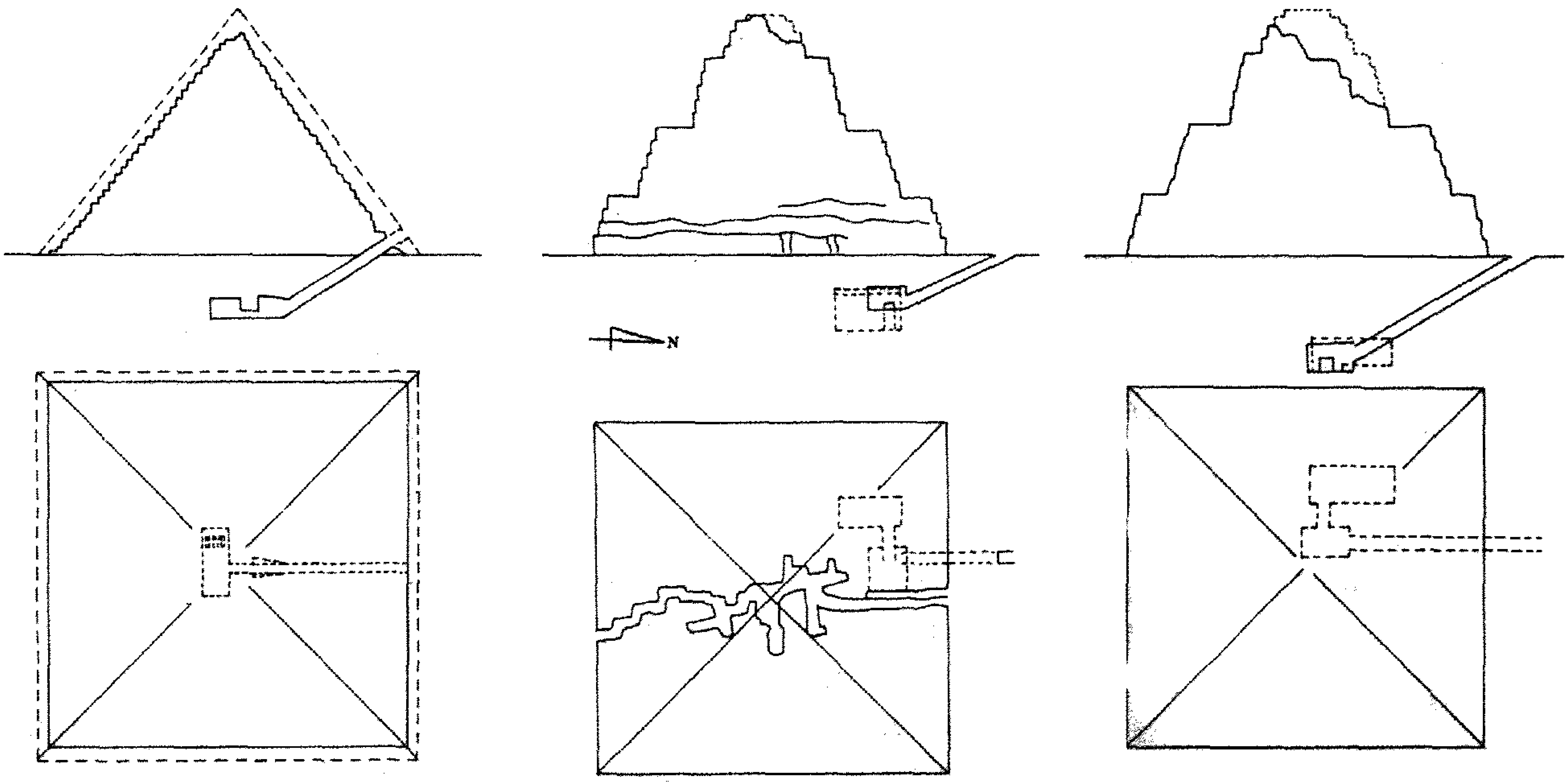
الطريق الصاعد باتجاه مدينة الهرم مع استمرار الحياة بوادي النيل.

وحتى الآن، لم يتم الكشف عن حفرات لمراكب تخص هرم الملك منكاورع. وفي عام 1970م قام الراحل الكبير عبد العزيز صالح بتنظيف المنطقة الواقعة بالقرب من الجدار الشمالي للمعبد الجنائزي في محاولة للعثور على حفرات المراكب، وقد عثر على رصيف من الطوب اللبن يغطى بطبقة من الحصى فوق طبقة أخرى من كتل من الحجر الجيري مترابطة بالملاط. وضمن بعض العلامات على تلك الكتل عثر على أربعة رسوم رائعة لمراكب، وعلى الرغم من الإزالة الجزئية لتلك الكتل إلا إنها لم تكشف عن شيء، إلا أن صالح يرى أن مراكب منكاورع تقع أسفل هذا الرصيف، على الرغم من أن كتل الرصيف لا تشبه الألواح الكبيرة المصنوعة من الحجر الجيري التي كانت تغطي حفرات مراكب خوفو الجنوبية. وكانت تلك الرسوم التي نفذها عمال المحاجر تصف المراكب التي كانوا يستخدمونها في نقل الأحجار إلى الهرم وليست مراكب منكاورع الملكية.

وقد قمت بعمليات تنظيف جنوبي هرم منكاورع من أجل البحث عن حفرات المراكب وتسجيل مواقع سقوط كتل الكساء الجرانيتية وذلك ضمن مشروع لإعادتها إلى مكانها الأصلي، وقد كشف مساعدى علاء الشحات عن كتل من الحجر الجيري والتي تشبه الكتل التي تغطي حفرات مراكب خوفو الجنوبية أثناء وجودي بالولايات المتحدة، حيث كنت أحاضر مادة خلال فصل الصيف بجامعة UCLA، واعتقد حينها أننا عثرنا على حفرات مراكب منكاورع، ولكن بعض الحفائر المقامة بالمنطقة قد أثبتت شكوكي في كون تلك الكتل هي مجرد رصيف لفناء الهرم وهي المنطقة المقدسة المحيطة بالهرم والتي لا يدخلها سوى كهنة معنين من أجل إقامة طقوس عقيدة منكاورع.

وربما ستكشف لنا بعض أعمال التنظيف القادمة بالمناطق الجنوبية والغربية للهرم –والتي مازالت تحتوي على بعض الركام الحجري وكتل الكساء الجرانيتية الساقطة – عن مواقع حفرات مراكب منكاورع. وربما من المحتمل أن يكون الملك قد توفى قبل أن تتم عملية نقر تلك الحفرات، كما أن ولده وخليفته شبسسكاف لم يأمر باستكمال نقرها.

وتضم المجموعة الجنائزية للملك منكاورع ثلاث أهرامات جانبية تسير من الشرق إلى الغرب جنوبي الجدار الداخلي للهرم الأساسي. وبالجانب الشرقي لكل هرم صغير يوجد معبد صغير مبني من الطوب اللبن. وقد استطاع رايزنر أن يقتفي أثر الجدار المحيط للأهرام الثلاثة والتي يسير على بعد أمتار خارج قواعد تلك الأهرام.



وكان الهرم الأول منهم والواقع أقصى الشرق برقم GIII-a قد اكتمل بناؤه كهرم حقيقي، وقد اعتقد الكثير من علماء المصريات بأن هذا الهرم كان يخص طقوس منكاورع أو أنه الهرم العقائدي المشابه لهرم خفرع الجنوبي أو الهريم الذي قمت باكتشافه بمجموعة خوفو. وهذا الهرم دخله لأول مرة فيز في عام 1881م، حيث قام بكتابة جرافيتي خاص به داخل الهرم ليسجل زيارته. والتصميم الواقع تحت الأرض للهرم على شكل حرف T مثل هرم خوفو العقائدي، في حين أن حجرة الدفن قد تركت غير كاملة وهو ما يدعم فكرة كونه هرمًا عقائديًا. وقد دخلت مرتين داخل هذا الهرم. وقد وجدت أن المدخل ضيق جدًّا وينزل إلى أسفل لمسافة قد تصل إلى عشرة أمتار، وبعد ذلك وجدت أن المدخل مغلق بحجر جرانيتي وهو ما جعلني أدخل حجرة الدفن بصعوبة.

مع ذلك، فإن هناك بعض الدلائل تشير إلى استخدام الهرم لدفن إحدى ملكات البيت المالك، وأولى تلك الدلائل وجود مقصورة تذكارية رائعة عند الواجهة الشرقية للهرم. وهناك تابوت جرانيتي كان معدًّا ليوضع بحجرة الدفن كما يوجد حاجز لإغلاق الممر الرابط بين الممر الهابط وحجرة الدفن. أما بصالة القرابين الخاصة

■ مخطط لأهرامات ملكات منكاورع.

بالمقصورة عثر رايزنر، على بقايا تمثال بديع من الألباستر لملكة، وهو لا يضم أية نقوش مما يجعل معرفة تلك الملكة لغزًا محيرًا، كما عثر على بقايا كؤوس تحمل اسم ابن الملك "كاي" مما يعتقد أنها كؤوس نذرية. وكان من المعتقد أن هذا الهرم يخص الملكة "خع مررنبتي الثانية" أخت الملك منكاورع، إلا أن هذا الأمر غير مؤكد لعدم وجود أية نقوش تدل على ذلك، كما أنه تم العثور على مقبرة منقورة في الصخر خلف معبد الوادي الخاص بالملك يرجح أنها تخص تلك الملكة.

وقد كشفنا من خلال حفائري حول قاعدة هرم منكاورع، الجنوبية على تمثال مزدوج من الجرانيت قام نحاتو الدولة الحديثة بنحته من كتل الجرانيت الساقطة من كساء الهرم وتصل إلى نحو 3.5 طن في الوزن. وأرى أن صاحب تلك الهيئة المزدوجة هو الملك رمسيس الثاني وهذا التمثال يمثله مرة في هيئة ملك، ومرة أخرى في هيئة معبود. وتذكر بعض النصوص الباقية بالمنطقة أن بلاط الملك رمسيس الثاني ونظامه الإداري كان لهما دور كبير بمنطقة الجيزة، وهذا ما دعى بعض نحاتي الملك باستخدام بعض الأحجار الجاهزة بالمنطقة لنحت تمثاله بدلاً من الحاجة في جلب كتل الجرانيت من محاجر أسوان. ومع ذلك، فقد ترك التمثال في مراحله الأولية، حيث تركت الكتلة مكسورة وملقاة في مكانها، في حين تركت أدوات النحاتين مبعثرة بالمنطقة كي تنتظرنا لنكتشفها.

أما الهرمين الأوسط والغربي (GIII-b وGIII-c) فقد بنيا على شكل هرمين مدرجين، وكان تصميمهما على نفس تصميم أهرام الملكات، حيث ممر المدخل المؤدي إلى حجرة الدفن. وإذا كان الهرم GIII-a قد صمم في الأصل ليكون هرم منكاورع العقائدي، فإن الهرم GIII-b ربما كان يخص إحدى سيدات القصر، كما أن الهرم GIII-c قد خصص لثاني أهم ملكات عصر منكاورع.

وخلف الجدار الغربي لحجرة الدفن بالهرم GIII-b عثر فيز على تابوت من الجرانيت الأحمر، يحتوي على بقايا عظام منها عظام الفك وبعض أسنان لامرأة شابة، بالإضافة إلى بقايا أخشاب متحللة ولفائف. أما حجرة الدفن بالهرم GIII-c – مثل حجرة الهرم GIII-a – فكانت غير كاملة ولا تحتوي على أية توابيت إلا أن رايزنر قد عثر على المئات من أواني النذور داخل مقصورته الشرقية، وهو ما يؤكد أن هناك ملكة قد دفنت بهذا الهرم. أما معبد الهرم GIII-c فكان أكثر فخامة من معبد الهرم GIII-b، حيث وجود دليل على الدفن بحجرة الدفن.



وفي عام 1980م، أقيمت حفائر برئاسة الراحل عبد العزيز صالح، واكتشف خلالها موقعًا هامًا يرتبط بمجموعة الملك منكاورع يسمى بالتجمع الصناعي، ويقع على بعد 70م (230 قدمًا) جنوبي الطريق الصاعد للمجموعة بالوادي الرئيسي الواقع بين هضبتي المقطم والمعادي. وبسبب وجوده بين جسرين من ركام من الحجر والملاط، اعتقد صالح أنه مرتبط بمنحدرات النقل المطلوبة لبناء المجموعة، حيث عثر على قرابة 15 مبنى بأحجام مختلفة. وقد احتوت تلك المباني بداخلها على أفران كبيرة لإعداد الخبز أو لحرق الفخار، ومكان لصهر الحديد، وآخر لصناعة الفخار، بالإضافة إلى وجود بقايا قطع كبيرة من الألباستر والجرانيت ربما كانت تخص ورش النحت الملكية. ومن المحتمل أن تكون المنطقة ككل قد خصصت كورش لمجموعة منكاورع الهرمية وطقوسه، حيث يتم تصنيع الأدوات الصغيرة الحجم المستخدمة في الطقوس اليومية كما يتم تحضير القرابين الطازجة بها. كما يحتمل أن هذا المكان قد شمل عمليات تحنيط جثمان الملك أيضًا.

▪ هضبة الجيزة.

بلاط منكاورع

في عهد الملك منكاورع، انقسمت عائلة خوفو وتفرعت إلى أفرع عديدة. ولا نعرف مَن مِن بين هؤلاء الأخوة الأشقاء وغير الأشقاء الذي منح الملك منكاورع الشرعية في الوصول إلى حكم مصر، فربما كان هو الأقوى أو الأكبر (أو الأصغر) من بين أبناء الملك خفرع من إحدى ملكاته الأساسيات. وكما كان من قبل، وكما راوغتنا قوانين الوراثة بمصر القديمة، فإنه سوف يأتي يوم وتتضح فيه معالم الأسرة الرابعة بشكل لافت للنظر عن طريق الأبحاث المستقبلية. ونعرف أن الملك منكاورع قد بنى قصره في منطقة الجيزة مثلما فعل أبوه وجده، وإن كنا لا نعلم إذا كان قد بناه في نفس الموقع أم لا. ولكن من الواضح أن مدن الأهرام بالجيزة قد بنيت على مستوى عال كي تسد احتياجات العائلة الملكية المتنامية.

ومثل بقية فترات التاريخ المصري القديم، فقد استطعنا التوصل إلى معلومات عن أفراد تلك الأسرة المالكة والبلاط الملكي بشكل عام من خلال نقوش ومناظر مقابرهم. وخلال عصر الملك منكاورع بدأ أفراد العائلة في الانتفاع من المحاجر التي استغلها خوفو وخفرع الواقعة بالجنوب الشرقي من الهرم الثاني في نقر مقابرهم. وكان التوسع في حجم المقاصير قد أدى إلى التوسع في المناظر المنقوشة على جدرانها وخاصة تلك المناظر المعروفة بمناظر الحياة اليومية، كما ينتمي لتلك الفترة العديد من التماثيل والنصوص وهو ما يظهر قدرًا كبيرًا من السماحة والحرية في ممارسة الطقوس الدينية للعامة أكثر من أي وقت سابق.

ونعرف عددًا من الوزراء الذي خدموا بعهد الملك منكاورع وهم جميعهم من العائلة الملكية. ومنهم "دوان رع" ابن الملك خفرع والملكة مرسي عنخ الثالثة والأخ غير الشقيق لمنكاورع ومن المتوقع أن يكون هو أول وزير في عهده، والمسئول عن تخطيط المجموعة الهرمية. وهناك 3 وزراء آخرين وهم "مين إيو ون" و"آخ ما رع" و"ني كاورع" ربما كانوا أبناء الملك منكاورع نفسه. أما الأمير "خو ني رع" ابن منكاورع والملكة خع مررنبتي الثانية فلا نعرف عنه سوى القليل عن دوره في إدارة البلاد وذلك من خلال مقبرته الموجودة بمحجر والده. وتحمل مقابر تلك الفترة أدلة على انتهاج الملك منكاورع سياسة جديدة لزيادة ولاء الأمراء للبيت الملكي، حيث فتح قصوره لاستقبال أطفال كبار رجال الدولة وتربيتهم مع الأطفال الملكيين، وعندما يكبر هؤلاء الأطفال سيكون ولاؤهم للملك وخلفائه. ومن بين هؤلاء الأشخاص الذين تربوا في القصر شاب يدعى "بتاح شبسس" والذي تشير نقوش مقبرته أنه تربى بقصر الملك.



أما المدعو "دبحن" والذي دفن بمقبرة صخرية إلى الشمال من الطريق الصاعد للملك منكاورع، فكان واحدًا من كبار رجال الدولة وقد حمل ألقاب "المشرف على الحمامات" و"الحاكم الأعلى لنخب" و"سيد هبات بيت الحياة". وتظهر نقوش مقبرته لمحة عن الحالة الاقتصادية لمصر خلال الأسرة الرابعة، حيث أشار "دبحن" أنه قد تقابل مع الملك منكاورع في اليوم الذي كان الملك يتفقد عمليات بناء هرمه، وخلال ذلك اللقاء طلب "دبحن" من الملك أن يدفن بجوار هرمه، وكان منكاورع في شدة السماحة حتى أنه قد سمح لدبحن بأن يدفن بالقرب منه، وأمر ببناء مقبرة له تصل أبعادها إلى قرابة 5.24م (17 قدمًا/10 أذرع) في الطول و26.2 م (86 قدمًا/ 50 ذراعًا) في العرض، وقد خصص الملك له نحو 50 عاملًا للاشتراك في بناء تلك المقبرة حتى إنه أمر المهندس الخاص به بإحضار كتل الحجر الجيري من المحاجر الملكية لإقامة تمثال ضخم وبابين وهميين وكتل لتغطية واجهة المقبرة. وقد تم الكشف عن تلك العناصر جميعها إلا أن التمثال قد تهشم وأصبح قطعاً. وهناك نص يشير إلى أن هذا اللقاء قد تم عندما كان منكاورع بالقرب من هرم "حر" بالطريق إلى هرمه الخاص. وقد كان دبحن يحمل لقب المشرف على الحمامات الملكية وهو ما يشير إلى أنه أحد الأهرام بمنطقة الجيزة، إلا أننا لا نعرف أي تلك الأهرام.

ومع مرور الزمن قام فرد من الجماعة الصوفية في العصور الإسلامية يدعى "محمد السمان" باستخدام مقبرة "دبحن"، وعندما مات أطلق أهل المنطقة على القرية الواقعة بجوار الهرم "نزلة السمان" وقد استخدم سكان المنطقة

■ منظر عام لمقبرة دبحن– هضبة الجيزة.

المقبرة في صلاة الجمعة بسبب ارتباطها بهذا الرجل المبروك حتى قمنا بعد ذلك بإغلاقها تمامًا أمام الأهالي.

وهناك رجل آخر مهم ولد وعاش في عصر الملك منكاورع وهو "بتاح شبسس". وهذا الرجل يحتمل أن يكون الأخ غير الشقيق للملك أوسركاف مؤسس الأسرة الخامسة، وقد دفن في منطقة أبو صير وهو المكان المفضل لملوك تلك الأسرة كما أظهرت ألقابه الموجودة بمقبرته أنه قد وصل إلى منصب وزير. ويبدو أن معظم أفراد الجيل القديم من عائلة منكاورع قد ماتوا خلال العام 18 من حكمه وهو العام الذي يحتمل أن يكون الملك نفسه قد مات فيه، ويبدو أنه وباء قد أطاح بالعاصمة.

وقد خلف منكاورع ملك يدعى شبسسكاف والذي يعتقد أنه ابنه. ومن الواضح أنه كان بارًا بوالده كما قام باستهلاك موارد هامة في إكمال مجموعة سلفه حتى وإن كان من الطوب اللبن بدلاً من الحجر الجيري. وهناك رابط يربط بين العصرين يتضح على يد وزير الملك شبسسكاف المدعو "بابا إف" وهو مدفون بالمقبرة G5230 والذي كان ابناً لوزير منكاورع المدعو "دوا ني رع".


وقد فتحت الحفائر الحديثة بالجيزة نافذة على حياة طبقة اجتماعية مختلفة تماماً عن طبقة الملكية وطبقة النبلاء والنبيلات، والتي تعد مقابرهم مصب اهتمام دراسات علمية طوال القرن الماضي. وفي عام 1990م، خرجت جبانة الرجال والنساء الذين اشتركوا في بناء الأهرام إلى النور. وقد تبع هذا الكشف المذهل كشف آخر مواز في الروعة، وهي المدينة الملكية والتي كان يعيش فيها الرجال والنساء وبها كان يتم تحضير طعامهم وتوزيعه. ومازالت الحفائر بمنطقة بناة الأهرامات جنوبي الهضبة الرئيسية بالجيزة قائمة، كما تتم مجموعة رائعة من الاكتشافات كل عام.

ويرجع تأريخ التجمع العمالي الذي تم الكشف عنه حالياً (من خلال حفائر مارك لينر) لعهدي خفرع ومنكاورع. ومن المحتمل أن هناك تجمعًا عماليًا أقدم لعمال خوفو بهذا المكان، ولكن بقاياه قطعت وألقيت على بعد، وذلك عندما قام خفرع بإعادة بلاطه إلى الجيزة. ومع ذلك فإن المعلومات حول هذا الموقع تشير إلى عهد خوفو على الأرجح. وقد بدأ استخدام الجبانة بوقت ما بالأسرة الرابعة، في الأغلب خلال عهد خوفو، واستمرت خلال الأسرة الخامسة وحتى الأسرة السادسة لتخدم قطاع الفنانين والعمال الذين عملوا ببناء الأهرام ومقابر النبلاء في عهد متأخر بالهضبة والذين اشتركوا في خدمة الطقوس الملكية الباقية بالجيزة.



الباب الرابع

بناة الأهرام



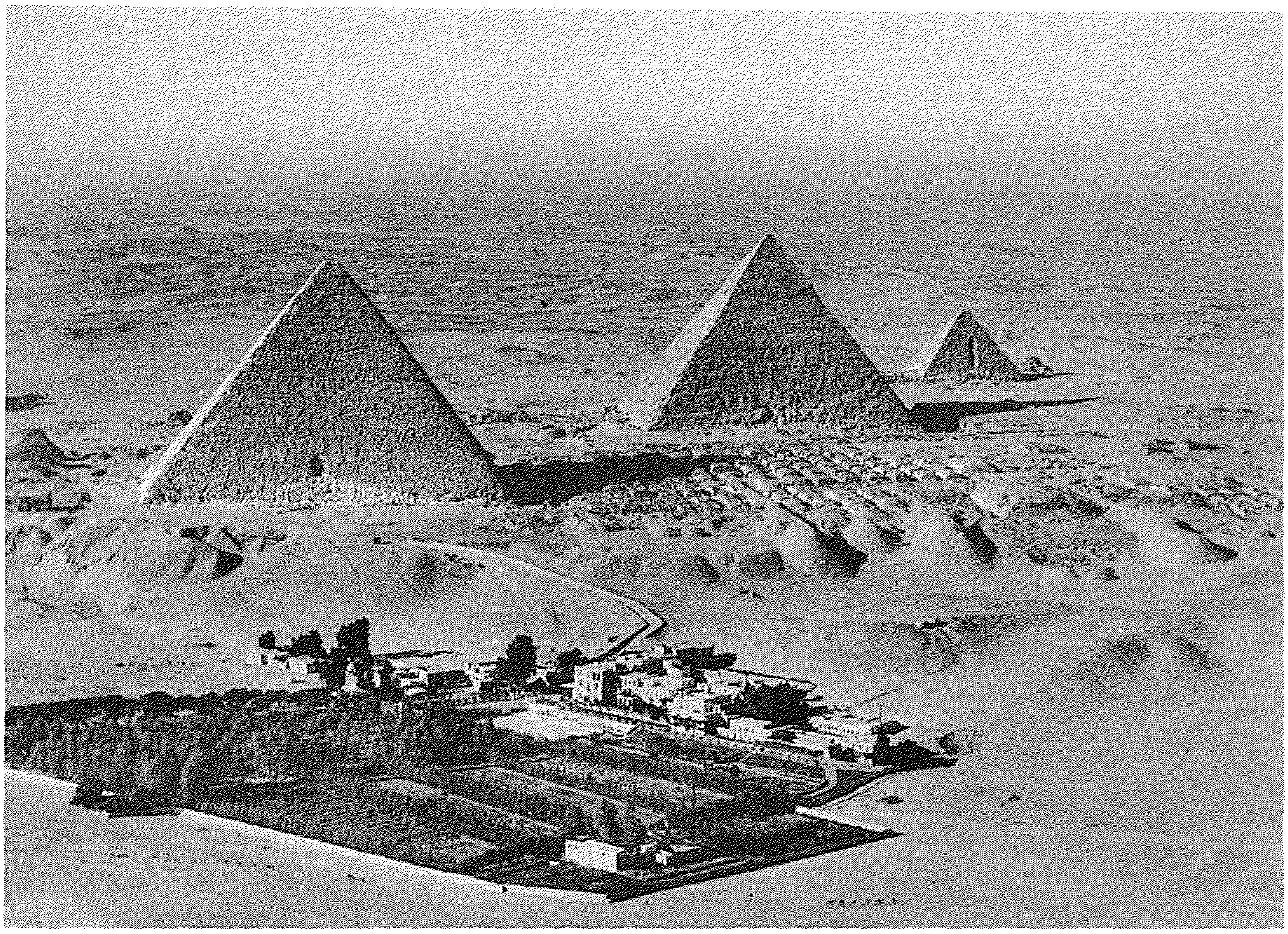
الفصل الأول

بناة الأهرام بالجيزة

رقدت نفر حتب إس بجوار زوجها على سرير النوم المبني من الطوب اللبن.. متعبة بعد عمل يوم شاق.. ومع شعورها بالولادة.. فثمة خطورة من فقدان الأم أو الطفل وهو ما يجعلها عملية ولادة صعبة، وقد استمر العمل منذ النهار الماضي.. عبر ساعات النهار وبعدها ومع حلول الظلام خلال ساعات الليل الخطيرة.. حيث احتاجوا لقوى سحرية شديدة لمنع الأرواح الشريرة من انتزاع روح الأم من جسدها.. ولكن الطفل قد ولد في ذلك اليوم عندما كان رع، رب الشمس عالياً في السماء يبتسم لتلك المرأة المجهدة في الوقت الذي ظهر أخيراً المولود الجديد للحياة...

وكان زوج نفر حتب إس والمدعو نفر ثيث كان هو الآخر قد أمضى يوماً مرهقاً في العمل.. حيث كان يشرف على العديد من مظاهر رعاية وإطعام العمال، بداية من صناعة الأعداد الهائلة من أرغفة الخبز وتخمير كميات رهيبة من الجعة لإطعام آلاف العمال الذين يكدحون في خدمة ملكهم المقدس... بالإضافة إلى التأكد من وصول الكميات الكافية من الماشية من الضياع الملكية... وعلى الرغم من تعبهم وإرهاقهم.. كان كل من نفر حتب إس ونفر ثيث في غاية السعادة لحصولهما على لحظة تجمعهما معاً ويتذكران أيامهما معاً...

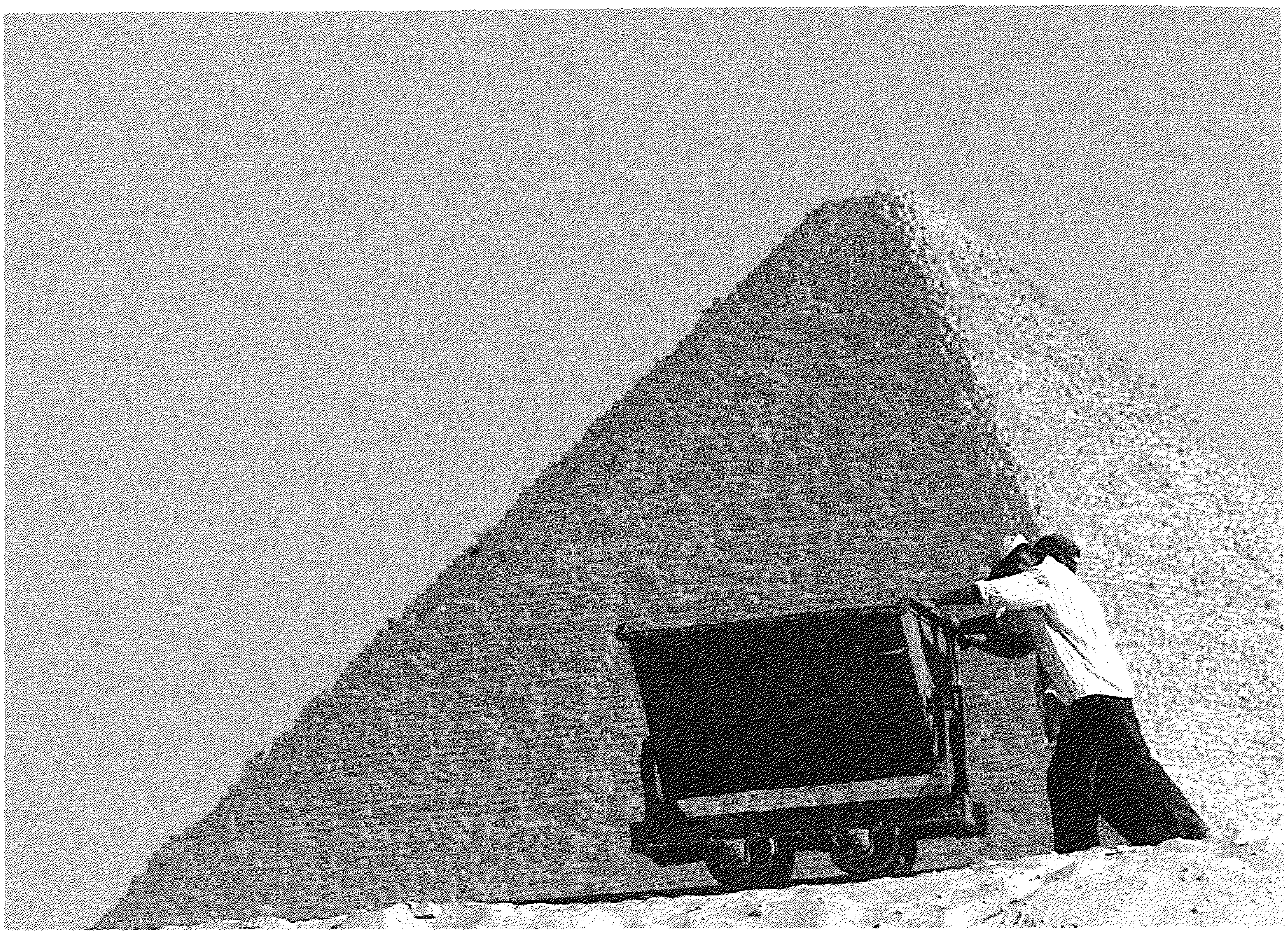
ومن بين الخرافات المستمرة والمتعلقة بالهرم الأكبر تلك الخرافة التي تقول إن الهرم الأكبر قد بني بالسخرة، وهذا الأمر غير صحيح. فلم تكن العبودية التي كانت موجودة بمصر القديمة، جزءًا هامًا من الاقتصاد خاصة بالدولة القديمة. فقد كانت الأهرام بمثابة المشروع الوطني لمصر، والتي ترمز إلى قوة وسطوة البيت الحاكم، مؤكدًا على إعادة ميلاد الملك كمعبود وبالتالي يستطيع بطريقة سحرية أن يحافظ على الكون كما يجب أن يكون، فكان يجب على الدولة ككل أن تشترك في بنائها، كما كان على كل أسرة أن تقوم بدورها في إرسال الطعام والمواد الخام والطاقة البشرية. ومن خلال النقوش الهيروغليفية وكتابات الجرافيتي استنتجنا أن العمال والحرفيين المهرة قد عملوا طوال العام بموقع إنشاء الهرم، أما الفلاحون من القرى والأقاليم المحيطة فقد كانوا يتبادلون العمل فيما



بينهم. وكان مشروع بناء الهرم بمثابة قوة اجتماعية هائلة مع بدايات تلك الأسرة، حيث كان المجندون الشباب من القرى البعيدة يجلبون بعيداً عن عائلاتهم ويسافرون إلى الجيزة، ثم يعودون محملين بأحدث الأفكار والأنماط من العاصمة الملكية. وتصل القوى العاملة إلى أقصى قدر لها خلال فصل "آخت" akhet؛ أي فصل الفيضان، عندما تغمر الأراضي الزراعية بالمياه، حينها لا يستطيع المزارعون رعاية محاصيلهم. وهناك مجموعة من الإحصائيات السكانية الدقيقة والتي تسجل كل أسرة بالبلاد ومدى إسهامها بالمشروع.

وهناك نظام مماثل مازال متبعاً بالقرى المصرية حاليًا. فعندما يقوم أحد أفراد القرية ببناء منزل جديد، تقوم بقية العائلات بدفع مبالغ من المال كمساعدة له، ويقوم صاحب هذا البيت الجديد بتسجيل كل تبرع حصل عليه بسجل ما، وعندما يقوم شخص آخر ببناء منزل فإنه من الواجب عليه أن يرد تلك المساعدة بنفس قدر المال أو أكثر. وبالنسبة للغذاء تقوم كل أسرة بالقرية بإرسال صينية كبيرة محملة بالطعام لإطعام العمال القائمين على بناء ذلك المنزل، في حين يقوم بعض الأهالي بإرسال عمال للمشاركة في البناء. وعندما يقدم أحد الأهالي على الزواج، فإنه يتم تجميع مساهمات مثيلة له والتي يطلق عليها "النقطة".

■ منظر عام لهضبة أهرامات الجيزة.



وقد توصل الدارسون إلى وجود نظام إعالة ضخم بالجيزة لمدة 77 عامًا على الأقل، وهي فترات حكم خوفو وخفرع ومنكاورع. وهذا النظام يتضمن تسهيلات في إنتاج الطعام والفخار ومواد البناء (الجبس والحجر والخشب والحديد)، وتسهيلات تخزين الطعام والوقود والإمدادات الأخرى، بالإضافة إلى مساكن للعمال ومشرفيهم. ولكن حتى وقت قريب، لم يكن هناك أي دليل أثري على وجود تلك المجموعة العمالية، حيث هناك ثلاثة أجيال من بناة الأهرام قد اختفت دون أي أثر..

وقد علم المؤرخ هيرودوت من أحد الأولاد الذين كانوا بمنطقة الهرم آنذاك أن نحو مائة ألف عبد قد عملوا سخرة في بناء الهرم الأكبر لمدة عشرين عامًا. وهناك تخمين أكثر منطقية بني على أساس حسابات علمية حول عدد الأحجار التي تم نقلها في اليوم الواحد من أجل إنهاء الهرم خلال عصر خوفو، حيث قدر عدد العمال بقرابة عشرين ألف عامل. ومن خلال اتباع الجرافيتي الذي تركه العمال بالمحاجر وعلى أحجار الأهرام نفسها، ومن خلال تحليل ألقاب الصفوة، نجح العلماء من إعادة بناء التنظيم الأساسي للقوة العمالية للهرم. وهناك معلومات أخرى عرفناها من خلال مجموعتين من الوثائق الملكية والتي ترجع للأسرة الخامسة من موقع أبو صير ومن الحفائر الحديثة بالجيزة.

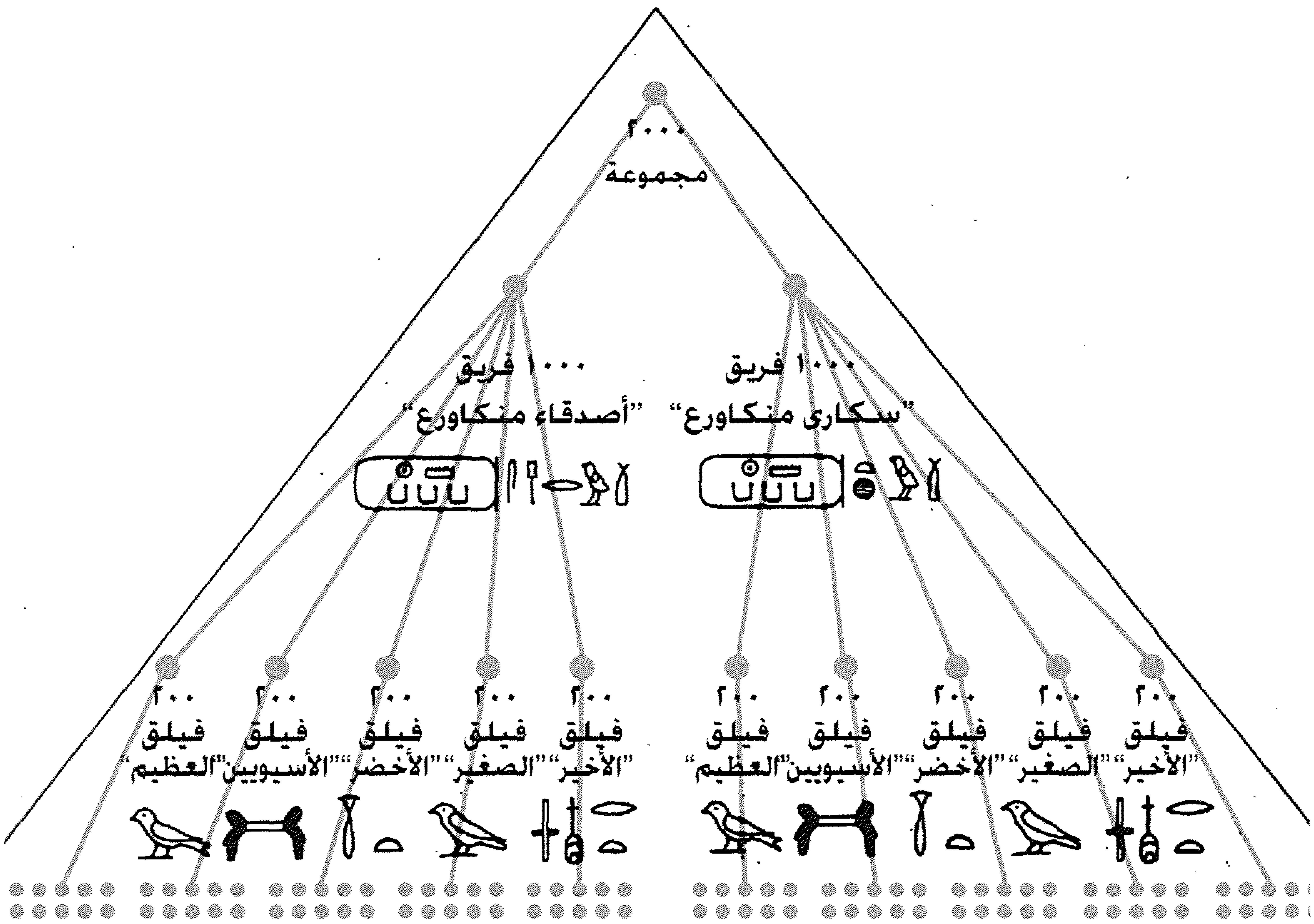
■ منظر عام لهرم الملك خوفو.



وتقع المسئولية الأساسية لبناء الهرم على كاهل الوزير، والذي كان يحمل لقب "المشرف على كل أعمال الملك". ويلي الوزير مجموعة من المشرفين لأعمال الملك، ومشرفون للأعمال ومشرفون حملوا ألقابًا أكثر تخصصاً، مثل لقب "المشرف على مجموعة العشرة". وقد قسم العمال أنفسهم إلى فرق من ألفي عامل، وكل فرقة تقسم إلى جماعتين من ألف عامل وكل جماعة تحمل اسم مثل "أصدقاء خوفو" أو "سكارى منكاورع". كما قسمت كل جماعة إلى خمسة مجموعات والتي كان يطلق عليها اللفظ الإغريقي phyles؛ أي فيلق. وتلك المجموعات حملت أسماء مثل العظيمة(ذات الميمنة) والأسيوية (ذات الميسرة) والخضراء (ذات المقدمة). وكل فيلق يتكون من مائتي عامل يرأسهم مشرف. وبالإضافة إلى تلك المجموعات كانت هناك تقسيمات أصغر تتكون من عشرين إلى خمسين عاملاً حملوا أسماء مثل "الحياة" و"الثبات" و"الامتياز". وكانت المنافسة بين المجموعات المختلفة أمرًا في غاية الأهمية من أجل رفع الروح المعنوية والإسراع في العمل.

وكل هذا قد عرف من خلال دلائل نصية، إلا أننا لم نعثر على أي آثار أقدام على الأرض أو معلومات أثرية يمكن أن تدعم فكرة إعادة بناء هذا التنظيم... ولكن الآن عثرنا على بناة الأهرام بالجيزة.

■ المخربشات الموجودة داخل الحجرات الخمسة والتي تذكر اسم الملك خوفو.



ومنذ عام 1991، قمنا بعمل واحدة من أمتع وأهم الاكتشافات الأثرية على الإطلاق، وهي الكشف عن بقايا المدينة التي عاش بها الفنانون والمشرفون الدائمون والتجمع الملكي الذي ضم إقامة العمال المؤقتين؛ وذلك من خلال مراقبة عمليات الصرف الصحي التي تمت لمنطقة نزلة السمان بالإضافة إلى الجبانة الواسعة والتي دفن بها بناة الأهرام. وتلك الاكتشافات الحديثة اعتبرت إضافات أساسية خلال فهمنا حول كيفية بناء الأهرام.

وكما شرحنا من قبل، فإن خروج مدينة الأهرام إلى النور. وقد عرفنا مجرد لمحات عن تلك المدينة، إلا أن ما عرفناه يعد كافياً للتأكد أن المدينة قد امتدت بضعة كيلومترات بطول حافة الهضبة. وكان قصر الملك خوفو، والذي ذكر من قبل، يقع بالقرب من معبد الوادي الخاص به عند النهاية الشمالية للهضبة، في حين كانت منازل عائلته وبلاطه بالإضافة إلى المباني الحكومية تقع في الأغلب بالقرب من قصره. وقد كشفت خنادق الصرف الصحي عن مجرد بقايا لجدران من الطوب اللبن وعدد من قطع الفخار المكسور. ولكن رغم تلك الأدلة الضعيفة، فإنه يمكن الكشف عن بعض المناطق المحددة، فهناك مبنى كبير ذو جدران ضخمة من الطوب اللبن ومجموعة من الحجرات أو الأفنية التي تم تنظيفها، كما دلت بعض كسرات الحجر الجيري والتي كانت جزءاً من ألواح لتكسية الجدران بالإضافة إلى بقايا

■ الهيكل التنظيمي المفترض للعمال بناة الأهرام.

من الجرانيت الأحمر، وعدد كبير من الفخار الجيد على أن هذا المبنى كان ذا شأن رفيع ؛ حيث إنه من المغري أن نتخيل وجود مبنى إداري بتلك المنطقة، إلا أن الأدلة – لسوء الحظ – غير كافية لإثبات هذا الأمر.

وهناك منطقة أخرى تركزت بها كسرات جرار الجعة، والتي تشير إلى وجود بقايا مصنع جعة. بجواره عثر على آلاف من كسرات الفخار وأواني خبز وطين محروق ورماد طمي يحدد المنطقة بأنها كانت مخبزًا. وهناك بقايا أخرى مماثلة قد عثر عليها بمخبز ثانٍ على بعد كيلومتر من هذا المكان. أما المنطقة ما بين المخبزين قد كشفت عن بقايا منازل من الطوب اللبن، البعض منها زائل والبعض الآخر منظم بدرجة كبيرة مما يرجح أنها قد سكنت لفترة طويلة. ومن خلال الأدلة المحدودة التي تم الكشف عنها لا يمكن تحديد الأنماط المختلفة من المنازل.

وقد شعرت بيقين أن هناك بقايا أكثر يمكن الكشف عنها لبناة الأهرام بالجيزة، وفي عام 1988، عندما عدت من بعثتي الدراسية بالولايات المتحدة قررت أن أعثر عليها. وقد قضيت مع صديقي مارك لينر العديد من مواسم الحفائر ونحن نحمل قطعًا مختلفة من الهضبة، إلا أن أول اكتشاف هام بالمنطقة هو الكشف عن جبانة بناة الأهرام وذلك بمحض الصدفة. ففي أحد أيام شهر أغسطس الحارة في عام 1990م، كانت إحدى السائحات الأمريكيات تقود حصانًا بالمنطقة جنوبي "حيط الغراب"، حينها تعثر الحصان بجدار قديم من الطوب اللبن وسقطت على الأرض. فهرع كبير الحراس بالجيزة للبحث عني، وأسرعنا إلى موقع الحادثة، وكانت السائحة في حالة جيدة، في حين ظهر الجدار اللبني كجزء من مقبرة من الدولة القديمة لأحد المشرفين والذي يدعى "بتاح شبسو".

وتلك المقبرة هي أولى آلاف المقابر التي تغطي جوانب الصحراء السفلى جنوبي حيط الغراب. فقد كان هناك جبانتان واضحتين،الأولى والتي تقع بالصحراء السفلى وتتضمن عددًا من المقابر الخاصة بالمشرفين ويحيط بها عددًا من المقابر الأصغر حجمًا للعمال الخاضعين تحت هذا المشرف هو وعائلته. وفوق تلك المنطقة وعلى المنحدر المؤدي لأعلى إلى الهضبة العليا، توجد مقابر أكبر وأروع والتي تحتوي على زخارف بديعة والتي صنعت بالورش الملكية وهي تخص صغار الموظفين والفنانين؛ لذا فإنه من المستبعد أن يكون هؤلاء الرجال والنساء عبيدًا، حين حصلوا على شرف الدفن في ظلال ساداتهم الذين خدموهم إبان حياتهم.

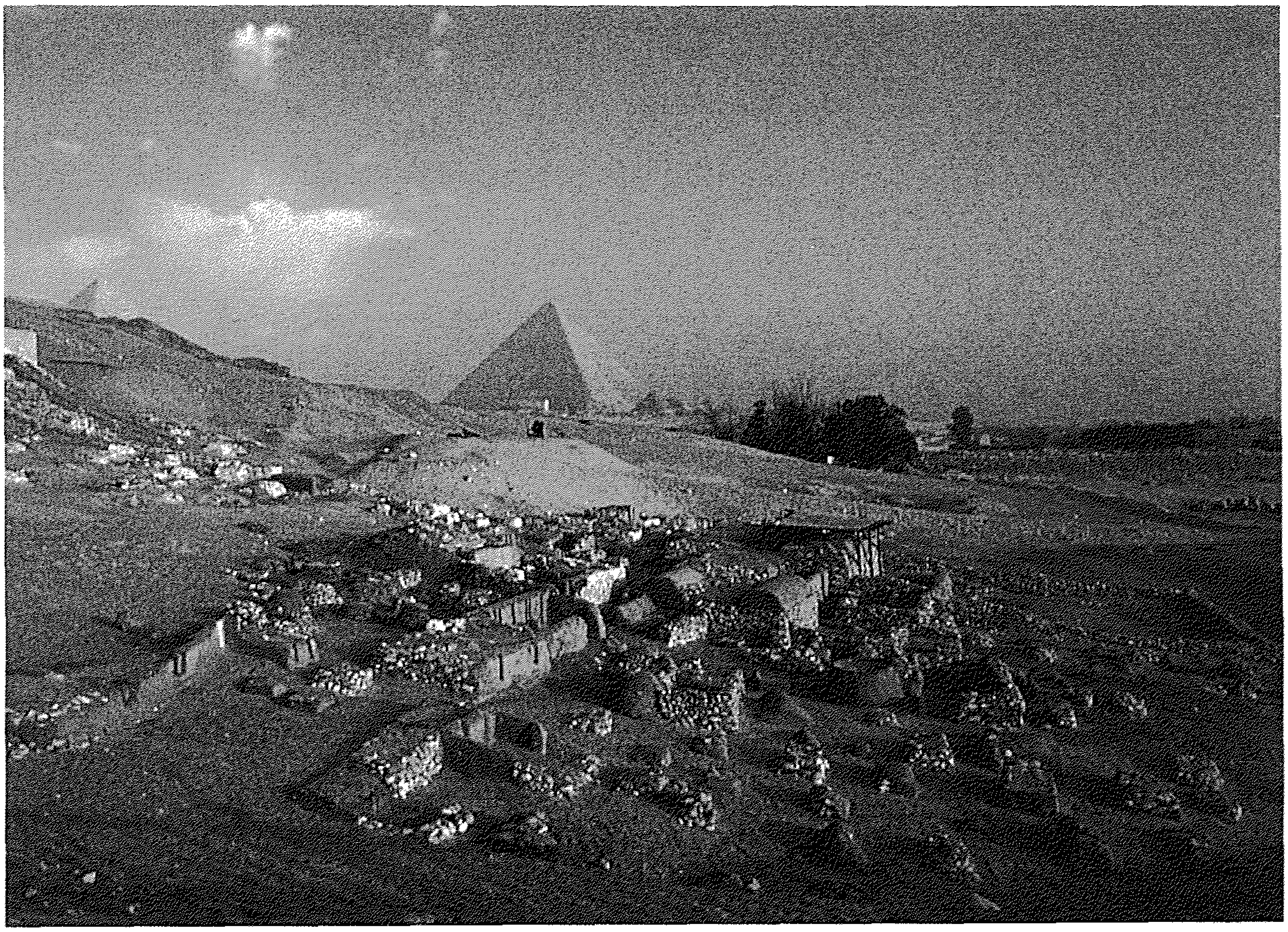
وكانت مقابر العمال ذات أحجام وأنماط مختلفة والتي تمثل عددًا من التقاليد المحلية التي أحضرت إلى العاصمة



على يد العمال المجلوبين من القرى. فهناك الممرات المقبية الطولية بجوار المصاطب المستطيلة البسيطة، وفي بعض الحالات ينخفض مستوى المقبرة إلى نحو رصيف من الطوب اللبن بقرابة متر في الطول (3 أقدام) ونحو 30سم (12 بوصة) في الارتفاع، ومن المظاهر الجلية بالمقابر النيشات الصغيرة بالناحية الشرقية للمقبرة والتي كانت تؤدي دور الباب الوهمي، والتي كانت بؤرة الطقوس الجنائزية. وكان أحد المشرفين قد بنى مقبرته على شكل هرم مدرج، في حين عثر على مجموعة من الأهرام والمقابر ذات شكل القبة بجبانة بناة الأهرام؛ لذا فقد عرفنا أنه خلال الدولة القديمة كان الشكل الهرمي، والذي يمثل التل الأزلي ودرجات إلى السماء، لم يكن كما كنا نعتقد الآن مقتصراً على الاستخدام الملكي، ولكنه أيضاً كان جزءًا من الأساليب الفنية الشعبية. ويبدو أن العمال الذين خدموا في بناء أهرام الملوك هم فقط الذين استخدموا هذا الشكل، أو أن هذا الشكل قد اقتبس من قبل الملوك أنفسهم من إحدى التقاليد الشعبية بعيدة المدى.

وقد تم استخدام الطوب اللبن في تشييد تلك الآثار على نطاق واسع، كما استخدم أيضًا قطعًا من الحجر الجيري والجرانيت والبازلت والكوارتز والتي وضعت بالملاط. وتلك الأحجار بمثابة ركام خارج

■ مقبرة بتاح شبسو-جنوب شرق الهرم الأكبر- حفائر المؤلف- هضبة الجيزة.

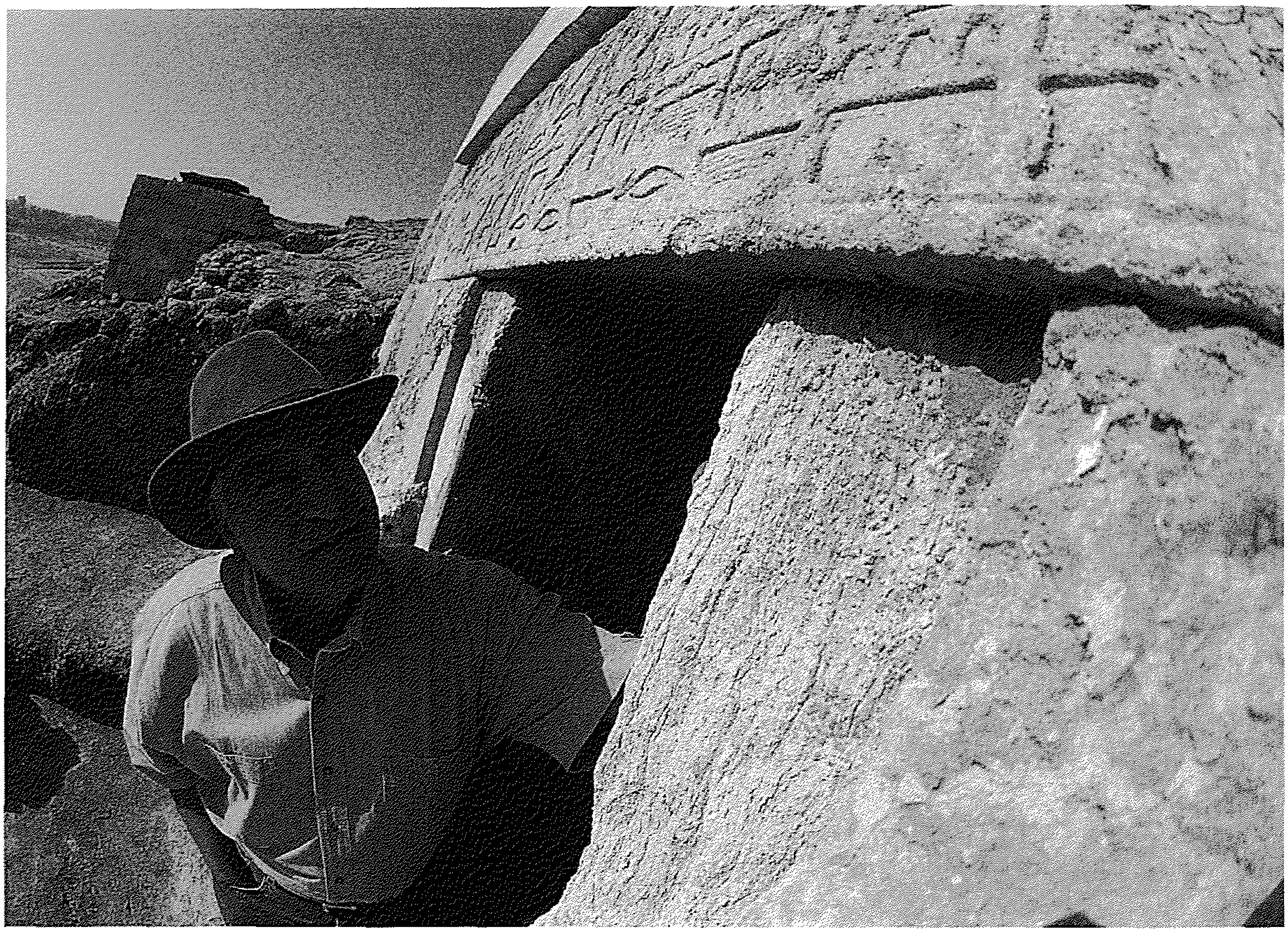


من عمليات بناء الأهرام ومقابر الصفوة القريبة وبعض الكسرات من قطع أحجار جيدة والتي جمعها الفقراء لاستخدامها في تشييد آثارهم.

أما المقابر الأكثر روعة والمشيدة على سفح التل، هي بشكل عام إما منقورة بالصخر ذات واجهة مكسوة من الحجر الجيري فوق السطح الصخري، أو مبنية من كتل من الحجر الجيري. وهناك منحدر يربط بين الجبانتين السفلية والعلوية. وبأعلى هذا المنحدر توجد مقبرة ضخمة ملفتة على شكل خلية النحل وهو الشكل المحلي المحور للهرم والشكل المحور عن أضرحة المشايخ الحالية.

وقد عثرنا داخل تلك المقابر على مجموعة رائعة من القطع بداية من الأواني الفخارية وحتى بعض الأدوات. وقد احتوت بعض المقابر على موائد قرابين والتي تحمل أسماء وألقاب صاحب المقبرة. وما زاد من مفاجآتنا أننا وجدنا أيضاً عددًا من التماثيل الصغيرة جيدة الصنع والتي تؤكد على أن أصحابها قد أشرفوا على مجموعة من النحاتين المهرة، ربما كانوا ضمن نفس التجمع.

■ جبانة العمال بناة الأهرام– جنوب شرق الهرم الأكبر– حفائر المؤلف– هضبة الجيزة.



وفي عام 1991م، قام واحد من أفضل مساعديَّ وهو منصور بريك الذي كان يعمل معي في حفائر بناة الأهرام، باكتشاف طبقة فخار ترجع للدولة القديمة. حينها توقفنا عن عملية التنظيف فوراً، حيث كان من الواضح أن هناك موقعًا هامًّا يقع أسفل السطح مباشرة. وقد قام لينر بتنظيم موسم حفائر بالجيزة بدأ العمال بتلك المنطقة. وسرعان ما اصطدم بمخبز يرجع للدولة القديمة، وفي المواسم التالية نجح في الكشف عن تجمع ملكي فسيح والذي كان يسكن به العمال ويتغذون ويجهزون أعمالهم. كما كشف عن منازل تخص بعض المشرفين وربما بعض الفنانين وصغار الموظفين، الذين دفنوا بالجبانة العليا. وترجع تلك المنطقة لعصر خفرع وبالأخص عصر منكاورع. ومن المحتمل أن تجمع خوفو يقع بالأسفل وبني فوقه على يد خلفائه، أو كما اقترح سابقاً أن هناك تجمعًا مماثلاً يقع بتلك المنطقة أو بمنطقة أخرى بالهضبة وتعرض للتدمير بعد وفاة الملك، وبعدها انتقل وريثه المباشر إلى منطقة أبو رواش.

ويحيط بالتجمع الملكي جدران صخرية، والتي تغلق منطقة ذات حدود غير محددة بشكل كامل. وهناك طريق يسير عبر الباب الأثري بحيط الغراب بطول الجانب الغربي للتجمع ومن ثم عبر بوابة بجدار التجمع. وداخل التجمع، كانت هناك مجموعة من المباني بطول شوارع عريضة تمتد على محور شرقي غربي، وتنتهي بمبان أشبه بمباني

■ المؤلف أمام مدخل مقبرة نسوت وسرت.

مراقبة عند الطرفين. وكان العمال المؤقتون القادمون من الأقاليم ، والفلاحون المحليون القادمون من الجيزة للعمل أسبوعيًّا، ثم يعودون في نهاية الأسبوع، يسكنون داخل أروقة طولية تتضمن أرصفة للنوم مصنوعة من الطوب اللبن، تتقدم أمام تلك الشوارع. وكان كل رواق يؤوي نحو 40–50 عاملاً ليناموا به، في حين كان الموقع ككل يضم قرابة ألفي عامل. أما القرية التي عاش بها المشرفون والفنانون تقع بالحافة الشرقية للموقع وامتدت حتى سهل الفيضان، وقد اختفت أسفل قرية نزلة السمان الحديثة، وقد عثر على 36 بيتًا تقريبًا من بيوت المشرفين حتى الآن.

وإلى الجوار من تلك الأروقة ناحية الشرق، تقع صالة أعمدة وهي واحدة من أقدم الأمثلة المعروفة في مصر. وعبر تلك الصالة توجد مجموعة من المنصات المبنية من الطوب اللبن كما عثر على مجموعة من عظام الأسماك مطمورة بالطوب اللبن. ومن الواضح أن تلك الصالة كانت صالة طعام والتي كان يتناول بها العمال وجباتهم. ومازال هذا النظام متبعًا في مصر حاليًا، فعندما تقوم الدولة بإقامة مشروع ما كبناء سد على سبيل المثال، فإن عمال المشروع ينامون معًا بجوار موقع المشروع ويأكلون في مكان واحد تحت إشراف الدولة. ومثلما كان يحدث في العصور القديمة، يأتي معظم طعام هؤلاء العمال من البيوت التي تمد المشروع بالقوة البشرية.

ويضم تجمع الجيزة عددًا من المخابز والورش بالإضافة إلى مبنى كبير يتضمن مخازن الغلال ومخازن أخرى، وكان لابد من توفير قدر كبير من الغذاء بإطعام العمال، وكان الخبز، والذي عثر على أرغفة منه لا حصر لها بكل أنحاء الموقع، يعد العنصر الرئيسي لغذاء العمال، كما كانت الجعة المشروب الأساسي لهم. وبالإضافة إلى الخبز والجعة، كان يتم منح العمال قطعًا من الثوم والبصل. وربما كان الطعام اليومي (كحصة الغذاء) نتيجة لكمية عظام الأسماك المتراكم بصالة الأعمدة يدل على أنهم كانوا يأكلون الأسماك التي يتم صيدها من شط النيل المجاور. وكانت أشهر أنواع الأسماك بمنطقة الجيزة هو السمك البلطى، فقد عثر بمربع حفائر بالمنطقة على خطّاف سمك برونزى مشابه لما يتم استخدامه حالياً.

وكانت إحدى المفاجآت التي ظهرت خلال الحفائر الحالية بالتجمع الملكي هو أن العمال تناولوا كمًّا كبيرًا من اللحم، ربما كان ذلك يوميًّا. فقد كان من السائد أن طبقة الصفوة هي فقط التي كانت تأكل اللحم بأي كمية، ولكن الكم الكبير من العظام الذي تم العثور عليه بمنطقة العمال بالجيزة يشير إلى أنه كان يتم ذبح قرابة 11 من الماشية و33 من الخراف والماعز كل يوم، وهو ما يكفي لإطعام 10000 عامل يوميًّا (وهو تخمين منطقي لعدد العمال بالموقع). وتماشيًا مع أجود طرق لتربية الحيوانات، كان يتم ذبح ذكور الماشية فقط، في حين كانت تترك



الإناث كي تربي أطفالها. ومن المرجح أنه لم يتم تربية تلك الماشية والخراف والماعز بالجيزة، بل كانت تحضر إلى هناك. وكان هناك مصدران محتملان لتلك الماشية، الأول هو مقاطعات الملك، والتي كانت ترسل اللحوم يوميًّا للموقع، فقد عرفنا من أحد النصوص التي ترجع لعصر خوفو أن هرمه ومعابده قد احتوت على 1055 تقريبًا من الماشية و974 من الماعز و2235 من الخراف. أما المصدر الثاني فهو الأهالي الذين يصلون إلى عشرات الآلاف بجميع أنحاء مصر، والذين تحملوا مسئولية إرسال اللحوم لمشروع بناء الهرم مرة كل شهر. وقد عرفنا من المصادر النصية أنه على سبيل المثال كان إقليم كوم الحصن بالدلتا يقوم بتربية الماشية. ولكن الحفائر الحالية لطبقات الدولة القديمة قد كشفت عن عظام خنازير وخراف مما يرجح أن جميع الماشية كانت ترسل للجيزة لإطعام العمال.

كان كل من الخبز والجعة هما العنصران الأساسيان لغذاء المصريين، وكان هناك عدد من المباني الضخمة بالتجمع الملكي قد صممت لتخزين الغلال، ونتوقع العثور على أدلة أكثر تشير إلى طحن الغلال. وهناك العديد من المخابز بالموقع بالإضافة إلى قوالب الخبز – وهي عبارة عن أواني طينية خشنة كان يتم خبز العجين بها – المبعثرة بجميع أنحاء الموقع.

■ جزء من أماكن سكن العمال بناة الأهرام.

وقد عثر أيضًا بالموقع على بعض من الأواني الفخارية التي كانت تجلب من فلسطين، حيث كانت تستخدم في نقل وتخزين زيت الزيتون. وهذا النوع من الأواني والذي كان يطلق عليه الأواني الضيقة قد عثر عليه في وقت مبكر بالجيزة على يد جورج رايزنر.

ولدينا القليل من المعلومات حول تنظيم الأقاليم وذلك من خلال الطعام والمواد الخام التي تم إرسالها للجيزة. فقد قسمت مصر العليا إلى 22 إقليمًا، في حين ضمت مصر السفلى 20 إقليمًا. وكان كل إقليم يضم مجموعة من الحقول والتي خصصت كأراض زراعية وقرى ومقاطعات تحت ملكية التاج الملكي أو المعابد. وكان كل إقليم يرأسه حاكم، ولكل مدينة أو قرية عمدة يحكمها. كما كان هناك عدد من المشايخ أو كبار العائلات بكل مدينة. وقد ظهر في عصر الملك خوفو لقب "عج مر"؛ أي الذي يشق القنوات، والذي يعد من الألقاب الهامة. كما احتوى كل إقليم على موظف واثنين إداريين يطلق عليهما "إمي را مشع"؛ أي المشرف والذي كان يؤدي أيضًا دور كبير الكهنة بمعابد المدن. وكانت إدارة الإقليم أيضاً تقع تحت سيطرة واحدة أواثنين من العائلات المهيمنة، والتي كانت تحمل على عاتقها مسئولية جمع ضرائب الحصاد وإرسالها إلى البيت المالك والمعابد البعيدة.

ويبدو أن كل من مجموعة العمال الدائمين والإضافيين قد عاشوا بالقرية جنوب شرق الأهرام. ويمكن شرح تخطيط أحد أمثلة المنازل، التي كان يقطنها أحد المشرفين أو أي موظف ذي درجة مماثلة، والذي تم اكتشافه في منتصف القرن 20م جنوبي الطريق الصاعد لهرم منكاورع، حيث يتكون من عدد من حجرات النوم وفناء للطهي به فرن. وهناك نماذج أخرى لمنازل أكبر حجماً والتي اكتشفت على يد لينر إلى الشرق مباشرة من جبانة بناة الأهرام. أما قرية الفنانين بالجيزة، فتكشف أن كلاً من الفنانين والرسامين والحرفيين والنحاتين قد عاشوا بمنازل تتكون من حجرة لحفظ الأدوات وفناء للعمل أثناء النهار مرتبط به عدد من الحجرات للنوم ومنطقة لاستقبال الزائرين ومطابخ لإعداد الطعام، بالإضافة إلى منطقة للتخزين.

ويقدم لنا التجمع الملكي لمحات فريدة حول البيروقراطية المصرية القديمة ذات التطور العالي. فكان كل رجل وامرأة وطفل مدرج ضمن إحصاء، كما كان كل نوع من أنواع الطعام والملابس مسجل بسجلات. حتى أننا



نعرف من خلال سجلات موقع دير المدينة بالدولة الحديثة أنه كان يتم تعقب أدوات العمال ببراعة. وبالجيزة كان هناك مركز إداري (عبارة عن مركز ذي أعمدة بالقرب من الطريق الممهد) كان يمثل نقطة مركزية لتوزيع الطعام على العمال. ومن المرجح أن مكان تخزين أدوات العمل، والذي كان يخضع للمراجعة على يد عمال مستقلين كل يوم، كان يقع بالقرب من ذلك المبنى.

■ الجبانة العليا جبانة الفنانين والجبانة السفلى جبانة العمال- حفائر المؤلف- هضبة الجيزة.

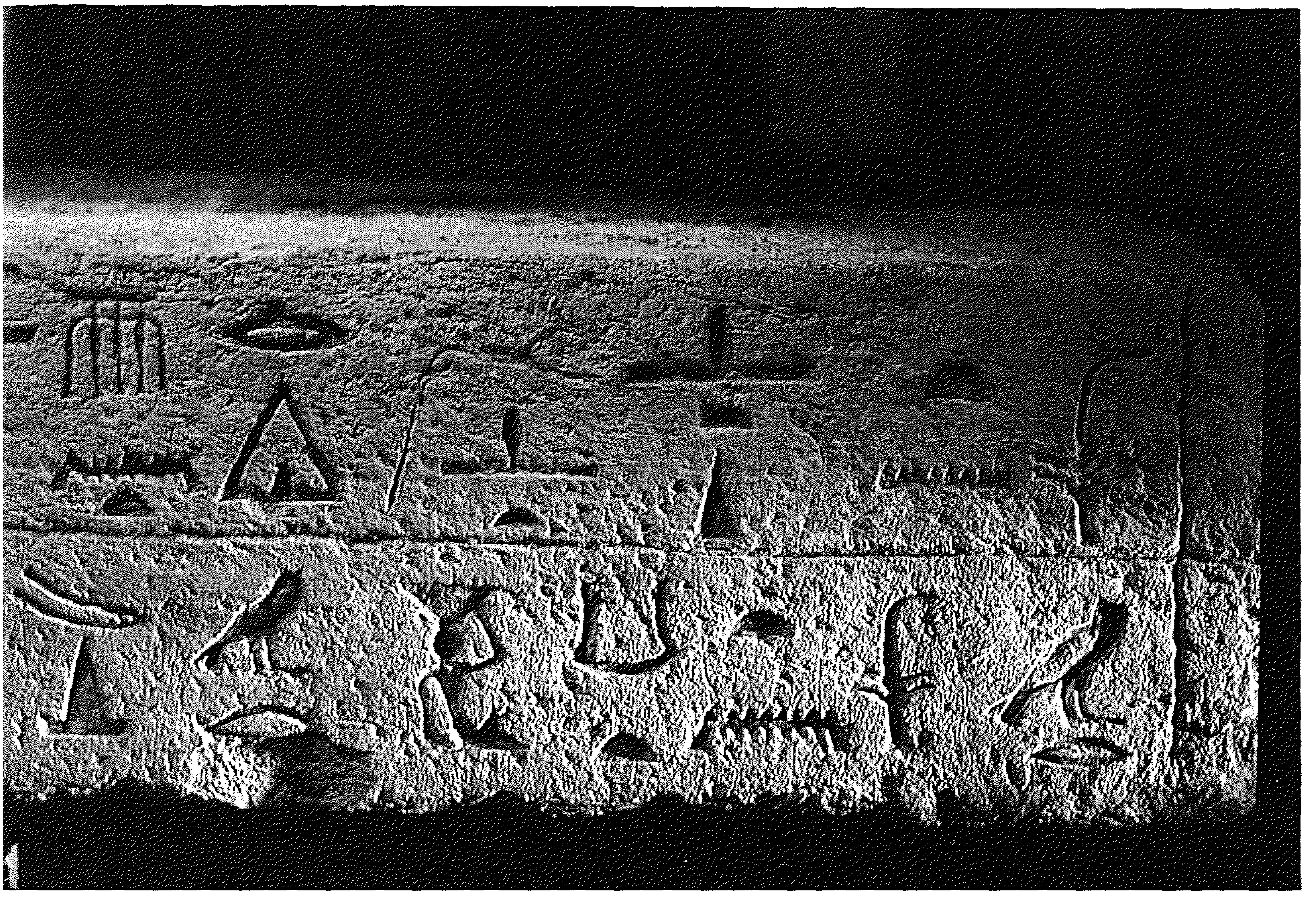
الفصل الثاني

حياة بناة الأهرام

داخل المحجر الساخن.. كانت الشمس تتوهج فوق رءوس العمال الكادحين.. إلا أن العمال قد تعودوا على تلك المشقة وعملوا بثبات رغم الحرارة... فكانت كل مجموعة تغني أغاني حماسية وهم يمجدون الملك فخورين بقدراتهم الفائقة.. فكان رجال (الأخضر) أعضاء جماعة أصدقاء خوفو المتفاخرون، قد قدموا من مصر العليا.. حاملين معهم أدوات من الديوريت والظران والجرانيت والتي استخدموها في عمل شقوق بالحجر.. وهناك عمال آخرون يعملون على صقل جوانب الحجر وتنعيمها بواسطة مدقات من الديوريت...

وعندما يتم قطع الحجر.. يقوم المشرف باستدعاء عمال المقدمة لإحضار المحفات والحبال لرفع الحجر وسحبه.. في الوقت الذي كانوا يغنون وهم يعملون ويصعدون عبر المنحدر إلى الهرم...

وقد لاحظ المشرف "خنمو"، ذلك المشرف المرح المجتهد والذي رقي لدرجة مدير إنشاءات المقابر، أن واحدًا من عماله يمسك برأسه مجددًا... فقد كان دائمًا ما يعاني من صداع.. واليوم قد احتد عليه الألم... فاهتم "خنمو" بالأمر واقترب من العامل الذي صرخ فجأة وسقط على الأرض... فأرسل "خنمو" مساعده لطلب فريق الإسعافات الطبية وأمر رجالاً آخرين بنقل رفيقهم إلى الظل، ثم يستمروا في العمل.. فلم يكن بإمكانهم تحمل خسارة دقيقة أخرى إذا ما أرادوا الحفاظ على الجدول الزمني المفروض... وسرعان ما أتت الممرضات من مركزهم إلى جنوبي الهرم بصحبتهم رجلان يحملان محفة.. فحملا العامل المصاب على المحفة إلى العيادة ووضعوا قطعة قماش على رأسه لحمايتها من الشمس الحارقة.. ثم قام الطبيب بالكشف عليه فاكتشف أنه مريض بالسرطان ويحتاج إلى جراحة.. وقد استغرقت العملية الجراحية ساعات عديدة إلا أنها كانت ناجحة.. وقد عاش بعدها لمدة عامين.. رغم أنه لم يعد مرة أخرى للمحجر......

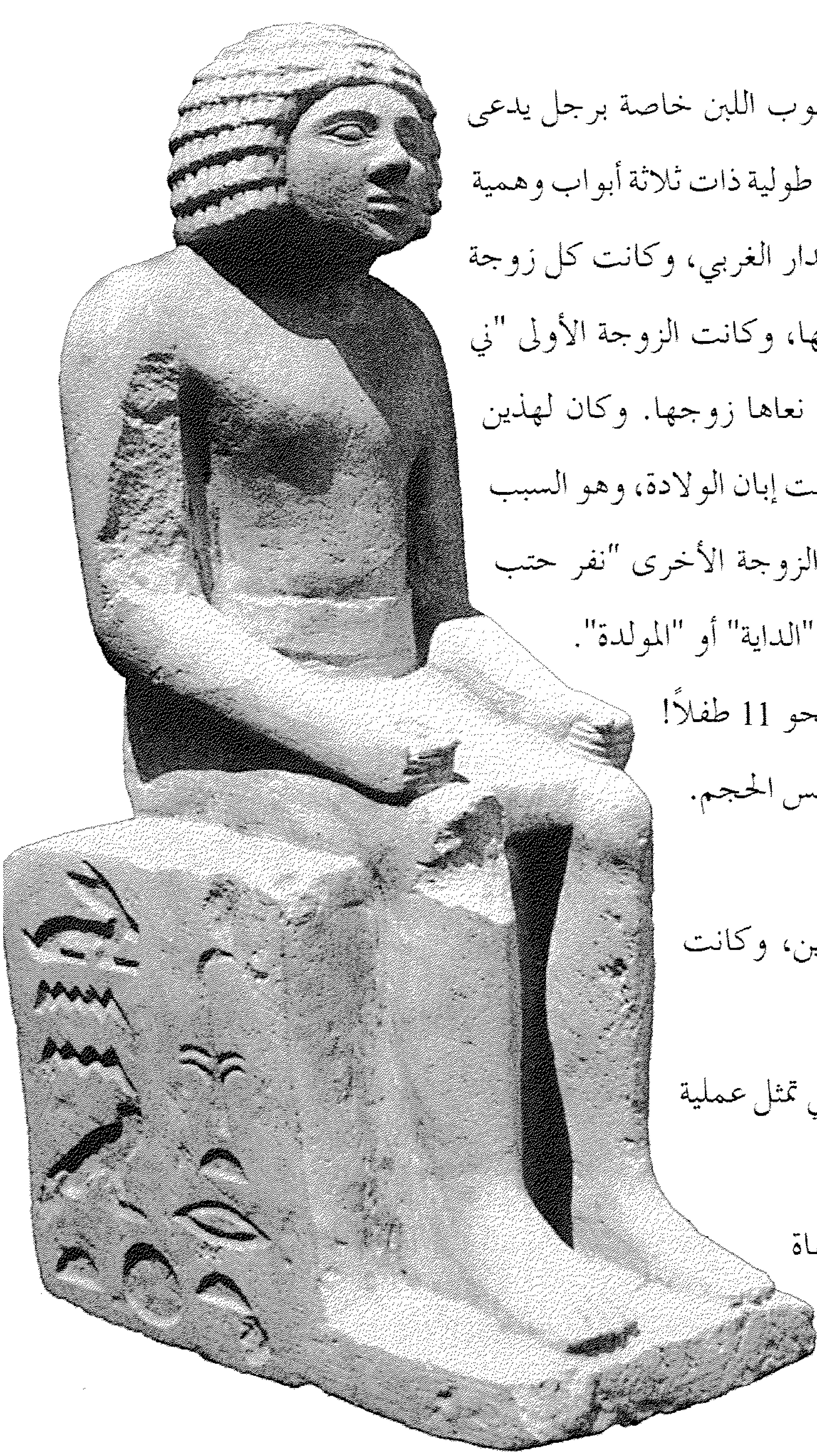


استطاعت الاكتشافات بجبانة بناة الأهرام أن تعرفنا على العديد من الرجال والنساء الذين ساعدوا في بناء آثار الجيزة العظيمة. كما أن اكتشاف التجمع الملكي قد كشف لنا العديد من المعلومات حول يوميات هؤلاء العمال.

فنعرف على سبيل المثال أن هناك رجلاً يدعى إتي سن، والذي كان مشرفًا على أعمال الملك، كان مسئولاً عن أحد جوانب الهرم، حيث كان يراقب الأحجار المجلوبة لبناء الجانب الذي يشرف عليه بالإضافة إلى تأكده من نقلها على نحو لائق ووضعها بسلامة وكفاءة. كما عرفنا رجلاً آخر حمل لقب المشرف على الجانب الغربي للهرم، وإن كنا لا نعرف اسمه. أما المدعو "سن مرو" فقد كان المسئول عن كتل الحجر الجيري الأبيض المجلوب من طره وكتل الجرانيت الوردي المجلوب من أسوان لاستخدامه في كساء الهرم. وهناك مشرف آخر يدعى "مرر" والذي تولى مسئولية أحد الفيالق، كما أشرف على أعمال فرقته، حيث كان يتأكد من حصولهم على الطعام والشراب الذي يكفيهم طيلة اليوم، كما أشرف على عملية انتقالهم من وإلى موقع العمل ومراقبة تنظيم نومهم داخل مهجع كبير. وكان المشرفون أنفسهم يعيشون مع عائلاتهم في بيوت قريبة.

■ لقب المشرف على جانب الهرم– أحد الألقاب المكتشفة بجبانة العمال بناة الأهرام– حفائر المؤلف– هضبة الجيزة.

أما المدعو "ونن إم نيوت"، فقد كان مشرفًا على القرابين المرسلة من المزارع الملكية، حيث كان يتأكد من وصول الماشية والغلال المناسبة كل أسبوع، كما كان "ني عنخ بتاح" رئيس الخبازين مشرفًا على الغلال التي تجلب من المخازن إلى المخابز ليتم عمل الآلاف من أرغفة الخبز لسد حاجة قوى العمل المهولة. وهناك موظف آخر كان مسئولاً عن ذبح الماشية وطهي اللحوم للعمال وكان عليه التأكد من أن كل عامل قد حصل على حصته الواجبة يوميًّا والتي تبلغ من 200 إلى 300 جرام، في حين أن "واحي" المشرف على المغسلين، فكان يهتم بنظافة الكتان الذي يرتديه العمال.



ومن بين مقابر الجبانة العليا، توجد مصطبة من الطوب اللبن خاصة برجل يدعى "نفر ثيث" وزوجتيه. وتتكون مقصورة المقبرة من صالة طولية ذات ثلاثة أبواب وهمية بالإضافة إلى قائمة للقرابين والاحتفالات والواقعة بالجدار الغربي، وكانت كل زوجة مع أبنائها قد تم تكريمهم على الباب الوهمي الخاص بها، وكانت الزوجة الأولى "ني عنخ حتحور"، والتي قد توفيت قبل نقش الباب، قد نعاها زوجها. وكان لهذين الزوجين 7 أطفال، ومن المحتمل أن تلك الزوجة قد توفيت إبان الولادة، وهو السبب الشائع لوفاة العديد من النساء حتى وقت قريب. أما الزوجة الأخرى "نفر حتب إس"، فقد حملت لقب ين عات والذي يمكن ترجمته "الداية" أو "المولدة". ويبدو أنها قد حققت خبرة بالغة ببيتها، حيث إن لها نحو 11 طفلاً! وتظهر الزوجة مماثلة لزوجها بالمقبرة، حيث رسمت بنفس الحجم.

أما نفر ثيث نفسه، فقد حمل لقب رئيس الخبازين، وكانت نقوش بابيه الوهميين قد ظهرت كالتالي:

- مناظر صغيرة بأسفل الباب الشمالي والباب الجنوبي تمثل عملية صناعة الخبز والجعة.
- على اليسار تظهر امرأة وهي تعصر الجعة داخل مصفاة في الوقت الذي يقوم رجل بصب الجعة في جرار. ولا توجد أسماء كل من الرجل والمرأة.

■ تمثال لأحد العمال يدعى ونن إم نيوت وكان مشرفًا على القرابين المرسلة من المزارع الملكية– حجر جيري –حفائر المؤلف– هضبة الجيزة.



- على الجانب الأيمن تظهر امرأة جاثية على ركبتيها تدعى "خنوت" والتي تقوم بطحن الحبوب على رحايا ويقابلها رجل يدعى "كاكاي عنخ" وهو يوقد النار أسفل كومة من أرغفة الخبز بينما يقي وجهه بيده من النار.

وعلى الجوانب الداخلية للباب الوهمي الخاص بنفر ثيث، يظهر هو وزوجته وكل منهما يواجهان بعضهما البعض بصحبة أبنائهما. ويظهر أسفلهما رجلان يعرفان بكهنة الكا وهما يحملان سلال طعام. وكان وجود مناظر كهنة الكا وهم يحضرون القرابين أمراً مهمًّا وذلك للتأكيد على التوافر المستمر للقرابين، وذلك مثل مناظر إعداد الطعام بمقابر الصفوة خلال تلك الفترة. ومع ذلك، فإن إضافة تلك المناظر الصغيرة الخاصة بالتخمير والخبز للأبواب الوهمية وأوضاعها أسفل مناظر أصحاب المقبرة يعد أمراً غير مألوف. وهناك عنصر تفصيلي هام والخاص بتأريخ المقبرة وهو اسم الخباز المدعو "كاكاي عنخ"، وهو ما يرجع إلى اسم الملك نفر إير كارع كاكاي ثالث ملوك الأسرة الخامسة. وهو ما يدل على أن نفر ثيث وزوجته قد عاشا خلال عصره أو بعده بقليل.

وفي مقابل تمثيل نفر ثيث وزوجته، هناك موظف آخر دفن بالجبانة العليا ويدعى "بتتي" وزوجته "نسي حر" و قد

■ عملية إعداد الخبز بمقبرة نفر ثيث- الجبانة العليا- مقابر العمال بناة الأهرام- حفائر المؤلف- هضبة الجيزة.





صُوِّرا بشكل منفصل. وكانت تلك الزوجة كاهنة الربة حتحور سيدة الجميز، والتي وصفت بأنها "محبوبة المعبودة نيت". ويظهر أحد المناظر "نسي حر" مع إحدى بناتها والتي تمسك مرآة وحافظة، وتظهر نقوش "ني سوكر" واضحة وملفتة، حيث تظهر واقفة على عتب باب المقصورة في الوضع التقليدي وهي تضع إحدى ذراعيها على صدرها والذراع الأخرى خلف ظهرها. وقد صور الفنان رأسها مائلة للأمام بعض الشيء، وهي ما تعد لمسة واقعية لكونها ترتدي قلادة عريضة مشدودة حول رقبتها. وهذا ما يعطي وجهها تعبيرًا جريئًا وقويًا يعززه ذلك الإطار الأسود حول عينيها.

وهناك دليل آخر على استقلالها وهو ما يظهر بنص اللعنة الفريد والذي يظهر في وضعين مختلفين، أحدهما بجوار صورتها والآخر بجوار صورة زوجها:

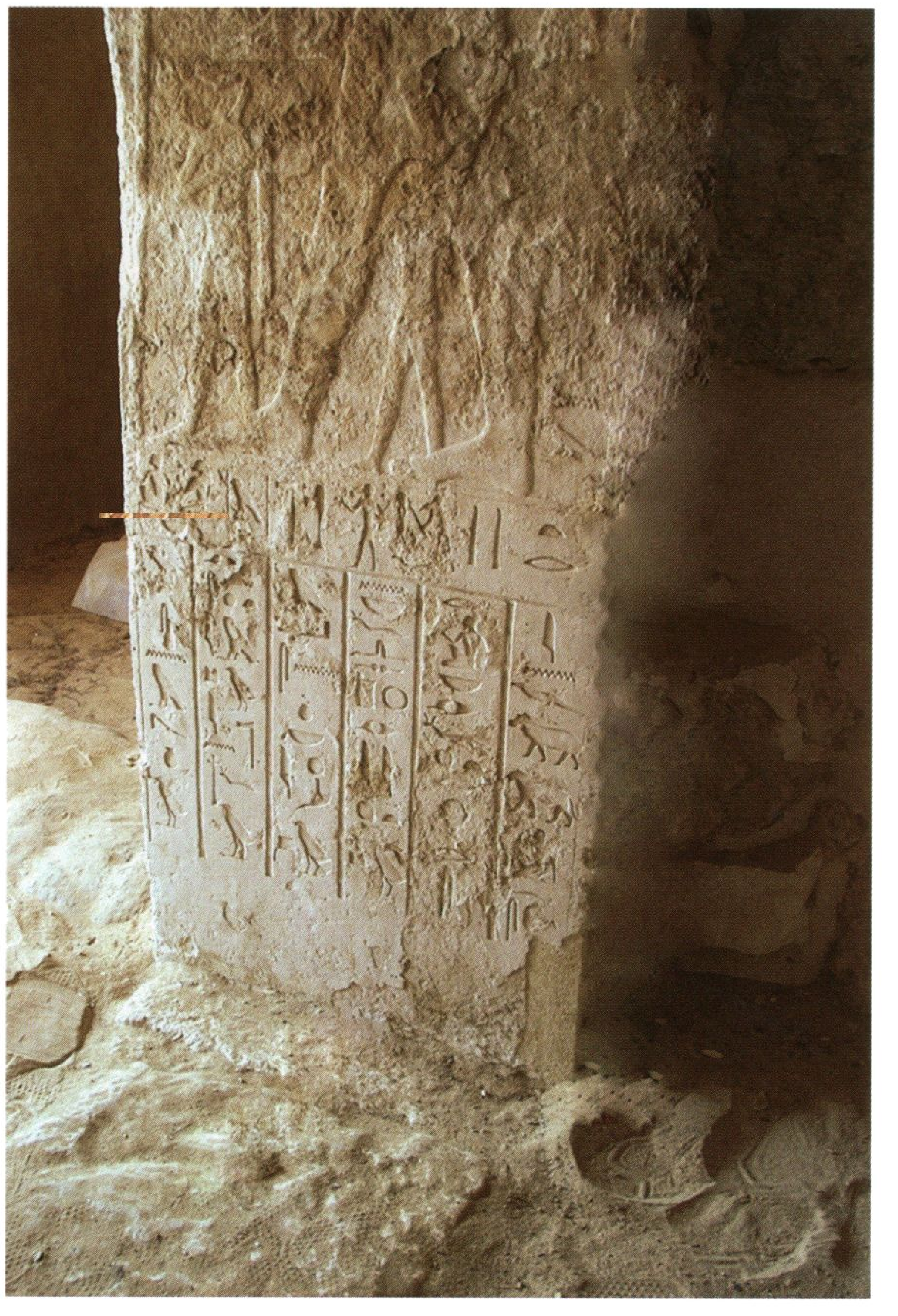
أيا كل من يدخل تلك المقبرة

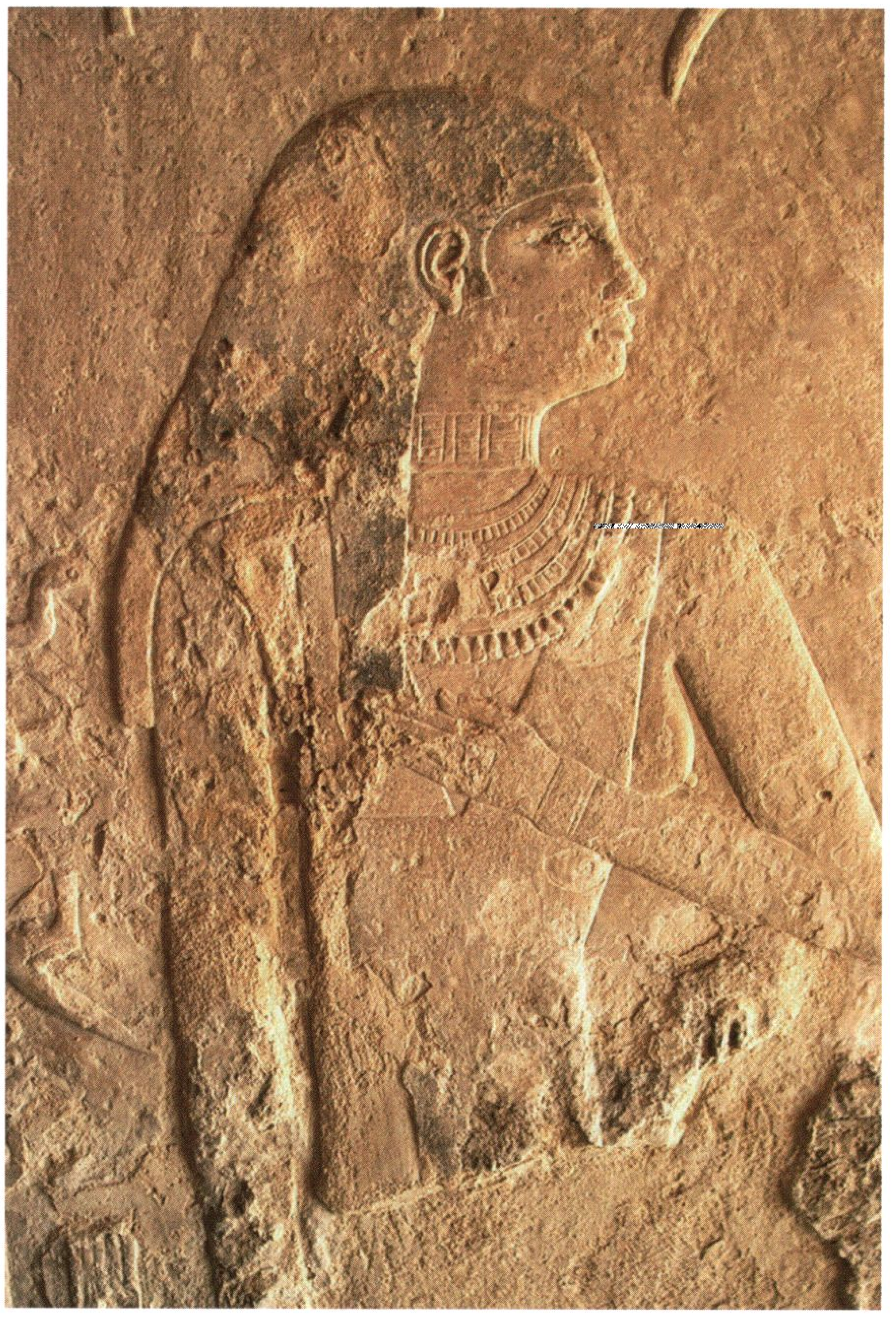
الذي يريد الشر بتلك المقبرة

سوف يأكله التمساح في المياه

■ نفر حتب إس زوجة نفر ثيث التي تحمل لقب ين عات– الجبانة العليا– مقابر العمال– حفائر المؤلف– هضبة الجيزة.

■ بنت من بنات نفر ثيث–الجبانة العليا– مقابر العمال– حفائر المؤلف– هضبة الجيزة.





والثعبان على اليابسة

وسوف يأكله فرس النهر بالمياه

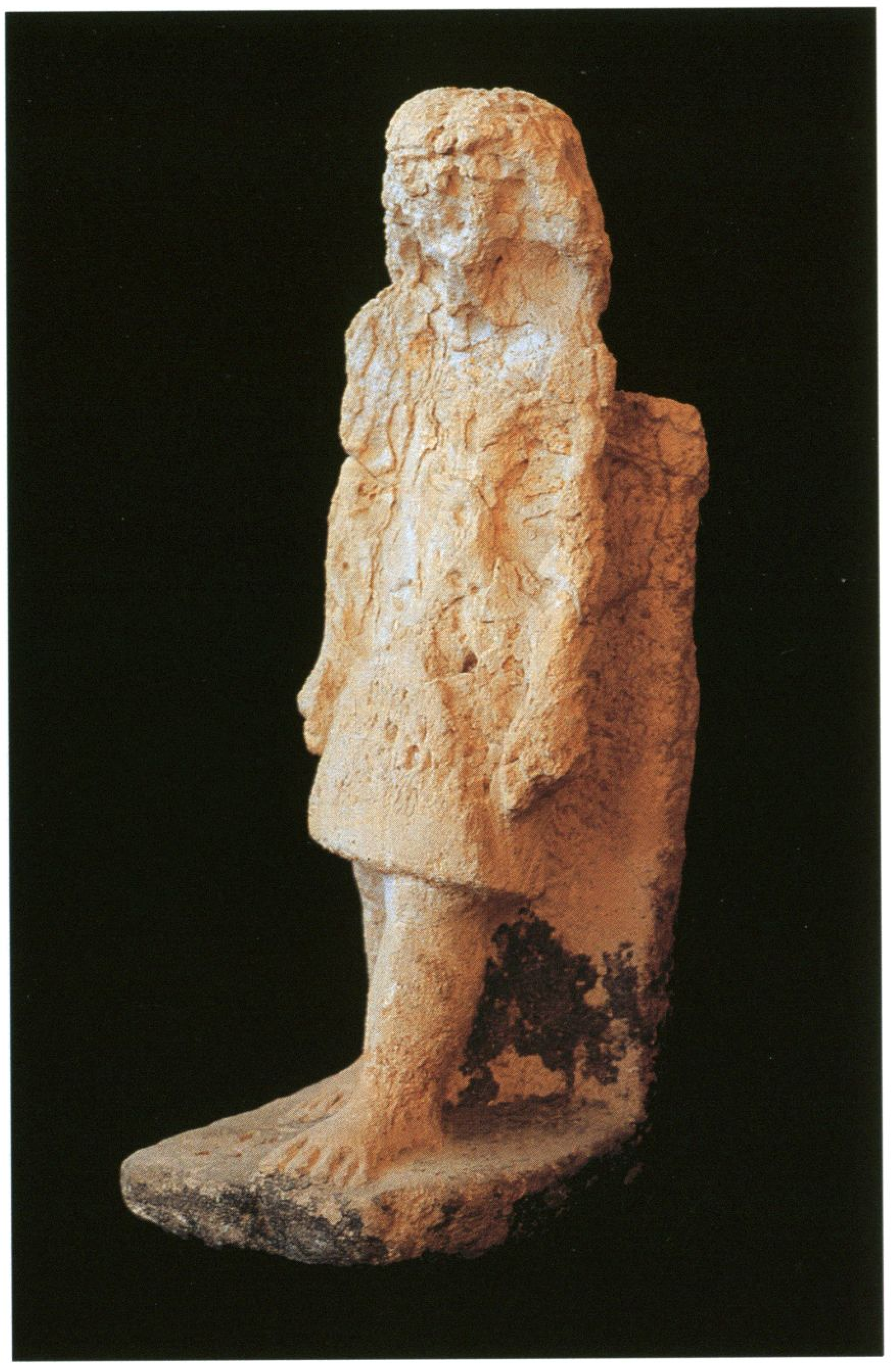
والعقرب على اليابسة

وقد احتوى نص اللعنة الخاص ببتتي على نفس صيغة زوجته، إلا إنه يدعو كلاً من التمساح والأسد وفرس النهر.

وكانت أغلب مقابر النساء هي مقابر مشتركة مع أزواجهن. ومع ذلك، فإن هناك امرأتين قد عثر على مقبرتيهما المستقلة. وقد ذكر اسم إحداهما "ربيت حتحور" على حوض قرابين أمام الباب الوهمي الخاص بها، كما حصلت على لقب عرفها بأنها كاهنة حتحور. أما الكاهنة الأخرى فكانت كاهنة الربة نيت وتدعى "نوبي". والتي كانت مقبرتها أكبر من مقبرة "ربيت حتحور" إلى حد كبير.

وقد ظهرت إحدى العائلات ممثلة في مجموعة من التماثيل تتكون من ثلاثة تماثيل تم اكتشافها داخل صندوق

■ نص اللعنة الخاص بحماية المقبرة– مقبرة بتتي– الجبانة العليا– مقابر العمال– حفائر المؤلف– هضبة الجيزة.
■ نسي حر زوجة بتتي واقفة وأمامها ألقابها– الجبانة العليا– مقابر العمال– حفائر المؤلف– هضبة الجيزة.




مكون من ثلاثة ألواح من الحجر الجيري عثر، عليه بالصدفة ومعه نموذج مصغر لمصطبة بمقبرة رجل يدعى "كاي حب" وزوجته "حب ني كاوس". وقد مثل الرجل واقفاً مرتدياً نقبة، في حين ظهرت زوجته جالسة على كرسي مرتدية رداء أبيض طويلاً وهو الزي التقليدي للدولة القديمة. أما التمثال الثالث الصغير فهو يمثل امرأة جاثية تطحن الدقيق. وهذا النوع من التماثيل يعرف بتماثيل الخدم والتي عرفنا منها أمثلة عديدة من مقابر الأسرة الخامسة بالجيزة وسقارة، وقد صنعت تلك التماثيل ببراعة وحفظت بطريقة جيدة، وتظهر المرأة مرتدية رداء قصيرًا أبيض اللون ولها شعر أسود، وقد نجح الناحت في إبراز قوة كتفيها والحركة التي تقوم بها خلال طحن الدقيق وذلك من خلال ذراعها الأيمن الذي يظهر أطول قليلاً من ذراعها الأيسر. وتظهر الرحايا مائلة للأمام قليلاً، وقد لونت بلون أحمر في تقليد للكوارتزيت، في حين توجد قطعة بيضاء اللون في المنتصف والتي تمثل الدقيق. ويظهر بين ركبتيها حافظة صغيرة والتي يحتمل أن تحتوي على الحبوب.

وفي مقابل تمثالي "كاي حب" و"حب ني كاوس"، لا يحمل هذا التمثال أية نقوش، وهو ما يترك باب الشك مفتوحاً حول دور هذا النوع من التماثيل وأسلوب حياة هؤلاء الذين دفنوا بتلك المقابر. ولا نعرف إذا كان هؤلاء

■ تمثالا حب ني كاوس وزوجها- حجر جيري- المخزن المتحفي- الجيزة- حفائر المؤلف.



العمال كان لهم خدم، أم بصفتهم موظفين حكوميين قد زودتهم الدولة بهؤلاء الخدم لأداء تلك الأعمال الخدمية، وهل هذا التمثال الخاص بالمرأة التي تطحن الدقيق يمثل خادمة "حب ني كاوس" أم أن هذا العمل المنزلي كانت تقوم به "حب ني كاوس" نفسها؟! وفي الحالة الثانية فإن هذا التمثال يمثل "حب ني كاوس" نفسها، أو أنه من المحتمل يمثل رغبة صاحبته في وجود خدم ومكانة أفضل بالعالم الآخر. وأيًا ما كان التفسير الأمثل لها، فإن تلك المجموعة تفتح نافذة على حياة إحدى عائلات الطبقة السفلى بالجيزة.

ويمكن استخلاص أسلوب الحياة الكادحة بدنيًا لهؤلاء الرجال والنساء الذين دفنوا بتلك الجبانة من خلال عظامهم، وفي مقارنة مع بقايا أفراد الطبقة الراقية بالهضبة ككل، والذين امتدت أعمارهم ما بين 50–60 عامًا، فإن أعمار العمال بناة الأهرام كانت أقصر بشكل ملحوظ والتي تنوعت ما بين 35–40 عامًا. أما بالنسبة للشباب تحت الـ30 عمرًا، فكانت معدلات الوفاة عند النساء أعلى من مثيلتها عند الرجال، وهو بدون شك بسبب أخطار الولادة. أما أصحاب الأعمار الأعلى، فإن معدلات وفيات النساء تعد الأعلى ما بين أعمار 35–39 عامًا. وبشكل عام، فإن العمال من الرجال والنساء مقارنة بمعاصريهم الأكثر ثراءً لهم قامات قصيرة.

■ تمثال لسيدة المنزل تجرش الحب– حجر جيري– المخزن المتحفي– حفائر المؤلف– هضبة الجيزة.

وكانت أمراض تحلل المفاصل من الأمراض الشائعة بين الفنانين والعمال والأكثر حدة عما أصاب الهياكل العظمية للصفوة. وتلك الأمراض والتي كانت تنتج من الضغط البدني قد تواجدت تحديدًا بالعمود الفقري وبالأخص بالمنطقة القطنية والركبتين. وهذا يعكس أسلوب حياة الفنانين والعمال الكادحة، والذي كان هو السبب الأساسي لالتهابات المفاصل المنتشرة بينهم. وكانت كسور الجمجمة والأطراف متكررة وهو ما يشير إلى طبيعة عملهم الخطرة. كما عثر على كسور بعظام جمجمتين أنثويتين، كلاهما بالجانب الأيسر، وهو ما يشير إلى أن الإصابات كانت نتيجة لضربات مباشرة جاءت من شخص يستخدم يده اليمنى. وقد عثر على كسور خطيرة بهياكل الفنانين والعمال، حيث تكشف تلك الهياكل عن وجود درجات التئام وبالتالي فقد بقيت تلك الحالات على قيد الحياة بعد الإصابة بالكسر. وهناك حالة لأحد العمال وقد أجريت له عملية بتر ناجحة لإحدى ساقيه، حيث عاش لعدة سنوات بعد الحادث. وهناك عامل آخر أجريت له جراحة بالمخ.

وقد كشف عن مقبرتين شائقتين، إحداهما لامرأة قزمة والتي وصل طولها لأكثر من متر (نحو 3 أقدام)، والتي يبدو أنها قد ماتت أثناء الولادة. وقد عثر على هيكل المولود بداخل جسد الأم. أما المقبرة الأخرى فهي لامرأة شابة يصل عمرها تقريباً إلى 15 عامًا والتي دفنت وهي تحمل آنية كحل على شكل صدفة. وكان الكحل يستخدم في تحديد العينين كما كان له أغراض طبية لحمايتها من العدوى، وكان مرتبطًا أيضًا بطهارة الطقوس والمواد المقدسة، والتي تنعكس في صورة العيون المكحلة بشدة بكل من التماثيل والنقوش.

وبالإضافة إلى تجمعات كل من العمال والمشرفين المتمركزة بالجيزة، قام مشروع الأهرام - كما شرحت - بإرسال بعثات إلى المحاجر والمناجم مثل أسوان (الجرانيت) والنوبة (الأحجار الصلبة كالديوريت) وطره والواحات البحرية (الحجر الجيري الجيد) وحتنوب (الألباستر) وسيناء (الأحجار الكريمة والمعادن النفيسة). وكان عمال المحاجر الذين تم إرسالهم إلى المواقع الأجنبية ربما ينحدرون من نفس الطبقات الاجتماعية التي جاء منها عمال الجيزة؛ لذا فإن المعلومات التي نحصل عليها من الجيزة تطابق ما نحصل عليه من معلومات عن هؤلاء العمال.

وكانت المحاجر المحلية مثل محاجر طره ربما كان يعمل بها مجموعة من الفلاحين المحليين والمجندين القرويين. ومع ذلك، فإن بعثات المواقع الأبعد مسافة كمناجم سيناء ومحاجر الديوريت بتوشكا كانت تتطلب وجود عمال مدربين على مستوى عال. أما المنتجات التي كان يتم إحضارها من أماكن غير مألوفة - كالبخور من بلاد بونت

وهي منطقة تقع بين إثيوبيا والسودان على ساحل البحر الأحمر، والفضة من بلاد الشام واللازورد من أفغانستان– فكانت تصل عن طريق القوافل التجارية. وكانت كل من قوافل التجارة وبعثات المحاجر والتي كانت تسافر خارج الحدود المصرية، تتعرض للخطورة مما يجعلها تتطلب وجود جنود لتأمين تلك البعثات.

وتأتي معلوماتنا عن أعمال المحاجر والمناجم بالدولة القديمة من خلال مناظر عثر عليها بالمجموعات الهرمية بالإضافة إلى مناظر ونقوش عثر عليها بالقرب من المحاجر والمناجم نفسها أو بالطرق المؤدية إليها والسير الذاتية للأشخاص الذين شاركوا بتلك البعثات. ونعرف من المصادر الأدبية عدد العمال والجنود الذين اشتركوا بها، وفي بعض الأحيان قد نعرف تاريخ بعض البعثات المحددة.

وكل بعثة يقودها مشرف على الأعمال الملكية وحامل أختام ملكي وكاهن، كما كانت تتضمن كتبة وعمالاً وجنودًا. وعرفنا من خلال نقوش بمحاجر الألباستر بحتنوب أن عدد العمال المطلوب لقطع الأحجار يتراوح ما بين 300 إلى 1600 عامل. ربما قد عاش هؤلاء العمال وحراسهم بأكواخ مؤقتة. أما بالنسبة للأدوات المطلوبة في المحاجر فتتضمن أدوات قطع الأحجار وعتلات خشبية كبيرة لفصل الأحجار ومحفات لنقل الأحجار المقطوعة ومراكب لنقلها إلى الجيزة. وقد قام فريق عمل عادي بطره بنقل 340 كتلة تقريبًا خلال ساعات العمل.

وأود الانتهاء من هذا الجزء بنظرة عامة لحياة عمال الجيزة، مستندًا على أدلة من خلال ما جمعه وحلله العلماء عبر السنين، بالإضافة إلى المعلومات الجديدة التي نعثر عليها بالجيزة.

نظرة عامة

كان عمال الأهرام يستيقظون قبل شروق الشمس (ربما على يد قارع طبل)، ويظلون في العمل حتى الغروب، نحو عشر ساعات في اليوم. فكانوا يأكلون– كما رأينا– كميات هائلة من اللحوم بالإضافة إلى الخبز والثوم والبصل، فبدون البروتين الحيوانى لم يكن لديهم القدرة الكافية على نقل تلك الكتل الضخمة يومًا بعد يوم وطيلة اليوم. وكان هناك فريق مساعد، بينهم نساء، يقوم بإحضار كل من وجبتى الإفطار والغذاء. كما كان من الهام إحضار المياه والتي كانت تجلب بواسطة الحمير في جرار فخارية كبيرة.



وقد نُظم العمال – كما ناقشنا من قبل– بطريقة جيدة في شكل مجموعة من الفرق بداخلها مجموعة من الفيالق. وكانت إحدى المجموعات تذهب لمحجر الهرم كي تفكك حجر الأساس من الصخرة الأم، كما تقوم بدقها مع الجرانيت والديوريت وأحجار صلبة أخرى. وكانت تقنية قطع الأحجار ذات مستوى عالٍ من التطور، كما كان العمال على درجة من السرعة، حيث كانوا يقومون بقطع من 300 إلى 350 قطعة من الحجر ذات أحجام مختلفة في اليوم الواحد، في حين تقوم مجموعة أخري بتحريك الأحجار من المحجر إلى المنحدر وتقوم مجموعة ثالثة بدفعها عبر المنحدر إلى الهرم نفسه. وهناك مجموعات متخصصة خصصت لكل جانب من جوانب الهرم. وأثناء العمل، كان العمال يغنون وينشدون، وهو ما يفعله العمال حاليًا بمصر.

ومع غروب الشمس، تقرع الطبلة إعلاناً بانتهاء العمل، حينها يتوقف العمال عن عملهم ويعودون سعداء إلى تجمعاتهم مرة أخرى، حيث يقومون بالاستحمام وتناول وجبة العشاء المكونة من لحم أوسمك مشوي وخبز وجعة داخل حجرة طعام مشتركة، وكل هذا يخضع لنظام عالي الدقة، كما كان العمال على درجة كبيرة من الانضباط الصارم، وإلا سوف تسود الفوضى.

■ حائط الغراب الذي يفصل بين الأهرام ومقابر العمال– دولة قديمة– هضبة الجيزة.

وبعد يوم شاق من العمل في قطع وسحب الأحجار، يذهب العمال للنوم مبكراً، كما يحدث اليوم. وهناك البعض ممن يحتفظون بنشاطهم يذهبون إلى الأحراش الخضراء أو إلى الصحراء، والبعض الآخر يذهب لملاقاة صديقته أو يتجمعون لسماع موسيقى الناي أو الهارب أو الطبول. ومن المحتمل أنه في بعض الليالي، كان يتم إرسال بعض الموسيقيين والراقصين المحترفين لتسلية العمال بناة الأهرام.


وكان العمال يأخذون يومًا راحة كل عشرة أيام، وبالإضافة إلى ذلك، فإننا نعرف بعض الأعياد التي كانت بمثابة إجازات للعمال. وكان العمال الذين يسكنون بالقرب من الهرم يعودون لمنازلهم لرؤية زوجاتهم وأطفالهم أو صديقاتهم كما يعملون على تنظيف ملابسهم. أما هؤلاء القاطنون بالأقاليم البعيدة، فكانوا يقيمون احتفالاً في ليلة الإجازة تتضمن موسيقى ورقصًا وربما ترفيهًا يقوم به الأقزام. أما في يوم الإجازة، فكان البعض يذهب بصحبة أصدقاء أو صديقات في نزهة نيلية.

وبالإضافة إلى يوم الإجازة، كان العمال يقومون بالاحتفال في أيام الأعياد المصرية المتعددة، مثل عيد جحوتي، وعيد منتصف القمر، وعيد القمر كاملاً، وعيد رع، وعيد العام الجديد، وعيد الحصاد، وغيرها الكثير من الأعياد. ويبدو أنه كان هناك احتفال ببناء الهرم نفسه، مثل الاحتفال بأول يوم في تدشين الهرم والاحتفال بالانتهاء من بنائه. ونعتقد أنه كان لدى المصريين 100 عيد بالعام تقريبًا. ومع ذلك، فإنه من المستبعد أن يقوم عمال الجيزة بالاحتفال في أي مكان بجميع تلك الأعياد.

أما الفنانون، بصفتهم أصحاب طبقة عليا، فربما اتبعوا نظامًا مشابهًا وإن كان أقل قسوة. فقد عاشوا مع عائلاتهم بمنازل أكبر حجمًا وأكثر راحة بنيت حول أفنية، ويبدو أنهم قد أمضوا الوقت بورشهم وهم ينتجون ذلك الفن الرائع الذي زين المجموعات الهرمية، وكان البعض منهم رسامين يقومون بعمل اسكتشات للمناظر التي سيتم نقشها على جدران المعابد. وكان هناك معلم للرسامين وهو المسئول عن تنظيم العمل وعمل التصحيحات، ويليه مجموعة من الحرفيين الأقل درجة والذين يقومون بتنفيذ الاسكتشات، والتي ربما تأتي من كتب زخارف من هذا النوع، ثم يأتي النحاتون الذين يقومون بنحت الصور على الحجر، وفي النهاية يأتي دور الفنانين الذين يقومون بإضافة الألوان. وقد قام نحاتون وفنانون آخرون بنحت وتلوين التماثيل الملكية الموجودة بالمجموعات الهرمية لكل من خفرع ومنكاورع بالإضافة إلى التماثيل الخاصة التي عثر عليها بمقابر النبلاء بعصري هذين الملكين.


وهناك مجموعة أخرى من الحرفيين الذين كانوا يقومون بإعداد الأثاث والأشياء الأخرى، التي سيستخدمها الملك وعائلته في العالم الآخر. وهناك مجموعة أخرى كانت مسئولة عن إعداد وتنفيذ عملية تحنيط مومياء الملك، وربما كانوا مسئولين عن تجهيز أجساد نبلاء ونبيلات المجتمع.

ونعود الآن إلى العائلة الملكية ومع نهاية الأسرة الرابعة. فكانت حياة عامة الشعب–حيث بناة الأهرام وعائلاتهم، هؤلاء الفلاحون الذين حرثوا الأراضي وعملوا في المحاجر– قد تأثرت كالمعتاد بأقدار العائلة الملكية. ولكن التغييرات العظمي كانت على درجة عالية من القوة والتي أدت إلى سقوط أسرة سنفرو، وخوفو، وأتت بأسرة جديدة على عرش الأرضين، حيث الرجال المخلصون في المقام الأول لعقيدة رب الشمس رع بهليوبوليس.



الباب الخامس

نهاية عصر



الفصل الأول

شبسسكاف.. الابن الصالح

تشير قائمة سقارة إلى وجود أربعة ملوك توالوا على العرش بعد الملك منكاورع، في حين ذكرت بردية تورين قرابة ثلاثة ملوك. أما قائمة أبيدوس وهي الأكثر اعتماداً من علماء المصريات فقد ذكرت أن الملك منكاورع قد خلفه ملك يدعى شبسسكاف، وأنه حكم لمدة قصيرة والذي يحتمل أن يكون ابنه.

وتدل إحدى الإشارات القليلة التي وصلتنا عن وراثة الحكم في مصر القديمة أن الأمير ولي العهد هو المسئول عن دفن والده، وإقامة طقوس الجنازة له. وعن طريق إقامة بعض طقوس الدفن، فإن الملك الجديد يؤدي دور الإله حورس والذي كان – على حسب المعتقدات المصرية– هو المسئول عن دفن والده أوزير. وقد رأينا ذلك من قبل بأواخر عهد الملك خوفو، عندما قام ابنه وخليفته جدف رع بعمل الطقوس الجنائزية له. وكدليل على ولائه، ترك جدف رع اسمه منقوشا على الكتل التي تغطي الحفرات والتي تحتوي على ألواح المراكب الخشبية جنوبي الهرم الأكبر.

ومات منكاورع بعد أن حكم لمدة 18 عامًا، تاركاً مجموعته الهرمية دون أن تكتمل. وقد قام ابنه وخليفته شبسسكاف بإكمال الهرم والمجموعة الجنائزية لأبيه. ومع ذلك، فإنه إما لم يمتلك أو يستخدم المصادر الضرورية لإكمال المجموعة بالأسلوب الذي كان مخططًا لها. فلم يكمل صقل الكساء الجرانيتي الذي كان يغطي الطبقات الـ16 السفلى من الهرم، وبدلاً من إكمال معابد أبيه من الحجر، قام باستخدام الطوب اللبن. والدليل الواضح على قيام شبسسكاف بهذا العمل يظهر من خلال بقايا نص عثر عليه بالمعبد الجنائزي، والذي يظهر بجزء منه اسم شبسسكاف. وهناك كسرة أخرى يمكن قراءتها: "..لقد أقامه كأثر لأبيه.. ملك مصر العليا والسفلى منكاورع...". وبداخل هذا المعبد توجد نيشة منقورة بالجدار الشمالي للمدخل؛ كما توجد نيشة أخرى مقابلة بالجدار الجنوبي. ويعتقد رايزنر أن تلك الكسرات هي جزء من زوج من اللوحات التي وضعها شبسسكاف كإهداء لمعبد أبيه. وقد قام شبسسكاف أيضاً بعمل فناء مفتوح بمستوى المعبد مستخدمًا الطمي والركام كما قام بتبليطه بألواح من الحجر

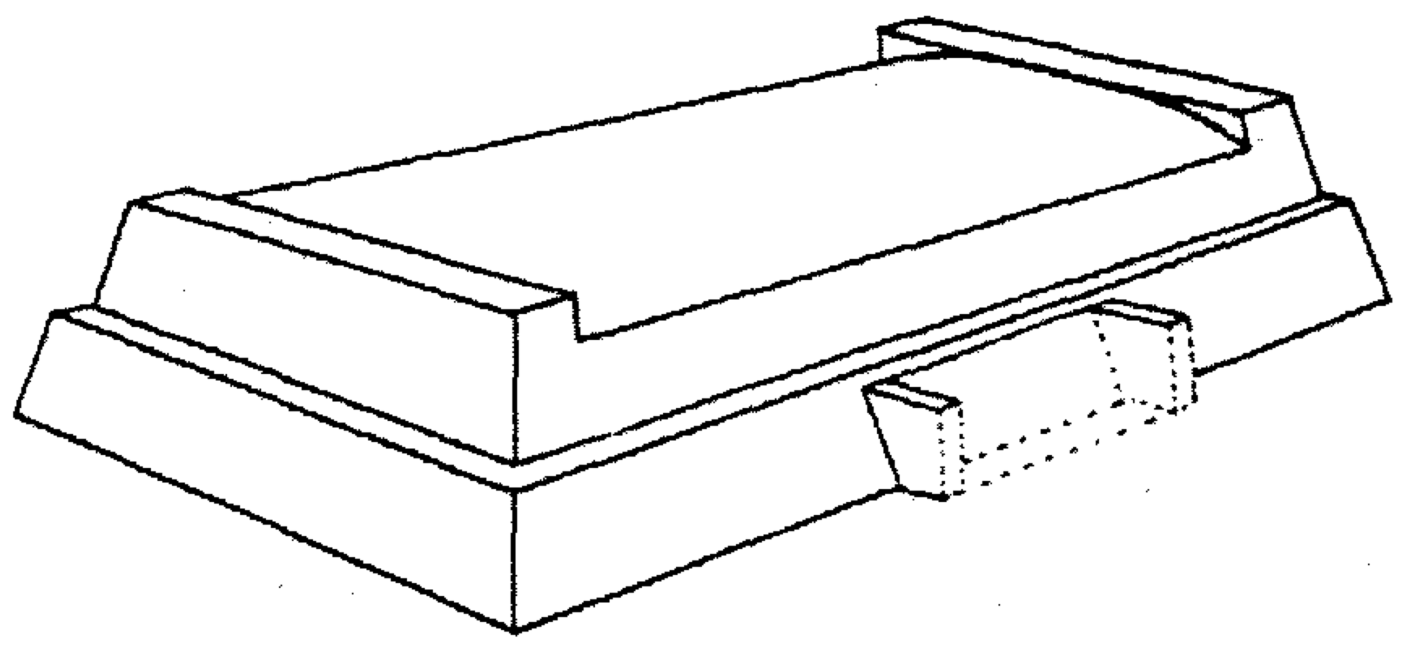


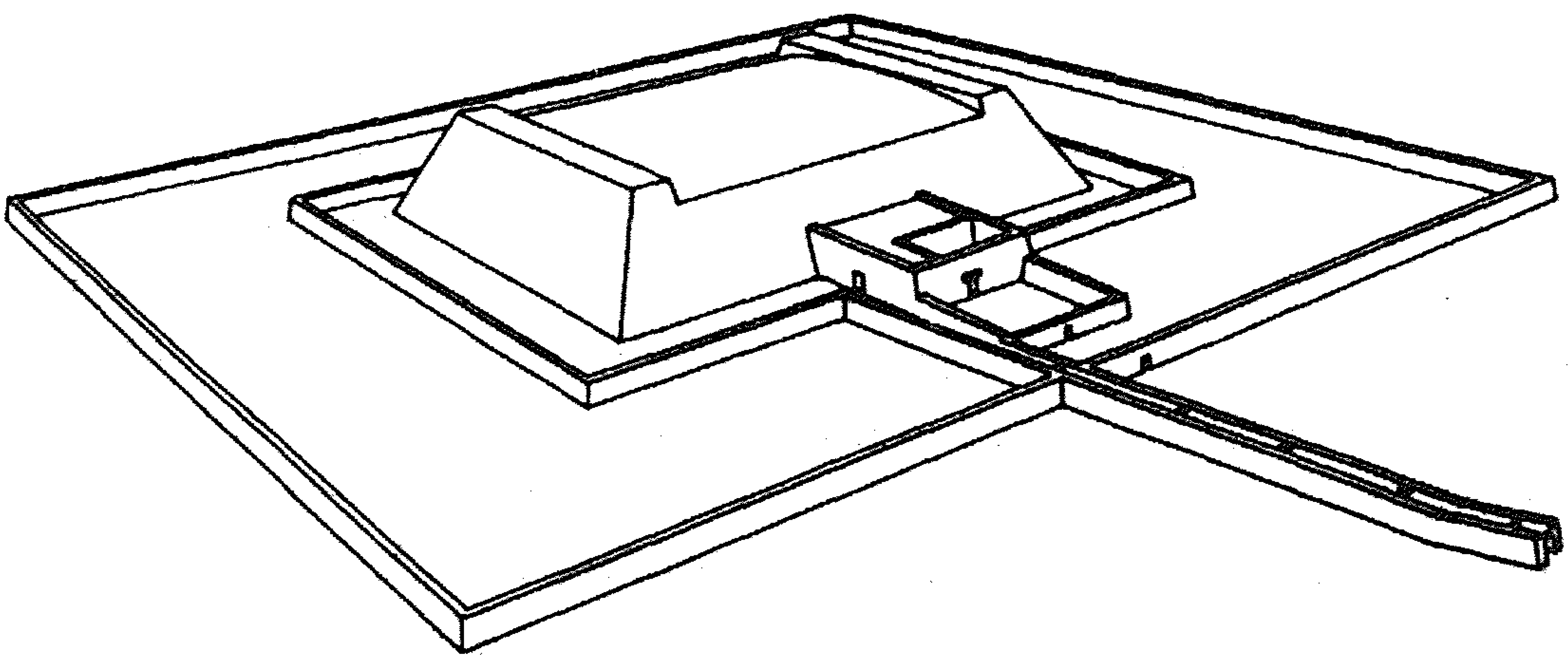
الجيري. وبداخل الركام الذي يملأ رواق المعبد، عثر فريق العمل التابع لرايزنر على بقايا لوحتين تؤرخان بعهد الملك شبسسكاف، بالإضافة إلى مرسومين من الحجر الجيري؛ أحدهما يحمل اللقب الحورى للملك مرنرع من الأسرة السادسة.

ولم يحكم شبسسكاف سوى 4 سنوات فقط، قام خلالها باختيار منطقة سقارة الجنوبية لإقامة أثره، وهي المنطقة التي أقام بها الملك زوسر هرمه المدرج منذ وقت طويل. وبدلاً من إقامة هرم، بنى شبسسكاف قبره على شكل مصطبة ضخمة من الحجر تصل أبعادها إلى قرابة 100م (328 قدمًا) في الطول و72م (236 قدمًا) في العرض و18م (59 قدمًا) في الارتفاع، ولها طريق صاعد ومعبد من الطوب اللبن. وقد صممت تلك المصطبة على شكل تابوت كبير له جوانب مستطيلة مائلة وسقف مقبي.

ومثل أهرام أسلافه، تمثل مصطبة شبسسكاف التل الأزلي الذي ظهر عليه الرب الخالق ليخلق الكون، ومع ذلك، فإن مقبرته لا تحمل الإشارة الشمسية الواضحة التي يحملها الهرم الحقيقي، كما قام العديد من الباحثين

■ المعبد الجنائزي للملك منكاورع حيث تظهر الإضافات اللبنية التي أقامها شبسسكاف– هضبة الجيزة.





بمناقشة علاقتها بعقيدة رب الشمس. ويعد عدم وجود اسم رع ضمن اسم الملك هو دليل أيضاً على ابتعاده عن تلك العقيدة. ومن ناحية أخرى فإن بعض العلماء يرون أن هناك مثالاً واحدًا على الأقل لاسمه قد عثر عليه بالطريق الصاعد الخاص به ويمكن أن يقرأ شبسسكارع والذي حمل لقب ابن رع. ومن الواضح أنه ببساطة لم يملك الثروة التي تؤهله لبناء هرم. ويبدو أنه قد استمر في السياسية التي اتبعها أبوه كما استمر في اتباع تقاليد أسلافه بالأسرة الرابعة في العديد من المجالات. وبالإضافة إلى قيامه بإكمال مجموعة والده، فقد شرف عقيدة منكاورع بإعفاء كهنة المعابد من دفع الضرائب.

ومن ناحية أخرى، قام شبسسكاف بالخروج على التقاليد القديمة، حيث زوج ابنته الأميرة خع ماعت من رجل يدعى شبسسبتاح والذي لم يكن يجري في عروقه الدم الملكي ولكن كان يعيش في قصر الملك منكاورع، وهي المرة الأولى في التاريخ الفرعوني أن تقوم أميرة ملكية بالزواج من رجل من عامة الشعب.

وقد قام أثري أجنبي مؤخراً يدعى بيتر يانوشي Peter Janosi – والذي قام بدراسة الأهرام الثانوية أو الجانبية

■ مخطط لمقبرة الملك شبسسكاف التي تعرف بمصطبة فرعون.

بالجيزة – بطرح تساؤل إن كان شبسسكاف خلال فترة حكمه القصيرة قد قام بإكمال العديد من عناصر مجموعة منكاورع الهرمية في الوقت الذي بنى مصطبته الحجرية بالإضافة إلى معبده الجنائزي طريقه الصاعد من الطوب اللبن. ومن المثبت أن الإشارات الأثرية والكتابية للأهرام لم تتضمن أمثلة واضحة لأية أعمال ضخمة قام بها ملوك لإكمال مجموعات ملوك آخرين.

وإذا لم يكن شبسسكاف هو الذي أخذ على عاتقه مسئولية إكمال آثار منكاورع وبناء مجموعة هرمية عملية؟! هل يمكن للعمال بالتحول لاستخدام الطوب اللبن إبان عهد منكاورع. أو أن بعضًا من الأعمال قد تمت خلال عهد الملكة "خنتكاوس" تلك الملكة الغامضة التي أعلنت عن نفسها بأثرها الضخم بالجيزة بأنها أم لملك أو لملكي مصر العليا والسفلى؟ وتدل ألقابها على أنها قد حكمت مصر بصفتها ملكاً مع نهاية أسرة الجيزة؛ لذا فإننا سوف نصب اهتمامنا التالي على تلك الملكة المحيرة...

الفصل الثاني

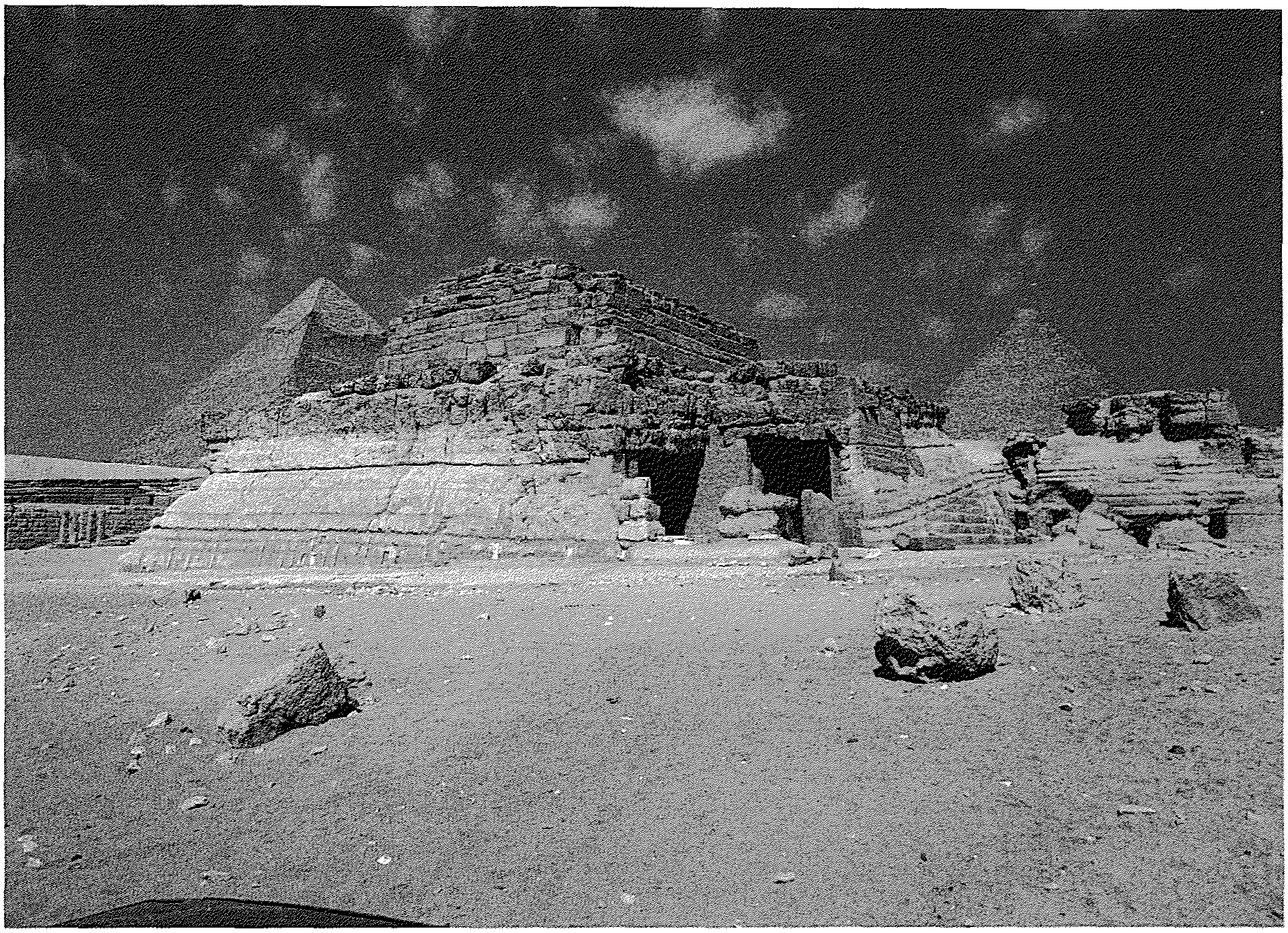
ظهور أبناء رع عصر خنتكاوس وإطلالة الأسرة الخامسة

إلى الجنوب من هضبة الجيزة مازال يوجد أثر ضخم، على شكل تابوت مربع كبير فوق منصة عالية، مثل مقبرة شبسسكاف بين الطريقين الصاعدين لخفرع ومنكاورع، وتصل قاعدة المقبرة – والتي نقرت في الصخر وكسيت بالحجر الجيري الأبيض الجيد– إلى قرابة 45م (148 قدمًا) في الطول، في حين أن ارتفاعها الأصلي كان يصل إلى نحو 45م (148 قدمًا)، وكان كل من حجم ومربع قاعدة تلك المقبرة قد دفعا مكتشفها الأساسي سليم حسن بتسميتها "الهرم الرابع بالجيزة". وأسفل تلك المقبرة توجد حجرة الدفن المكسوة بالجرانيت وتتضمن بابًا وهميًا بالإضافة إلى سبع حجرات صغيرة كانت معدة لاحتواء الأثاث الجنائزي الذي سوف يستخدم بالعالم الآخر.

ويوجد معبد جنائزي صغير أمام الواجهة الشرقية لتلك المقبرة بالإضافة إلى طريق صاعد يؤدي إلى معبد الوادي. وقد كسي المعبد الجنائزي بالجرانيت ومزين بالمناظر الدينية. وبالجانب الغربي للمقبرة، عثر سليم حسن على حفرة مركب منقورة بالصخر تقابلها بالاتجاه الشمالي الشرقي بركة مستطيلة تبدأ بـ11 درجة.

وتنسب تلك المقبرة للملكة خنتكاوس، والتي كانت ابنة الإله وحملت لقبًا يمكن أن يقرأ إما "أم ملك مصر العليا والسفلى" أو "أم ملكي مصر العليا والسفلى"؛ لذا فإنها تعتبر ملكة حاكمة وآخر حكام الأسرة الرابعة. ومن المؤكد أنها كانت أميرة؛ رغم أن نسبها غير معروف، حيث إنه من المحتمل أن تكون ابنة منكاورع وأخت وزوجة شبسسكاف وهو ما أعطاها مبررات متعددة لاعتلاء العرش في غياب وريث ذكر قوي.

ولكونها امرأة، لم يكن لخنتكاوس من الناحية العملية الحق في الجلوس على عرش مصر، وهو الأمر الذي



يفسر عدم ظهور أسمائها ضمن قوائم الملوك المتأخرة. ومع ذلك، فإن أثرها الملكي الواضح ولقبها يوضحان بقوة أنها – ولو لفترة قصيرة– قد جلست على عرش الأرضين. وهناك منظر واحد للملكة بمقبرتها، يمثلها مرتدية حية الأوريوس على جبهتها وهي الهيئة التي لا يظهر بها سوى الملوك إبان تلك الفترة. وضمن معبد الوادي الخاص بها، نمت مدينة صغيرة خاصة بالهرم، والتي تشير إلى أن عقيدتها كانت حيوية لفترة هامة من الوقت، كما تقدم دليلاً على أنها قد قبلت كحاكمة لمصر.

ويعتقد بعض الدارسين أن خنتكاوس كانت أم الملك أوسركاف؛ أول ملوك الأسرة الخامسة وهو ما يعد رابطاً بين نهاية الأسرة الرابعة وبداية الخامسة، كما يعتقد أن خنتكاوس قد تزوجت من أحد كهنة هليوبوليس؛ لذا فإن أطفالها وورثة العرش كانوا أنصاف ملكيين.

وقد قام الملك أوسركاف بنقل البلاط الملكي إلى موقع أبو صير، حيث قام ببناء مجموعته الهرمية بسقارة داخل الحرم الخارجي لمجموعة زوسر أو ما يعرف بـ Dray Moat وبنى معبداً للشمس في أبو صير. وتعد أهرام ملوك

■ منظر عام لمقبرة الملكة خنتكاوس– هضبة الجيزة.



الأسرة الخامسة أصغر حجمًا من أهرام أسلافهم من الأسرة الرابعة، إلا أنها كانت رائعة من ناحية المساحات المغطاة بنقوش بديعة. بالإضافة إلى معابدهم الجنائزية، قام كل ملك ببناء معبد لإله الشمس رع. وتلك المعابد، والتي لم يكتشف منها سوى اثنين فقط، تقع على مقربة، ولها تخطيط مثل المجموعات الهرمية. والاختلاف الجوهري بينها هو أنه بدلاً من الهرم، تتضمن تلك المجموعات مسلات- وهي أعمدة رفيعة مستطيلة الشكل ذات قمم على شكل هرمي. وتقدم معابد الشمس أدلة قوية على أن علاقة البيت الحاكم بكهنة رع قد مرت بتغييرات كبيرة. فكان رب الشمس المتوفي يظهر منفصلاً عن الملك المتوفي؛ لذا فإنه لا بد وأن يكون له معبده الجنائزي الخاص.

وفي عام 1970م عثر فيرنر على هرم، الذي اعتقد أنه يخص ملكة تسمى خنتكاوس والتي تحمل نفس لقب الملكة خنتكاوس الجيزة، حيث يمكن قراءة اللقب "أم ملكي مصر العليا والسفلى". وقد عرّف "فيرنر" تلك المرأة بأنها خنتكاوس الثانية، واقترح أنها كانت زوجة نفر إير كارع كاكاي، وأم كل من نفر إف رع وني وسررع، وهو ما يرجح أنها كانت تعيش إبان منتصف الأسرة الخامسة. وهناك بعض العلماء يرون أنها هي خنتكاوس الأولى، حيث انتقلت الملكة الأم إلى أبو صير مع أبنائها. وأعتقد أنه مع وجود النزعة المصرية في الحصول على الأسماء والألقاب، هناك ملكتان هامتان تحملان اسم خنتكاوس.

وتشير النصوص في العديد من مقابر الجيزة إلى أنه لم يكن هناك أي صدام سياسي درامي قد حدث بين الأسرتين الرابعة والخامسة. فقد سجل أحد أبناء الملك خفرع بمقبرته ويدعى سخم كارع أن كلاً من الملوك خفرع ومنكاورع

■ الملكة خنتكاوس جالسة بتاج الإلهة نخبت من مقبرتها- الأسرة الرابعة- هضبة الجيزة.

وشبسسكاف وأوسركاف وساحورع قد منحوه التقدير والاحترام. وهناك موظف يدعى نفر بو نسوت قد حظي بالرعاية الملكية منذ عهد جدف رع حتى عهد ساحورع، في حين أن الكاهن بتاح شبسس كبير كهنة بتاح في عهد الملك ني وسر رع قد تربى بكنف كل من منكاورع وشبسسكاف. ولابد وأن نتذكر أن فكرة الأسرات ككل هي تقسيم متأخر، حيث كان المصريون أنفسهم ينظرون إلى ترتيب ملوكهم بتسلسل دون انقطاع. ومع ذلك، فإن هناك بعض التغييرات قد حدثت بالأسرة وأن الحكم غير الطبيعي للملكة خنتكاوس الأولى قد يعطينا بعض الأدلة على وجود صعوبات في فكرة الوراثة.

الفصل الثالث

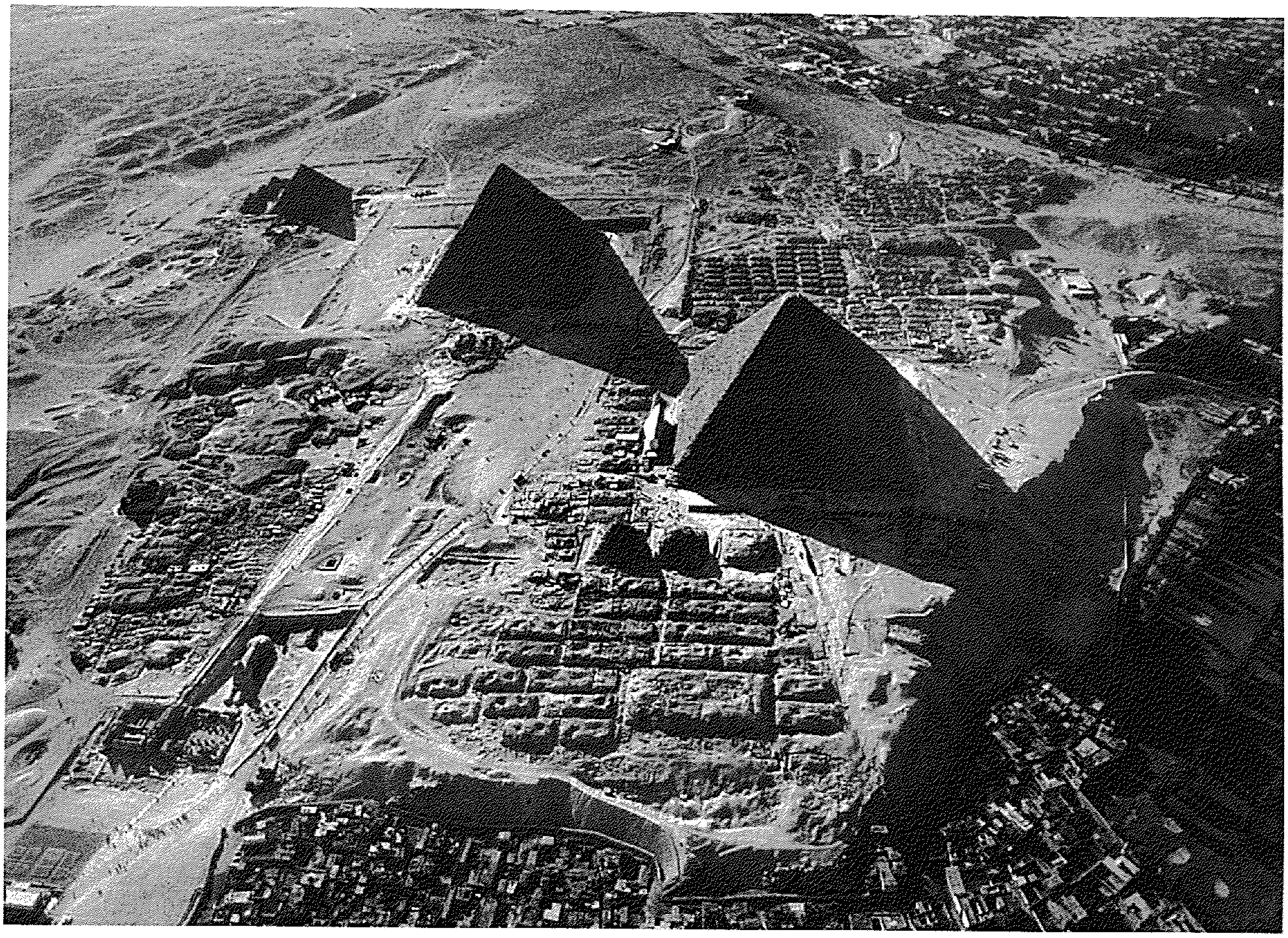
إهمال الجيزة

مع وفاة الملكة خنتكاوس انتهت أروع أيام الجيزة، حيث تولت الأسرة الخامسة مقاليد الحكم ونقلت البلاط الملكي جنوباً نحو أبو صير. ورغم بقاء عقائد الملوك بالجيزة، إلا أنها لم تعد مصدر مجد الأمة، حيث ظل كهنة الملوك خوفو وخفرع ومنكاورع معروفين مما أكد استمرار عقيدة هؤلاء الملوك حتى نهاية الدولة القديمة. وقد أعيد تقسيم الأراضي الزراعية أو الأوقاف الخاصة بهؤلاء الملوك، حيث وصلت أراضي خوفو إبان الأسرة من 6 إلى 48 وقفاً جنائزيًا فقط وأقاليم خفرع إلى 51 وقفًا جنائزيًا.

وقد استمرت عقيدة خوفو حتى عصر الانتقال الأول، حيث نعرف ارتباط 115 شخصًا بتلك العقيدة خلال تلك الفترة. وكان بعض الكهنة يقومون بخدمة أكثر من ملك وهو ما يجلب الكثير من الدعم من أوقاف ملكية أخرى.

وكان أغلب كهنة خوفو قد دفنوا بالجيزة، في حين أن بعض أفراد الأسرة الخامسة والسادسة قد دفنوا بسقارة وأبو صير. وهؤلاء الذين لم يدفنوا بالجيزة قد ورثوا ألقابهم وكانوا مسئولين عن عقائد ملوك عصرهم، حيث أصبح ارتباطهم بعقائد ملوك الجيزة يأتي بالمرتبة الثانية. فعلى سبيل المثال كان المدعو بتاح مرستي والذي دفن بأبو صير، مسئولاً عن كهنة الكا الخاصة بالملكة خنتكاوس كما كان مشرف على هرم نفر إير كارع بأبو صير.

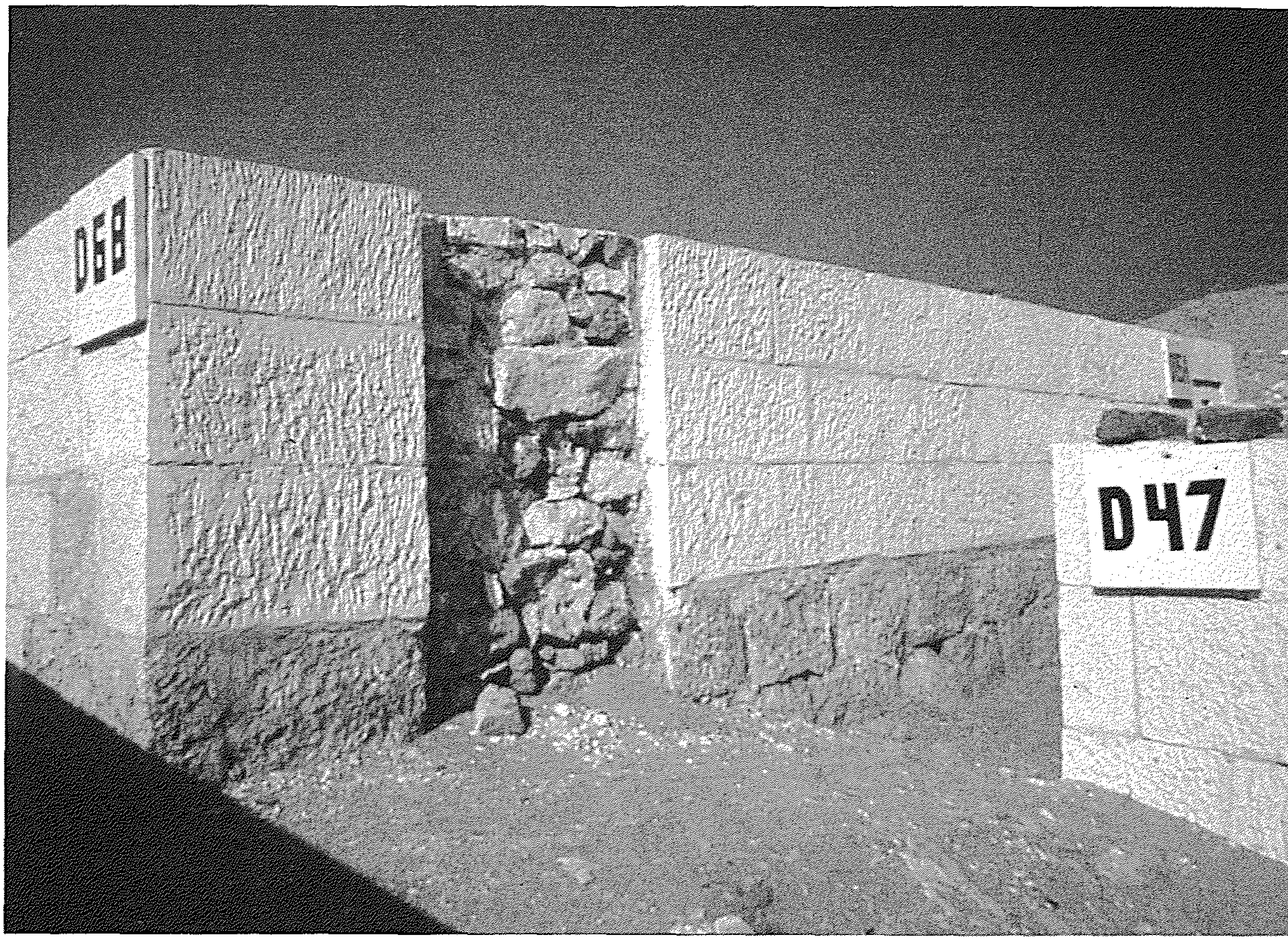
ويقدم معبد الوادي الخاص بالملك منكاورع دلائل أثرية عن العقائد المستمرة لملوك الجيزة كما تعكس لنا الشكل الفعلي لطبيعة عقيدة الهرم. وعلى الرغم من إحياء ذكرى الملك، إلا أن منشآته لا تكون في حالة جيدة. فعلى سبيل المثال، بعد مرور قرن على وفاة منكاورع، قام سكان القرى بالسطو على معبده وتدمير بعض تماثيله الملكية لاستخدامها كنماذج للأواني بمقابرهم الحالية. وقبل إهمال المعبد بعد الفيضان، كان القائمون على إحياء ذكرى الملك– والذين كانوا في حالة من الفقر– قد سطوا على مخازن المعبد.



كيف كان هؤلاء الذين يسكنون حول المعابد؟ فهل كانوا مثل تلك التجمعات التي سكنت حول معابد خوفو وخفرع؟ فقد عثر ضمن مرسوم للملك بيبي الأول بدهشور على اسم سكان مدينة هرم سنفرو، والذي كان يطلق عليهم "خنتي شي"؛ أي "الذين أمام الحوض/البحيرة" وهذه هي الترجمة الحرفية للقب، ولكن بعض علماء المصريات يترجمونه بمعنى العمال الزراعيين أو موظفي المعبد أو حتى الهرم. ويعفي المرسوم سكان تلك المنطقة من العمل الإلزامي كما أعفي مزروعاتهم وقنواتهم وآبارهم من الضرائب.

كم يبلغ عدد سكان المدنية المرتبطة بمعبد الوادي للملك منكاورع ؟ يبدو أن التخطيط الأساسي للمدينة يأتي على شكل منازل ناحية الشمال ومخازن الغلال ناحية الجنوب، وكان هناك 6–10 تقريبًا منازل بكل فترة، وكل منزل يحتوي على نحو 4–5 أفراد، مما يجعل عدد السكان الموجود على جدران المعبد 40–50 تقريبًا فردًا. ومن المحتمل أيضاً أن تلك المنازل لم تكن هي المقرات الأساسية لعائلات الكهنة، ولكنها كانت بمثابة سكن وظيفي نتيجة للقيام بخدمات العقيدة الملكية.

■ منظر عام لأهرامات الجيزة.

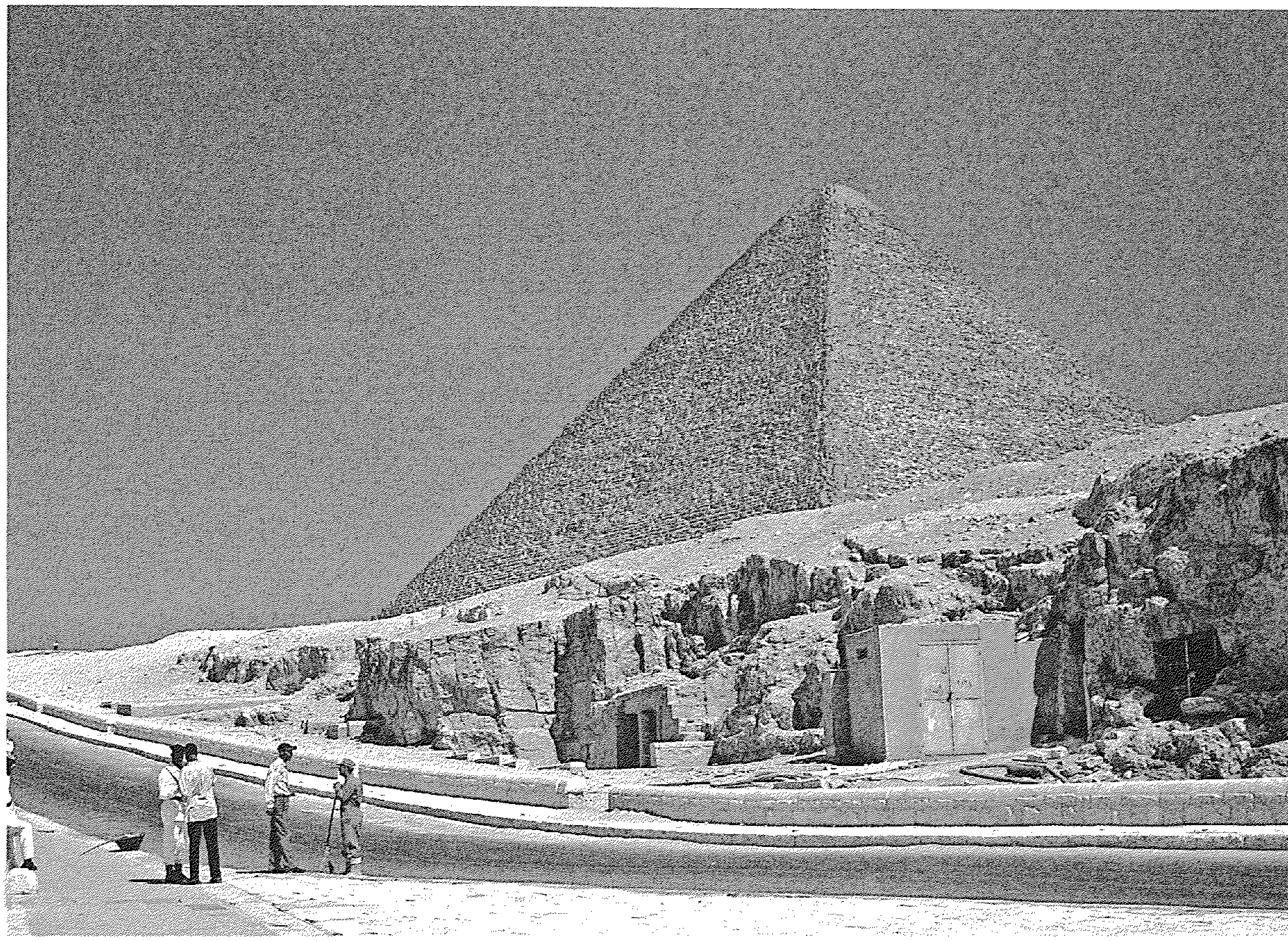


وحتى مع استمرار العقيدة الملكية، بدأت عملية سرقات آثار الجيزة خلال أواخر الدولة القديمة وخاصة مع بداية الأسرة الخامسة. ومن بين مصاطب المجموعة GI-S التي تعرضت للسرقة الواقعة جنوبي هرم خوفو، والتي استخدمت خلال تلك الفترة كورش مؤقتة لتفتيت تماثيل خفرع وصناعة أواني حجرية منها. وكانت عملية تدمير التماثيل الملكية والسطو على المصاطب تعد نموذجًا مصغرًا لتصرفات بعض الأفراد أو المجموعات على مدار فترات الضعف.

وعلى الرغم من الاستمرار في تدمير تماثيل الملك منكاورع خلال الأسرة السادسة، إلا أن كهنة منكاورع الذين قد تحملوا مسئولية إعادة بناء معبد الوادي الخاص به وإقامة عقيدته قد أحبوه أكثر مما أحبوا والده.

ومع نهاية الأسرة السادسة، بدأ انهيار الدولة القديمة والذي استمر حتى نهاية الأسرة الثامنة وبدأت الفوضى إبان عصر الانتقال الأول خلال عهد الأسرة التاسعة. وخلال تلك الفترة تعرضت الجيزة للسطو والتدمير، فمن خلال ذلك التدمير تم مسح ذكرى هؤلاء المكروهين. وخلال الدولة الوسطى ومع توحيد البلاد مرة أخرى، ظهر تقليد أدبي ينتقد بشدة التعرض للآثار القديمة والتي دمرت خلال عصور الفوضى، كما ظهرت نصوص تؤيد

■ جزء من أعمال الترميم والصيانة التي تجرى بمقابر الجيزة– الجبانة الغربية– هضبة الجيزة.

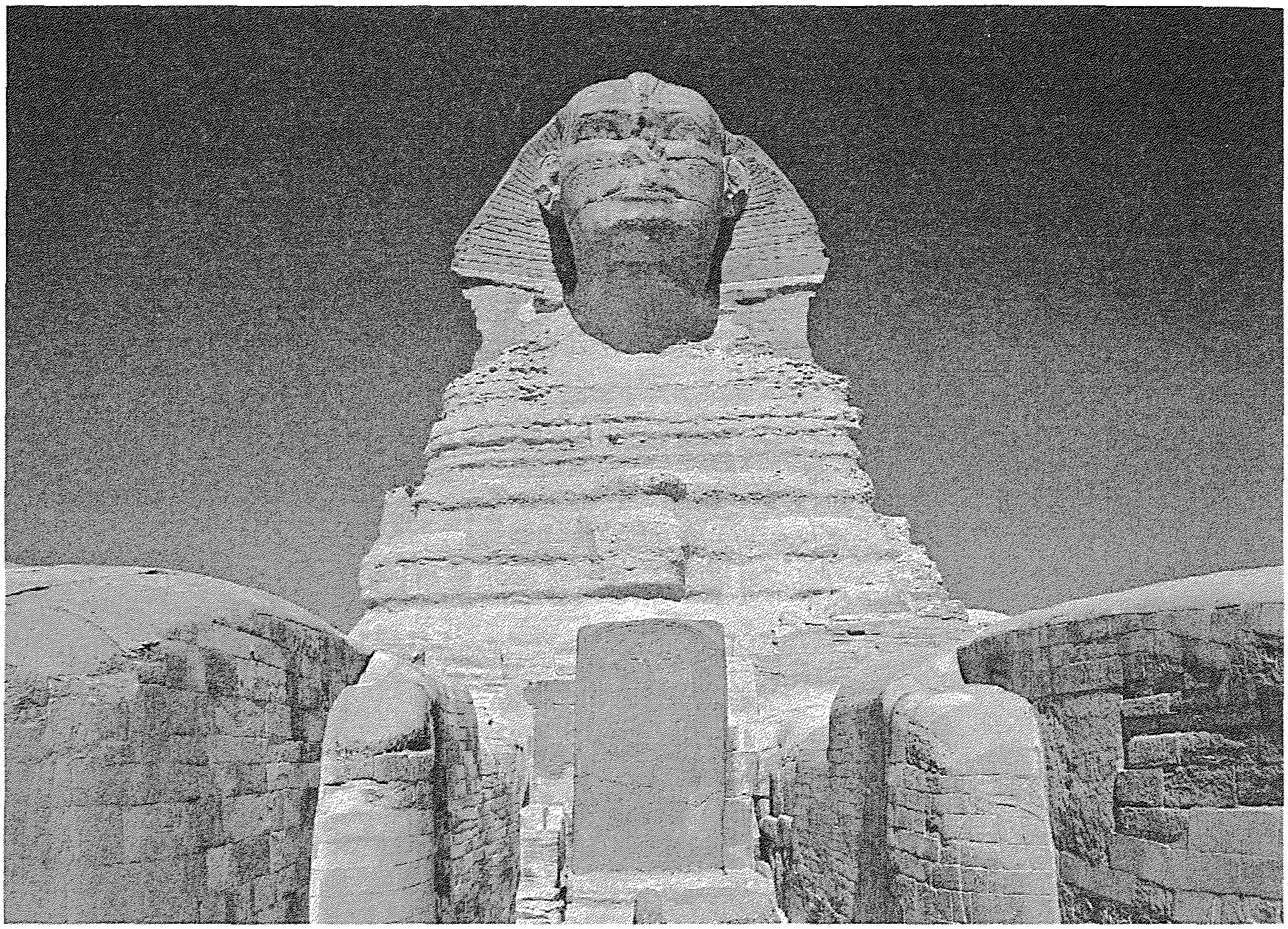


الأدلة الأثرية حول تلك العمليات من التخريب.. وقد هجرت الهضبة لمدة 600 عام، إبان عصر الدولة الوسطى وما تبعها من عصر الاحتلال الخارجي خلال عصر الانتقال الثاني حتى قدوم الدولة الحديثة.

وقد قام أول ملوك الأسرة 12 أمنمحات الأول (1991–1962 ق.م) باستخدام بعض البقايا وقطع النقوش في حشوات هرمه باللشت، وذلك بغرض نسب نفسه إلى الأصل النبيل.

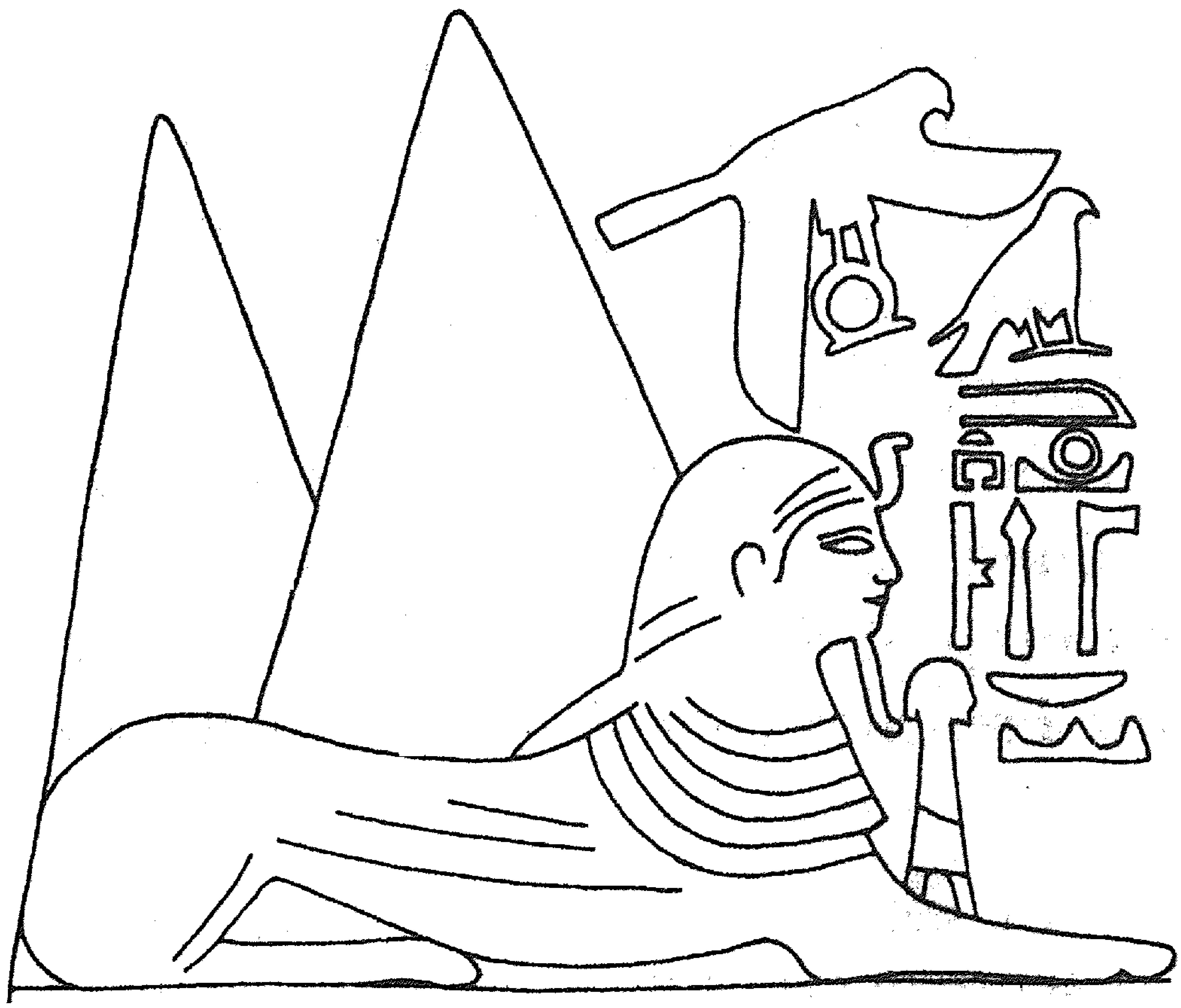
ومع ذلك، فإن استخدام أمنمحات الأول لتلك القطع لا يشير إلى قيامه بالسطو على الآثار القديمة لبناء هرمه، حيث إنه قد قام باستغلال بقايا تلك الآثار التي قد دمرت من قبل. وعلى أي حال فإن ملوك تلك الدولة لم يتركوا سوى القليل من آثارهم بالجيزة، حيث لا يوجد سوى تمثال صغير لتلك الفترة، عثر عليه بكفر الجبل من الأسرة 13، عثر عليه بجوار أبو الهول، والذي يمكن تأريخه من تلك الفترة. وعلى الرغم من الاهتمام البالغ بمنطقة الجيزة إبان عصر الدولة الوسطى عصر الانتقال الثاني طبقاً لما عرفناه من بردية وست كار ونقوش وادي الحمامات، فإنه لم يقم أي أحد بإحياء ذكرى المتوفين بالجيزة، حيث هجرت الجبانات هناك و لم يقم أحد ببناء أية مقابر جديدة هناك.

■ هرم الملك خوفو حيث تظهر المقابر الصخرية في الجانب الجنوبي الشرقي من الهرم– هضبة الجيزة.



وجاءت الدولة الحديثة وهي تحمل كلاً من الولاء والتخريب لمنطقة الجيزة، فقد كان أبو الهول بالأخص محل تبجيل خلال تلك الفترة والذي عرف باسم "حور إم آخت"؛ أي حورس في الأفق. وقام الملك أمنحتب الثاني (1454–1419 ق.م) ببناء معبد من الطوب اللبن والحجر الجيري بالشمال الشرقي لأبو الهول. أما ولده الملك تحتمس الرابع، فقد ترك لوحة من الجرانيت تعرف باسم لوحة الحلم وهي موجودة أمام صدر أبو الهول. ويتضمن اللوح والذي كان عبارة عن الباب الرئيسي للمعبد الجنائزي (العلوي) الخاص بالهرم الثاني نقشًا يصف رواية عندما كان الملك في رحلة صيد بوادي الغزلان (كما كانت تسمى صحراء الجيزة في تلك الفترة)، وشعر بالتعب واستلقى في الظل بجوار أبو الهول ونام، حينها ظهر له أبو الهول في الحلم وطلب منه أن يزيل الرمال التي تدفن جسمه في مقابل أن يجعله ملكًا على مصر. وبهذا فإن هذا الأمير يعد أول أثري في التاريخ كما يعد أول مرمم أيضًا. وقد أصبح بعدها ملكًا على مصر لمدة 10 سنوات. وقد رأى بعض العلماء المعاصرين أن تلك اللوحة كانت بمثابة دعاية سياسية في محاولة لإقناع شعب مصر بأنه رغم عدم كونه الابن الأكبر للملك أو ابن الملكة الرئيسية، إلا أنه قد اختير من قبل الإله حور إم آخت (أبو الهول).

■ تمثال أبو الهول العظيم– هضبة الجيزة.



أما آخر ملوك الأسرة 18 فهو الملك حور محب (1343–1315 ق.م)، وقد ترك أثرًا منقوشًا بهذا الموقع كما فعل ثاني ملوك الأسرة التالية الملك سيتي الأول. أما خليفته رمسيس الثاني (1304–1237 ق.م) فقد كان له دور فعال بالجيزة أيضاً، حيث قام ببناء مقصورة بين قدمي أبو الهول، في حين قام ولده وخليفته مرنبتاح ببناء أثر هناك. وقد قام كل من كبار الموظفين والكتبة وقادة الجيش والبنائين والنحاتين بترك لوحات على شرف أبو الهول.

ومع ذلك، فقد تعرضت معابد خوفو وأبو الهول إلى عمليات منظمة لاقتلاع كتل الجرانيت والألباستر والتماثيل الضخمة والتي ربما كانت من قِبَلِ البيت الملكي. فقد قام أحدهم بنقل تماثيل جرانيتية ضخمة من حجرات السرداب بالمعابد الجنائزية للملك خفرع عن طريق نقر ممرات توسعية لأكثر من 4 أمتار (13 قدمًا) عرضاً عبر أكثر من 6 أمتار (20 قدمًا) في الجدار الجيري للوصول إلى نهايات كلية الممرات.

متى قام أفراد البيت الملكي بنقر معابد خفرع بهدف الحصول على أحجار وتماثيل؟ من خلال حفائر بطول الجانب الأمامي بمعبد الوادي لخفرع، لم يبق لنا أي شك في أنه قد تم نزع ألواح جرانيتية من المعبد قبيل نهاية الأسرة

■ لوحة مونتوحور والتي تمثل الجيزة حيث يظهر تمثال أبو الهول ومن خلفه الهرمان.



18. فقد عثر على قطع من الواجهة الجرانيتية بالإضافة إلى بقايا صغيرة من تماثيل بالرمال المتراكمة على الرصيف الصخري على عمق 1–2م (3–7 أقدام). وكانت الجدران اللبنية الواقعة فوق تلك الطبقة الرملية تغلق مداخل المعبد. أما الطبقة الثانية الكبيرة فكانت عبارة عن استراحة ترجع للأسرة 18 والتي بنيت جنوب معبد خفرع، ومن الواضح أن واجهة معبد الوادي لخفرع قد جردت من كتلها الجرانيتية قبيل بناء استراحة الدولة الحديثة.

وفي الأسرة 19 وخلال عصر الملك رمسيس الثاني، أدَّت الجيزة دور المحجر الملكي. فقد قام بتفريق العديد من الأحجار من تلك المنطقة بمعظم مبانيه، فقد عثر له على كتلة من الجرانيت منقوشة باسم خفرع بتانيس كما عثر على قطع من الكورنيش الجرانيتي من معبد الوادي لخفرع بمعبد بتاح بمنف (ميت رهينة). وقد عثر على جرافيتي بالركن الشمالي الغربي لهرم خفرع تركه مهندس الملك رمسيس الثاني، والتي ترجح أن منطقة الهرم نفسها قد استخدمت كمحجر في عهد رمسيس الثاني. وقد عثر على تمثال مزدوج غير كامل منقور من الجرانيت الأسود من كساء هرم منكاورع وهو ما يعد دليلاً آخر على فكرة إعادة الاستخدام. أما الأمير خع إم واست ابن رمسيس الثاني، فقد زار العديد من آثار الدولة القديمة بمنطقة منف وقام بترميم البعض منها تاركًا نقوشًا له في كل مكان ممكن.

■ جزء من معبد الوادي للملك خفرع، حيث يظهر هرمه في الخلفية.



ومع انهيار الدولة الحديثة، أهملت الجيزة مرة أخرى. ولأكثر من 500 عام، كانت أحجار الهضبة في حالة من الهدوء. ومع قيام الأسرة 26؛ أي في عام 500 ق.م أعيدت الجيزة مرة أخرى للحياة، كما تم إحياء عقيدة خوفو من جديد. ويبدو أنه مع عودة كهنة خوفو إلى الجيزة، فإنه قد تم إعادة بعث عقيدته بكافة أنحاء البلاد. وكما ذكرنا من قبل، فإنه قد تم الكشف عن تمثال عاجي للملك خوفو بأبيدوس بمعبد خنتي أمنتيو (رب العالم السفلي مع أوزير) بعد دراسة جعلتني أعتقد أنه لا يرجع للدولة القديمة، بل يعود للأسرة 26، والمنطقة الواقعة خلف أبو الهول بالهرم الثاني عثر بها على المقابر الخاصة بالكهنة الذين كانوا مسئولين عن إحياء عقيدة الملكين خوفو وخفرع وأقوم حالياً بإجراء حفائر في هذه المنطقة وكشفنا عن العديد من المقابر التي تخص هذه الفترة .كما نقش اسم خوفو على العديد من الجعارين والتمائم خلال تلك الفترة.

وبعد مرور قرن أو أكثر، جاء المؤرخ هيرودوت وهو محمل بالعديد من الصور السلبية عن ملوك الجيزة، وخاصة الملك خوفو والذي أسماه (كيوبس). فقد زار مصر إبان القرن الخامس ق.م وجمع العديد من القصص المثيرة من بعض المرشدين الذين رافقوه أثناء زيارة آثار تلك المنطقة، فقد أخبره (كما نقل هو الآخر) أن الملك خوفو قد أغلق

■ الآبار الصخرية خلف تمثال أبو الهول والتي تعود للعصر المتأخر– هضبة الجيزة.



معابد المعبودات وحرم على المصريين تقديم القرابين لأحد المعبودات غيره. وطبقًا لما سمعه، فإن المصريين قد حملوا لكل من خوفو وابنه ذكرى سيئة، في حين أنهم تذكروا الملك منكاورع بذكرى حسنة باعتباره هو الذي قام بإعادة فتح المعابد مرة أخرى وسمح للمصريين بإعادة تقديم القرابين للمعبودات. وفي حقيقة الأمر، فإن تلك الروايات يشوبها الكثير من الشك، وإن كانت القصص الشعبية تحمل لمحات عن تغير في العقيدة إبان عصر خوفو وأبنائه.

وفي عام 332 ق.م عند مجيئ الإسكندر إلى مصر، وصل إلى منف في موكب المنتصرين بعد أن هزم الإمبراطورية الفارسية، حيث استسلم المصريون دون قتال مما جعل الإسكندر يكافئهم عن طريق عبادة معبوداتهم واحترام تقاليدهم. وخلف الإسكندر بمصر الدولة البطلمية التي أسسها أحد قواده (بطلميوس)، والتي حكمت مصر لمدة 3 قرون حتى عصر الملكة (كليوباترا السابعة)، عندما هزمت على يد القائد أوكتافيوس في عام 30 ق.م. ومن أهم إسهامات عصر البطالمة لمحاولة فهم مصر القديمة هو دعمهم للمؤرخ مانيتون الذي ترك لنا تاريخ ملوك مصر. وللأسف تعرض هذا العمل للتشويه مع مرور الوقت كما أن العديد من المعلومات يشوبها الشك حتى إبان عصر مانيتون وإن كانت بعض تفاصيلها تشير إلى أهمية ملوك الجيزة وبالأخص موقع الجيزة.

■ جزء من السور المحيط بالهرم الثاني ومن خلفه يظهر الهرم الأكبر هرم الملك خوفو– هضبة الجيزة.

وفي العصر الروماني، أصبحت المنطقة حول أبو الهول مكانًا معروفًا للحج، حيث أصبح أبو الهول تمثال الأسرار. فنعرف القليل عنه حتى قدوم القرن الخامس الميلادي عندما قام بعض المتعصبين من العرب الذين رأوا في شكل أبو الهول نوعًا من الوثنية وقاموا بتهشيم أنفه تاركين وجهه مسطحاً دون لحية وهي نفس الصورة التي عليها التمثال الآن.

ومع مرور قرون من الإهمال، توارت آثار مصر القديمة تحت الرمال كما فقدت معانيها الأصلية مع مرور الزمن. إلا أن أهرام الجيزة وقفت صامدة شامخة تجسد عظمة هؤلاء الملوك الذين قاموا ببنائها.....

الخاتمة

تعد أعمال وإنجازات أسرة الملك سنفرو رائعة وغير عادية، وتعتبر أهم أسرة في التاريخ المصري القديم، كما أنهم الملوك الذين حكموا طبقاً لتعاليم "الماعت" عبر الحق والعدالة والحقيقة. فقد كان هؤلاء الرجال حكامًا بحق كما تعد آثارهم شاهدة على مدى القوة التي وصلوا لها. وفي المقابل، كانوا أيضاً مسئولين مسئولية منفردة عن الحفاظ على نظام الكون المصري. وفي الحقيقة، فإن هؤلاء الملوك خاضعون لنظام بيروقراطي منظم والذي عمل على تدعيمهم، بالإضافة إلى هؤلاء العلماء والمعماريين والمهندسين الذين صمموا ونفذوا آثارهم. ويمكن أن أطلق على هذه الأسرة لقب البناءين العظام، حيث إن كمية وحجم الأحجار التي استعملت في بناء الأهرامات تعادل الأحجار التي استعملت في أهرامات الدولة القديمة كلها، بل وتزيد ولكن أهرامات ومعابد هذه الأسرة سوف تظل شاهدة على أنهم قدموا أعظم ملوك مصر.

وتعد مشاريع بناء الأهرام بمثابة قوى توحيدية هامة للبلاد ككل، حيث كانت الورش الخاصة بالأهرام عبارة عن مدارس لتعليم الفنون والحرف. كما كان العمال يحضرون من جميع أنحاء مصر للاشتراك في بناء الأهرام، حاملين معهم عاداتهم وأساليبهم إلى العاصمة مكونين ثقافة وطنية. وكانت الضياع الملكية الفسيحة وسائل لإعادة توزيع المنتجات على سكان بلد يعتمد على الإنتاج الزراعي والحيواني. فكان الكل مندمجًا في بناء الأهرام، أو العقائد الملكية بداية من العمال الذين يسحبون الأحجار مرورًا بالكهنة القائمين على الطقوس، حيث كانوا يتقاضون أجورهم من خلال منتجات تلك الضياع، فكان يتم مكافأة رجال ونساء البلاط نتيجة لولائهم وخدماتهم الجليلة.

وقد انعكست الثروة الرهيبة التي آلت للعائلة الملكية بالأسرة الرابعة في مقابرهم، فقد دفنت الملكة حتب حرس الأولى أم الملك خوفو مع أثاث جنائزي فاخر، ومجموعة رائعة من المجوهرات، في حين أن الأميرة مرسي عنخ الثالثة هي الوحيدة ضمن حفيدات الملك خوفو التي ذكرت بمقبرتها قائمة بالضياع المخصصة لعقيدتها الجنائزية، حيث شملت أراضي في 30 إلى 40 إقليمًا.

ومع مرور الزمن، أثمرت شجرة عائلة سنفرو العديد والعديد من الأفرع، وبعد أن كانت الثروة في أيد قليلة أصبحت مقسمة وضعيفة، كما أصبحت مشاريع بناء الأهرام نفسها وعملية دفن قدر كبير من كنوز الدولة مع صفوة المجتمع تستنزف تدريجيًا. ومع سقوط الأسرة الرابعة، كانت معظم الأراضي الواقعة تحت التاج الملكي أصبحت تحت تصرف مجموعة من الأفراد كما تناقصت قوة العائلة الملكية.

وكان هذا العامل هو الوحيد القادر على إسقاط واحدة من أقوى العائلات الملكية في تاريخ العالم، فقد كانت النزاعات الداخلية حول التعاليم الملكية لرب الشمس رع قد أضعفت قوة الملكية، فقد كان كل من الأخوة الثلاث المذكورين ببردية وستكار والذين عرفوا بأنهم أوائل الأسرة الخامسة "أوسركاف" و"ساحورع" و"نفر إير كارع"، قادرين على إسقاط أسطورة الأسرة الرابعة والوصول إلى عرش مصر.

أهم ما نستطيع أن نستخلصه من تاريخ هذه الأسرة هو أن بناء الأهرامات كان المشروع القومي لمصر كلها، حيث استطاعت العائلات الكبيرة التي تحكم صعيد ودلتا مصر أن تشارك في بناء الأهرام عن طريق إرسال العمال الذين يدفعون لهم الأجور بدلاً من دفع الضرائب، بالإضافة إلى إرسال المؤن الخاصة بالماشية من أكل وحيوانات وعيش .... وهذا المشروع القومي؛ أي الهرم هو الذي بنى مصر.. فبناء الأهرام جعل المصريين يبدعون في العمارة والفنون والفلك والتكنولوجيا، وهذه الإبداعات ظاهرة أكثر في هرم الملك خوفو معجزة المعجزات....

Bibliography

Abubakr, A., Excavation at Giza 1949-1950. Cairo 1953.

Aldred, C., Egyptian Art. London 1980.

..........., Jewels of the Pharaohs. London, New York 1971.

Allam, S. Everyday Life in Ancient Egypt. Cairo 1990.

Arnold, D., Building Ancient Egypt. Pharaonic Stone Masonry. New York/ Oxford 1991.

Arnold, Do., (ed.) Egyptian Art in the Age Of the Pyramids. The Metropolitan Museum. New York 1999.

Badawy, A., The Tombs of Teti, Sekhem ankh-Ptah and Kaemnofert at Giza. Berkeley 1976.

Baer, K. Rank and Title in the Old Kingdom: The Structure of the Egyptian administration in the fifth and sixth dynasties. Chicago. 1960.

Bárta, M., Krejćí, J. (eds.), Abusir and Saqqara in the Year 2000, Prague 2000.

Borchardt, L., Das Grabmal des Königs Sa-hu-re, I.-II. Leipzig 1910 bis 1913.

..............., Denkmäler des Alten Reiches, I (Catalogue general des antiquités égyptiennes du Musée du Caire, XCVII). Berlin 1937.

..............., Statuen und Statuetten von königen und privatleuten, I, (Catalogue general des antiquités égyptiennes du Musée du Caire, LIII). Berlin 1911.

Bothmer, B. Arts in Virginia III. Fall 1962.

Callender, V. G., The Wives of the Egyptian Kings. Dyn. I-XVII. 3 vols. (Ph.D Dissertation, Macquaire University, Sydney 1992).

Davies, N. de G., The Rock Tombs of Sheikh Said. London 1901.

Dunham, D., 'A Palimpsest on an Egyptian Mastaba Wall', AJA 39 (1935).

..............., Simpson, W. K., The Mastaba of Queen Mersyankh III. Boston 1974.

Edwards, I. E. S., The Pyramids of Egypt. Harmondsworth 1993(rev. ed.).

Fakhry, A., The Monuments of Senefru at Dahshur. I. The Bent Pyramid. Cairo 1959.

............, The Pyramids. Chicago 1961.

.............., Step Tombeaux à l'est de la Grand Pyramide de Guizeh. Cairo 1935.

Faulkner, R. O., The Ancient Egyptian Texts. Oxford 1969.

Firth, C. M., Gunn, B., Teti Pyramid Cemeteries. I-II. Le Caire 1962.

Fischer, H. G., Egyptian Women of the Old Kingdom and the Heracleopolitan Period. Atlanta 1989.

................., The minor Cemetery at Giza. Philadelphia 1932.

................., 'Four Provincial Administrators at the Memphite Cemeteries,' JAOS 74 (1954).

.................., 'Redundant Determinatives in the Old Kindom,' MMJ 8 (1973).

Ghalioungui, P., el-Dawakhly, Z., Health and Healing in Ancient Egypt. Cairo 1965.

Goedicke, H., Re-used Blocks from the Pyramid OF Amenemhet I at Lisht. New York 1971.

Goneim, M. Z., Horus Sekhem-Khet. The Unfinished Step Pyramid at Saqqara. Cairo 1957.

Goyon, G., Les Secrets des bâtisseurs des grands Pyramides. <Khéops>. Paris 1977.

Hart, G. A Dictionary of Egyptian Gods and Goddesses. London 1986.

Hassan, S., Excavations at Giza. IV. Cairo 1943.

............, The Sphinx: Its History in the Light of Resent Excavations. Cairo 1949.

Hawass, Z, Hidden Treasures of Ancient Egypt. National Geographic Society, Washington, D.C 2004.

................, Secrets from the Sand, My Search for Egypt's Past. New York 2003.

................(ed.), The Treasures of the Pyramids. AUC Press, Cairo 2003.

................,The Hidden Treasures of the Egyptian Museum. AUC Press, Cairo 2003.

............., Silent Images: Women in Pharaonic Egypt,

............., "The Peak and Splendor of the Old Kingdom", In: F. Tiradritti (ed.), Egyptian Treasures from the Egyptian Museum in Cairo, New York 1999.

............., The Secrets of the Sphinx: Restoration Past and Present, AUC press, Cairo 1998.

..............., The Pyramids of Ancient Egypt, Carnegie 1990.

................, The Funerary Establishment of Khufu, Khafra and Menkaure during the Old Kingdom, Ph.D. Dissertation, University of Pennsylvania 1987.

.... "The Khufu Statuette: Is It an Old Kingdom Sculpture?" In: Mélanges Gamal Eddin Mokhtar, Vol.1 Ed. Paule Posner-Krieger. BdE 97. 379-394. Cairo: IFAO, 1985.

.... "Arbejdersam fandet in Giza." Papyreus 14/2, 1990.

.... "History of the Sphinx Conservation." In: Book of Proceedings: The First International Symposium on the Great Sphinx. Ed. Faisal A. Esmail. 165-216. Cairo: Egyptian Antiquities Organization Press, 1992.

.... "A Burial with an Unusual Plaster Mask in the Western Cemetery of Khufu's Pyramid." In: The Followers of Horus: Studies dedicated to Michael Hoffman 1944-1990. Eds. Renée Friedman and Barbara Adams. Egyptian Studies Association Publication No. 2, Oxbow Monograph 20, 327-334. Oxford: Oxbow Books, Bloomington, IN: David Brown Book, Co., 1992.

.... "A Group of Unique Statues Discovered at Giza: I. Statues of the Overseers of the Pyramid Builders." In: Kunst des Alten Reiches: Symposium im Deutschen Archäologischen Institut Kairo am 29. und 30. Oktober 1991. SDAIK 28, 91-95. Mainz am Rhein: Verlag Philipp von Zabern, 1995.

.... "A Group of Unique Statues Discovered at Giza: II. An Unfinished Reserve

Head and a Statuette of an Overseer." In: Kunst des Alten Reiches: Symposium im Deutschen Archäologischen Institut Kairo am 29. und 30. Oktober 1991. SDAIK 28, 97-101. Mainz am Rhein: Verlag Philipp von Zabern, 1995.

.... "Programs of the Royal Funerary Complexes of the Fourth Dynasty." In: Ancient Egyptian Kingship. Eds. David O'Connor and David P. Silverman. PÄ 9, 221-262. Leiden·New York·Köln: E.J. Brill, 1995.

.... "The Workmen's Community at Giza." In: Haus und Palast im alten Ägypten: Internationales Symposium 8. bis 11. April 1992 in Kairo. Ed. Manfred Bietak. DÖAW 14. 53-68. Vienna: Verlag der Österreichischen Akademie der Wissenschaften, 1996.

.... "A Group of Unique Statues discovered at Giza: III. The Statues of JNTY-^DW from Tomb GSE 1915." In: Les critères de datation stylistiques à l'Ancien Empire. Ed. Nicolas Grimal. BdE 120, 187-208, Cairo: IFAO, 1997.

Preface, "The Pyramids of Giza," "The Secrets of the Sphinx," "The Discovery of a Pair-Statue of Rameses," and the "Pyramid Builders." In: Guide to The Pyramids of Egypt. by A. Siliotti. 6-7, 56-57, 68-71, 75, 86-89. Cairo: The American University in Cairo Press, 1997.

.... "The Discovery of the Harbors of Khufu and Khafre at Giza." In: Études sur l'Ancien Empire et la nécropole de Saqqâra dédiées à Jean-Philippe Lauer. Eds. Catherine Berger and Bernard Mathieu. OrMonsp 9, 245-256. Montpellier: Université Paul Valéry, 1997.

.... "The Pyramids." In: Ancient Egypt. Ed. David P. Silverman. 168-191. London: Duncan Baird Publishers/New York: Oxford University Press, 1997.

"Pyramid Construction: New Evidence Discovered at Giza." In: Stationen: Beiträge zur Kulturgeschichte Ägyptens. Rainer Stadelmann Gewidmet. Eds. Heike Guksch and Daniel Polz. 53-62. Mainz: Verlag Philipp von Zabern, 1998.

.... "The Pyramid Builders'. A Group of Unique Statues Discovered at Giza: IV.

The Statue of an Overseer of the Craftsmen and his Wife." In: Michel Baud et al., L'art de l'Ancien Empire égyptien: Actes du colloque organiśe au musée du Louvre par le Service culturel les 3 et 4 avril 1998. Établis par Christiane Ziegler, conservateur général chargée du département des Antiquités égyptiennes, avec la collaboration de Nadine Palayret. 79-98. Paris: La Documentation française/Musée du Louvre, 1999.

.... "Site Management at Giza Plateau: Master Plan for the Conservation of the Site." In: International Journal of Cultural Property 9/I (2000): 1-22.

.... "The Old Kingdom Pyramidion: Did it exist and was it cased in gold?" In: Hommage Fayza Haikal. (eds. N. Grimal, A. Kamel and C. May-sheikholeslami.)BdE 138. 111- 123. Cairo: IFAO, 2003.

The Secret Doors Inside the Great Pyramid." In: Boletin de la Asociacion Andaluza de Egiptologia, Basade 2 (2004): 71-79.

.... "The Tombs of Pyramid Builders: The Tomb of the Artisan Petety (ptti) and His Curse." In: Egypt, Israel, and the Ancient Mediterranean World: Studies in Honor of Donald B. Redford. Eds. Gary N. Knoppers and Antoine Hirsch. PÄ 20, 21-40. Leiden/Boston: Brill, 2004.

.... "Khufu's National Project: The Great Pyramid of Giza in the year 2528 B.C." In: Structure and Significance: Thoughts on Ancient Egyptian Architecture. Ed. Peter Jánosi. DÖAW 33, 305-330. Vienna: Verlag der Österreichischen Akademie der Wissenschaften, 2005.

.... "The Tomb of Merer-nisut at Giza." In: Mohammed Saleh Festschrift. BEM 2 (2005) Supreme Council of Antiquities. p. 79-88.

.... "Unique Statues from Giza V: The Exceptional Statue of the Priest Kai and his Family." In: Studies in Honor of Ali Radwan. Eds. Khaled Daoud, Shafia Bedier, and Sawsan Abd El-Fatah. Supplément aux Annales du Service des Antiquités de L'Égypte Vol.2. CA-

SAE 34 (2005): 25-37.

.... "A Note on the Discovery of an Unfinished Double Statue in the cemetery of the Pyramid Builders. In: the Honor of Mohamed Moursi . Ed. Zahi Hawass. BEM 4 (2007) Supreme Council of Antiquities. p.57-70.

.... "The Discovery of the Osiris Shaft at Giza." In: The Archaeology and Arts of Ancient Egypt Essays In the Honor of David O'Connor. Vol.1 (Eds. Zahi Hawass and Janet Richards). CASAE 36. Cairo: Supreme Council of Antiquities, 2007. p. 379-397.

.... "Giza Pyramid Builders Tomb 1937: A seated statue of an unknown man and an unfinished double statue. Unique statues discovered at Giza VII." In: Hommages a Jean-Claude Goyon. ed. Luc Gabolde. Ed. O. Goelet. BdE 143. Cairo: IFAO 2008. p. 247-260.

.... "Royal Figures found in Petrie's so-called Workmen's Barracks at Giza." In: James Romano Festschrift. Eds. J.E. Thompson and P. der Manolian. BES vol.17 New York (2008). p. 97-108.

.... "Unique Statues found at Giza VI: Two Uninscribed Statues found in the Western Field and near the Causeway of Khafre." In: Leonard Lesko Festschrift (2008) p.155-161.

.... (ed.), Site Management and Conservation, Egyptology at the Dawn of the 21 Century, 3 Vols., AUC Press, Cairo 2003.

............, "The Discovery of the Satellite Pyramid of Khufu at Giza, G1-d", In: Studies in honor of William Kelly Simpson. Boston 1997.

............, "The Discovery of the Pyramidion of the Satellite Pyramid of Khufu [G1-d]", in: Studies Sadek (Varia Aegyptiaca 10/2-3 [1995]).

................, "The Discovery of a Pair-Statue Near the Pyramid of Menkaure at Giza", MDAIK 53 (1997).

.........., "The Workmen's Community at Giza", Sonder Druck aus Haus und Palast in

alien Agypten Internationales Symposium 8 bis 11 April 1992. Cairo 1996.

........., "Newly Discovered Blocks from the Causeway of Sahure", MDAIK 52 (1996).

............., "The Great Sphinx: Date and Function", Sixth International Congress of Egyptology, Vol. II, Turin, 1994.

............., "A Fragmentary Monument of Djoser from Saqqara", JEA 80 (1994).

............., "The Passages under the Sphinx," Hommages d' Jean Leclant, Vol I. IFAO 1994.

..........., "Recent Discoveries at Giza", Sixth International Congress of Egyptology, Vol. I, Turin 1993.

.............,"The Statue of the Dwarf Pr-Ni-Ankhu Discovered at Giza", MDAIK 47 (1991).

..............., "Who Really Built the Pyramids", Archaeology, Vol.2, No. 2, 49-55 (May/ June) 1999.

..............., M. Verner "Newly Discovered Blocks from the Causeway of Sahure", MDAIK 52 (1996).

Hornung, E. Conceptions of God in Ancient Egypt. London 1983.

Jánosi, P., Die Pyramidenanlagen der Königinnen. Wien 1995.

Janssen, R. M., Janssen, J. J., Growing up in Ancient Egypt. London 1990.

Jéquir, G., Le Mastabat Faraoun. Le Caire 1928.

..........., Le monument funéraire de Pepi II. I-III. Le Caire 1936-1940.

Junker, H. Grabungen auf dem Friedhof des alten Reiches bei den Pyramiden von Giza, 12 Vols. Vienna: 1929-1955.

Kanawati, N. The Egyptian Administration in the Old Kingdom: Evidence in its economic decline. Warminster 1977.

Kemp, B., Ancient Egypt: Anatomy of a Civilization, London, New York 1989.

Killen, G., Ancient Egyptian Furniture I. Warminster 1980.

Klemm, R., klemm, D., Steinbrüche im Alten Ägypten. Berlin 1965.

Lacovara, P., Reeves, C.-N., 'The Colossal Statue of Mycerinus Reconsidered', RdE 38 (1987).

Lauer, J.-Ph., Études sur quelques monuments de la III dynastie (pyramide à degrés de Saqqarah). ASAE 29 (1929).

.............., Le temple haut de la pyramide du roi Ouserkaf à Saqqara. Le caire 1955.

..............., La Pyramide à degrés. I. Le caire 1936.

................, Saqqara. The Royal Cemetery of Memphis. London 1976.

.............., Le mystére des Pyramides. Paris 1998.

.............., Le Probléme de la construction de la Grande Pyramide, in: RdE 40 (1989).

Lehner M., The Pyramid Tomb of Queen Hetepheres and the Satellite Pyramid of Khufu. Mainz 1985.

..............., The Development of the Giza Necropolis: Khufu Project. Cairo 1985.

................., 'The Giza Plateau Mapping Project', JARCE 131 (1986).

................., 'The Reconstruction of Sphinx' Cambridge Archeological Journal 2,no.1 (1992).

................., The Complete Pyramids. London, New York 1997.

Lepre, J.P., The Egyptian Pyramids. London 1990.

Lichtheim, M., Ancient Egyptian Literature. Vol. I. Berkeley 1973.

Málek, J., 'King Merykare and his Pyramid', JEA 56 (1970), 81-100.

..........., In The Shadow of The Pyramids: Egypt during the Old Kingdom. London 1986.

Manniche, L., Sexual Life in Ancient Egypt. London 1987.

Maragiogilio, V., Rinaldi, C., L'architettura delle piramide menfite. II-VII. Rapallo/Torino 1963-1977.

Mariette, A. Les Mastabas de l'ancien Empire. Paris: 1889.

Murry, M.A., Saqqara Mastabas. Part I . London 1905.

Needler, W., Three Relief- Sculptures of the Early Pyramid Age From Lisht. Toronto 1959.

O'Connor D., Silverman D. P. (eds.), Ancient Egyptian Kingship, Leiden 1995.

O'Mara, Patrick. F., Additional Unlabeled Lunar Dates from the Old Kingdom in Egypt. Californie 1985.

Paulsen, Vagn., Ägyptischen Kunst: Altes und Mittleres Reich. Königstein 1968.

Perring, J.S., The Pyramids of Gizeh. I-III. London 1839-1889.

Petrie, W. M. F., The Pyramids and Temples of Gizeh. London 1883 (new edition with an update by Hawass, Z., London 1990.

Nour, M. Z., the Cheops Boats. Part I. Cairo 1960.

Porter, B., Moss, R. Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and Paintings 7 vols. Oxford 1927-1951.

Posner-Kriéger, P., Les archives du temple funéraire de Néferirkare-Kakai. Les Papyrus d'Abusir. Tradition et commentaire. Le Caire 1976.

Redford, D.B. (ed.), The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt. 3 vols. Cairo 2001

Reisner, G., A History of the Giza Necropolis. Vol. I. London 1942.

................, Mycerinus. The Temples of the Third Pyramid at Giza. Cambridge 1955.

.................., The Development of the Egyptian tomb Down to the Accession of Cheops. Cambridge 1936.

....................., 'Nefertkauw, the eldest daughter of Sneferuw,' ZÄS 64 (1929).

................, Smith, W.S., A History of the Giza Necropolis II. The Tomb of Hetepheres, the Mother of Cheops. Cambridge 1955.

..................., Fisher, C., 'Preliminary Report on the work of the Harvard-Boston expedition in 1911-1913,' ASAE 13 (1913).

Robins, G. Women in Ancient Egypt. London 1993.

Roth, A., The Organization of Cemeteries at Saqqara in Old Kingdom. JARC 25 (1988).

Saleh, S. 'Excavations around Mycerinus Pyramid Complex,' MDAIK 31 (1974).

Schäfer, H., Principles of Egyptian Art. Oxford 1974.

..........., Priesterergräber und undere Grabfunde vom Ende des alten Reiches bis zur Griechischen Zeit vom Totentempel des Ne- user-Re ("8. Wissenschaftliche Veröffentlichung der Deutschen Orient-Gesllschaft"). Leipzing 1908.

............, Aegyptische Inschriften aus den Königlichen Museen zu Berlin, I. Berlin 1913.

Schott, S., Bemerkungen zum ägyptischen Pyramidenkult. Beiträge Bf 5 Cairo 1950.

Sethe, K., Urkunden des Alten Reiches. Vol. I. Leipzig 1933.

Silverman, D., Pygmies and Dwarfs in Old Kingdom. Serapis 1969.

Simpson, W. K., The Mastabas of Qar and Idu: Giza Mastabas II. Boston 1976.

..........., The Masatabas of Kawab, Khafkhufu I and II: Giza Mastabas III. Boston 1978.

..............., Mastabas of the Western Cemetery: part I: Giza Mastabas IV . Boston 1980.

Smith, W. S., Art and Architecture of Ancient Egypt. 2nd ed. Revised by W. K. Simpson. Harmondsworth 1981.

........., A History of Egyptian Sculpture and Painting in the Old Kingdom. London 1946.

Spiegel, J., 'Zur Kunstentwicklung der Zweiten Hälfte des Alten Reiches', MDAIK 36 (1966).

Stadelmann, R., 'Das Drikammersystem der Königsgräber der Frühzeit und des Alten Reiches', MDAIK 47 (1991).

..........., Die grossen Pyramiden von Giza. Graz 1990.

............, Die ägyptischen Pyramiden. Vom Ziegelbau zum Weltwunder. Mainz 1985.

Strudwick, N., 'Three Monuments of Old Kingdom treasury officials,' JEA 71 (1985).

Swelim, N., Some Problems on the History of the Third Dynasty. Alexandria 1983.

Trench, A., 'Geometrical Model for the Ascending and Descending Corridors of the Great Pyramid', GM 102 (1988).

Trigger, B., Kemp, B., O'Connor, D., Lloyd, A.B., Ancient Egypt: A Social History. Cambridge 1986

Verner, M., Forgotten Pharaohs, Lost Pyramids. Abusir. Prague 1994.

..............., Die Königsmutter Chentkaus von Abusir und einige Bemerkungen zur Geschichte der 5 Dynestie, SAK 8 (1980).

Vyse, H., Operations Carried Out on the Pyramids of Gizeh. I-II. London 1840-1842.

W, Dietrich., 'Zur Deutung der Pyramide von Medûm', RdE 21 (1969).

Wilkinson, R.H., 'The Horus Name and the Form and Significance of the serekh in the Royal Titulary', JESSN 15 (1985).

عائلة خوفو

1 – مريت إت إس الأولى (زوجة)

أنجبت

– الأمير كاوعب

– الأمير باوأف حور أو باو أف رع (تزوج من مري عنخ الثانية)

– الأمير جدف حور أو جدف رع

– الأميرة مريت إت إس الثانية

– الأميرة حتب حرس الثانية وقد تزوجت من :

1 – أخيها كاوعب وأنجب منها مري عنخ الثالثة زوجة خفرع أنجبا ابنهما دوا ي رع

2 – عنخ حا إف

3 – جدف رع / جدف حور

2 – حنوت سن (زوجة)

أنجبت

الأمير – خع إف خوفو (خفرع)

تزوج من :

– مري عنخ الثالثة

– نفرت كاو الثانية

– خع مررنبتي

– خد حنوت أنجب منها سخم كارع

– الأمير – خع إف مين

3 – نفرت كاو الأولى وابنة سنفرو (زوجة)

أنجبت

الأمير – نفر ماعت الثاني ويقال أنه (ليس ابنا لخوفو)!!

الأميرة – نفرت كاو الثانية زوجة خفرع

4 – مرسي عنخ الأولى (زوجة)

أنجبت

الأميرة مرسي عنخ الثانية

5 – ملكة زوجة أخرى لم يذكر لها اسم

أنجبت

الأميرة خع مرر نبتي

زوجة الأمير خفرع وأم منكاورع

6 – ملكة مهمة لم يذكر لها اسم (زوجة)

أنجبت

خوفو خع إف

7 – سديث

قائمة أهرامات مصر

اسم الملك	الموقع	الأسرة	عدد الأهرامات الجانبية	الأهرامات الجانبية
1- زوسر	الهرم المدرج في سقارة	الثالثة	-	—
2- سخم خت	هرم ذو طبقات غير مكتمل في سقارة	الثالثة	-	—
3- نب كا؟	هرم غير مكتمل شمال زاوية العريان	الثالثة	-	—
4- خع با	هرم ذو طبقات جنوب زاوية العريان	الثالثة	-	—
5- حوني؟	هرم من الطوب اللبن أبو رواش (لبسيوس رقم 1)	الثالثة	-	—
6- سنفرو	ميدوم	الرابعة	واحد	7- هرم عقائدي لسنفرو.
8- سنفرو	هرم منحني جنوب دهشور	الرابعة	واحد	9- هرم عقائدي لسنفرو.
10- سنفرو	الهرم الأحمر شمال دهشور	الرابعة	-	—
11- خوفو	الهرم الأكبر الجيزة	الرابعة	سبعة	12- الهرم العقائدي لخوفو. ثلاثة أهرامات لملكات شرق هرم خوفو هم: 13- الهرم الشمالي لملكة خوفو(حتب حرس الأولى؟) 14- الهرم الأوسط لملكة خوفو(مريت إت إس الثانية؟) 15- الهرم الجنوبي لملكة خوفو(حنوت سن؟) 16- G1-X 17- الممرات التجريبية. 18- هرم نبن.
19- جدف رع	أبو رواش	الرابعة	واحد	20- هرم لملكة غير معروفة.

اسم الملك	الموقع	الأسرة	عدد الأهرامات الجانبية	الأهرامات الجانبية
21- خفرع	الجيزة	الرابعة	واحد	22- هرم عقائدي لخفرع.
23- منكاورع	الجيزة	الرابعة	ثلاثة	وهم أهرامات لملكات: 24- الهرم الشرقي لملكة (؟) جنوب هرم منكاورع. 25- الهرم المدرج الأوسط لملكة جنوب غرب هرم منكاورع. 26- الهرم المدرج الغربي لملكة في جنوب غرب هرم منكاورع.
27- شبسسكاف	مصطبة فرعون جنوب سقارة	الرابعة	—	—
28- الملكة خنتكاوس I	الجيزة	الرابعة	-	—
29- أوسركاف	سقارة	الخامسة	اثنين	30- هرم عقائدي لأوسركاف. 31- هرم لملكة أوسركاف.
32- ساحورع	أبو صير	الخامسة	واحد	33- هرم عقائدي لساحورع.
34- نفر إير كا رع	أبو صير	الخامسة	-	—
35- شبسس كا رع؟	هرم غير مكتمل في شمال أبو صير	الخامسة	-	—
36- رع نفر إف	هرم غير مكتمل أبو صير	الخامسة	-	—
37- هرم لبسيوس رقم 24؟	أبو صير	الخامسة	-	—
38- هرم لبسيوس رقم 25؟	أبو صير	الخامسة	-	—
39- ني وسررع	أبو صير	الخامسة	أربعة	40- هرم عقائدي لـ ني وسررع 41- الهرم الشمالي الصغير. 42- الهرم الجنوبي الصغير. 43- هرم الملكة خنتكاوس الثانية.

اسم الملك	الموقع	الأسرة	عدد الأهرامات الجانبية	الأهرامات الجانبية
44- منكاو حور؟	شمال سقارة (لبسيوس رقم 29)	الخامسة	—	—
45- جد كارع اسيسي	جنوب سقارة	الخامسة	اثنان	46- الهرم العقائدي لـ جد كا رع 47- هرم ملكة جد كا رع.
48- أوناس	سقارة	الخامسة	واحد	49- الهرم العقائدي لـ أوناس.
50- تتي	سقارة	السادسة	أربعة	51- الهرم العقائدي لـ تتي. 52- هرم الملكة خويت. 53- هرم الملكة إيبوت الأولى 54- هرم الملكة ششت أم الملك تتي (؟).
55- أوسر كارع	سقارة	السادسة	واحد	56- هرم الملكة الأم لأوسر كا رع
57- ببي الأول	جنوب سقارة	السادسة	إحدى عشر	58- الهرم العقائدي لـ ببي الأول. 59- هرم الملكة نوب ونت زوجة ببي الأول. 60- هرم الملكة إننك إنتي زوجة ببي الأول. 61- هرم عقائدي لهرم إننك إنتي. 62- هرم الملكة ميها زوجة ببي الأول (وقد دفنت هي وابنها داخل الهرم). 63- هرم الملكة عنخ إس إن ببي الثانية زوجة ببي الأول وزوجة مرنرع وأم ببي الثاني. 64- هرم الملكة عنخ إس إن ببي الثالثة زوجة ببي الثاني. 65- هرم عقائدي لهرم عنخ إس إن ببي الثالثة. 66- هرم الملكة مريت إيت إس الثانية زوجة ببي الثاني. 67- هرم حنوت زوجة الملك ببي الثاني(؟). 68- هرم غير معروف يطلق عليه الهرم الجنوبي الغربي (SW).
69- مرنرع	جنوب سقارة	السادسة	-	—

اسم الملك	الموقع	الأسرة	عدد الأهرامات الجانبية	الأهرامات الجانبية
70- ببي الثاني	جنوب سقارة	السادسة	أربعة	71- الهرم العقائدي لـ ببي الثاني. 72- هرم الملكة اوجب تن. 73- هرم الملكة نيت 74- هرم الملكة إيبوت الثانية
75- إيتي	مذكور بوادي الحمامات	الثامنة	–	—
76- نفر كا رع	مذكور في سقارة	الثامنة	–	—
77- إيبي	جنوب سقارة	الثامنة	–	—
78- مري كا رع	مذكور في سقارة	العاشرة	–	—
79- أمنمحات الأول	اللشت	الثانية عشرة	–	—
80- سنوسرت الأول	اللشت	الثانية عشرة	عشرة	81- الهرم العقائدي لسنوسرت الأول. 82- هرم الملكة نفرو، جنوب رقم (1). 83- هرم الأميرة إيتا كايت، الجنوبي رقم (2). 84- الهرم الجنوبي رقم (3). 85- الهرم الغربي رقم (4). 86- الهرم الغربي رقم (5). 87- الهرم الشمالي رقم (6) . 88- الهرم الشمالي رقم (7). 89- الهرم الشرقي رقم (8). 90- الهرم الشرقي رقم (9).
91- أمنمحات الثاني	الهرم الأبيض في دهشور	الثانية عشرة	–	—
92- سنوسرت الثاني	الهرم اللبني في اللاهون	الثانية عشرة	واحد	93- الهرم اللبني للملكة نفرو.
94- سنوسرت الثالث	الهرم اللبني في دهشور	الثانية عشرة	سبعة	- سبعة أهرامات للملكات.
102- سنوسرت الثالث	هرم في أبيدوس	الثانية عشرة	–	—
103- أمنمحات الثالث	الهرم اللبني الأسود في دهشور	الثانية عشرة	–	—

اسم الملك	الموقع	الأسرة	عدد الأهرامات الجانبية	الأهرامات الجانبية
104- أمنمحات الثالث	الهرم اللبني في هوارة	الثانية عشرة	واحد	105- الهرم اللبني للأميرة نفرو بتاح (؟).
106- أمنمحات الرابع؟	غير كامل جنوب مزغونة	الثانية عشرة	-	—
107- سوبك نفرو؟	شمال مزغونة	الثانية عشرة	-	—
108- خنجر	هرم لبني في جنوب سقارة	الثالثة عشرة	واحد	109- الهرم اللبني لملكة خنجر.
110- أميني كيماو	الهرم اللبني في دهشور	الثالثة عشرة	إثنين	111- الهرم اللبني؟ شمال هرم امينى كيماو. 112- الهرم اللبني؟ شمال غرب هرم امينى كيماو.
113- مر نفر رع آي	الهرم اللبني؟ في الختاعنا	الثالثة عشرة	إثنين	114- الهرم اللبني الثاني. 115- الهرم اللبني الثالث (؟).
116- أحمس الأول	هرم في أبيدوس	الثامنة عشرة	-	—

- وبالتالي فإن مجموع أهرامات مصر هو 123هرم عبارة عن: 116 هرم بالإضافة إلى سبع أهرامات صغيرة ذات طبقات، ترجع إلى نهاية عصر الأسرة الثالثة وبداية الأسرة الرابعة وهم:

117ـ هرم ذو طبقات في سيلا بالفيوم ربما يكون لـ سنفرو؟

118ـ هرم ذو الطبقات (حبنو)، زاوية الميتين في المنيا.

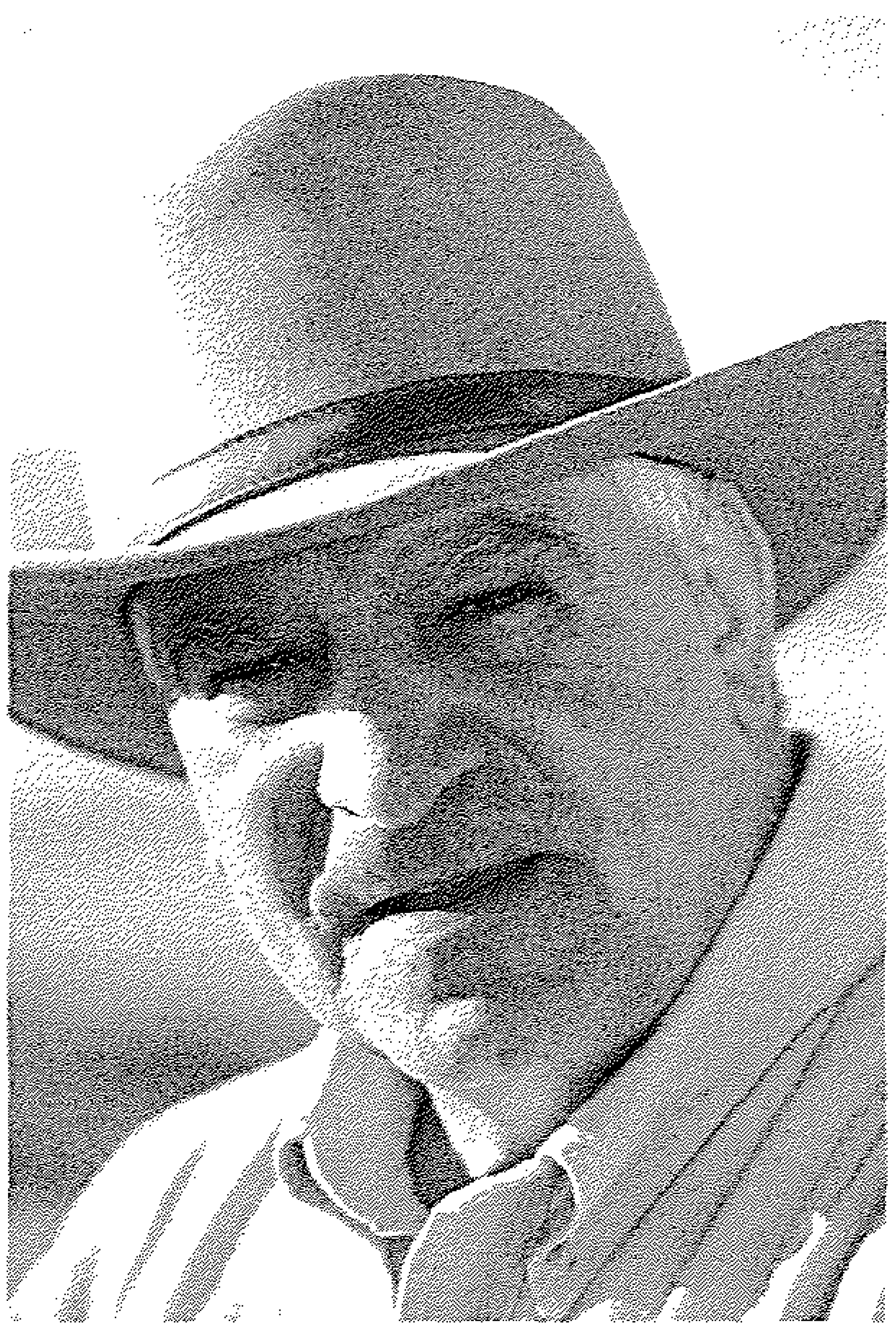
119ـ هرم ذو طبقات (الزنكي)، نجع أحمد خليفة في أبيدوس.

120ـ هرم ذو الطبقات، الزوايدة، نقادة.

121ـ هرم ذو الطبقات (الكولة)، نجع المعمارية، شمال إدفو.

122ـ هرم رملي ذو طبقات، الغنيمية، جنوب إدفو.

123ـ هرم جرانيتي ذو طبقات من الفنتين، أسوان.



السيرة الذاتية

زاهي حواس يعتبر من أشهر الأثريين في العالم لاكتشافاته الأثرية المهمة، التي على رأسها (مقابر العمال بناة الأهرام– وادي المومياوات الذهبية– مقبرة حاكم الواحات البحرية في العصر الصاوي– مومياء الملكة حتشبسوت)، والتي أحدثت دويًّا إعلاميًّا هائلاً في أرجاء العالم. وكانت آخر اكتشافاته بمنطقة سقارة بجوار هرم الملك «تتي» حيث كشف عن هرم للملكة شيشتي أم الملك «تتي».

قام بتأليف أكثر من (115 مقالة وكتاب) باللغات المختلفة عن الآثار المصرية، وقد صدر له كتاب هام باللغة الإنجليزية عن المرأة المصرية كما صدرت الطبعة العربية منه مؤخرًا وقد طبع هذا الكتاب باللغة اليابانية والإيطالية. وصدر له كتاب بعنوان أسرار من الرمال باللغة الإنجليزية، وكذلك كتاب عن وادي الملوك وأربع كتب عن الملك توت عنخ آمون وحقق كتابه وادي المومياوات الذهبية أكبر مبيعات بين كتب الآثار..

حاضر في كل دول العالم أهمها أمريكا وأوروبا واليابان واستراليا. وحاضر في العديد من المتاحف والجامعات باليابان وأمريكا وأوروبا.

حصل على درجة الأستاذية في الآثار المصرية القديمة من جامعة لوس أنجلوس بكاليفورنيا.

حصل على وسام رئيس الجمهورية للعلوم والفنون من الطبقة الأولى عام 1998 .

اختير عام 1998 كشخصية فخر لمصر بناء على الاستفتاء الذي أجراه المراسلون الأجانب في مصر.

اختارته جمعية المصريات بإسبانيا من أبرز شخصيات القرن العشرين مع (أم كلثوم وعمر الشريف ونجيب محفوظ وأحمد زويل) عام 2001.

اختارته الجمعية الجغرافية بواشنطن ضمن ثمانية من أعظم المكتشفين وتسلم الجائزة في يوليو 2001.

اختير اسمه ليكتب على CD في رحلة المركب الفضائي للمريخ عام 2003.

مُنح الدكتوراه الفخرية من الجامعة الأمريكية في فبراير 2005. ومن جامعة لشبونة عام 2009.

اختير في مجلة التايمز الأمريكية من ضمن 100 شخصية عالمية مؤثرة في العالم المعاصر في مايو 2006.

نال جائزة أوسكار إيمي من أكاديمية فنون التليفزيون والعلوم الأمريكية.

وسام الفنون والآداب من الحكومة الفرنسية يوليو 2007

وسام الاستحقاق بدرجة قائد من الجمهورية الإيطالية 2008

المحتويات

شكر وعرفان	3
المقدمة	5
× **الباب الأول "فجر الأسرة الرابعة"..**	19
– الفصل الأول : عصر سنفرو	21
– الفصل الثاني : سنفرو في ميدوم	31
– الفصل الثالث : سنفرو وعقيدة الشمس	43
– الفصل الرابع : بلاط سنفرو	55
– الفصل الخامس : مات الملك	63
× **الباب الثاني "عصر إله الشمس" ..**	67
– الفصل الأول : بدايات حكم خوخو	69
– الفصل الثاني : ثورة في العام الخامس	85
– الفصل الثالث : خوفو .. حاكم طاغية أم عالم عظيم	107
– الفصل الرابع : بلاط الملك	113
– الفصل الخامس : الانتهاء من بناء الهرم الأكبر ووفاة الملك خوخو	135
× **الباب الثالث "خلفاء خوفو" ..**	139
– الفصل الأول : معارك داخل الأسرة الملكية .. جدف رع بأبورواش	141
– الفصل الثاني : مؤامرات خفرع	149
– الفصل الثالث : المجموعة الهرمية للملك خفرع	153
– الفصل الرابع : بلاط خفرع	171
– الفصل الخامس : وفاة خفرع	177
– الفصل السادس : الملك منكاروع يصعد إلى العرش	179
– هرم منكاورع	180
– بلاط منكاورع	195

× **الباب الرابع "بناة الأهرام" ..** 199

– الفصل الأول : بناة الأهرام بالجيزة 201

– الفصل الثاني : حياة بناة الأهرام 215

– نظرة عامة 224

× **الباب الخامس "نهاية عصر" ..** 229

– الفصل الأول : شبسسكاف .. الابن الصالح 231

– الفصل الثاني : ظهور أبناء رع .. عصر خنتكاوس وإطلالة الأسرة الخامسة 235

– الفصل الثالث : إهمال الجيزة 239

– **الخاتمة** 249

Bibliography - 251

– **عائلة خوفو** 262

– **قائمة أهرامات مصر** 264



عائلة الملك خوفو

تحتل الأسرة الرابعة مكانة متميزة في التاريخ المصري القديم. فتشهد آثار ملوكها الباقية حتى الآن من أهرامات ومعابد على مدى عظمة وتقدم مصر في تلك الحقبة الزمنية، والتي لاتزال تبهر العيون وتحير العقول من دقة تصميمها وإبداعها المعماري والفني. يحتوي الكتاب على معلومات مهمة عن الأهرامات والغرض من بنائها، بالإضافة إلى دلائل وبراهين علمية وتاريخية تؤكد أن الأهرامات لم تُبن بالسخرة كما يدعى البعض، وتثبت أن الأهر[...] بأيدي مصرية خالصة وهذا مايؤكده الكشف عن جبانة العمال بناة الأهرام، والتي تنقسم إلى قسمين : [...] وهى الخاصة بالفنانين والنحاتين، أما الجبانة السفلى فهى الخاصة بالعمال الذين قاموا بنقل الأحجار. كما يتضمن الكتاب معلومات عن أحدث الاكتشافات الأثرية التي تمت بمنطقة الأهرامات. ويتناول ال[...] تاريخ الملوك العظام للأسرة الرابعة وعائلاتهم والأحداث المهمة، التي جرت في عصرهم في طريقة س[...] بقصص وروايات تجعل القارئ يتعايش مع الماضي كأنه واحد من الذين شهدوا هذا العصر الجميل.

6222006 319397

الدار المصرية اللبنانية